الدار العربية للعلوم - ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

حصريا لمنتديات جنان

تُرجمت روايات ستيفن كينغ إلى 36 لغة وبيع منها أكثر من 300 مليون نسخة!

Stephen King

ستيفن كينغ

www.jn2n.com

MISERY رواية

بؤس

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

قام بالرفع والاعداد
عقربان
HLLO_A@HOTMAIL.COM

I

آني

عندما تنظر إلى الهاوية،

فإن الهاوية تنظر إليك.

فريدريك نيتشه

hllo_A@hotmail.com

www.jn2n.com

www.jr2n.com
hllo.A@hotmail.com

1

رقمم و االاحد

أنت المعجبة رقمم و االاحد

أصوات: تأتي حين في حالة من التشوش.

2

بـــيد أن الأصوات – مثل الألم – تتلاشى في بعض الأحيان، ولا يبقى بعدها سوى التشوش. تذكّرَ الظلمة، ظلمة حالكة داهمته قبل وقوعه في هذه الحالة. هل يعني ذلك بأنه كان يحرز بعض التقدم؟ هل كان ثمة ضـــوء ما (حتى لو كان من النوع المشوش)؟ هل كانت تلك الأصوات تأتيه في الظلمة؟ لم تكن لديه إجابة عن أي من هذه الأسئلة. وهل كان لطرح هذه الأسئلة أي معنى؟ لم يكن يملك إجابة عن هذا السؤال أيضاً.

كـــان الألم يقبع في مكان ما تحت الأصوات، ذلك هو فقط كل ما كان يعرفه.

لمـــدة من الزمن بدت طويلة جداً (وكانت كذلك بالفعل، لأن الألم والتشـــوش العـــارم كانا الشيئين الوحيدين الموجودين آنذاك) كانت تلك الأصـــوات تمـــثل الحقيقة الخارجية الوحيدة بالنسبة له. لم تكن لديه أية فكـــرة عمّن كان، وعن مكان تواجده، ولم يكن يهتم بمعرفة ذلك أيضاً. كان يتمنى أن يكون ميتاً، لكنه في خضم التشوش المشبع بالألم الذي ملأ عقله مثل غيمة رعدية صيفية، لم يكن يعرف بأنه تمنّى ذلك.

مع مرور الوقت، أصبح يدرك بأنه كانت هناك مراحل من انقطاع

الألـم، وأن هـذه المراحل كانت ذات صفة دورية. وللمرة الأولى منذ خـروجه مـن السـواد الكلي الذي أطال من أمد التشوش، برزت لديه فكـرة، فكرة كانت متواجدة بمعزل عن أي وضع كان فيه. وكانت هذه الفكـرة تتعلق بوتد مكسور وبارز من الرمل على شاطئ ريفير بيتش. غالباً ما كان أبواه يأخذانه إلى تلك المنطقة عندما كان طفلاً، وكان دائماً يصرّ على أن يبسطوا بطانيتهم حيث يمكنه مراقبة ذلك الوتد الذي كان يـبدو له مـثل ناب بارز من وحش مدفون تحت الرمل. كان يحب أن يجلـس ويراقب الماء وهو يقترب شيئاً فشيئاً إلى أن يغمر الوتد تماماً. وبعـد سـاعات، بعـد التهام كل الشطائر وسلطة البطاطا، ونجاحه في الحصـول علـى القطـرات القليلة الأخيرة من مشروب **كوول إيد** من تـرمس والده الكبير، وبالكاد قبل أن تقول له إن الوقت قد حان لحزم أغراضـهم والعودة إلى البيت، كان رأس الوتد يبدأ بالظهور ثانية. في البداية، كان يسترق النظر لومضة قصيرة بين الموجات القادمة، لكنه ما يلبـث أن يـبدأ بالبروز أكثر فأكثر. ولم يكونوا يشرعون بجمع ألعاب بولـي الشاطئية إلا عندما ينتهون من وضع نفاياتهم في البرميل الضخم المكتوب عليه **حافظوا على شاطئكم نظيفاً**.

(*بولـي هـو اسـمي. أنا بولي والليلة ستضع أمي زيت الأطفال جونسون على جلدي المحترق من جراء تعرضي للشمس*". قال في نفسه داخـل الرأس الذي كان يعيش فيه الآن والذي كان يشبه الغيمة الرعدية الداكنة).

هكذا طُويت البطانية ثانية، وكان الوتد قد عاد إلى الظهور بشكل كامل تقريباً، وجوانبه المسودة اللزجة محاطة بزبد كثيف من الفقاعات. إنـه المدّ، حاول أبواه أن يشرحا له ذلك، لكنه لطالما عرف بأنه الوتد. المـدّ كـان يأتي ويروح، لكنّ الوتد كان دائماً يبقى حيث هو. ببساطة، بدون الوتد لم يكن ثمة مدّ.

كانـت هـذه الفكـرى لا تفتأ تدور وتدور في رأسه، وتدفعه إلى

الجـنون، مثل ذبابة عنيدة. كان يحاول جاهداً معرفة ما يمكن أن تعنيه هذه الذكرى، لكنّ الأصوات كانت تقطع عليه سعيه هذا.

معمعجبة

قرات كالليل شمسيه

رقم واالاحد

فـي بعـض الأحيان كانت الأصوات تتوقف. وفي أحيان أخرى، كان هو من يتوقف.

أول ذكـرى واضـحة فعلاً له لهذا *الواقع*، *الواقع* الذي يقع خارج تشوشـه العاصف، كانت تتمثل في إدراكه فجأة بأنه لم يعد يستطيع أخذ نفس آخر، وكان ذلك أمراً جيداً. في الحقيقة، كان ذلك رائعاً، فقد كان باستطاعته تحمل درجة معينة من الألم. لكنّ السيل كان قد بلغ الذبى، وهو كان سعيداً لأنه أخيراً سيخرج من اللعبة.

إلـى أن أطبق فم على فمه؛ من المؤكد أنه كان لامرأة بالرغم من الشفتين القاسيتين الجافتين. واندفعت الريح من فم هذه المرأة داخل فمه وعبر حنجرته، نافخة رئتيه. وعندما أفلتت تلك الشفتان شفتيه شم رائحة حارسته لأول مرة، ثم رائحتها من اندفاع النفس الذي أدخلته عنوة فيه، مـزيج كريه الرائحة من كعك بنكهة الفانيليا، وأيس كريم الشوكولاته، ومرق الدجاج، وحلوى زبدة الفول السوداني.

سمع صوتاً يصرخ، "*تنفس، اللعنة! تنفس يا بول!*"

ثم أطبقت الشفتان ثانية. واندفع النفس داخل حنجرته مرة أخرى، انـدفـع مـثل هبة الريح الرطبة التي تلي مرور قطار سريع في النفق، وهي تجر أوراق الصحف وأغلفة السكاكر وراءها. ثم ارتدّت الشفتان، ففكّـر فـي نفسه، "*حبّاً بالله لا تسمح لأي جزء منه بالمرور من خلال أنفك*". لكنه لم يستطع. *اللعنة! يا للقرف، يا للقرف*.

"*تنفس، عليك اللعنة!*" زعق الصوت غير المرئي، ففكّر في نفسه، "*سـأفعل أي شـيء، رجاءً، لا تقومي بذلك مرة أخرى، لا تلوّثيني بعد*

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

الآن، وحـاول ولكن قبل أن يبدأ بالفعل، أطبقت شفتاها على شفتيه مرة أخـرى، شـفتان جافتان وميّتتان كقطعتين من الجلد المملح، واغتصبته بنفسها مجدداً.

عـندما أبعـدت شفتيها هذه المرة لم يُخرج نفسها بل بلعه داخلاً، وأخـذ شـهيقاً كبـيراً صاقراً من نفسه هو، ثم زفره إلى الخارج بقوة. انـتظر صدره لكي يعمل ثانية بنفسه كما كان يفعل طوال عمره بدون مسـاعدة مـنه، وعـندما لم يستجب، أخذ شهقة كبيرة صاقرة أخرى. وأخـيراً، عاد يتنفس بشكل تلقائي، وكان يفعل ذلك بأسرع ما يمكن كي يتخلص من رائحتها ومذاقها ويخرجهما من داخله.

لـم يكـن لمذاق الهواء الطبيعي طعم أطيب من ذاك الطعم على الإطلاق.

بـدأ بـالعودة إلى حالة التشوش ثانية، ولكن، قبل أن يذهب العالم المعتم الباهت تماماً، سمع صوت المرأة يدمدم: "واو! كان قاب قوسين أو أدنى".

"ليس بما يكفي". فكّر في نفسه، ثم غط في النوم.

حلـم بالوتد، وكان الحلم حقيقياً إلى درجة أنه أحس أن بمستطاعته أن يمدّ يده، ويزلق راحته على منحناه الأسود المخضرّ المتشقق.

عـندما عـاد إلـى حالته السابقة نصف الواعية، استطاع أن يقيم رابطـاً بين الوتد ووضعه الحالي. لم يكن الألم ذا طبيعة مدّية وجذرية؛ هـذا هو المقصود من ذاك الحلم، بل في الواقع لم يكن حلماً وإنما كان ذكـرى. فـالألم كـان يسبب - من الناحية الظاهرية فقط - كأنه يأتي ويختفـي، لكنه، في حقيقة الأمر، كان أشبه بالوتد الذي يكون مرئياً في بعـض الأحيان ومُغطّى في أحيان أخرى، بيد أنه موجود على الدوام. كـان يشـعر بالامتنان الغبي في الأوقات التي لم يكن يغزوه فيها الألم وهو مغمور بسحابته الرمادية الباهتة، لكنه لم يعد مخدوعاً ومضللاً بعد الآن، فهـو يعرف بأن الألم ما يزال موجوداً، يستعد للعودة من جديد.

ولم يكن هناك وتد *واحد* فقط، بل *اثنان* - الألم هو الوتدان - وجزء منه كـان يعلم أن الوتدين المتكسرين هما ساقاه المكسورتان بالذات، وذلك قبل فترة طويلة من تمكّن معظم دماغه من معرفة ذلك.

لكـنّ ذلـك حدث قبل فترة طويلة من تمكّنه من تكسير زبد لعابه المتجفف الذي ألصق شفتيه ببعضهما، وقوله بصوت متهدج إلى المرأة التي تجلس بجانب سريره وتحمل كتاباً بيدها: "أين أنا؟" كان اسم مؤلف الكتاب هو بول شيلدون، وقد أدرك دون أي استغراب بأن هذا الاسم هو اسمه هو بالذات.

قالـت عـندما أصـبح أخـيراً قـادراً على الكلام: "سايدويندر، كولوراد*و*. اسمي آني ويلكس، وأنا..."

قال: "أعلم، أنت معجبتي الأولى".

أجابت مبتسمة: "أجل، هذا بالضبط ما أنا عليه".

3

عتمة، ثم ألم، فتشوش. ومن ثم الإدراك بأن الألم - بالرغم من وجوده الدائم - كان يختفي بواسطة تسوية غير مريحة كان يفترض بأنها مجرد عملية إلهاء. الذكرى الحقيقية الأولى هي التوقف، وإرغامه على العودة إلى الحياة بواسطة نفس المرأة الباعث على القرف.

الذكـرى الحقيقـية الثانـية: أصابعها تقحم شيئاً ما داخل فمه في أوقـات مـتقطعة، ولكن منتظمة؛ شيئاً يشبه كبسولات **كونتاك** المضادة للسـعال، وبمـا أنهـا لم تكن تُتبع بالماء فهي كانت تقبع في فمه فقط. وعـندما كانـت تـذوب، كانت تخلف طعماً مراً للغاية يشبه قليلاً طعم الأسـبرين. وقد كان من المستحسن بالنسبة إليه أن يبصق تلك المرارة خارجاً إلا أنه كان يدرك جيداً بأنه لا ينبغي عليه فعل ذلك، فذلك الطعم المرّ هو الذي كان يأتي بالمدّ العالي ليغطي الوتد.

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

(وتـــدان، اثنهما وتدان، هناك اثنان، حصلنا هناك اثنان جيد. والآن احدا هش جيد هششش).

وجعلته يختفي لفترة من الزمن.

كانـــت كل هذه الأمور تأتي في أوقات متقطعة ومتباعدة. ولكن، فـــيما بعد، عندما لم يعد الألم يرجع بل بدأ بالتلاشي (كما تأكل وتد ريفير بيتش، فكّر في نفسه، لأنه لا يوجد شيء يدوم إلى الأبد؛ رغم أن الطفل الـــذي كـــان علـــيه كان سيبزأ من مثل هذه الهرطقة). وبدأت الأشياء الخارجية بالتدخل بسرعة متزايدة إلى أن أعاد العالم الموضوعي، بكل ما يحمل من ذكريات، وتجارب، وأفكار مسبقة بناء ذاته إلى حدٍّ كبير. إنـــه بـــول شيلدون الذي كتب روايات ذات نوعين، جيدة ورائجة. لقد تزوج وطلّق مرتين خلال حياته. وكان يدخن بشراهة. وقد حدث شيء بالغ السوء له لكنه ما يزال حيا. تلك الغيمة الرمادية الداكنة بدأت بالتبدد بشـــكل تدريجي؛ ولكن متسارع. ولكن، ستمضي فترة طويلة إلى حدٍّ ما قبل أن تأتي معجبته الأولى بأنه الكائنة القديمة المطقطقة، بفمها الفاغر المكشّر، وصوتها الذي يشبه صوت داكي دادلز (شخصية كرتونية). إلا أن بـــول كان يدرك قبل ذلك بمدة بأنه كان يعيش في حالة لا انطلاق من التوقف والعطالة.

4

ذلـــك الجزء المعارف مسبقاً من عقله راها قبل أن يدرك بأنه كان يراها، ولا بد أنه فهمها قبل أن يدرك بأنه كان يفهمها. وإلا، لماذا ربط هذه الصور القاسية والمشؤومة بها؟ كلما كانت تدخل غرفته كان يخطر فـــي بالـــه تلـــك التماثيل المنحوتة التي كانت القبائل الإفريقية المؤمنة بالخـــرافات تعـــبدها في روايات هـــ. رايدر هاغارد، وكذلك الحجارة والقدر.

كانت صورة آني ويلكس كصنم إفريقي مأخوذ من روايتي **هي** أو مناجم الملك سليمان سخيفة وملائمة على نحو غريب في آن معاً. كانت امرأة ضخمة الجسم، وباستثناء الانتفاخ الكبير والعدالي لصدرها الكامن تحـــت البلوزة الرمادية ذات الكمّين الطويلين والتي كانت تلبسها دائماً، كانـــت تـــبدو كأنها لا تملك أي انحناءات أنثوية على الإطلاق. فلم يكن هـــناك أي تكـــوّر محـــدد لورك، أو مؤخرة، أو حتى بطة ساق تحت الامـــتدادات اللامتناهـــية للتنانـــير التي كانت تلبسها في المنزل (كانت تنسحب إلى غرفة نومها الخفية كي ترتدي بنطالاً من الجينز قبل القيام بمهامها الاعتيادية خارج المنزل). كان جسدها ضخماً لكنه غير لطيف. وكـــان ثمـــة شـــعور يتولد لدى رؤيتها يذكّر المرء بالعوائق وحواجز الطـــرقات أكثر مما يوحي بالنعمات المرحّبة، أو الفضاءات المفتوحة، والمدائق الفاصلة.

الأهم من ذلك كله هو أنها كانت تشعره بإحساس مزعج بالصلابة، وكأنهـــا كانـــت بلا أوعية دموية أو حتى أعضاء داخلية، مجرد آني ويلكـــس جـــامدة من الأعلى إلى الأسفل ومن كل جوانبها. كما أنه كان يـــزداد اقتناعاً يوماً بعد يوم بأن عينيها - مع أنهما كانتا تبدوان بأنهما تتحركان - كانـــتا مجرد عينين مرسومتين في مقلتيها فقط، وأنهما لم تكونـــا تتحركان إلا كما تبدو أعين الصور حين تنظر إليها وتشعر بأنها تتبعك من حيث هي معلقة إلى أي مكان تتنقل إليه في الغرفة. كان يعتقد بأنـــه إذا ما جعل الإصبعين الأولين من يده على شكل حرف V وحاول أن يدخلهمـــا فـــي منخريها، فإنهما قد تصادفان بعد ملليمترات قليلة فقط عائقاً صلباً (لكنه لين قليلاً)، وحتى بلوزتها الرمادية، وتنانيرها المنزلية غـــير الأنـــيقة، وبنطالها الجينز المخصص للعمل الخارجي؛ كلها كانت جزءاً من ذلك الجسد الليفي الصلب الذي لا يملك أي فجوات أو أخاديد. فـــي الواقع، لهذا السبب، لم يكن يستغرب أبداً، شعوره بأنها كانت أشبه بصـــنم في رواية تحبس الأنفاس. كالصنم، كانت توحي له بشيء واحد

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

فقط: شعور بعدم الارتياح يتحول شيئاً فشيئاً إلى رعب حقيقي. وكالصدم، أخذت كل شيء آخر.

لا، مهلاً، هذا ليس عدلاً تماماً. فهي أعطت شيئاً آخر بالفعل. أعطته أقراص الدواء التي جلبت المدّ ليغطي الوتدين.

الأقراص هي المدّ، وآني ويلكس هي الكائن القمري الذي جذب تلك الأقراص إلى فمه مثل بقايا طافية فوق الموج. كانت تجلب إليه اثنين منها كل ست ساعات، في البداية كانت تعلن عن وجودها فقط من خلال دس زوج من أصابعها في فمه (سرعان ما تعلّم أن يمص هاتين الإصبعين بقوة بالرغم من مذاقهما المرّ). وفي المرة الثانية، كانت تظهر في بلوزتها ذات الكمين الطويلين وواحدة من تنانيرها العديدة، عادةً مع نسخة ذات غلاف ورقي من إحدى رواياته تحت إبطها. في الليل كانت تظهر له في عباءة وردية يكسوها الزغب، ووجهها يلمع من جراء دهنه بأحد المساحيق (كان باستطاعته معرفة اسم المكوّن الرئيسي لهذا المسحوق بسهولة رغم أنه لم ير الزجاجة التي مسحت بها وجهها، وذلك من رائحة مادة اللانولين القوية والواضحة)، فتهزه من نومه المضطرب المليء بالأحلام وهي تحتضن حبتي الدواء في يدها، والقمر المزعج يسكن النافذة فوق إحدى كتفيها الصلبتين.

بعد فترة وجيزة – بعد أن أصبح فزعه أكبر بكثير من مقدرته على تجاهله – أصبح بمقدوره معرفة ما كانت تلقمه إياه: مسكن آلام مع دواء يُدعى نوفريل مكوّن من مادة الكودايين القوية. ولأن النوفريل يسبب الإمساك أحياناً لدى المرضى الذين يتعاطونه، فقد كانت تضطر في مناسبات نادرة إلى جلب وعاء التبرّز، بالرغم من أنه كان يتغذى على حمية مكونة بالكامل من السوائل والجيلاتين (في السابق، عندما كان لا يزال يعيش في غيمته السوداء، كانت تغذيه عن طريق الوريد). كما أن هناك أثراً جانبياً آخر، وأكثر خطورة، وهو الهبوط التنفسي الذي يمكن أن يصيب المرضى الحساسين. ومع أن بول لم يكن من

أولئك المرضى – بالرغم من أنه كان مدخناً شرهاً لما يقارب الثمانية عشر عاماً – إلا أن تنفسه توقف في مناسبة واحدة على الأقل (قد تكون هناك مرات أخرى لا يتذكرها خلال حالة التشوش). تلك كانت المرة التي أجرت له فيها التنفس الاصطناعي. لكنه فيما بعد أصبح يشك في أنها كادت أن تقتله بإعطائه جرعة زائدة بالصدفة، ولعل ذلك حدث بالفعل، فهي لم تكن تعرف ما تفعله بالقدر الذي كانت تظنه، وهذا كان واحداً من الأشياء التي كانت ترعبه بخصوص آني.

اكتشف بول ثلاثة أشياء في وقت واحد تقريباً، وذلك بعد حوالي عشرة أيام من خروجه من السحابة السوداء. اكتشف أولاً أن آني ويلكس كانت تملك كمية كبيرة من نوفريل (في الواقع، كانت تملك العديد من الأدوية من مختلف الأنواع). واكتشف ثانياً أنه كان مدمناً على دواء نوفريل. أما الاكتشاف الثالث فهو أن آني ويلكس كانت مجنونة على نحو خطر.

5

كانت الظلمة هي بداية مرحلة الألم والسحابة التي تنذر بوشوك حدوث اضطراب عظيم. ولقد بدأ يتذكر ما مهّد للظلمة عندما أخبرته بما حدث له. لقد حصل ذلك عندما سألها السؤال التقليدي للنائم الذي يستيقظ فأخبرته بأنه كان في بلدة سايدويندر الصغيرة، في كولورادو. كما أخبرته بأنها قرأت كل رواياته الثماني مرتين على الأقل، وأنها قرأت روايات ميزري "*Misery*" المفضلة لديها أربع أو خمس أو وربما ست مرات. لكنها كانت تتمنى فقط لو أنه كان يكتبها بسرعة أكبر. وأخبرته كذلك بأنها بالكاد صدقت أن مريضها هو *بول شيلدون* نفسه حتى بعد تحققها من بطاقته الشخصية في محفظته.

سألها، "بالمناسبة، أين محفظتي؟"

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

أجابته، "لقد وضعتها في مكان آمن". وتحولت ابتسامتها فجأة إلى نظرة ضيقة متمعّنة لم ترق له كثيراً؛ كان الأمر أشبه باكتشاف شق عميق مخفي بالكامل تقريباً بواسطة أزهار صيفية وسط مرج أخضر جميل. "هل اعتقدت بأنني *سأسرق* شيئاً منها؟"

"لا، بالطبع لا. الأمر ببساطة هو أن..". *الأمر ببساطة هو أن بقية حياتي كلها موجودة فيها*، قال في نفسه. *حياتي خارج هذه الغرفة. خارج الألم. خارج الطريقة التي يمتد فيها الزمن مثل شريط وردي طويل من لبانة تنتج فقاعات، يخرجها طفل من فمه عندما يكون سئماً. لأن هذا هو حالي منذ ساعة تقريباً قبل أن تأتي الأقراص.*

"الأمر ببساطة *ماذا* يا رجل؟" أنحت عليه، ولاحظ حينئذ أن النظرة المتمعنة تزداد غضباً أكثر فأكثر. كان الشق يتسع وكان زلزالاً يحدث في تلك اللحظة خلف جبهتها. كان باستطاعته سماع صفير الرياح الحاد والثابت في الخارج، وفجأة تخيّل بأنها تنتشله من فراشه، وترميه على كتفها الصلبة، فيتدلى مثل كيس خيش معلّق فوق حائط حجري، ثم تحمله إلى الخارج، وترميه فوق كومة من الثلج، فيتجمد حتى الموت.

قال لها، مندهشاً من سهولة خروجه بهذه الكذبة: "لطالما طلب مني والدي أن أحافظ على محفظتي". ففي الحقيقة، لقد تذكر والده أمر تربيته دون أن يعيره انتباهه إلا عند الضرورة القصوى، وطوال عمره لم يقدم لبول - بقدر ما تسعفه ذاكرته - إلا نصيحة واحدة فقط. حدث ذلك في عيد مولده الرابع عشر حين أعطاه والده وقماً ذكرياً من نوع ريد ديفل في مغلف لامع. قال له روجر شيلدون: "ضع ذلك في محفظتك، فإذا ما تهيّجت يوماً وأنت تعمل في خدمة الزبائن، خذ ثانية قبل أن تستبد بك الرغبة، وارتدِ هذا الشيء. هناك الكثير من السفلة في هذا العالم، وأنا لا أريدك أن تنضم إلى ضحاياهم، وأنت في السادسة عشرة من عمرك".

هنا، استأنف بول كلامه: "أعتقد بأنه طلب مني المحافظة على

محفظتي مرات عديدة جداً لدرجة أن ذلك انحفر في داخلي إلى الأبد. فإذا أسأتُ إليك، أنا أعتذر بشدة".

أحست أنها بالارتياح، وانفرجت أساريرها. ورُدم الشق، وملأت الأزهار الصيفية برؤوسها بمرج من جديد. تخيّل بأنه يدفع يده داخل ابتسامتها فلا يجد شيئاً سوى العتمة اللينة. "لا إساءة على الإطلاق. إنها في مكان آمن. انتظر... لديّ شيء من أجلك".

خرجت قليلاً ثم عادت وبيدها زبدية من الحساء الساخن. كانت الخضار طافية على وجه الحساء. صحيح أنه لم يكن قادراً على أكل الكثير، لكنه أكل أكثر مما كان يعتقد في البداية بأنه قادر على أكله. فبدت عليها أمارات الرضا. وبينما كان يتناول الحساء أخبرته بما حصل. أما هو فلقد تذكر ما قالته حرفياً، وقد اعتقد حينئذ بأنه من الجيد أن يعرف المرء كيف انتهى به الأمر بساقين مكسورتين. لكنّ الطريقة التي توصل بها إلى هذه المعرفة كانت غير مريحة، فقد بدا له الأمر وكأنه شخصية ما في إحدى القصص أو المسرحيات، شخصية لم يُسرَد تاريخها باعتباره تاريخاً بل ابتُدعت من وحي الخيال.

كانت قد ذهبت إلى سايدويندر بواسطة سيارة من أجل إحضار العلف للماشية وبعض الأشياء من البقالية... وإلقاء نظرة على الكتب ذات الأغلفة الورقية في مركز ويلسون للأدوية. وكان ذلك يوم الأربعاء أي قبل أسبوعين تقريباً من الآن، والكتب ورقية الغلاف تأتي يوم الثلاثاء.

قالت وهي تطعمه الحساء بالملعقة، ومن ثم تمسح بمهنية عالية نقطة سالت على زاوية فمه بواسطة منديل: "في الحقيقة، كنت *أفكّر* بك، هذا ما يجعل الأمر مصادفة رائعة، ألا ترى ذلك؟ كنت آمل أن يصدر أخيراً كتاب *طفل* ميزري بغلاف ورقي، ولكن لم يحالفني الحظ".

قالت آني: "كانت هناك عاصفة قائمة"، ولكن، حتى منتصف ظهر ذلك اليوم، كان متوقعو حالة الطقس يزعمون بكل ثقة بأنها ستنحرف

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com

جنوباً باتجاه نيو مكسيكو وسانغري دو كريستوس.

قال، متذكراً بينما كان يتحدث: "أجل، قالوا إنها ستحول وجهتها. ولهذا السبب بالذات ذهبت". حاول أن يحرك ساقيه فكانت النتيجة أن تفجرت شرارة من الألم جعلته يئن من الوجع.

قالت آني: "لا تفعل ذلك، إذا دفعت ساقيك للتحدث يا بول فلن تصمتا أبداً... ولن أستطيع إعطاءك المزيد من الأقراص قبل ساعتين من الآن. أنا أعطيك الكثير مسبقاً".

لماذا أنت في المستشفى؟ هذا هو السؤال البديهي الذي يجب أن يُطرح، لكنه لم يكن متأكداً من أنه سؤال يودّ أي منهما طرحه. ليس الآن على أية حال.

"عندما وصلت إلى مخزن العلف أخبرني تومي روبرتس بأنه من الأفضل لي أن أدخل إذا كنت سأرجع إلى هنا قبل أن تضرب العاصفة، فقلت له..."

سألها بول، "كم نبعد عن هذه البلدة؟"

أجابته بغموض مشيحة بنظرها نحو النافذة "مسافة". ثم مرّت فترة فاصلة من الصمت المريب. ارتعب بول مما رآه على وجهها، لأن ما رآه كان لا شيء، لا شيء لكنه أسود قاتم. شق عميق وسط مرج جبلي، سواد لا تنمو فيه أي أزهار والسقوط فيه قد يكون طويلاً. كان وجهاً لامرأة أصبحت فجأة متحررة من كل المواقف والمعالم البارزة في حياتها، امرأة نسيت ليس فقط الذكرى التي كانت في سياق سردها، بل نسيت الذاكرة نفسها. هو نفسه كان قد طاف في ملجأ ذهني ذات مرة - حدث ذلك منذ سنين، عندما كان يقوم بكتابة *ميزري*، أول الكتب الأربعة التي شكلت مصدر دخله الرئيس طوال السنوات الثمانية الماضية - وعرف هذه النظرة... أو، بدقة أكبر، هذه اللانظرة. الكلمة التي تعرّفها هي كتتونيا (حالة من الذهول والجمود قريبة من فقدان الوعي، تقترن عادة بانفصام الشخصية) لكن ما أخافه لم يكن هذه الحالة بالضبط، بل

كان مقارنة غريبة أجراها في ذهنه، فقد اعتقد في تلك اللحظة بأن أفكارها أصبحت مشابهة إلى حدّ كبير لذاتها الجسمانية التي تخيلها: صلبة، ليفية، بلا انثناءات، وبلا مناطق فاصلة.

بعد ذلك، انفرج وجهها بشكل تدريجي. وبدت الأفكار وكأنها تتدفق إليها من جديد. لكنه أدرك بأن التدفق كان غير دقيق تماماً. فهي لم تكن تمتلئ، مثل بركة أو مكان تتجمع فيه مياه المدّ، بل كانت تسخن. نعم... *إنها تسخن، مثل أداة كهربائية صغيرة. محمصة، أو ربما وسادة تدفئة.*

"قلت لتومي، 'تلك العاصفة ستتجه جنوباً'". في البداية، تحدثت ببطء وبشكل غير متناغم إلى حدٍّ ما، لكن كلماتها بعد ذلك بدأت ترجع إلى إيقاعها الطبيعي وإلى قدراتها الطبيعية في المحادثة. بيد أنه أصبح يحس بالقلق الآن. فكل ما قالته كان غريباً بعض الشيء، وغير طبيعي. كان الاستماع إلى آني أشبه بالاستماع إلى أغنية معزوفة بالمفتاح الموسيقي الخاطئ.

لكنه قال: "لقد غيّرتُ رأيها".

قالت: "لا يا بول، من الأفضل أن أركب سيارتي وأمضي في طريقي".

فأجابني: "لو كنتُ مكانك لبقيت في البلدة سيدة ويلكس، إنهم يقولون الآن في الراديو بأنها قد تشتد ولا أحد مستعد لها".

"لكنني بالتأكيد كنت مضطرة للرجوع فليس هناك من يطعم الحيوانات غيري، وأقرب أناس هم آل رويدمان، وهم يبعدون أميالاً من هنا. أضف إلى ذلك أن آل رويدمان لا يحبونني".

رمقته بنظرة ثاقبة بينما كانت تقول هذه الكلمات الأخيرة، وعندما لم يجب نقرت على حافة الزبدية بطريقة آمرة.

"انتهيت؟"

"أجل، لقد اكتفيت، شكراً. كان لذيذاً.. هل تملكين الكثير من

hilo A@hotmail.com
www.jn2n.com

المائية؟"

لأنه لو كان ذلك صحيحاً – فكّر في داخله – *فهذا يعني بالتأكيد بأن لديها من يساعدها، أو لديها رجلٌ يعمل بالأجرة على الأقل.* مساعد هي الكلمة المناسبة، فهو كان قد لاحظ مسبقاً بأنها لا ترتدي خاتم زواج في يدها.

أجابت، "ليس الكثير، لديّ نصف دزينة من الدجاجات البيّاضات وبقرتان. ومبزري".

رمقَ بعينيه مستغرباً.

ضحكت وقالت: "ستظن بأنني سمجة جداً لتسمية خنزيرة باسم المرأة الشجاعة والجميلة التي ابتدعتها. لكنه اسمها وأنا لم أتعمد الإساءة على الإطلاق". ثم أضافت بعد لحظة من التفكير: "إنها ودودة جداً".

تجعّدت المنطقة فوق أنفها، وأصبحت اللحظة هي نفسها خنزيرة، وخاصة مع الشعيرات القاسية القليلة التي نمت فوق ذقنها. وأصدرت صوتاً يشبه صوت الخنزير: "*وينك! وينك! وهو – وهو – وينك!*"

نظر بول إليها بعينين جاحظتين.

لم تلاحظ أنسي ذلك، فهي كانت قد ذهبت بعيداً مرة أخرى، وأصبحت نظرتها ضبابية ومتفكرة. ولم يكن ثمة أي انعكاس في عينيها باستثناء المصباح الموجود على الطاولة المحاذية للسرير، والذي سكن بشكل خافت في كل واحدة منهما.

أخيراً، استأنفت حديثها من جديد، فقالت بصوت ضعيف: "قطعت حوالى خمسة أميال ثم بدأ الثلج بالسقوط. جاء بسرعة؛ ما إن بدأ الثلج بالانهمار هنا حتى يسقط بسرعة، هكذا كان الأمر دائماً. تقدمت ببطء وأنوار مصابيحي مضاءة، فوجدت سيارتك على جانب الطريق، مقلوبة". نظرت إليه شزراً. "لم تكن مصابيحك مضاءة".

"لقد حدث الأمر بشكل مباغت". قال ذلك متذكراً فقط كيف أنه أخذ

على حين غرة. فهو لم يتذكر بعد أنه كان مخموراً أيضاً.

قالت آني: "توقفت؛ لو كنت على منحدر لما كنت قد توقفت. إنه ليس تصرفاً أخلاقياً، أعرف، لكن سماكة الثلج على الطريق كانت تبلغ ثلاثة إنشات مسبقاً، وحتى لو كنت تقود سيارة فليس بإمكانك أن تضمن الانطلاق من جديد عندما تتوقف عن الحركة. من الأسهل لك أن تقول لنفسك، "لعلهم خرجوا من السيارة، وحصلوا على توصيلة" إلى آخره، إلى آخره. لكن سيارتك كانت على قمة الهضبة الكبيرة الثالثة بعد منزل آل روبيدمان، وهناك يصبح الطريق منبسطاً لمسافة لا بأس بها. وهكذا أوقفت سيارتي، وحالما خرجت منها سمعت صوت أنين. كان صوتك أنت يا بول".

رمقته بنظرة أمومية غريبة.

عندئذ، اتضحت الصورة في ذهن بول شيلدون للمرة الأولى: *إنني واقع في ورطة هنا. هذه المرأة غير طبيعية.*

6

جلست بجانبه حيث كان يستلقي، في ما يمكن أن تكون غرفة نوم إضافية، للدقائق العشرين التالية وتكلمت. عندما امتص جسده الحساء، صحا الألم في ساقيه من جديد. أرغم نفسه على التركيز على ما كانت تقوله، لكنه لم يكن قادراً على النجاح في القيام بذلك بشكل كامل. كان ذهنه مقسوماً إلى قسمين؛ أحدهما كان يستمع إليها وهي تخبره كيف سحبته من سيارته الكامارو 74 المهشمة؛ وذلك هو القسم الذي ينبع منه الألم مثل زوج من الأوتاد المتكسرة اللذين يومضان ويختفيان بين موجات المدّ المتحسرة. أمّا في القسم الثاني فكان باستطاعته رؤية نفسه في فندق بولدير انو يكتب السطور الأخيرة من روايته الجديدة التي لا تضم مبزري تشاستين – شكراً لله على نعمه الصغيرة – بين

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

شخصياتها.

كان يملك من الأسباب، ومن كل الأنواع، ما يدفعه لعدم الكتابة عن ميزري، لكنّ أحد هذه الأسباب كان أكثر بروزاً من البقية، وغير قابل للدحض. لقد ماتت ميزري في النهاية؛ الحمد لله على نعمه *الكثيرة*. ولم تسقط دمعة جافة واحدة من أحد في البيت عندما حدث ذلك. ماتت قبل خمس صفحات من نهاية *طفل ميزري*؛ "وهكذا غادر إيان وجيفري باحة كنيسة دانثورب معاً، متكئين على نفسيهما، عاقدين العزم على إيجاد حياتيهما من جديد". كان يضحك بشكل هستيري أثناء كتابته هذا السطر لدرجة أنه وجد صعوبة في نقر المفاتيح الصحيحة على الآلة الطابعة، واضطر لإعادة ما يكتب عدة مرات. الشكر لله على وجود القلم المصحّح أي بي أم. كتب كلمة النهاية في الأسفل ثم راح يتب بفرح في أرجاء الغرفة – نفس الغرفة في فندق بولديرادو – صارخاً *أخيراً لقد تحررت! أخيراً لقد تحررت! يا الله، لقد أصبحت حراً أخيراً! لقد باعت السافلة الفاسية المزرعة أخيراً!*

كانت الرواية الجديدة بعنوان **سيارات سريعة**. هذه المرة لم يضحك عندما انتهى منها، بل اكتفى بالجلوس بجانب الآلة الكاتبة لبرهة، محدثاً نفسه، *لعلك فزت المرة بجائزة الكتاب الأميركي السنة القادمة يا صديقي*. ثم رفع –

"– كدمة صغيرة على صدغك الأيمن ليست بالأمر المهم على الإطلاق. إنهما سافلان... كان باستطاعتي مباشرة رؤية – حتى مع ذلك الضوء الخافت – أن ساقيك لم –"

– الهاتف واتصل بخدمة الغرف من أجل طلب زجاجة **دوم بيريغنون**. تذكّر أنه انتظر إحضارها، وهو يمشي ذهاباً وإياباً في الغرفة التي أنهى فيها كل كتبه منذ العام 1974؛ تذكّر إعطاءه النادل ورقة من فئة الخمسين دولاراً كبقشيش له، وأنه سأله إذا ما استمع إلى النشرة الجوية؛ وتذكّر النادل المرتبك، المبتسم، والمبتهج يقول له بأن العاصفة

المتجهة نحوهم في تلك الأثناء يُفترض بأنها ستنحرف قليلاً نحو الجنوب باتجاه نيومكسيكو؛ تذكّر إحساسه بالقشعريرة لدى لمسه الزجاجة الباردة، والصوت الأكتم الذي صدر عن الفلينة عندما حرّرها بلطف؛ والطعم الحامضي الجاف للكأس الأولى، وفتحه حقيبة سفره وإلقاءه نظرة على تذكرة الطائرة التي ستقله إلى نيويورك؛ كما تذكّر فجأة أنه، بتأثير تلك اللحظة، قرر –

"– بأن من الأفضل أن آخذك إلى البيت في الحال! كان إيصالك إلى الشاحنة أمراً مجهداً، لكنني امرأة ضخمة – لعلك لاحظت ذلك – وكنت أملك كومة من البطانيات في الخلف. أدخلتك إلى الشاحنة وغطّيتك بالبطانيات. وحتى في تلك اللحظة، مع الضوء الخافت وكل شيء، اعتقدت بأن وجهك كان يبدو *مألوفاً*! اعتقدت ربما –"

– إخراج الكامارو من المرآب والتوجه غرباً بدلاً من ركوب الطائرة. وماذا بحق... كان يوجد في نيويورك على أية حال؟ المنزل فارغ، كئيب، عدائي، وربما مسروق. *تبًا له!* فكّر في نفسه، وهو يشرب المزيد من الشراب. *اذهب غرباً يا رجل، اذهب غرباً!* كانت الفكرة مجنونة إلى درجة جعلتها منطقية. لم يأخذ أي شيء باستثناء بدلاً من الثياب و –

"– وجدت حقيبة. وضعتها داخل السيارة أيضاً، ولكن لم يكن بمقدوري رؤية أي شيء آخر وكنت خائفة من أن تموت عليّ أو ما يشبه ذلك، لذا أدرتُ محرك أولد بيسي وأخذتك –"

– ومخطوطة روايته **سيارات سريعة** وانطلق باتجاه لاس فيغاس أو ريدنو أو ربما سيتي أوف ذا انجلز. تذكّر أن الفكرة بدت سخيفة بالنسبة إليه في البداية. لربما كانت الرحلة مناسبة بالنسبة لذلك الشاب الذي كان عليه عندما باع روايته الأولى ولم يكمل بعد الرابعة والعشرين من عمره، لكنها ليست كذلك بالنسبة لرجل مضت سنتان على ذكرى مولده الأربعين. ولكن، بعد بضع كؤوس من الشراب لم تعد

hllo A@hotmail.com
www.jn2rr.com

الفكرة تبدو سخيفة أبداً، بل إنها في الحقيقة بدت أقرب لأن تكون مشوقة ومثيرة. نوع من رحلة طويلة إلى مكان ما، طريقة لتقديم نفسه من جديد إلى الواقع بعد عيشه الخيالي في الرواية. وهكذا، وقع –

"– أدخلتك بسرعة! كنت متأكدة من أنك ستموت... أعني، كنت متأكدة! أخرجت محفظتك من جيبك الخلفي ونظرت إلى رخصة القيادة الخاصة بك ورأيت الاسم، *بول شيلدون*، وقلت في نفسي: 'أوه، لا بد أنها مصادفة'. لكن الصورة الموجودة على الرخصة تشبهك أيضاً، بعدها أُصبت بالذعر حتى أنني اضطررت إلى الجلوس على مائدة المطبخ. اعتقدت في البداية بأنه سيغمى عليّ. وبعد فترة قصيرة، بدأت أفكر بأن الصورة قد تكون مصادفة هي الأخرى – إن صور رُخص القيادة لا تبدو بأنها تشبه أحداً – لكنني وجدت بعد ذلك بطاقتك الخاصة بنقابة الكتاب، وواحدة من جمعية الكتّاب الدولية بن PEN فعلمت بأنك كنت –"

– في مشكلة عندما بدأ الثلج بالتساقط، لكنه – قبل فترة طويلة من ذلك – كان قد جلس في فندق بولدير لدو وأعطى جورج عشرين دولاراً من أجل تزويده بزجاجة **دوم بيريغنون** ثانية، وشربها كلها بينما كان يقود باتجاه جبال روكي تحت سماء بلون الرونز الداكن. وفي مكان ما إلى الشرق من نفق ايزنهاور غيّر وجهته لأن الطرق كانت جافة ومكشوفة، ولأنه كان يعتقد بأن العاصفة كانت تنحرف إلى الجنوب، كما أن النفق اللعين جعله عصبياً. كان يستمع إلى شريط بو دودلي ولم يشغّل الراديو إلى أن بدأت الكامارو بالانزلاق والترحلق بشكل خطير، عندئذ بدأ يدرك بأنها لم تكن مجرد عاصفة ثلجية داخلية عابرة بل عاصفة حقيقية. لعل العاصفة لم تكن تنحرف باتجاه الجنوب على الإطلاق؛ لعلها كانت متجهة نحوه مباشرة. ولذا كان في مشكلة عويصة.

(*كما هو حالك الآن*).

لكنه كان محموراً بما يكفي لكي يعتقد أن بإمكانه الخروج منها

بسلام. لذا، بدلاً من التوقف في بلدة كاتا والبحث عن ملجأ له، قاد سيارته قدماً. كان باستطاعته أن يتذكر كيف تحوّل بعد ظهر ذلك اليوم إلى لون رمادي كئيب، وكيف بدأ تأثير الشراب بالتلاشي تدريجياً. كان باستطاعته أن يتذكر كيف انحنى إلى الأمام كي يأخذ علبة سجائره من على لوحة العدّادات، وحصل ذلك عندما بدأت الانزلاقة الأخيرة، وكيف أنه حاول التعامل معها، لكنّ الأمور استمرت بالتفاقم. وكان باستطاعته أن يتذكر أيضاً صوت ضربة قوية مكتومة وانقلاب العالم رأساً على عقب. كان –

"– صرخت! وعندما سمعتك تصرخ، عرفت بأنك ستعيش. نادراً ما يصرخ المحتضرون، لأنهم يفتقدون إلى الطاقة. أنا أعلم، فقررت بأن لا بد من إبقائك كي تبقى على قيد الحياة. حلبت بعضاً من الأدوية المسكّنة لديّ وجعلتك تتناولها. بعد ذلك غفوت. وعندما أفقت من نومك وبدأت الصراخ من جديد، أعطيتك المزيد من المسكّنات. داهمتك الحمّى لبعض الوقت، لكنني تمكنت من مداواتها أيضاً. أعطيتك دواء كيفليكس. لكن كل شيء انتهى الآن، أعدك". عندئذ، نهضت واقفة. "والآن حان الوقت لكي ترتاح يا بول. عليك أن تستعيد قوتك".

"سأقاضي تؤلمانني".

"نعم، أنا متأكدة من ذلك. سأعطيك بعض الأدوية خلال ساعة".

"الآن، أرجوك". أحسّ بالخجل لأنه توسل إليها، لكنه لم يستطع منع نفسه من ذلك. فالمد انحسر والوتدان المتكسران وقفا عاريين.

قالت بحزم: "خلال ساعة". ثم اتجهت نحو الباب وبيدها الملعقة وصحن الحساء.

"انتظري!"

عادت أدراجها، وهي تنظر إليه بتعبير فيه مزيج من الحزم والحب. لم يعجبه ذلك التعبير، لم يعجبه *أبداً*.

"انقضى أسبوعان منذ أن انتشلتني؟"

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

بدت غامضة مرة أخرى، ومنزعجة. لقد أحس بأن إدراكها للزمن لم يكن جيداً.

"شيء قريب من ذلك".

"هل كنت فاقد الوعي؟"

"كل الوقت تقريباً".

"ماذا أكلت؟"

حدقت فيه بإمعان ثم قالت بإيجاز: "أي في".

"أي في؟"

أخطـأت فـي فهم دهشته واستغرابه إذ اعتقدت بأنه يجهل معنى ذلك.

فقالت: "لقد غذّيتك عن طريق الوريد. من خلال أنابيب. وهذا هو سـبب وجود تلك العلامات على ذراعيك". نظرت إليه بعينين أصبحتا فجأة كامدتين ومتفكرتين. "أنت مدين لي بحياتك يا بول. أتمنى أن تتذكر ذلك. أمل أنك لن تنسى ذلك".

ثم خرجت.

7

انقضت الساعة. وأخيراً انقضت الساعة.

تمـدد فـي سـريره، يتصبب عرقاً ويرتجف في آن واحد. ومن الغـرفة جـاءت فـي البداية أصوات هوك آي وهوت ليبس، ومن ثم أصوات العاملين على الأسطوانات الموسيقية في محطة و. ك. ر. ب، تلك المحطة المجنونة والطائشة في مدينة سينسيناتي. ثم جاء صوت أحد المذيعيـن، وقدّم رقم 800 ثم أطرى على فرقة جينسو نايفز الموسيقية، وأبلغ المشاهدين في كولورادو الذين كانوا يتلهفون لسماع مجموعة جيدة من موسيقى جينسو نايفز بأن "العاملين كانوا يستعدون".

وبول شيلدون كان أيضاً يستعد.

ظهـرت فجأة عندما دقت الساعة في الغرفة الأخرى معلنة حلول الساعة الثامنة، مع قرصين من الدواء وكأس من الماء.

رفع نفسه بحماس على مرفقيه وقوّم نفسه على السرير.

قالت له: "حصلت */خيراً/* على كتابك الجديد منذ يومين". كان الثلج يدق في الكأس على نحو مثير للإزعاج. "طفل ميزري. لقد أعجبني... إنه جميل كما هو حال بقية الكتب. بل أفضل منها! بل الأفضل!"

"أشـكرك". قالهـا بصـعوبة. كـان يحس بالعرق على جبهته. "رجاءً... ساقاي... تؤلماني بشكل فظيع..".

قالت مبتسمة بشكل حالم: "كنت */أعلم/* بأنها سوف تتزوج إيان. وأنا */أعتقد/* بـأن إيـان وجيفري سيصبحان صديقين مرة أخرى، في نهاية المطاف. *أليس كذلك؟*" لكنها قالت على الفور: "لا، لا تخبرني! أريد أن أكتشف ذلك بنفسي. أنا أقرأها ببطء، عن قصد، لأنني أنتظر طويلاً قبل أن تصدر رواية أخرى".

ضـرب الألـم في ساقيه وعقد دائرة فولاذية صغيرة حول نهاية فخذه. كان قد لمس نفسه في تلك المنطقة لاعتقاده بأن حوضه لم يُصَب بأذى، لكنه شعر بأنه ملتوٍ وغير طبيعي. أما ما تحت ركبتيه، فلم يكن يشعر بأن فيهما *أي شيء* سليم. لم يشأ النظر إليهما. كان بإمكانه رؤية الأشكال المتكتلة والملتوية التي ترسمها أغطية السرير، وكان ذلك كافياً بالنسبة إليه.

"أرجوك؟ آسة ويلكس؟ الألم –"

"نادني آني. كل أصدقائي ينادونني بهذا الاسم".

ناولـته الكأس. كان بارداً تغطيه قطرات من الماء بفعل الرطوبة. لكـنها احتفظت بقرصي الدواء الممكن. كان القرصان الموجودان في يدهـا همـا المد. وهي القمر الذي جلب المد كي يغطي الوتدين. قرّبت القرصين من فمه، ففتحه على الفور... ثم سحبتهما.

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com

"سمحت لنفسي بالنظر في حقيبتك الصغيرة. أنت لا تمانع، أليس كذلك؟"

"لا، لا، بالطبع لا. الدواء –"

كانت قطرات العرق المتصبب على جبهته تعطيه شعوراً بالبرودة والحرارة بشكل متناوب. هل كان سيبكي؟ اعتقد بأنه ربما سيفعل.

قالت آني: "أرى بأن هناك مخطوطة في الحقيبة". أمسكت بالقرصين في يدها اليمنى، ثم أمالتها ببطء لتسقطهما في يدها اليسرى. وكانت عيناه تتبعانهما. "إنها بعنوان **سيارات سريعة**. ليست جزءاً من روايات ميزري، أعلم ذلك". نظرت إليه بشيء من عدم الاستحسان – ولكن، كما في السابق – ممزوجاً بالحب؛ كانت نظرة أمومية. "أليس هناك سيارات في القرن التاسع عشر، سريعة أم غير سريعة؟ فهيئت لهذه النكتة الصغيرة. كما سمحت لنفسي بإلقاء نظرة عابرة عليها... أنت لا تمانع، أليس كذلك؟"

قال متأوهاً: "من فضلك، لا، ولكن، رجاءً –"

مالت يدها اليسرى، وتدحرج القرصان، تململا قليلاً، ثم سقطا ثانية في يدها اليمنى مصدرين صوت طقطقة خافتة.

"وماذا إذا قرأتها؟ لن تمانع إذا قرأتها؟"

"لا–" كانت عظامه محطمة، وساقاه ملتويتين بشظايا متفحمة من الزجاج المكسور. "لا...". ثم رسم على شفتيه شيئاً أمل بأن يكون ابتسامة. "لا، بالتأكيد لا".

قالت بشكل جدي وصادق: "لأنني لن أسمح لنفسي بالقيام بمثل هذا الشيء بدون إذنك. إنني أحترمك بشدة. في الواقع، بول، إنني أحبك". احمرّ وجهها بشكل مفاجئ ومثير للقلق. سقط أحد القرصين على غطاء السرير فحاول بول خطفه، لكنها كانت أسرع منه. فتأوه بول من الألم، لكنها لم تلاحظ ذلك، فبعد إمساكها بالقرص، غابت مرة أخرى عن الواقع وهي تزنو بنظرها نحو النافذة، وقالت: "عقلك، *إبداعك*. هذا ما

أعنيه فقط".

قال بول بيأس، لأنه الشيء الوحيد الذي كان يستطيع التفكير فيه: "أعرف. أنت معجبتي رقم واحد".

هذه المرة، ثم ببتهج وجهها فقط، بل أضاء وقالت بصوت عال: "هذا هو! هذا هو بالضبط! وأنت لا تمانع إذا قرأتها بهذه الروح، أليس كذلك؟ بروح... المعجبة المحبة؟ حتى لو كنت لا أحب كتبك الأخرى، إضافة إلى قصص ميزري؟"

"لا". قال وأغمض عينيه. *لا، حوّلي أوراق المخطوطة إلى قبعات ورقية، إذا أحببت، فقط... رجاءً... إنني أموت هنا...*

قالت بلطف: "أنت طيّب، عرفت بأنك ستكون شخصاً طيّباً. من البداية كتبك فقط، عرفت بأنك كذلك. رجل يمكنه أن يفكر في ميزري بتلك الطريقة، في البداية يفكر فيها فقط ثم ينفخ الحياة فيها، لا يمكنه أن يكون غير ذلك".

ثم أصبحت أصابعها في فمه فجأة، حميمة على نحو مثير للدهشة، ومفرحة ولكن قذرة. مص القرصين من بين أصابعها وابتلعهما حتى قبل أن يتحسس السكاكين كأس الماء في فمه.

قالت: "تماماً مثل الطفل الرضيع". لكنه لم يستطع رؤيتها لأن عينيه كانتا ما تزالان مغمضتين، والآن أصبح يشعر بوخز الدموع. "ولكن جيد، هناك الكثير مما أريد أن أسألك عنه... الكثير مما أريد أن أعرفه".

أصدرت نوابض السرير صريراً عندما نهضت عنه.

أضافت آني: "سنكون سعيدين جداً هنا". على الرغم من أن موجة من الرعب هزت قلبه، إلا أن بول لم يفتح عينيه.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

8

تغيرت حالته تماماً. لقد جاء المد وحمله معه. ظل التلفاز يعمل في الغرفة الأخرى لفترة ثم توقف. كانت الساعة تصدر دقات في بعض الأحيان وكان يحاول إحصاء الدقات، لكنه كان دائماً يضيع بينها.

أي قسي من خلال أنابيب! هذا هو سبب وجود تلك العلامات على ذراعيك.

رفع نفسه على مرفق واحد وحاول تلمس طريقه إلى المصباح إلى أن وصل إليه أخيراً وشغّله. نظر إلى ذراعه وفي الجزء الأمامي من مرفقيه شاهد ظلالاً متداخلة من اللونين الأرجواني والبني المصفرّ، وثقباً مليئاً بدم أسود في منتصف كل من الكدمتين.

اضطجع ثانيةً، وهو ينظر إلى السقف ويستمع إلى صوت الريح. كان يقبع بالقرب من قمة سلسلة جبال غريت ديفايد في قلب الشتاء مع امرأة عقلها ليس سليماً، امرأة غفّته عن طريق الوريد عندما كان غائباً عن الوعي، امرأة من الواضح أنها كانت تملك مخزوناً لا ينضب من الأدوية، امرأة لم تخبر أحداً بوجوده هنا.

كانت هذه الأشياء مهمة، لكنه بدأ يدرك بأن هناك شيئاً أكثر أهمية منها: كان المد قد بدأ ينحسر من جديد. وهكذا، بدأ ينتظر انطلاق صوت منبه ساعتها في الطابق العلوي. صحيح أنه لن يرن إلا بعد وقت طويل، لكن الوقت قد حان بالنسبة إليه كي يبدأ بانتظاره.

صحيح أنها كانت مجنونة لكنه كان بحاجة إليها.

أوه، أنا واقع في مشكلة كبيرة، قال في نفسه، ثم حدّق في السقف دون أن ينظر إلى شيء وقطرات العرق بدأت تتجمع على جبهته ثانيةً.

9

في الصباح التالي، جلبت إليه المزيد من الحساء وأخبرته بأنها قرأت أربعين صفحة مما سمّته "مخطوطة كتابه". كما أخبرته بأنها لم تكن تعتقد بأنه يمثل جودة بقية أعماله.

من الصعب تتبعه. إنه يقفز دائماً في الزمن تارة إلى الأمام وأخرى إلى الوراء".

فأجابها بول، "هذه تقنية". كان في منطقة وسطى بين التألم وعدم التألم، ولهذا السبب كان بمقدوره التفكير قليلاً في ما كانت تقوله. "تقنية، هل هذا كل ما في الأمر. الموضوع... الموضوع هو الذي يحدد الشكل. افترض بأن مهارات المهنة هذه قد تيمها، أو ربما تفتنها. والله يعلم بأن تلك المهارات كانت تسحر الحضور في حلقات البحث التي كان الأدباء يعقدونها، والتي كان يحاضر فيها أحياناً عندما كان شاباً. إن عقل الفتى، كما ترين، مضطرب، ولهذا السبب –"

"صحيح! إنه مضطرب جداً، وهذا ما يجعله أقل إثارة للاهتمام. ليس ممللاً – أنا متأكدة من أنك لا تستطيع ابتكار شخصية مملة – لكنه أقل إثارة للاهتمام. والبذاءة! بين كل كلمة وأخرى هناك تلك الكلمة المقرفة! إنها –" فكّرت قليلاً، بينما كانت تلقمه الحساء بشكل آلي، وتمسح فمه إذا سال عليه شيء دون أن تنظر إليه تقريباً، كما يفعل ضارب الآلة الكاتبة الخبير دون أن ينظر إلى المفاتيح؛ وهذا ما جعله يدرك، مباشرة، بأنها كانت ممرضة. ولكن، ليست طبية. أوه لا، فالأطباء لن يعرفوا متى يسيل الطعام، ولن يقدروا على توقع مسار السيلان بمثل هذه الدقة المتناهية.

لو كان خبير الأرصاد الجوية المسؤول عن تلك العاصفة ماهراً في عمله بمثل مهارة آني ويلكس في عملها، لما كنتُ قد علقتُ في هذه الورطة اللعينة، قال في نفسه بمرارة.

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

ليس فيها أي شيء من *النبل!*" صاحت فجأة، وهي تقفز واقفة حتى أنها كانت أن تريق الحساء على وجهه الأبيض، المرفوع نحو الأعلى.

قال بصبر نافد: "نعم، أنا أفهم ما تعنيه يا آني. ذلك صحيح، إن توتي بوناسارو لا يملك أي نبل. إنه فتىً يعيش في حي فقير يحاول الخروج من بيئة سيئة، أتفهمين، وتلك الكلمات... الجميع يستخدمون تلك الكلمات في –"

قالت رامقة إياه بنظرة محرّمة: "غير صحيح! ماذا تظنني أفعل عندما أذهب إلى مخزن العلف في البلدة؟ ماذا تظنني أقول؟ "أعطني الآن يا توني كيساً من علف الخنزير الـ... ذاك وكيساً من علف البقر الـ... وبعضاً من دواء قمل الأنفين لـ...."؟ وماذا تظنه يقول لي؟ "أنت محقة مـ... يا آني، سأتي في الـ... الحال"؟"

نظرت إليه، وبدا وجهها حينئذ مثل سماء ستولّد أعاصير في أية لحظة. استلقى بول على ظهره، مرعوباً. كان صحن الحساء يتمايل في يديها، فسقطت قطرة منه، ثم قطرتان على غطاء السرير.

"وبعد ذلك، هل أذهب إلى المصرف وأقول إلى السيدة بولينغر: "إليك هذا الشيك الكبير المـ... ومن الأفضل لك أن تعطيني خمسين دولاراً مـ... بأسرع ما يمكنك"؟ هل تظن بأنهم عندما وضعوني هناك على المنصة في دن –"

سال بعضٌ من حساء لحم البقر على غطاء السرير. نظرت إلى الحساء المراق، ثم إليه، وانقلب وجهها. "انظر! انظر ماذا جعلتني أفعل!"

"أنا آسف".

"*بالتأكيد! يجب أن تأسف!*" صرخت في وجهه ورمت الصحن إلى الزاوية فتكسّر إلى شظايا، وتلطّخ الجدار بالحساء. فشهق بول من فزعه.

عندئذ، توقفت آني، وبقيت جالسة مكانها لما يقارب الثلاثين ثانية. وخلال ذلك الوقت بدا قلب بول شيلدون بأنه لا يدق على الإطلاق.

أفاقت قليلاً من نوبتها الهستيرية ثم قهقهت بعصبية قائلة: "لديّ مثل هذا المزاج".

قال بول بصوت جاف: "أنا آسف".

"ينبغي أن تكون آسفاً". ارتخى وجهها ثانية ثم نظرت بعصبية إلى الجدار. اعتقد بول بأنها سوف تغيب عن الواقع مرة أخرى، لكنها بدلاً من ذلك أخذت نفساً عميقاً، ثم رفعت جسدها الضخم عن السرير.

"لا حاجة بك لاستخدام مثل هذه الكلمات في كتب ميزري، لأنهم لم يكونوا يستخدمون أياً منها على الإطلاق في ذلك الحين. حتى أنها لم تكن قد وجدت بعد. العصور الحيوانية تتطلب ألفاظاً حيوانية، باعتقادي، لكن ذلك الزمن كان أفضل من زمننا هذا. عليك أن تلتزم بقصص ميزري يا بول. أنا أقول ذلك بصدق، باعتباري معجبتك الأولى".

ذهبت إلى الباب ثم نظرت إليه ثانية. "سأعيد مخطوطة هذا الكتاب إلى حقيبتك وأنهي *طفل ميزري*. قد أعود إلى الرواية الأخرى لاحقاً، عندما أنتهي منها".

قال بول محاولاً الابتسام: "لا تفعلي ذلك إذا كان سيغضبك. أفضل ألا أغضبك. فأنا، كما تعلمين، أعتمد عليك".

لم تبادله ابتسامته! بل اكتفت بالقول: "أجل، بالتأكيد، بالتأكيد، أليس كذلك يا بول".

ثم غادرت.

10

انحسر المد. وعاد الوثنان إلى الظهور. وبدأ انتظار الساعة كي تدق. ثم جاءت الدقات. فاستلقى على الوساد يراقب الباب، إلى أن

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

جـاءت. كانـت ترتدي مئزراً فوق كنزتها وواحدة من تنانيرها. وفي إحدى يديها كانت تحمل دلواً لمسح الأرض.

قالت: "أعتقد بأنك تريد دواءك المنتظر".

"نعم، من فضلك". حاول الابتسام لها مظهراً امتنانه وأحس بالعار ثانية؛ فقد شعر بأنه قبيح أمام نفسه، وبأنه ليس هو.

فقالـت له: "إنه يحوزني، ولكن، أولاً عليّ أن أنظف الفوضى في الـزاوية. الفوضـى التي أحدثتها أنت. عليك أن تنتظر حتى أنتهي من فعل ذلك".

اسـتلقى فـي سـريره، وسـاقاه ترسمان أشكالاً تشبه الأغصان المتكسـرة تحت الغطاء، والعرق البارد يتصبب على وجهه في جداول صغيرة بطيئة الحركة. استلقى وراقبها وهي تمشي نحو الزاوية وتضع الدلـو على الأرض ثم تلتقط شظايا الصحن وتأخذها إلى خارج الغرفة، ثم تعود فتجلس على ركبتيها بجانب الدلو وتغمر يديها فيه لتخرج خرقة مليـئة برغوة الصابون فتعصرها ثم تبدأ بتنظيف الحساء المراق على الجـدار. استلقى وراقبها، وفي النهاية بدأ يرتعش، وزاد الارتعاش من الألـم، ولكن لم يكن بيده حيلة. وعندما استدارت ورأته يرتجف ويبلل أغطـية الفـراش بالعرق، منحته تلك الابتسامة العارفة الساكرة التي لو كان قادراً، لقتلها بسهولة من أجلها.

قالت: "لقد جف على الحائط". ثم أدارت وجهها ثانية نحو الزاوية. "أخشى بأن هذا سيتطلب وقتاً يا بول".

اختفت البقعة رويداً رويداً عن الجص، لكنها اسـتمرت بنفع الخرقة وعصرها والفرك، ومن ثم إعادة العملية كلها من جديد، لم يكن يستطيع رؤية وجهها، لكنّ اعتقاده - بل جزمه - بأنها غابت عن الوعي وأنها قد تستمر بفرك الحائط لساعات كان يعنيه.

أخـيراً - بالكـاد قبل أن تدق الساعة لمرة واحدة، معلنة الساعة الثانـية والنصف - نهضت وألقت الخرقة في الماء، ثم أخذت الدلو من

الغـرفة دون أن تنبس ببنت شفة. استلقى في السرير وراح يستمع إلى صرير الألواح الخشبية تحت وقع خطواتها الثقيلة الخرقاء، وإلى صوت المـاء وهي تريقه من الدلو. ولم يصدق أذنيه عندما سمع صوت صمام الحنفية حين بدأت تملأ الدلو من جديد. فراح يبكي بصمت. صحيح أن المـد لـم يكـن قد انحسر بعد، لكنه لم يكن يرى إلا أرضاً طينية تأخذ بالجفاف، وديك الوتدين يلقيان بظلالهما المتكسرة الأبدية عليها.

عـادت ثانـية ووقفت للحظة فقط داخل الممر وحدقت في وجهه الرطب بنفس ذلك المزيج من الصرامة والأمومة. ثم تحولت عيناها إلى الزاوية حيث لم يبق أي أثر للحساء المتناثر. وقالت:

"الآن، عليّ أن أمسح، وإلا فالصابون سيخلّف بقعة كامدة. عليّ أن أقوم بكل شيء. على أن أعمل على ترتيب كل شيء. العيش وحيداً كما هو الحال معي ليس عذراً على الإطلاق لإهمال العمل. كان لأمي شعار فـي الحياة يا بول، وأنا أقتدي به دائماً. لقد اعتادت أن تقول "إن فقدت أناقتك مرة فلن تكسبها ثانية"".

قال متأوهاً من الألم: "رجاءً. رجاءً، الألم، أنا أموت".

"لا، إنك لا تموت".

"سوف أصرخ". قال وقد بدأ يصرخ بصوت أعلى. من المؤلم أن يصـرخ المـرء. فالصراخ يؤلم ساقيه ويؤلم قلبه. "لا يمكنني أن أمنع نفسي".

أجابـته، "فاصـرخ إذن، ولكـن، تذكر بأنك أنت من تسبب بهذه الفوضى، وليس أنا. إنه خطؤك وحدك".

بطـريقة مـا نجح في كبح نفسه عن الصراخ. وراقبها وهي تنفع وتعصر ثم تمسح. تنفع وتعصر ثم تمسح. إلى أن وقفت أخيراً - تماماً عندما بدأت الساعة في الصالون، حسب ظنه، تدق معلنة الساعة الثالثة - وأمسكت بالدلو.

إنها ستخرج الآن. ستخرج وسأسمعها تسكب الماء في الحوض،

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

وربما سوف لن تعود قبل ساعات لأنها ربما لم تكتشف بعد من معاقبتي.

ولكـن، بـدلاً من المغادرة، مشت باتجاه السرير ومدت يدها في جيب المئزر ثم أخرجت ليس فقط قرصين بل ثلاثة.

قالت برقة: "خذ".

حدّق فيها وكأن وجهه كله كان عيوناً فقط.

وضـعها بسـرعة في فمه، وعندما رفع رأسه شاهدها ترفع دلو المسح البلاستيكي الأصفر باتجاهه. كان الدلو يقترب منه ويملأ مساحة الرؤية لديه مثل قمر ساقط. ومالت المياه الرمادية باتجاه حافة الغطاء.

قالت: "افعل ذلك. أعرف بأنك تستطيع ابتلاع الأقراص بدون ماء، ولكـن صدّقني إذا قلت بأنني أستطيع أن أجعلها تخرج من جوفك ثانية. على أي حال، إنها ماء للمسح فقط. إنها لن تؤذيك".

مالـت نحـوه مـثل عمـود ضخم، ومال معها الدلو قليلاً. كان باسـتطاعته رؤية الخرقة وهي تتحرك ببطء في قعره المعتم مثل شيء غارق. كما رأى طبقة رقيقة من الصابون على السطح. جزء منه تذمّر، لكـنه لم يتردد أبداً. شرب بسرعة وانزلقت الأقراص داخل جوفه. كان الطعـم في فمه يشبه ذلك الطعم الذي كان يحسه عندما كانت أمه تجبره أحياناً على تنظيف أسنانه بواسطة الصابون.

تحركت معدته وأصدر صوتاً عالياً.

"لـو كنـت مكانك لما أخرجت الأقراص من جوفي، يا بول. فلن يكون هناك المزيد منها قبل الساعة التاسعة".

نظـرت إلـيه للحظـة بـدون أي تعبير، ثم أضاء وجهها فجأة وابتسمت.

"بك لن تغضبني ثانية، أليس كذلك؟"

قـال بصوت هامس: "لا". أأغضب القمر الذي يجلب المد؟ يا لها من فكرة! يا لها من فكرة سيئة!

قالت أني: "أحبك". ثم قبّلته على خده وغادرت دون أن تنظر إلى

الخلـف، حاملة دلو المسح كما تحمل المرأة الريفية القوية دلو الحليب، بعيداً قليلاً عن جسدها بحيث لا تريق أياً منه.

اسـتلقى ثانـية على ظهره وهو يشعر بطعم الجص والحصى في فمه وحلقه. وبطعم الصابون أيضاً.

لن أتقيأ... لن أتقيأ... لن أتقيأ!

أخيراً، بدأت هذه الفكرة الملحة بالتضاؤل، فأدرك حينئذ بأنه كان سـينام. لقـد فعـل كل ما يوسعه، ولعدة لا بأس بها، من أجل أن يبدأ مفعول الدواء بالسريان.

لقد نجح.

هذه المرة فقط.

11

حلم بأن طيراً أكله. وهو ليس بالحلم الجيد. ثم خطر لـه خاطر، ففكر في نفسه، نعم، جيد، حسناً! *أطلق عليه النار! أطلق النار على هذا الشيء اللعين!*

ثم أفاق من نومه، عند سماعه صوت انغلاق الباب الخلفي، فعرف بـأن آني وبلكس هي التي فعلت ذلك. كانت قد خرجت لتقوم بأعمالها الروتينية. سمع وقع أقدامها على الثلج. مرت بجانب نافذته وهي ترتدي معطفـاً طويلاً ذا قلنسوة تغطي رأسها. زفرت بينما كانت تمشي فتجمّع نفَسُها أمامها ثم تفرّق حول وجهها المتحرك. لم تنظر إليه داخل الغرفة، لأنهـا كانـت مـنهمكة بعملهـا فـي الحظيرة – حسب ظنه – تطعم الحيوانات، وتنظف المرابط، وربما تتمتم ببعض التعاويذ السحرية؟ كان يعـتقد بـأن ذلك ليس غريباً عليها. كانت الشمس تغرب في ذلك الحين وكانـت السـماء مصـبوغة بلون أرجواني يزداد عتمة رويداً رويداً. وكانت الساعة حوالى الخامسة والنصف، وربما السادسة.

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

كان المد ما يزال موجوداً ومع ذلك فلم يتمكن من العودة إلى النوم – كان يريد العودة إلى النوم – بيد أنه كان مضطراً للتفكير في هذا الوضع الغريب طالما أنه ما يزال قادراً على التفكير بشيء قريب من التفكير العقلاني.

لكن أسوأ ما في الأمر، كما اكتشف أثناء إعمال فكره، هو أنه لم يكن يريد التفكير في الأمر حتى عندما كان قادراً على فعل ذلك، حتى عندما علم بأنه لا يستطيع إنهاء ذلك الوضع الغريب بدون التفكير فيه. وظل ذهنه يحاول إبعاد التفكير عنه، مثل طفل يدفع عنه وجبة طعامه بالرغم من إخباره بأنه لا يستطيع مغادرة المائدة إلا بعد أن يأكلها.

لم يكن يريد التفكير في الأمر، لأن مجرد عيشه لهذا الوضع كان قاسياً بما يكفي. وهو لم يكن يريد التفكير فيه لأنه كلما فعل ذلك اعترضته صور وخيالات بشعة؛ الطريقة التي كانت تغيب فيها عن الواقع، الطريقة التي كانت تجعله فيها يفكر في الأصنام والأحجار، والآن الطريقة التي اندفع فيها دلو المسح البلاستيكي الأصفر نحو وجهه مثل قمر ساقط. صحيح أن التفكير في تلك الأشياء لم يكن ليغير شيئاً من وضعه – بل كان في الواقع أسوأ من عدم التفكير بها بتاتاً – ولكن ما إن يخطر بباله آني وبلكس، ووضعه هنا في بيتها حتى كانت تأتيه هذه الأفكار كلها، مبعدةً كل ما عداها. فتبدأ دقات قلبه بالتسارع، غالباً من الخوف، ولكن جزئياً من الإحساس بالخجل والعار أيضاً. فقد رأى نفسه يضع شفتيه على حافة الدلو الأصفر، ورأى ماء المسح تعلوه غشاوة من الصابون والخرقة تطفو فيه، رأى هذه الأشياء لكنه شرب بالرغم من ذلك، وبدون أي تردد. إنه لن يخبر أحداً بهذا الأمر أبداً – إذا كان هنالك من احتمال لخروجه من هذا المأزق – كما أنه كان يعتقد بأنه سيحاول أن يكذب على نفسه بشأن هذا الأمر، لكنه لن يكون قادراً على فعل ذلك.

على أي حال، فهو كان ما يزال يريد أن يعيش، سواء أكانت

حياته بائسة أم لا (وقد كانت بائسة بالفعل).

فكر في الأمر، بالله عليك! هل أنت مرعوب إلى حد أنك لا تستطيع حتى أن تحاول.

لا، ولكن مرعوب إلى تلك الحد تقريباً.

ثم خطرت له فكرة غريبة وغاضبة: *إنها لا تحب الكتاب الجديد لأنها غبية جداً إلى درجة أنها لا تستطيع فهم ما يذهب إليه.*

لم تكن الفكرة مجرد فكرة غريبة فقط، إذ كان شعوره حول رواية **سيارات سريعة**، في ظل تلك الظروف، بعيد الصلة عن الواقع تماماً. لكن التفكير في الأشياء التي قالتها كان على الأقل يفتح درباً جديداً، والغضب منها كان أفضل من الخوف منها، ولهذا السبب تقبلها بشيء من الحماسة.

غبية جداً؟ لا. تعطية جداً. ليست فقط غير قابلة للتغيير، بل معادية لفكرة التغيير نفسها.

أجل. ولكن، مع أنها قد تكون مجنونة، فهل كانت مختلفة جداً في تقييمها لعمله عن مئات الآلاف من الناس في مختلف أنحاء البلاد – تعمور بالعنة منهم سداء – الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر كل جزء جديد – مكون من خمسمائة صفحة – من الحياة العاصفة للطفل الملفط الذي تربى كي يتزوج ممن يشبهه في عالمه؟ كلهم كانوا يريدون ميزري، ميزري، ميزري. وكل مرة كان يأخذ فيها عاماً أو عامين كي يكتب واحدة من الروايات الأخرى غير ميزري – الروايات التي كان يحسبها عمله "الجاد" المقرون مع ما كان في البداية يقيناً، ومن ثم أملاً، وأخيراً نمطاً من اليأس الذي لا يتزعزع – كان يتلقى سيلاً من الرسائل المحتجة من هؤلاء النسوة، والعديد منهن كن يوقعن خطاباتهن بالكلمات "معجبتك رقم واحد". كانت نبرة هذه الرسائل تتنوع بدءاً من الحيرة (التي كانت، لسبب ما، دائماً الأكثر إيلاماً)، إلى التأنيب، وانتهاءً بالغضب الصريح، لكن الرسالة كانت دائماً هي نفسها: *لم تكن كما*

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

توقعت، لم تكن كما أردت. من فضلك عد إلى ميزري. أريد أن أعرف ماذا تفعل ميزري الآن! وحتى لو أنه تمكن من كتابة أعمال من أمثال *تحت البركان*، أو *تيس سليلة عائلة أوبرفيل*، أو *الصوت والغضب*، فلن يشكل ذلك أي فرق، لأن الجميع سيظلون يريدون ميزري، ميزري، ميزري.

من الصعب تتبع الرواية... إنها غير مشوقة... والبداية!

اشتعل الغضب في داخله من جديد. الغضب من غبائها العنيد، الغضب من إمكانية أن تكون قد اختطفته وأبقته رهينة لديها هنا، ومن إجباره على الاختيار بين شرب ماء مسح قذرة أو تحمل ألم ساقيه المتكسرتين، وفوق ذلك كله، الغضب من التجرؤ على انتقاد أفضل ما كتبه على الإطلاق.

قال لنفسه: "اللعنة عليك وعلى الكلمات البذيئة التي كتبتها". وفجأة أحس بأنه أفضل حالاً، وبأنه عاد إلى طبيعته، بالرغم من أنه كان يعرف بأن تمرده هذا كان تافهاً ومثيراً للشفقة وبلا أي معنى، فهي كانت في الحظيرة حيث لا يمكنها سماعه، وكان المد ما يزال يغطي الوتدين المتكسرين. ما يزال...

تذكّر دخولها إلى الغرفة، وامتناعها عن إعطائه أقراص الدواء، وإكراهه على السماح لها بقراءة مخطوطة رواية **سيارات سريعة**. احمر وجهه من إحساسه بالعار والذل، لكنهما هذه المرة كانا ممزوجين بالغضب، الذي تفجّر في داخله فجأة بعد أن كان مجرد شرارة صغيرة. لم يسبق له *أبداً* أن عرض مخطوطة له على أحد قبل أن يعيد تنقيحها وكتابتها. *أبداً*. حتى وكيله، برايس، *أبداً*. لماذا، حتى أنه لم –

نوبة، انقطعت أفكاره تماماً. لقد سمع صوت بقرة تخور.

لماذا، حتى أنه لم يكن بعدُ نسخة عن روايته إلى أن ينتهي من المسودة الثانية.

في الواقع، كانت مخطوطة **سيارات سريعة**، التي كانت بحوزة

أي ويلكس حينئذ، هي النسخة الوحيدة الموجودة في العالم كله. بل أكثر من ذلك، لقد أحرق ملاحظاته الخاصة بالرواية كلها.

بعد سنتين من العمل المجهد، لم تعجبها الرواية، والأكثر من ذلك أنها كانت مجنونة.

ميزري هي الرواية التي *أعجبتها*، لأن شخصية ميزري هي التي أعجبتها، وليس لص السيارات الإسباني البذيء اللسان من هارلم الإسبانية.

تذكّر قوله: *حوّلي أوراق المخطوطة إلى قبعات ورقية إذا أحببت، فقط... رجاء...*

تفجّر الغضب والذل في داخله من جديد، موقظين أول استجابة خضوعية من الألم في ساقيه. نعم. العمل، الفخر بعملك، قيمة العمل نفسه... كل هذه الأشياء اضمحلت وتحولت إلى مجرد ظلال لما كانت عليه فعلاً في السابق، وذلك عندما بدأ الألم يشتد مجدداً. أن تفعل هذا به – أن تكون قادرة على فعل ذلك به، وهو الذي أمضى معظم حياته الراشدة معتقداً بأن كلمة كاتب هي التعبير الأكثر أهمية عن نفسه – فذلك جعلها تتجه شريرة إلى أقصى الحدود، وهو وضع ينبغي عليه الفرار منه. كانت وغداً بحق، وإذا لم تقتله فهي قد تقتل ما كان بداخله.

سمع في تلك اللحظة الخنزير يصدر بصوت عال. كانت تظن بأنه سوف يمانع إذا ما عرف بأنها أطلقت اسم ميزري على الخنزير، لكنها اعتقدت بأنه اسم رائع له على أية حال. تذكّر كيف أنها بدت للحظة بأنها تشبه الخنزير بالفعل؛ وكيف أنها قلدت الخنزير عندما التوت شفتها العليا باتجاه أنفها وبدت وجنتاها منتفختين: *هوبلك! هوبلك!*

سمع صوتها آتياً من الحظيرة: "سووو – يي بيغ بيغ بيغ!"

استلقى على ظهره، ووضع ذراعاً فوق عينيه، وحاول التشبث بالغضب لأن الغضب جعله يشعر بالشجاعة. الشجاع بإمكانه أن يفكر، لكن الجبان لا.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

كـان يعيش مع امرأة عملت في السابق كممرضة؟ كان واثقاً من ذلـك. فهل كانت ما تزال ممرضة؟ لا، لأنها لم تكن تذهب إلى العمل. ولمـاذا لم تعد تمارس مهنتها؟ بدا الجواب واضحاً. لأن ليس كل خلايا دماغهـا تعمل بشكل سليم. وإذا كان ذلك واضحاً بالنسبة إليه حتى في غشـاوة الألـم التي كان يعيش فيها، فمن المؤكد أنه كان واضحاً لكل زملائها.

لقـد كـان يملـك القليل من المعلومات الإضافية التي أمكنه على أساسـها أن يقدّر مدى سلامة عقلها، أليس كذلك؟ لأنها، بعد أن سحبته مـن حطـام سيارته، بدلاً من الاتصال بالشرطة أو بالإسعاف، أخذته ووضـعته فـي غـرفة ضيوفها، ووضعت أنابيب وريدية في ذراعيه وشـحنة قـذرة من المخدر في جسده، وبكمية كافية لتجعله يعاني مرة واحـدة على الأقل مما سمّته هبوطاً نفسياً. وهي لم تخبر أحداً بوجوده هنا، وإذا لم تفعل ذلك حتى الآن فهذا يعني بأنها كانت تقصد ذلك.

هل كانت ستتصرف على هذا النحو لو أن من سحبته من الحطام كان جو بلو من كوكومو؟ لا، لا، لم يكن يعتقد ذلك. لقد أنقذته لأنه بول شيلدون، وهي كانت –

"هـي كانـت معجبتي رقم واحد"، تمتم بول، ووضع ذراعاً على عينيه.

فجـأة، انبثقت ذكرى رهيبة في الظلمة هناك: أخذته أمه ذات مرة إلـى حديقة الحيوانات في بوسطن، فشاهد هناك طيراً كبيراً مهيباً. كان لذلـك الطير ريشٌ من أجمل ما رأت عيناه – أحمر وأرجواني وأزرق غـامق تماع – وعينان هما الأكثر حزناً في الكون كله. فسأل أمه عن موطـن الطـير الأصـلي وعندما قالت *أفريقيا* أدرك بأنه قُدّر عليه أن يموت في القفص الذي كان يعيش فيه، بعيداً عما أراد الله له أن يكون، فـبكى بول، الأمر الذي دفع أمه إلى شراء محروط من الآيس كريم له كي يتوقف عن البكاء، وهذا ما حدث فعلاً ولكن لفترة قصيرة فقط، لأنه

عندما تذكر الطير ثانية بكى من جديد فما كان من أمه إلا أن أخذته إلى البيـت، تاعـسة إياه – أثناء رجوعهما بالحافلة إلى مدينة لين – بالطفل البكّاء والمخنث.

ريشه، عيناه.

بدأ البيض في سلقيه بالدوران من جديد.

لا. لا. لا.

ضغط بذراعه على عينيه بشدة أكبر. ومن الحظيرة سمع ضجيج ضـربات مـتقطعة. مـن المحال معرفة ماذا كانت، بالطبع، ولكن في مخيلته.

(عقلك، مخيلتك، هذا هو كل ما كنت تقصده).

كـان باستطاعته تخيلها وهي تدفع رزماً من القش بكعب جزمتها مـن الغـرفة العلوية في الحظيرة، كما كان باستطاعته تخيل تدحرجها على أرض الحظيرة.

أفريقيا. ذلك الطائر أتى من أفريقيا. من –

وفجـأة، جاء صوتها النزق، الصارخ، قاطعاً سلسلة خيالاته مثل سكين حادة: *هـل تظن بأنهم عندما وضعوني هناك على المنصـة في دلي –*

على المنصة، عندما وضعوني على المنصة في دنفر.

هل تقسمين على قول الحقيقة، كل الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة، كي يساعدك الله؟

("لا أعرف من أين يأتي بها").

أقسم.

("إنه دائماً يكتب أشياء مثل هذه").

اذكري اسمك.

(لم يسبق أن امتلك أي فرد من عائلتي مخيلة كهذه).

اسمي ويلكس.

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

(نابضة بالحياة إلى درجة بعيدة).

اسمي آني ويلكس.

حثها على قول المزيد، لكنها لم تفعل.

"هيا". تمتم لنفسه، وذراعه ما زالت فوق عينيه. كان ذلك أقصى ما يمكنه التفكير فيه، أقصى ما يمكنه تخيله. كانت أمه تحب أن تخبر السيدة مولفانسي التي تقطن في الجانب الآخر من السياج عن المخيلة الرائعة، النابضة بالحياة، التي كان يمتلكها، وعن القصص الجميلة التي يكتبها (بالطبع، ما عدا نعتها إياه بالمخنث والطفل البكّاء). "هيا، هيا، هيا".

كان باستطاعته رؤية قاعة المحكمة في دنفر، وآني ويلكس على المنصة، لكنها لا تلبس سروالها الجينز بل ثوباً أسود مائل إلى الفرعوني باهتاً وقبعة مربعة. كان باستطاعته رؤية قاعة المحكمة تغص بالحاضرين، وأن القاضي كان أصلع، ويرتدي نظارات، ولديه شارب أبيض اللون. وتحت الشارب الأبيض كانت هناك شامة خلقية يغطي الشارب الأبيض معظمها، ولكن ليس كلها.

آني ويلكس.

(كان يقرأ منذ الثالثة! هل يمكنك تخيل ذلك؟)

تلك الروح... روح حب المعجبين...

(إنه دائماً يكتب أشياء، ويختلق أشياء).

على أن أمسح الآن.

(أفريقيا، منها أتى ذلك الطير).

"هيا". قال هامساً، لكنه لم يتمكن من المتابعة أكثر من ذلك. طلب منها الحاجب أن تذكر اسمها، فقالت مراراً وتكراراً أن اسمها آني ويلكس، لكنها لم تتفوه بأي شيء آخر؛ لقد جلست هناك بجسدها الليفي الصلب المنذر بالخطر وقالت اسمها مرات ومرات لكنها لم تتفوه بأية كلمة أخرى.

وبينما كان ما يزال يحاول أن يتخيل ما الذي جعل الممرضة السابقة التي أبقته سجيناً لديها تقف على المنصة في دنفر، غلبه النعاس فنام.

12

إنه في جناح مستشفى. يرى فيه شعور غامر بالارتياح؛ غامر إلى درجة أنه أحس برغبة في البكاء. لا بد أن شيئاً ما حدث عندما كان نائماً، مثل مجيء شخص ما، أو ربما تغيّر مفاجئ في قلب آني أو عقلها. ليس مهماً. لقد نام في بيت المرأة المتوحشة واستيقظ في المستشفى.

ولكن... من المؤكد أنهم لم يكونوا ليضعوه في جناح طويل كهذا الجناح؟ كان كبيراً بحجم صالة لمبيت الطائرات! صفوف متماثلة من الرجال (مع أكياس متماثلة من السوائل المغذية المتدلية من أدوات متماثلة للحقن الوريدي بجانب أسرّتهم) ملأت المكان. جلس في سريره فرأى أن الرجال أنفسهم كانوا متماثلين أيضاً؛ كانوا كلهم هو نفسه. بعد ذلك، سمع صوت دقة الساعة آتياً من بعيد، فأدرك أنها كانت تدق من ما وراء جدار النوم. كان ذلك حلماً. فحلّ الحزن محل الارتياح.

انفتح الباب الموجود في نهاية القاعة الضخمة ودخلت منه آني ويلكس مرتدية ثوباً طويلاً معقوداً عند الخصر ومعتمرة قبعة قطنية مهنية. كانت تلبس مثل ميزري تشاستين في رواية *حب ميزري*، وكانت تحمل على ذراعها سلة مصنوعة من القصب. وكانت هناك منشفة تغطي محتوياتها. وعندما رأته ينظر إليها رفعت المنشفة ودست يدها لتأخذ من داخلها ملء قبضة من مادة ما وترمي بها وجه بول شيلدون الأول النائم. كان رملاً. لقد رأته؛ تتظاهر آني ويلكس بأنها ميزري تشاستين التي تدّعي بأنها رجل الرمل. *امرأة الرمل*. [هناك

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

خرافة فولكلورية تتحدث عن شخصية تجعل الأطفال يناموا عن طريق رشهم بالرمل].

ثم رأى وجه بول شيلدون الأول وقد تحول إلى اللون الأبيض الشاحب عندما أصابه الرمل، الأمر الذي جعله يستفيق من حلمه متذعوراً ليرى آني ويلكس في غرفة النوم واقفة فوقه. كانت تمسك بكتاب *طفل ميزري* السميك في إحدى يديها. وكانت العلامة التي تضعها في الكتاب تشير إلى إنهائها حوالى ثلاثة أرباع الكتاب.

قالت آني: "كنت نائم".

"رأيت حلماً".

"وعما كان الحلم؟"

فأجاب بأول شيء غير حقيقي خطر في باله:

"أفريقيا".

13

في صباح اليوم التالي، جاءت متأخرة، وكان وجهها شاحباً بلون الرماد. كان غافياً، لكنه أفاق على الفور مستنداً على مرفقيه.

"نسة ويلكس؟ آني؟ هل أنت بخ –"

"لا".

رباه، لقد أصبت بنوبة قلبية، فكّر في داخله، فسرى فيه للحظة شعور بالخوف سرعان ما حل محله شعور بالفرح والغبطة. *لتصب بنوبة قلبية! واحدة كبيرة! نبحة صدرية لعينة!* عندها سيكون أكثر من سعيد للزحف إلى الهاتف، مهما كان ذلك مؤلماً. بل إنه سيزحف على زجاج مكسور، لو تطلب الأمر ذلك.

وقد كانت بالفعل نوبة قلبية... ولكن ليس النوع المطلوب.

توجهت نحوه، ليس على مهل بل بسرعة، كما يفعل البخار عندما

يقفز من باخرته بعد رحلة طويلة.

"ماذا –" انكمش على نفسه محاولاً الابتعاد عنها، ولكن لم يكن ثمة مكان ليلتجئ إليه. إذ لم يكن هناك سوى لوح السرير الرأسي، وبعده، الحائط.

"؟" وصلت إلى حافة السرير واصطدمت به، ثم وقفت مترددة. ولللحظة بدت وكأنها على وشك إلقاء كامل ثقلها عليه. لكنها اكتفت بالوقوف فوقه والنظر إليه بوجهها الشاحب مثل لون الورق الأبيض. كانت أوردة عنقها بارزة، وكان أحدها ينبض في منتصف جبهتها. فتحت يديها بسرعة على كامل امتدادهما ثم أطبقتهما لتشكلا قبضتين صلبتين مثل الصخر، ثم فتحتهما من جديد.

"آني... أيها... أيها المفكر الكبير!"

"ماذا – أنا لا أعرف –" لكنه فجأة عرف بالأمر، عندما أحس وكأن القسم الأوسط من جسده أصبح في البداية فارغاً ومن ثم اختفى تماماً. تذكّر أين كانت علامة الكتاب في الليلة الماضية، في ثلاثة أرباع الكتاب. لقد أنهت قراءته. ولا بد أنها عرفت كل ما يجب أن تعرفه. لقد عرفت أن ميزري لم تكن هي العقيمة، بل *إيان* هو العقيم. هل جلست هناك في غرفة الضيوف، التي لم يرها بعد، بفم فاغر وعينين جاحظتين عندما أدركت ميزري الحقيقة أخيراً واتخذت قرارها بالتسلل خلسة إلى جيفري. هل اغرورقت عيناها بالدموع عندما أدركت بأن ميزري وجيفري، بعيداً عن إقامتهما علاقة غرامية سرية من خلف ظهر الرجل الذي أحباه كلاهما، كانا يهبانه أعظم هدية ممكن أن يقدماها؛ طفلاً سيعتقد بأنه طفله؟ وهل خفق قلبها عندما أخبرت ميزري إيان بأنها كانت حاملاً فعانقها إيان بقوة والدموع تنهمر من عينيه، هامساً "عزيزتي، آه يا عزيزتي! مرات ومرات؟ كان متأكداً، في تلك اللحظات، بأن كل هذه الأشياء حصلت. ولكن، بدلاً من البكاء بحرقة مريرة كما كان يجب أن تفعل عندما ماتت ميزري أثناء وضعها

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

مولودهـا الـذي من المفترض أن يربيه كل من إيان وجيفري معاً، فقد جن جنونها.

"*لا يمكن أن تموت!*" زعقت آني ويلكس في وجهه ويداها تتبسطان وتنقبضان بوتيرة تزداد سرعة. "*ميزري تشاستين لا يمكن أن تموت!*"

"آني – آني، رجاءً –"

كـان هـناك إبـريق ماء زجاجي على الطاولة. رفعت الإبريق ورشـقت المـاء فـي وجهـه فحطّ مكعب من الثلج البارد بجانب أذنه اليسرى ثم انزلق المكعب على الوسادة لينزل في تجويف كتفه اليسرى. في ذهله كان هناك صوت يقول:

(*انهضة بالحياة!*)

رآها تقرّب الإبريق من وجهه، فحبل نفسه يموت من جراء كسر فـي الجمجمـة وتزيف شديد في المخ وهو يسبح في بركة متجمدة من الماء المثلج، والثلوج تغطي ذراعيه من شدة البرودة.

كانت تريد فعل ذلك، لا شك في ذلك أبداً.

لكـنها لم تفعل، بل دارت على نفسها في اللحظة الأخيرة وقذفت الإبريق نحو الباب فتكسّر متلما تكسّر صحن الحساء في ذلك اليوم.

نظـرت إلـيه ثانـية ثم أزاحت شعرها عن وجهها – مجموعتان خفيفتان وقاسيتان من الشعر الأحمر الذي تحوّل الآن إلى اللون الأبيض – بمؤخرة يديها.

قالت له لاهثة: "أيها الطائر القذر! أيها الطائر القذر، كيف *أمكنك* فعل ذلك!"

تكلـم بسرعة واستعجال، وعيناه كانتا مسمّرتين على وجهها. كان مـتأكداً في تلك اللحظة بأن حياته قد تعتمد على ما سيقوله في الثواني العشرين التالية.

"آنـي، في العام 1871، كان أمراً مألوفاً موت النساء أثناء الولادة. لقد وهبت ميزري حياتها لزوجها ولصديقها المفضل ولطفلها. إن روح

ميزري ستبقى دائماً –"

"أنا لا أريد روحها!" صرخت، مقوّسة أصابعها على شكل مخالب ، ملوّحة بها في وجهه، وكأنها كانت تريد أن تفقأ بها عينيه. "*أنا أريدها! أنـت قتلـتها! أنت قتلتها!*" ثم أطبقت يديها من جديد وهوت بهما على جانبـي رأسـه مـثل مكبسين من الحديد فانغرست قبضتاها عميقاً في الوسـادة وارتد رأسه مثل دمية مصنوعة من الخرق البالية. تفجّر الألم في ساقيه فصرخ قائلاً: "*أنا لم أقتلها!*"

تجمـدت في مكانها وهي تحدّق إليه بتلك النظرة الضيقة الفارغة من أي تعبير؛ نظرة الشق العميق ذلك.

قالـت بسـخرية لاذعـة: "*بالطـبع لا، وإذا لم تكن أنت، يا بول بنيامين، فمن قتلها إذن؟*"

ردّ بهدوء أكبر: "لا أحد، لقد ماتت وحسب".

أخـيراً، عرف بأن هذه هي الحقيقة بالفعل. كان يعرف تماماً بأنه لـو كانت ميزري امرأة حقيقية، لكان قد استُدعي لمساعدة الشرطة في تحقيقاتهم، إذا أردنا اللعب على الكلمات بالطبع. نعم، بالتأكيد، فهو كان يعلم ذلك الدافع الذي يكرهها. قبل أربع سنوات، في يوم كئيب الأول من نيسـان، طبع بول كتيّباً صغيراً خاصاً به ثم أرسله إلى عدد من معارفه المقرّبيـن. كان عنوان الكتيب هو هواية ميزري. وفيه قضت ميزري عطلـة نهاية أسبوع سارّة في الريف في ممارسة الجنس مع غراوار، المساعد الإيرلندي لإيان.

كان باستطاعته قتلها... لكنه لم يفعل. وفي نهاية المطاف، بالرغم مـن تنامي شعوره بالاحتقار نحوها، جاءت نهاية ميزري لتشكل نوعاً مـن المفاجأة بالنسبة إليه. فقد حافظ إلى حدٍّ كبير على صدقه مع نفسه في مسألة محاكاة الفن للواقع – مهما كان ذلك غير مقنع – حتى النهاية الأخيرة لمغامرات ميزري الطويلة والمملة. لقد ماتت ميتة غير متوقعة على الإطلاق، وسعادته الغامرة لم تغير شيئاً من الواقع.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

قالت أني بصوت هامس: "أنت تكذب. كنت أعتقد بأنك رجل طيب، لكنك لست طيباً. إنك مجرد طائر عجوز قذر".

"لقد رحلت، ببساطة. هذا ما يحدث أحياناً. كما في الحياة، عندما يفقد شخص ما –"

قلبت الطاولة المحاذية للسرير فانقلب الدرج الوحيد معها ووقعت ساعة يده والعملة المعدنية التي كانت موجودة في جيبه. لم يكن يعرف أصلاً بوجودها هناك. فانكمش على نفسه مبتعداً عنها.

"لا بد أنك تعتقد بأني ولدت *البارحة*". قالت له ثم زمّت شفتيها. "لقد رأيت في عملي العشرات من الناس يموتون، أو بالأحرى *المئات* منهم. في بعض الأحيان، كانوا يموتون وهم يصرخون، وفي أحيان أخرى، كانوا يموتون وهم نيام. يرحلون، كما قلت، بتأكيد.

لكن الشخصيات في القصص لا ترحل بهذه البساطة! لن الله يأخذنا عندما يعتقد بأن الوقت قد حان".

غابت عن الواقع بعد ذلك. قوّمت وقفتها، لكنّ يديها بقيتا متدليتين بجانبيها، وبصرها شاخص نحو حائط عُلّقت عليه صورة لقوس النصر. وقفت هناك بينما ظل بول مستلقياً في سريره ينظر إليها وبجانبه أذنيه كانت هناك علامتان دائريتان على الوسادة. كان باستطاعته سماع صوت قطرات الماء الذي كان موجوداً في الإبريق وهي تتساقط على الأرض. عندئذ، خطر بباله أنه كان قادراً على ارتكاب جريمة قتل. كان هذا السؤال يخطر بباله بين الحين والآخر، بالمعنى الأكاديمي البحت بالطبع، لكنه هذه المرة لم يكن كذلك، وكان يملك الإجابة عليه. فلو أنها لم ترم الإبريق، لكسره هو بنفسه بضربه على الأرض، وحزّ عنقها بواحدة من قطع الزجاج المكسور بينما هي واقفة هناك بجمود مثل حامل مظلة.

نظر إلى الأشياء التي سقطت من الدرج، ولكن لم يكن هناك إلا النقود المعدنية وقلماً ومشطاً وساعة يده. لم تكن هناك محفظة. والأهم

من ذلك، لم تكن هناك سكين عسكرية سويسرية.

في تلك اللحظة، عادت إلى الواقع قليلاً. كان الغضب، على الأقل، قد تلاشى. فرمقته بنظرة ملؤها الحزن.

"أعتقد بأنه من الأفضل لي أن أذهب الآن. لا أعتقد بأنه من الصائب أن أبقى بالقرب منك لبعض الوقت. لا أعتقد بأن ذلك سيكون... أمراً حكيماً".

"تذهبين؟ إلى أين؟"

"لا يهم. إلى مكان أعرفه. لأنني إذا بقيت هنا، فسأقوم بشيء غير متعقّل. عليّ أن أفكر. الوداع يا بول".

مشت آني بخطوات سريعة باتجاه الباب.

سألها مفزوعاً: "هل ستزعجين كي تعطيني دولتي؟"

أمسكت بمقبض الباب وأغلقته دون أن تجيب. ولأول مرة سمع خشخشة مفتاح في ثقب الباب.

سمع صوت خطواتها تتجه نحو الممر. ثم أجفل لدى سماعها تصرخ بغضب – بكلمات لم يتمكن من فهمها – ثم سقط شيء آخر وتكسّر. وصُفق أحد الأبواب بقوة، ثم دار محرك سيارة، وانطلقت السيارة. ثم سمع صوت الإطارات وهي تدور فوق الثلج المرصوص. بعدئذ، بدأ صوت المحرك بالابتعاد شيئاً فشيئاً. شخر المحرك في البداية ثم تحوّل إلى صوت رتيب إلى أن اختفى نهائياً.

أصبح وحيداً.

وحيداً في منزل آني ويلكس، حبيس هذه الغرفة. حبيس هذا السرير. كانت المسافة التي تفصل بين هنا وذاك تساوي تقريباً... حسناً، المسافة بين حديقة الحيوانات في بوسطن وأفريقيا.

استلقى في سريره شاخصاً ببصره نحو السقف. كان حلقه جافاً وقلبه ينبض بسرعة.

وبعد فترة، دقت ساعة الصالون معلنة حلول منتصف الظهر

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

وبدأ المد بالانحسار.

14

إحدى وخمسون ساعة.

عرف ذلك فقط بسبب القلم، القلم الأنيق ذي الخط الجميل الذي كان يحمله في جيبه عندما وقع الحادث، وقد تمكن من الوصول إليه والاحتفاظ به بعد رحيلها. وهكذا، بواسطة هذا القلم كان يكتب علامة على ذراعه كلما كانت الساعة تدق معلنة انقضاء ساعة من الزمن. أربع علامات شاقولية ثم خط قطري لإكمال الخماسية. وعندما عادت إلى البيت، كان هناك عشرة مجموعات من هذه الخماسيات وواحدة إضافية. كانت المجموعات الصغيرة مرتبة في البداية، لكنها بعد ذلك بدأت تتعرج على نحو متزايد عندما بدأت يداه ترتجفان. وهو كان متأكداً من أنه لم يخطئ في أي ساعة، لأنه لم ينم أبداً، بل كان يغفو إغفاءات بسيطة فقط، إذ كانت دقات الساعة توقظه في كل مرة كانت عيناه تغمضان.

بعد مضي فترة من الوقت، بدأ الجوع والعطش يغزوان جسده، بالرغم من وجود الألم. وكان الأمر بين الأحاسيس الثلاثة يبدو مثل سباق للخيول. في البداية كان "ملك الألم" مبتعداً في المقدمة وكان "ملك الجوع" متخلفاً بمسافة طويلة. أما "العطش الجميل" فقد كان غائباً بين الغبار. ولكن، بعد يوم من مغادرتها، عند شروق الشمس، بدأ "ملك الجوع" يدافس "ملك الألم" بشكل قوي.

كان قد أمضى معظم الليل متناوباً بين الإغفاء والاستيقاظ مبللاً بالعرق البارد: من المؤكد أنه كان يحتضر. وبعد فترة بدا يتمنى لو أنه كان يحتضر - أي شيء يخلصه من معاناته. وفوق ذلك، لم تكن لديه أدنى فكرة عما سيؤول إليه الألم. كل ما كان يعرفه هو أن الوتدين كانا

يكبران. كان باستطاعته رؤية صدف البحر يغطيهما، وكان باستطاعته رؤية أشياء شاحبة عارقة متمددة برخاوة بين شقوق الخشب. لكنها كانت الأشياء المحظوظة؛ فالألم كان قد انتهى بالنسبة إليها. حوالى الساعة الثالثة دخل من جديد في نوبة من الصراخ غير المجدي.

وبحلول منتصف الظهر من اليوم التالي - الساعة الرابعة والعشرون - أدرك بأن شيئاً آخر كان يؤلمه بشدة أيضاً، لا يقل سوءاً عن الألم الصادر من ساقيه وحوضه. كان تراجعاً. يمكنك أن تسمّي هذا الحصان "الستقام المدمن" إن شئت. كان بحاجة لأقراص الدواء بكل وسيلة ممكنة.

فكّر بمحاولة الخروج من سريره، لكن فكرة السقوط والارتطام، ومن ثم الألم المضاعف منعته من هذه المحاولة. كان باستطاعته تخيل كل ذلك بشكل جيد.

(نابضة بالحياة).

كان باستطاعته المحاولة بالرغم من كل ذلك، لكنها أقفلت الباب في كل الأحوال. فماذا كان بمقدوره أن يفعل إضافة إلى الزحف حتى الوصول إلى الباب، مثل الحلزون، والتمدد هناك؟

بدافع من اليأس دفع بيديه البطانيات عنه للمرة الأولى، آملاً بأن يكون الأمر ليس سيئاً بمقدار ما توحي به الأشكال التي ترسمها تلك البطانيات. وهي لم تكن سيئة بالفعل، بل كانت أسوأ. نظر برعب إلى ما أصبحت عليه حاله ما تحت الركبتين، وفي ذهنه، سمع صوت صراخ رونالد ريغان في ممر *الملك*، "أين بقيتي؟"

أما بالنسبة إليه، فقد كانت بقيته هنا، وقد يخرج من هذا الوضع أيضاً. صحيح أن احتمالات قيامه بذلك كانت تبدو بعيدة، إلا أنها كانت ممكنة من الناحية العملية... بيد أنه قد لا يتمكن من السير مجدداً، وبالتأكيد ليس قبل أن يعاد كسر ساقيه، وربما في عدة أماكن، وبُنْيَتا يقضبان من الفولاذ، ويُرمّمَا بشكل كامل وبدون أي رحمة، ويخضع

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

لخمسين إبرة مؤلمة إلى حد البكاء.

لقد جبّرتهما، كان يعرف ذلك، فقد كان يشعر بالأشكال الصلبة غير المتناسقة، لكنه لم يكن يعرف كيف فعلت ذلك ولماذا. كان الجزءان السفليان من ساقيه ملفوفين بقضبان فولاذية غير سميكة كانت تبدو مثل بقايا عكازين من الألمنيوم مقصوصة بمنشار معدني. وكانت هذه القضبان مثبتة بقوة بواسطة شريط لاصق، بحيث إن ساقيه من الركبتين وإلى الأسفل كانتا تبدوان مثل جثة إسحوتب عندما اكتُشف في قبره. وكانت ركبته اليسرى - مصدر ألم شديد نابض باستمرار - تبدو وكأنها غير موجودة على الإطلاق. كانت تبدو مثل عقدة مقرفة تشبه قبة من الملح في الوسط بين بطن الساق والفخذ. أما فخذاه فقد كانا متورمين بشدة ويبدوان وكأنهما ملحمان قليلاً نحو الخارج. فيما كانت المنطقة التي تصل جسده برجليه، وحتى قضيبه، مبرقعة بكدمات آخذة في التلاشي.

كان يعتقد بأن ساقيه مكسورتان، لكنهما لم تكونا كذلك، كما تبيّن له. كانتا مسحوقتين.

سحب البطانيات ثانية وغطى بها جسده وهو ينّ ويبكي بمرارة. لا خروج من هذا السرير. من الأفضل لك أن تستلقي هنا، وأن تموت هنا، وأن تقبل بهذا المستوى من الألم، الذي كان مرعباً بما يكفي، إلى أن يتلاشى الألم نهائياً.

حوالى الساعة الرابعة من اليوم التالي، تقدّم "العطش الجميل" إلى الأمام محسّناً من موقعه في المساق. كان يحس بالجفاف في فمه وحلقه منذ مدة طويلة، لكنه أصبح الآن أكثر إلحاحاً. كان يشعر بأن لسانه ثقيل وكبير جداً. وعملية البلع كانت مؤلمة. بدأ يفكر في إبريق الماء الذي رمت به إلى الحائط.

غفا، ثم استيقظ، ثم غفا من جديد.

انقضى النهار، ثم أتى الليل.

كان بحاجة للتبول. وضع الشرشف العلوي تحت قضيبه، آملاً بأن يكوّن ما يشبه المصفاة، وتبوّل من خلاله على يديه المرتجفتين المنكورتين على شكل كوب. حاول التفكير في الأمر على أنه عملية إعادة تدوير فشرب ما نجح في الاحتفاظ به ثم لحس راحتي يديه. وهذا شيء آخر أدرك بأنه لن يخبر به أحد، فيما لو عاش بما يكفي ليخبر أي شيء.

بدأ يعتقد بأنها مائت. كانت مضطربة إلى حدّ كبير، والمضطربون عادة يقتلون أنفسهم بأيديهم. فتخيلها

(نابضة بالحياة!).

توقف سيارتها "أولد بيسي" على جانب الطريق ثم تتناول سندساً من عيار 38 من تحت المقعد فتضعه في فمها وتقتل نفسها. *"لا أريد أن عيش بعد موت ميزري. الوداع أيها العالم القاسي!"* بكت أني بدموع غزيرة ثم سحبت الزناد.

ضحك من الابتهاج، ثم أنّ، ثم صرخ. وصرخت الريح معه... لكنها لم تعره أي اهتمام آخر.

أو ربما حادث؟ هل ذلك محتمل؟ نعم يا سيدي! فتخيلها تقود سيارتها بوجه متجهم، ثم تزيد سرعتها إلى حدّ كبير، ثم

(لم يرث هذه المخيلة من طرف عائلتي!)

تغيب عن الوعي فتنحرف عن الطريق. ثم تهوي، وتهوي، وتهوي. ثم ترتطم السيارة بالأرض وتشتعل مثل كرة من النار، فتموت حتى قبل أن تدرك ذلك.

ولكنها لو ماتت، فسيموت هو أيضاً هنا، مثل جرذ عالق في فخ جاف.

ظل يعتقد بأن فقدان الوعي سيأتي ويريحه، لكنّ فقدان الوعي رفض الدعوة، وما جاء بدلاً منه كانت الساعة الثلاثون، ثم الأربعون. حينئذ، اندمج "ملك الألم" و"العطش الجميل" وأصبحا مثل حصان واحد

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

(كان "ملك الجوع" قد تخلّف عنهما منذ وقت طويل وغاب في الغبار).
فبدأ يشعر بأنه ليس أكثر من قطعة من نسيج حي موضوعة على شريحة ميكروسكوب أو دودة معلقة على خطّاف؛ شيء ما يتلوى دون توقف ولا ينتظر سوى الموت.

15

عندما دخلت إليه اعتقد في البداية بأنه كان يحلم، ولكن سرعان ما فرض الواقع – أو مجرد الرغبة الغريزية في البقاء – نفسه، فبدأ ينّ ويتوسل ويناشد. تحطم كل شيء فجأة، كل شيء كان آتياً من بئر عميق من الخيال. الشيء الوحيد الذي راه بوضوح هو أنها كانت ترتدي ثوباً أزرق غامقاً، وتعتمر قبعة مزركشة؛ تشبه تماماً القبعة التي تخيّل بأنها ترتديها على المنصة في دنفر.

كان لونها زاهياً وعيناها تشعان بالحياة والحيوية. كانت أقرب لأن تكون جميلة أكثر من آني ويلكس التي يعرفها، وعندما حاول أن يتذكر هذا المشهد فيما بعد، لم يعلق في ذهنه سوى صورتين وحيدتين فعل خذاها المتوردان والقبعة المزركشة. فكّر بول شيلدون العاطفي، مستعيناً بآخر معقل له للتفكير السليم والتقدير الصحيح: *تبدو مثل أرملة مارست الجنس للتو بعد عشر سنين من الامتناع.*

كانت تحمل في يدها كأساً من الماء، كأساً طويلة من الماء.

"خذ هذه". قالت له، ووضعت يداً ما تزال باردة من وجودها خارج البيت على مؤخرة عنقه حتى يتمكن من النهوض كي يشرب دون أن يختنق. أخذ ثلاث جرعات سريعة ملء فمه، فتوسعت المسامات على سطح لسانه القاحل لدى صعقها بالماء مطالبة بالمزيد. سال بعض الماء على ذقنه وقميصه "التي شيرت" الذي كان يلبسه، ثم أبعدت الكأس عنه.

فنشج بول بصوت خافت وهو يمد يديه المرتجفتين نحو الكأس.

فقالت: "لا، لا يا بول. القليل منه في كل مرة، وإلا فستتقيأ".

وبعد قليل أرجعت الكأس إليه وسمحت له بالمزيد من الجرعات.

قال وهو يسعل: "الدواء". ثم مصّ شفتيه ودار بلسانه عليهما ثم مصّ لسانه. تذكّر بشيء من الضبابية نفسه وهو يشرب بوله، سخونته وملوحته. "الأقراص – ألم – من فضلك، آني، رجاءً، حباً بالله ساعديني، *الألم بالغ الشدة* –"

"أعرف ذلك، ولكن يجب أن تصغي إليّ"، قالت وهي ترمقه بتلك النظرة الصارمة لكن الأمومية. "كان عليّ أن أبتعد وأفكر. لقد فكّرت ملياً وأمل أن يكون تفكيري صائباً. لم أكن متأكدة تماماً، فأفكاري غالباً ما تكون مشوشة، أعلم ذلك. أنا اعترف بذلك. ولهذا لم أستطع أن أتذكر أين كنت عندما كانوا يسألونني عن ذلك مراراً وتكراراً. لذا فقد صلّيت. هناك *إله*، كما تعلم، وهو يستجيب للصلوات. إنه يفعل ذلك دائماً. لهذا السبب صلّيت. قلت له، "إلهي الحبيب، قد يكون بول شيلدون ميتاً عندما أعود". لكن الجواب كان، "لن يكون ميتاً. لقد أبقيت عليه، حتى تريه الطريق الذي يجب أن يسلكه".

قالت كلمة تريه بطريقة آمرة، لكن بول كان بالكاد يصغي إليها على أي حال، فعيناه كانتا مسمّرتين على كأس الماء. سمحت له بتناول ثلاث جرعات أخرى. فتجرّعها مثل الحصان، ثم تجشأ، ثم صاح مطالباً بالمزيد بينما اعترت جسده رجفة متشنجة.

أثناء ذلك كله كانت آني تنظر إليه بحنو.

"سأعطيك دواءك وأخفف ألمك، ولكن أولاً عليك القيام بأمر. سأعود في الحال".

نهضت ثم توجهت نحو الباب.

صرخ بول: "لا!"

لم تعره أي اهتمام. فاستلقى في السرير، مستسلماً بالألم، محاولاً

www.jn2n.com
hlo_A@hotmail.com

عدم إصدار أي أنين، لكنه كان يئن مع ذلك.

16

في البداية اعتقد بأنه دخل في حالة من الهذيان، لأن ما كان يشاهده كان من الغرابة بحيث لا يمكن اعتباره منطقياً. عندما عادت آني، كانت تدفع أمامها شوّاية فحم.

"آني، أنا أتألم بشكل فظيع". سالت الدموع على خديه.

"أعلم يا عزيزي". قبّلته على خده، وكانت لمسة شفتيها رقيقة مثل سقوط الريشة. "حالاً".

غادرت الغرفة، ونظر بول ببلاهة إلى شواية الفحم القابعة في غرفته بدل أن توضع في باحة صيفية خارج المنزل، الأمر الذي كان يستحضر صوراً عتيدة من الأوثان والأضحيات.

والتضحية هي ما كان يدور في ذهنها بالطبع، لأنها عندما عادت كانت تحمل في إحدى يديها مخطوطة **سيارات سريعة**، الناتج الوحيد الباقي لعمل سنتين. وفي اليد الأخرى كانت تحمل علبة ثقاب خشبية من نوع ديموند بلو.

17

قال بول باكياً ومرتجفاً: "لا". خطرت له فكرة كان لها مفعول الأسيد في داخله: كان بإمكانه تصوير المخطوطة لقاء أقل من مائة دولار في مدينة بولدر. لطالما أخبره الناس – برايس، وزوجتاه السابقتان، اللعنة، وحتى أمه – بأنه كان مجنوناً لعدم احتفاظه بنسخة واحدة على الأقل من عمله، ففي النهاية، كان من المحتمل أن يشب حريق في فندق بولدربرادو، أو في منزله في نيويورك، أو قد يحدث

إعصار أو أية كارثة طبيعية أخرى. لكنه كان دائماً يقابل ذلك بالرفض، بلا أي سبب منطقي: كل ما في الأمر هو أن صنع نسخة من أعماله كان يبدو له فألاً سيئاً.

حسناً، هنا تجمّع الفأل السيئ والكارثة الطبيعية في شيء واحد: هنا يوجد إعصار آني. ولجهلها، لربما لم يخطر في بالها قط أنه يمكن أن تكون هناك نسخة أخرى من **سيارات سريعة** موجودة في مكان ما. لـو أنه فقط أصغى لنصيحة الآخرين، لو أنه فقط استثمر المائة دولار اللعينة –

"نعم". أجابت، ثم مدّت يدها لتعطيه علبة الثقاب، وكانت المخطوطة – المكتوبة على ورق أبيض من منتجات شركة هامرميل بوند – مستقرة في حضنها وصفحة العنوان على قمة صفحاتها. كان وجهها ما يزال صافياً ورائقاً.

"لا". قال بول وهو يدير وجهه المحمّر بعيداً عنها.

"نعم. إنه قذر. هذا عدا أنه ليس جيداً أيضاً".

"إنك لن تعرفي الجيد حتى لو جاء إليك واقتلع أنفك!" صاح في وجهها غير مكترث.

ضاحكت بهدوء. من الواضح أن مزاجها السيئ كان في إجازة حينئذ. ولكن، فكّر بول في نفسه، من معرفته بآني وبكس، فمن الممكن أن يعود مزاجها السيئ بشكل غير متوقع في أية لحظة حاملاً حقائبه بيديه: *لم أتحمل البقاء بعيداً! كيف الحال؟*

قالت آني: "أولاً، الجيد لن يقتلع أنفي. الثرير قد يفعل ذلك؛ أما الجيد فلا. ثانياً، أنا بالتأكيد أعرف الجيد عندما أراه، أنت جيد يا بول. كل ما أنت بحاجة إليه هو القليل من المساعدة. والآن، خذ علبة الثقاب".

هز رأسه بعنف قائلاً: "لا".

"نعم".

"لا!"

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

"نعم".

"لا، اللعنة!"

"استخدم كل ما تريد من كلمات بذيئة قد سمعتها من قبل".

"أن أفعل ذلك". ثم أغمض عينيه.

عندما فتحهما كانت تحمل علبة كرتونية مربعة الشكل مكتوب على رأسها كلمة توفريل بأحرف زرقاء لامعة. وتحت العلامة التجارية كُتب بأحرف حمراء: عيّنة مجانية، لا تُصرف بدون وصفة الطبيب. وأسفل التحذير كان هناك أربعة أقراص مغلّفة. حاول الإمساك بها، لكنها أبعدتها عن متناول يده.

قالت: "عندما تحرقها، سأعطيك الأقراص – الأربعة كلها على ما أعتقد – وسيزول الألم. ستبدأ بالشعور مجدداً باليدين، وعندما ستتمكن من السيطرة على نفسك، سأغير أعطية مريرتك. أرى بأنك بللتها، ولا بد أنها أصبحت غير مريحة. وسأغير لك أيضاً. ولا بد أنك ستكون جائعاً، يمكنني أن أقدم لك بعض الحساء. وربما بعض الخبز المحمّص غير المدهون بالزبدة. ولكن، قبل أن تحرقها، يا بول، لا يسعني فعل أي شيء. أنا آسفة".

كان لسانه يريد أن يقول *أجل! أجل، حسناً! ولهذا السبب اعض عليه*. فأعرض عنها من جديد، بعيداً عن العلبة الكرتونية المغرية والمثيرة للجنون، والكبسولات البيضاء المغلفة بورق معدني شفاف ولامع. قال بول: "أنت الشيطان".

توقّع مجدداً أن تثور ثائرتها لكنه لم يُقابَل إلا بضحكة متسامحة، تحمل في طياتها غضباً مكبوتاً.

"أوه نعم، نعم! هذا ما يعتقده الطفل عندما تدخل أمه إلى المطبخ وتراه يلعب بسائل التنظيف تحت المغسلة. إنه لن يقولها *بهذا* الأسلوب، بالطبع، لأنه لا يملك ثقافتك، بل سيقول ببساطة، 'مامي، أنت لئيمة!'"

أزاحت يدها شعره من على جبهته الحارة. ثم مررت أصابعها

إلى خده ورقبته ثم ضغطت قليلاً على كتفه بحنو قبل أن تبعدها عنه.

تشعر الأم بسوء بالغ عندما يقول طفلها بأنها لئيمة أو إذا بكى مطالباً بما أبعد عنه، كما تفعل أنت الآن. لكنها تعلم بأنها محقة، ولذلك فهي تقوم بواجبها، كما أقوم أنا بواجبي".

نقرت أني بمفصل إصبعها على المخطوطة ثلاث مرات مصدرة ثلاث دقات مكتومة. 190,000 كلمة وخمس أرواح كان بول شيلدون يهتم لأمرها كثيراً عندما كان بحال جيدة وخالياً من الألم، 190,000 كلمة وخمس أرواح يجدها الآن قابلة للاستغناء عنها مع كل دقيقة تمر.

الأقراص. الأقراص. كان عليه أن يحصل على الأقراص اللعينة. الأرواح كانت مجرد لخبلة، أما الأقراص فلا. كانت أشياء حقيقية.

"بول؟"

قال باكياً: "لا!"

"بول؟"

"لا!"

"إنني أنتظر يا بول".

أوه، صحيح الله لماذا تقوم بهذا! النور اللعين الذي يشبه دور الراديو عند الجسر! ومن ذا الذي تريد التأثير عليه؟ هل تظن بأنه فيلم سينمائي أو برنامج تلفزيوني وأنت ستنال علامة على شجاعتك من قبل بعض المشاهدين؟ يمكنك أن تقوم بما تريده منك أو يمكنك المقاومة. وإذا قاومت فستموت وستحرق المخطوطة على أي حال. ماذا ستفعل إذن، تضجع هنا وتعاني من أجل كتاب سيبيع نصف عدد النسخ التي باعها أقل كتب ميزري نجاحاً؟ وأي منها سيرضي بيتر تريسكوت بالكتابة عنه بأسلوبه الاستخفافي الرفيع عندما سيراجعها لصالح إلهة الأدب العظيمة، نيوزويك؟ هيا، هيا، تعقّل! حتى غاليليو تراجع عندما عرف بأنهم كانوا سيقطعون ما برؤوسهم!

بول، إنني أنتظر. يمكنني الانتظار طوال اليوم. بالرغم من أنني

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

أشك بأنك قد تدخل في غيبوبة بعد فترة ليست بالطويلة. أعتقد بأنك تمر في حالة قريبة من السبات الآن، ولديّ الكثير من..."

خفت صوتها بشكل تدريجي.

نعم! أعطني علبة الثقاب! أعطني مشعل الغاز؟ أعطني شحنة من السنابالم! سأسقط قنبلة نووية تكتيكية عليها إذا كان ذلك هو ما تريدين، أيتها العجوز اللعينة!

هكذا تكلم الانتهازي، الراغب بالبقاء. لكنّ جزءاً آخر منه، كان يتداعى الآن، بدأ بالنواح في الظلمة: *مائة وتسعون ألف كلمة! خمس أرواح! سنتان من العمل! وماذا كانت النتيجة الفعلية: الحقيقة! ماذا عرفت عن الحقيقة اللعينة!*

صرّت نوابض المرير عندما نهضت أني.

"حسناً، أنك ولد صغير عنيد جداً، لا بد أن أعترف بذلك، ولأنا لا أستطيع الجلوس بجانب سريرك طوال الليل، إلا بقدر ما أحب! على أي حال، كنت أقود سيارتي لمدة تقارب الساعة، محاولة الإسراع للعودة إلى هنا. سأمر بك بعد قليل لأرى إذا كنت قد غيّرت رأيك."

صاح في وجهها: "لتحرقيها! أنت إذن!"

استدارت ونظرت إليه. "لا. لا يمكنني أن أفعل ذلك، مع أنني أود ذلك، كي أعفيك من العذاب الذي تشعر به".

"لم لا؟"

قالت بأسلوب بليغ: "لأنك، يجب أن تفعل ذلك بكامل إرادتك الحرة".

عندئذ بدأ بالضحك، فأظلم وجهها للمرة الأولى منذ رجوعها، ثم غادرت الغرفة حاملة المخطوطة تحت ذراعها.

18

عندما عادت بعد ساعة، أخذ علبة الثقاب.

وضعت ورقة العنوان على الشواية. حاول إشعال أحد الأعواد لكنه لم يستطع، لأن العود كان يخطئ الجانب الخشن أو يسقط من يده.

لذا أخذت أني العلبة وأشعلت العود ووضعت العود المشتعل في يده فلامسه مع طرف الورقة ثم ترك العود يسقط في حوض الشواية وراقب، مبهوراً، اللهب وهو يتذوق الورقة في البداية ثم يلتهمها. كانت تحمل شوكة خاصة بالشوي بيدها هذه المرة، دفعت بها الورقة عندما بدأت بالتجعد لتدخل في شقوق الشواية.

قال بول: "سيتطلب هذا الأمر العمر كله، أنا لا أستطيع –"

"لا، ستجعل العملية أسرع، ولكن، عليك أولاً أن تحرق بضع ورقات منفردة يا بول؛ كدليل على تفهمك".

وضعت حينئذ الصفحة الأولى من *سيارات سريعة* على الشواية، تذكّر كلمات كتبها قبل نحو أربعة وعشرين شهراً في منزله في نيويورك: "إنك أملك صحلات". فكان تومي بوناسارو، وهو يصعد باتجاه *الطبقة التي كانت تقول عبر درجات السلم*، "وأنا بطيء التعلّم، ولكنني سائق سريع".

أوه، ما حصل استحضر ذلك اليوم كما تستحضر أغنية شهيرة قديمة في الراديو. تذكّر تجوّله من غرفة إلى غرفة في أرجاء الشقة، مليئاً بكتاب، بل أكثر من مليء، حاملاً بكتاب، هناك كانت آلام المخاض، تذكّر إيجاد إحدى حمالات الصدر الخاصة بجوان تحت وسادة المقعد في وقت سابق من ذلك اليوم، وكان قد مضى على غيابها ثلاثة أشهر كاملة، الأمر الذي يريك نوع العمل الذي تقدمه خدمة التنظيف؛ تذكّر سماع حركة المرور في نيويورك، وبشكل أضعف، صوت القرع الرتيب لجرس إحدى الكنائس يدعو المؤمنين للقداس.

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

تذكّر جلوسه استعداداً للكتابة.

وكما هو الحال دائماً، الراحة المباركة التي يعطيك إياها البدء من جديد، شعور يشبه السقوط في حفرة مليئة بالضوء الساطع.

وكما هو الحال دائماً، الكآبة التي كانت تسيطر عليه لمعرفته بأنه لن يكتب بالجودة التي يريد أن يكتب بها.

وكما هو الحال دائماً، الرعب من عدم تمكنه من الانتهاء، ومن اصطدامه بجدار صلب.

وكما هو الحال دائماً، الشعور الرائع الباعث على البهجة الذي يمنحه الانطلاق في رحلة.

نظر إلى آني ويلكس وقال بوضوح، ولكن بصوت منخفض: "آني، أرجوك لا تجبريني على فعل ذلك".

أمسكت علبة الثقاب أمامه دون حراك وقالت: "يمكنك فعل ما تختاره".

وهكذا أحرق كتابه.

19

جعلته يحرق الصفحة الأولى، والأخيرة، وتسعة أزواج من الصفحات من أماكن متعددة من المخطوطة؛ لأن الرقم تسعة – على حد قولها – يرمز إلى القوة، وضعف الرقم تسعة يرمز إلى الحظ. ولاحظ أنها استخدمت قلماً خاصاً لإخفاء المقاطع البذيئة، بقدر ما استطاعت قراءته من المخطوطة على الأقل.

"الآن"، قالت، عندما انتهى من إحراق الأزواج التسعة من الصفحات. "لقد كنت ولداً صالحاً وذا روح رياضية، وأنا أعلم بأن هذا الأمر يؤلمك بقدر ما تؤلمك سالك تقريباً ولهذا السبب لن أجعل الأمر يطول أكثر من ذلك".

نزعت الشواية ووضعت بقية المخطوطة داخل الحوض، وهي تسحق الأوراق المجعّدة المسودّة التي أحرقها بول سابقاً. امتلأت الغرفة برائحة الثقاب والورق المحروق الكريهة. فصارت تشبه رائحة غرفة استراحة ... – قال في نفسه – ولو كان هناك أي شيء في قشرة الجوز التي كانت ذات مرة تُسمّى معدته، لتقيأ بالتأكيد.

أشعلت عوداً آخر ووضعته في يده، وبطريقة ما تمكّن من الانحناء وإسقاط العود في حوض الشواية. لم يعد لذلك أهمية بعد الآن، لم يعد لذلك أهمية.

وكزته بيدها.

فتح عينيه بإعياء.

"لقد انطفأ". فأشعلت عوداً آخر ووضعته في يده.

وهكذا، تمكّن مرة أخرى من الانحناء إلى الأمام، موقظاً منشاراً كهربائياً صدئاً في ساقيه بفعله ذلك، ولامس العود مع طرف كومة المخطوطة. هذه المرة، انتشر اللهب بدلاً من الانكماش والخمود حول عود الثقاب.

استند إلى ظهره، عيناه مغلقتان، مصغياً لصوت الطقطقة، ومستشعراً بالحرارة المصاحبة.

صاحت بفزع: "يا الله!"

فتح عينيه فرأى قصاصات الورق المتفحّمة تتطاير فوق الشواية بفعل الهواء المسخّن.

خرجت آني بتثاقل من الغرفة. ثم سمع صوت ارتطام ماء حنفيات حوض الحمام بدلو المسح. جلس يراقب بغير اكتراث قطعة سوداء من المخطوطة تطير في الغرفة وتحط فوق واحدة من الستائر الشفافة. انطلقت شرارة قصيرة – تساءل في نفسه في هذه المدة القصيرة إذا كانت الغرفة ستشتعل بالنار – ومضت لمرة واحدة ثم انطفأت، مخلّفة ثقباً صغيراً يشبه حرق السيجارة. انتشر الرماد على السرير، وحط

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

بعض منه على ذراعه، لكنه لم يكترث للأمر. لسبب أو لآخر لم يعد يكترث.

عادت أني. كانت عيناها تحومان في كل أرجاء الغرفة محاولةً اقتفاء المسار المتأرجح لكل من القصاصات المتقحمة المتطايرة. كان اللهب يستعر ويضطرب فوق حافة الشواية.

"يا الله!" قالت مرة أخرى، وهي تحمل الدلو وتلتفت حولها، محاولة أخذ قرارها أين ستقذف بمحتواه، أو إذا كانت ثمة حاجة لقذفه أساساً. كانت شفتاها ترتجفان، مبللتين باللعاب. وبينما كان بول يراقبها، اندفع لسانها من بين شفتيها ولمّعهما بسرعة خاطفة. "يا الله! يا الله!" بدا أن ذلك كان كل ما تستطيع قوله.

حتى وهو محصور بين فكي ملزمة الضاغطة، شعر بول بسعادة غامرة؛ هذا هو شكل أني ويلكس عندما تكون مذعورة. لقد أحب ذلك المنظر.

طارت ورقة أخرى، هذه المرة كانت تطير مع ذيول صغيرة من اللهب الأزرق الخافت، الأمر الذي دفعها لاتخاذ قرارها. فصبّت الماء في الحوض بحذر، مع "يا الله!" أخرى. صدر صوت فحيح مشع وارتفع عمود من الدخان. وانبعثت رائحة تفحّم رطبة ومكروهة.

عندما خرجت من الغرفة، تمكّن من الاتحاء لمرة أخيرة بالاستناد إلى مرفقه، ونظر إلى حوض الشواء فشاهد شيئاً يشبه جذعاً خشبياً متفحماً طافياً في بركة مائحة.

بعد قليل، عادت آني ويلكس.

كانت تتدثر، على نحو يثير الدهشة.

أجلسته ودفعت أقراص الدواء في فمه.

ابتلع الأقراص ثم استلقى على ظهره، مفكراً: سأقتلها.

20

"كُـلْ". قالت من مكان بعيد، فشعر بألم واخز. فتح عينيه فرآها جالسة بجانبه. للمرة الأولى شعر بأنه كان على نفس المستوى معها، وجهه مقابل وجهها. فأدرك بدهشة صبيانية أنه كان للمرة الأولى منذ دهر من الزمان جالساً أيضاً... كان يجلس بشكل حقيقي.

من بيالي؟ قال في نفسه ثم ترك عينيه تنغلقان مرة أخرى. كان المد موجوداً. والوتدان مغموران. لقد جاء المد أخيراً، وفي المرة المقبلة قد ينحسر إلى الأبد ولهذا السبب فهو سيركب الأمواج طالما أن الأمواج موجودة ليركبها. يمكنه أن يفكر في أمر الجلوس لاحقاً...

"كُلْ!" قالت مجدداً، وأعقب ذلك عودة للألم. طنّ الألم في الجانب الأيسر من رأسه، فجعله يئن ويحاول الابتعاد عنها.

"كُلْ يا بول! عليك أن تستيقظ من نومك كي تأكل وإلا..."

قرصت شحمة أذنه.

قال مهمهماً: "حسناً، حسناً! لا تشديها، حباً بالله!"

أرغم نفسه على فتح عينيه. كان يشعر بأن هناك كتلة من الإسمنت معلقة بكل جفن من جفنيه. وعلى الفور أصبحت الملعقة في فمه مفرغة حساء ساخناً داخل حلقه. ابتلعها كي لا يختنق.

فجأة، ومن العدم، ظهر إلى العيان "ملك الجوع"! *لم يسبق أن رأيت، سيداتي وسادتي، عودة أكثر مثاراً للدهشة من هذه العودة!* كأن تلك الملعقة المليئة بالحساء أيقظت أحشاءه من غيبوبتها. فأخذ يزدرد ما تبقى من الحساء بقدر ما كانت تستطيع إفراغه في فمه، وكأن جوعه كان يزداد، بدلاً من أن يقل، كلما التهم المزيد من الحساء.

تذكّر بشكل ضبابي أني تُخرج بسرعة الشوّالة الشريرة والدخان يتصاعد منها ثم دأبي بشيء اعتقد بأنه - نظراً لحالته الخدرة والذابلة - عربة تموين. لم تدهشه هذه الفكرة، كما أنها لم تثر تساؤلاته، فهو في

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

النهاية زائر في بيت آني ويلكس. وفي بيت آني ويلكس يمكنك أن تتوقع أي شيء، شوّايات، عربات تسوق، وربما غداً آلة ضبط زمن ركن السيارات أو حتى راساً نووياً.

ثم غاب عن الوعي بعد ذلك. لكنه أصبح يدرك في ذلك الوقت بأن عربة التسوق لم تكن سوى كرسي متحرك مطوي. كان يجلس فيه، وكانت ساقاه المجبّرتان بارزتين أمامه، ومنطقة حوضه المتورمة تشعره بعدم الارتياح، وهو لم يكن سعيداً بوضعه الجديد.

وضعتني فيه عندما كنت ما أزال غائباً عن الوعي. فكّر في نفسه. *كيف رفعت وزني الثقيل؟ يا الله، لا بد أنها قوية.*

قالت آني: "انتهيت! أنا مسرورة لرؤيتك تتناول الحساء بهذه الطريقة يا بول. أعتقد بأنك ستتعافى. لا أقول بأنك ستعود إلى حالتك السابقة – للأسف لا – ولكن، إذا لم نشهد مزيداً من هذه... هذه *المشاكل المؤسفة*... فأنا أعتقد بأنك سوف تتحسن بشكل جيد. والآن، سأغيّر سريرك المقرف القديم هذا، وعندما أنتهي من فعل ذلك، سأغيّر قرفك أنت أيضاً، وبعد ذلك، إذا لم تكن تشعر بألم كبير وما تزال تشعر بالجوع، سأدعك تتناول بعض الخبز المحمص".

قال بتواضع: "شكراً لك آني. وفكر: *ارفقي بي، لو بإمكانك. سأعطيك فرصة لكي تلعقي شفتيك وتقولي "يا الله!" ولكن، لمرة واحدة فقط، يا آني.*

لمرة واحدة فقط.

21

بعد أربع ساعات عاد إلى سريره. كان باستطاعته حرق كل كتبه مقابل حبة فوفريل واحدة فقط. لم يزعجه الجلوس أبداً أثناء تناوله الحساء – ليس بوجود كمية كافية من القذارة في دمه – لكن الجلوس

يجعله يشعر الآن وكأن حشداً كبيراً من النحل أُطلق في النصف السفلي من جسده.

صرخ بصوت عالٍ. لا بد أن الطعام قد تسبّب بشيء ما له، لأنه لم يتذكر بأنه كان قادراً على الصراخ بهذا الشكل منذ أن خرج من الغيمة السوداء.

أحس بأنها كانت واقفة في الرواق خارج باب غرفة النوم لمدة طويلة قبل أن تدخل إلى الغرفة. كانت جامدة، فاقدة للحياة، تنظر بدون أي تعبير إلى مقبض الباب أو ربما إلى خطوط يديها.

"خذ". أعطته دواءه. كبسولتان فقط هذه المرة.

ابتلعهما، ممسكاً بمعصميها كي يحافظ على الكأس ثابتة.

قالت وهي تنهض: "جلبت لك هديتين من البلدة".

قال بصوت متحشرج: "صحيح؟"

أشارت بيدها إلى الكرسي المتحرك القابع في الزاوية بدوّاستيه اللولابيتين البارزتين أمامه.

"سأريك الهدية الأخرى غداً. الآن، خذ قسطاً من النوم يا بول".

22

لكن النوم لم يأته لفترة طويلة. راح يطوف بفعل الدواء المسكّن ويفكر في وضعه. بدا الأمر أكثر سهولة حينئذ. كان التفكير في وضعه أكثر سهولة من التفكير في الكتاب الذي ألّفه ثم حوّله إلى عدم.

أشياء... أشياء منفصلة مثل قطع من القماش تُجمع معاً من أجل صنع لحاف.

كانا يبعدان أمياله عن الجيران الذين، على حد قول آني، لا يحبونها. ماذا كان اسمهم؟ بوينتون. لا، *رويدمان*. هذا هو. رويدمان. وكم كانوا يبعدون عن البلدة؟ ليس بعيداً جداً، بالتأكيد. كان موجوداً في

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

دائرة يبلغ قطرها حوالى خمسة عشر ميلاً، أو خمسة وأربعين ميلاً كحدٍ أقصى. كان منزل آني ويلكس يقع في تلك الدائرة، وكذلك آل روبدمان، ومركز البلدة في سايدوبندر.

وسيارتي. سيارتي الكامارو تقع في مكان ما من تلك الدائرة أيضاً. هل وجدتها الشرطة؟

لم يعتقد ذلك. لأنه إذا وُجدت سيارة فيها بطاقات مسجلة باسمه، وهو الكاتب الشهير، فإن مجرد تحقيق أولي بسيط كان سيكشف بأنه كان موجوداً في مدينة بولدر ولختفى عن الأنظار منذ ذلك الحين. إن اكتشاف سيارته المحطمة والفارغة كان سيستدعي على الفور بحثاً واسعاً عنه، وقصصاً في الأخبار...

إنها لا تشاهد الأخبار أبداً على التلفاز، ولا تستمع إلى الراديو إلا إذا كانت تملك واحداً بيماعقين.

كان تلفازاً يشبه إلى حدٍ ما ذلك الكلب في قصة شارلوك هولمز: الكلب الذي لم يكن ينبح. لم تُكتشف سيارته لأن الشرطة لم تأت. لو أنهم وجدوها، لفتشوا كل شخص في دائرته الافتراضية تلك، أليس كذلك؟ وكم عدد الناس الذين يمكن أن يتواجدوا في مثل هذه الدائرة، هنا بالقرب من قمة منحدرات ويسترن سلوب؟ آني ويلكس، وآل روبدمان، وربما عشرة أو اثنا عشر شخصاً آخرين؟

ومجرد أنها لم تُكتشف حتى الآن لا يعني بأنه لن يُعثر عليها.

سيطرت عليه محيلته الخصبة (التي لم يرثها من أي طرف من عائلة أمه) الآن. كان الشرطي طويل القامة، ووسيماً ولكن بمظهر بارد، وكان سالفاه أطول قليلاً من المعتاد. كان يرتدي نظارات سوداء يمكن للشخص المستجوب أن يرى وجهه في كل عدسة منها. وكان يتكلم بلهجة الغرب الأوسط الرتيبة.

لقد وجدنا سيارة مقلوبة أسفل جبل هسبغي تعود لكاتب مشهور يُدعى بول أمليتون. هناك بعض الدماء على المقاعد ولوحة القيادة،

ولكن لا يوجد أي أثر له. لا بد أنه زحف إلى الخارج، أو ربما حمل مُنقذه بفعل تشوشه –

كانت تلك نكتة بالطبع، نظراً لحالة ساقيه، ولكن، من أين لهم أن يعرفوا نوع الإصابات التي لحقت به. كانوا سيفترضون بأنه إذا لم يكن موجوداً هناك، فلا بد أنه كان بحالة تسمح له بالابتعاد قليلاً على الأقل. لم يكن سياق استنتاجاتهم ملائماً بحيث يوصلهم إلى احتمال بعيد مثل الخطف، ليس في البداية على الأقل.

هل تتذكرين أنك شاهدت شخصاً على الطريق يوم العاصفة؟ رجل طويل القامة، في الثانية والأربعين من عمره، بني الشعر؟ ربما كان يرتدي بنطال جينز أزرق وقميصاً صوفياً أو قطنياً ناعماً ذا مربعات بسترة بلفسون؟ وربما بدا متورماً وعليه بعض الكدمات؟ اللعنة، لعله لم يكن يعرف من هو؟

قدمت آني القهوة في المطبخ، وحرصت على إغلاق كل الأبواب التي تفصل بين المطبخ وغرفة النوم الإضافية، لحسب أي أنين قد يصدر.

لماذا، لا يا سيدي، لم أرَ أي شخص على الإطلاق. في الواقع، لقد عدت من البلدة حالما أعلمني تومي روبرتس بأن عاصفة قوية ستتحول باتجاه الجنوب في نهاية المطاف.

وضع الشرطي فنجان القهوة على الطاولة ثم وقف، وقال: *حسناً، إذا رأيت أي شخص تنطبق عليه هذه المواصفات، سيدتي، أرجو أن تتصلي بنا بأسرع ما يمكن. إنه شخص مشهور جداً. ظهر في مجلة بيبل، وفي بعض المجلات الأخرى أيضاً.*

سأفعل بالتأكيد يا سيدي!

ثم ذهب.

لربما حدث شيء يشبه هذا من قبل ولم يعلم به. لربما زار زملاء شرطيه التخيلي الحقيقيون آني عندما كان مخدراً. يعلم الله كم أمضى من الوقت وهو مخدر. إنه ليس جو بلو من كوكومو، مجرد شخص

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

مستفاخر لمع نجمه لفترة قصيرة ثم انطفأ. لكن المزيد من التفكير أقنعه بأن ذلك غير مرجح. لأنه ظهر في مجلة بيبل (أفضل القصص مبيعاً)، وفي مجلة اس (أول طلاق)، كما أثيرت قضية حوله ذات يوم أحد في مجلة برسوناليتي بارييد. ولهذا السبب، لا بد أن تجري إعادة استقصاء عنه، ربما عن طريق الهاتف، أو ربما بواسطة رجال الشرطة أنفسهم. عندما يختفي أحد المشاهير – حتى شبه مشهور مثل كاتب – فإن الاهتمام يبلغ أقصاه.

إنك تخمّن فقط يا رجل.

ربما أخمن، وربما أستنتج. على أي حال، إنه أفضل من الاستلقاء هنا وعدم القيام بأي شيء.

وماذا عن حواجز الأمان التي توجد على جانبي الطريق؟

حاول أن يتذكر لكنه لم يستطع. استطاع فقط أن يتذكر محاولة الوصول إلى سجائره، ثم الطريقة الغريبة التي استبدلت فيها الأرض والسماء موقعيهما، ومن ثم الظلمة. مرة أخرى، جعل الاستنتاج (أو التخمين المتقف، إذا أردت أن تكون متعجرفاً) الأمر يبدو وكأنه لم تكن هناك أية حواجز أمان طرقية. لأن هذه الحواجز كانت ستثير انتباه دوريات الشرطة فيما لو تحطمت أو اقتلعت من مكانها.

إذن، ماذا حصل بالضبط؟

لقد فقد السيطرة في مكان ما ليس فيه كثير من الانحدار، بل فقط ما يكفي من الانحدار للسماح للسيارة بالانقلاب. لأنه لو كان الطريق أكثر انحداراً، لتوجب وجود حواجز أمان طرقية. إضافة إلى ذلك، لو كان الطريق أكثر انحداراً، لوجدت آني ويلكس صعوبة، وربما استحالة، في الوصول إليه، دع عنك مسألة جرّه ثانية إلى الطريق بنفسها.

إذاً، أين كانت سيارته؟ مدفونة في الثلج، بالطبع.

وضع بول ذراعه على عينيه فشاهد كاسحة الثلج تصعد الطريق في المكان الذي تحطمت فيه سيارته قبل ساعتين فقط. الكاسحة تبدو مثل

بقعة برتقالية باهتة بين الثلج المتساقط في نهاية ذلك النهار. والرجل الذي يقود الكاسحة ملفعاً بالثياب حتى عينيه، ويعتمر قبعة زرقاء وبيضاء قديمة الطراز تشبه القبعات التي كان عمال سكك الحديد يعتمرونها فيما مضى. وعلى يمينه، أسفل منحدر غير عميق لكنه على مقربة من واد أكثر عمقاً مثل الوديان التي تتميز بها المناطق الداخلية عادة، تقبع سيارة بول شيلدون الكامارو، مع لاصقة زرقاء باهتة على المصد الخلفي كُتب عليها "هارت رئيساً" [أي غاري هارت رئيساً للولايات المتحدة]. والشخص الذي يقود كاسحة الثلج لا يرى السيارة، لأن لاصقة المصد باهتة جداً إلى درجة أنها لا تثير انتباه العينين. كما أن الأستان الموجودة على جناح الكاسحة تسد معظم رؤيته الجانبية، بالإضافة إلى ذلك أن الظلام كان قد حل تقريباً وهو مرهق جداً. وكل ما يريده هو الانتهاء من هذه الدورة الأخيرة وإطفاء الكاسحة واحتساء كأس من الشراب الساخن.

يتجاوز السائق الكامارو، مفتتاً بكاسحته الثلج ودافعاً إياه إلى الوادي. والكامارو، المائلة باتجاه النوافذ، مغطاة الآن حتى خط سقفها. فيما بعد، في أحلك فترة من الغسق العاصف عندما تكون حتى الأشياء الواقعة مباشرة أمام عينيك تبدو غير حقيقية، يمر بها سائق النوبة الثانية في الاتجاه المعاكس ويدفنها تماماً.

فتح بول عينيه ونظر إلى السقف الجصّي. كانت هنالك تشققات دقيقة تبدو وكأنها حروف W متداخلة. كان قد اعتاد عليها على مر الأيام الطويلة التي أمضاها هنا مستلقياً منذ خروجه من غيبته، وها هو الآن يتعقبها بنظره ثانية، مفكراً بشكل عبثي بالكلمات التي تبدأ بحرف W.

نعم.

من الممكن أن يكون قد حصل الأمر على هذا النحو. من الممكن.

هل فكّرت في ما يمكن أن يكون قد حدث عندما وُجدت سيارته؟

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

ربما فعلت ذلك، صحيح أنها مختلة، ولكن، كونها مجنونة لا يعني بأنها غبية.

مع ذلك، فهي لم يخطر ببالها قط أنه ربما يملك نسخة ثانية من **سيارات سريعة**.

أجل. وهي كانت محقة. *القاهرة كانت محقة. أنا لا أملك نسخة أخرى.*

طافت بذهنه صور الصفحات المتفحمة وهي تتطاير في الهواء، وألسنة اللهب، والأصوات، ورائحة الدخان. فصرّ على أسنانه وأغلق عينيه محاولاً صرف ذهنه عنها؛ لم تكن المخيلة النابضة بالحياة جيدة على الدوام.

لا، لم تفعل ذلك. لكن تسعة من بين عشرة كتاب يحتفظون بنسخ إضافية عن أعمالهم؛ على الأقل كانوا سيفعلون ذلك فيما لو كانوا يتقاضون الأجر الذي كنت تتقاضاه حتى على الروايات الأخرى غير ميزري. إنها لم تفكر بذلك أبداً.

إنها ليست كاتبة.

ولا هي غبية أيضاً، أعتقد بأنني وافقت منذ زمن على ذلك. إنها مجنونة بذاتها؛ إنها لا تملك مجرد أنا متضخمة، بل أنا معقدة بالمعنى الإيجابي للكلمة. لقد بدا أمر إحراق المخطوطة مناسباً بالنسبة لها، وفكرة الأمر المناسب قد تكون تعرضت لهفوة تافهة كما يحصل مع ماكينات زيروكس المصرفية عندما يدخل في تغيها زوج من أرباع الدولارات معاً... هذه النقطة لم تخطر ببالها ببساطة يا صديقي.

قد تكون استنتاجاته السابقة أشبه بأبنية شُيّدت فوق رمال متحركة، لكنّ رأيه هذا في أني ويلكس بدا بالنسبة إليه مقنعاً وصلباً مثل جبل طارق. كان بول يملك، بفضل أبحاثه التي أجراها أثناء كتابة رواية ميزري، فهماً أكثر عمقاً للاضطرابات النفسية والاضطرابات الذهانية من فهم الإنسان العادي، وكان يعلم بأنه على الرغم من أن المريض

النفسي الذي يقع بين كلتا الفئتين قد يمر بفترات متناوبة من الإحباط العميق والمرح الأقرب إلى الهذائية، إلا أن **الأنا** المصابة أو المنتفخة تعاني من كل هذه الاضطرابات معاً، فهي تكون على يقين بأن كل الأعين تلاحقها، أو تكون متيقنة من أنها نجم في مسرحية عظيمة، وماذا تكون النتيجة، شيئاً ينتظره ملايين المتلهفين بأنفاس محبوسة.

مثل هذه **الأنا** منعت ببساطة مثل هذه الطرق في التفكير. كانت هذه المقاربات قابلة للتكهن بها لأنها كلها تمتد في الاتجاه نفسه: من الشخص المضطرب إلى الأشياء، أو الظروف، أو الأشخاص الآخرين خارج نطاق سيطرته (أو الخيال: بالنسبة للمريض النفسي قد تكون هناك بعض الفوارق لكنها كلها متشابهة بالنسبة للمريض الذهاني).

كانت آني ويلكس تريد تدمير **سيارات سريعة**، ولهذا السبب لم يكن هناك، بالنسبة لها، إلا نسخة واحدة عنها.

لربما كان بإمكاني إنقاذ المخطوطة اللعينة لو أنني أخبرتها بوجود المزيد من النسخ. لأنها كانت ستجد إحراق المخطوطة أمراً عبثياً.

انحبس نفسه – الذي كان يتباطأ جراء شعوره بالنعاس – فجأة في حلقه وفتح عينيه متنبهاً من فكرته هذه.

نعم، إنها كانت ستجد الأمر عبثياً. كانت ستُرغم على التسليم بواحدة من طرق التفكير تلك التي ستؤدي إلى مكان يقع خارج نطاق سيطرتها. ستتأذى **الأنا** حينئذ.

لديّ مثل هذا المزاج!

ولو أنها وُوجهت بحقيقة أنها لا تستطيع تدمير كتابه القذر، ألا يمكن أن يدفعها ذلك إلى تدمير مبتدع الكتاب القذر بدلاً منه؟ فليس هناك سوى نسخة واحدة من بول شيلدون، على أي حال.

كان قلبه ينبض بسرعة. وفي الغرفة الأخرى، بدأت الساعة تدق، وسمع صوت وقع أقدامها فوق سقف غرفته. ثم صوت تبوّلها الخافت. وتدفق الماء في المرحاض. ووقع أقدامها الثقيلة أثناء رجوعها إلى

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

السرير. وصرير النوابض.

إنك لن تعضني ثانية، أليس كذلك؟

بدأ ذهنه يحاول الجري بسرعة، مثل مهرول منهك يحاول تسريع خطواته. ما علاقة كل هذا التحليل النفساني الضعيف بسيارته؟ متى وُجدت؟ ماذا كانت تعني بالنسبة إليه؟

"انتظر لحظة". همس لنفسه في الظلام. "انتظر لحظة، انتظر لحظة، أبق الخط مرفوعاً. انتظر قليلاً".

وضع ذراعه على عينيه مرة أخرى، ومرة أخرى استحضر حالة الشرطي ذي النظارات السوداء والسالفين الطويلين. لقد وجدنا سيارة مقلوبة أسفل جبل صنوبي، يقول الشرطي، إلخ...

هذه المرة فقط لم تدفعه إلى البقاء من أجل شراب القهوة. هذه المرة، إنها لا تشعر بالأمان حتى يخرج من منزلها ويمضي بعيداً. حتى وهما في المطبخ، حتى بوجود بابين مغلقين بينهما وبين غرفة الضيوف، حتى والضيف مخدر كلياً، قد يسمع الشرطي تأوهاً.

لو وُجدت السيارة، لكانت آني ويلكس متشعر بأنها في ورطة، أليس كذلك؟

همس بول: "أجل". بدأت ساقاه تؤلمانه من جديد، لكنه بالكاد لاحظ ذلك في ظل الرعب الذي تولّد من اكتشافه هذا.

إنها ستكون في ورطة ليس لأنها جلبته إلى منزلها، وخاصة إذا كان أقرب من سايدويندر (وهذا ما يعتقده بول). كانوا سيقدمون لها، مقابل ذلك، ميدالية تقديرية وعضوية دائمة لمدى الحياة في "نادي المعجبين بميزري تشاستين" (وقد كان هناك شيء من هذا القبيل بالفعل، الأمر الذي كان يزعج بول كثيراً). لكن المشكلة تكمن في أنها جلبته إلى منزلها ووضعته في غرفة الضيوف دون أن تخبر أحداً بذلك. المشكلة هي أنها ملأته بالمخدرات التي لم يكن من المفترض أن تملك الحق باستخدامها بهذه الحرية، وخاصة لأنه ليس ذلك المدمن الذي كان

يعتقد. المشكلة هي أنها اتبعت مع التخدير معالجة من نوع غريب، حيث غرزت إبراً وريدية في ذراعيه، وثبتت ساقيه بقضبان منشورة من عكازين مصنوعين من الألمنيوم. المشكلة هي أن آني ويلكس كانت موجودة على المنصة في دنفر... وليس كشاهدة داعمة، فكّر بول في داخله، *ستراهن بكل ما أملك على ذلك.*

وهكذا، ها هي تراقب الشرطي وهو يقود سيارته النظيفة مبتعداً (النظيفة باستثناء قطع متكتلة من الثلج والملح متعشعشة فوق الإطارات وتحت المصدات)، ثم تشعر بالأمان ثانية... ولكن ليس ذلك الأمان الكبير، لأنها أصبحت الآن مثل حيوان يشعر بالخطر.

رجال الشرطة سيبحثون، ويبحثون ويبحثون، لأنه ليس مجرد جو بلمو العجوز الطيب من كوكومو، بل لأنه بول شيلدون، زيوس الأدب الذي ابتكر ميزري تشاستين، حبيبة واجهات العرض وعزيزة المحال التجارية. لعلهم سيوقفون البحث عنه عندما لا يجدونه، أو على الأقل سيبحثون في مكان آخر، ولكن، لربما شاهدها أحد أفراد عائلة رويدمان وهي تمر في تلك الليلة وشاهدوا شيئاً غريباً في مؤخرة "أولد بيسي"، شيئاً ملفوفاً في بطانية، شيئاً يشبه شكل رجل. وحتى لو لم يشاهدوا أي شيء، إنها لن تؤي آل رويدمان ما يجعلهم يختلقون قصة تزجها في مأزق، فهم لا يحبونها.

ولكن، قد يعود رجال الشرطة، وفي المرة القادمة قد لا يكون الضيف هادئاً كثيراً.

تذكّر عينيها وهما تحومان على غير هدىً في كل أرجاء الغرفة عندما أوشكت الستائر المشتعلة في حوض الشواء على الخروج عن السيطرة. كان بإمكانه رؤية لسانها وهو يرطّب شفتيها. كان بإمكانه رؤيتها وهي تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، عاقدة يديها ثم حالّةً إياهما بالتناوب، مسترقة النظر بين الحين والآخر إلى غرفة الضيوف حيث كان يرقد غائباً في غيمته، قائلة بين الحين والآخر "يا الله!" للغرفة

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

الفارغة.

كانت قد سرقت طيراً نادراً يملك ريشاً باهر الجمال؛ طيراً نادراً آتياً من أفريقيا.

وماذا كانوا سيفعلون لو أنهم وجدوها؟

لماذا، سيضعونها على المنصة ثانية بالطبع. يضعونها على المنصة ثانية في دنفر. وهذه المرة قد لا تفلت من العقاب.

أبعد ذراعه عن عينيه. نظر إلى أحرف الـ W المتشابكة على نحو غير متناسق في السقف. لم يكن بحاجة إلى وضع ذراعه على عينيه كي يتخيل ما تبقى، لعلها احتفظت به ليوم أو أسبوع. لربما تعذّب منها اتخاذ القرار بالتخلص من صيدها الثمين مجرد اتصال هاتفي ثانٍ أو زيارة تحققية. لكنها في النهاية كانت ستقوم بفعلتها، تماماً كما تدفن الكلاب البرية فرائسها غير الشرعية بعد اقتناصها بفترة قصيرة.

قد تعطيه خمس كبسولات من الدواء بدلاً من اثنتين، أو ربما تخنقه بواسطة الوسادة، أو ببساطة تطلق عليه النار. من المؤكد أنه كانت هناك بندقية موجودة في مكان ما – جميع الناس الذين يعيشون في المناطق الجبلية تقريباً يملكون بنادق في منازلهم – وكانت هذه ستحل المشكلة.

لا. ليس البندقية.

إنها تحدث فوضى في المكان.

قد تترك أدلة.

لا شيء من ذلك حدث على أي حال، لأن السيارة لم يُعثَر عليها. لعلهم كانوا يبحثون عنه في نيويورك أو لوس أنجلوس، ولكن، لا أحد كان يبحث عنه في سايدوينتر، كولورادو.

ولكن، في الربيع.

تاهت أحرف الـ W على السقف.

ازداد نبض الألم في ساقيه إلحاحاً. أنت في المرة الثانية التي زنت

فيها الساعة. كان خائفاً من أن تقرأ أفكاره من مجرد رؤية وجهه، مثل مقدمة قصة مرعبة. فشاح ببصره إلى الجهة اليسرى. كان هناك تقويم على الجدار، فيه صورة صبي يركب زلاجة على منحدر. وفقاً للتقويم كان الشهر هو شباط، ولكن إذا كانت حساباته صحيحة فإن التاريخ الصحيح هو أوائل آذار. ببساطة، لقد نسيت أني وليكس أن نقلب الصفحة.

كم سيمضي من الوقت قبل أن يكشف الثلج الذائب سيارته الكامارو بلوحاتها التي تحمل اسم مدينة نيويورك وأوراق تسجيلها التي تشير إلى أن مالكها هو بول شيلدون؟ كم سيمضي من الوقت قبل أن يزورها ذلك الشرطي، أو قبل أن تقرأ الخبر في الصحيفة؟ كم سيمضي من الوقت قبل أن يذوب الربيع الثلج؟

ستة أسابيع؟ خمسة؟

يمكن أن تكون هذه الفترة هي ما تبقى من حياتي، فكر بول في نفسه، وبدأ بالارتجاف. في ذلك الوقت كانت ساقاه متيقظتين تماماً، ولن يتمكن من النوم إلا بعد أن تأتي وتعطيه جرعة أخرى من الدواء.

23

في مساء اليوم التالي أحضرت له الآلة الكاتبة ماركة رويال. كانت من النوع الذي يُستخدَم في المكاتب، وتعود إلى عصر كانت فيه الطابعات الإلكترونية وأجهزة التلفزيون الملونة والهواتف الرقمية مجرد خيال علمي. كانت اللوحات الزجاجية مرفوعة إلى الجانبين، كاشفة أذرع ونوابض وسقّاطات وقضبان الآلة الكاتبة. كان أحد مفاتيح الإعادة الفولانية – الصدئ من قلة الاستعمال – نائتاً إلى أحد جانبيه مثل إصبع من يطلب توصيلة على الطريق. وكانت ناقلة الحركة مكسوة بالغبار، وقطعتها المطاطية القاسية ملبنة بالحفر والندوب. كانت أحرف رويال

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

مكتوبة بشكل نصف دائري على مقدمة الآلة. نخرت آني بينما كانت تضعها أسفل السرير بين قدميه بعد أن أمسكت بها للحظة كي تسمح له بتفحصها.

حدّق في الآلة.

هل كانت تكشر؟

يا الله، بدت وكأنها كانت تكشر.

على أي حال، كانت مسبقاً تبدو بأنها من النوع الذي يخلق المشاكل. الأنشوطة مكونة من لونين ياهتين، الأحمر والأسود. لقد نسي أنه كانت هناك مثل هذه الأنشوطة، لكن منظرها استحضر حنيناً غير سار.

"حسناً؟" كانت آني تبتسم بحماس. "ما رأيك؟"

قال في الحال: "جميلة! أنتيكة حقيقية".

تلاشت ابتسامتها. "لم أشترها كأنتيكة. اشتريتها من أجل أمر آخر. أمر آخر جيد".

رد بسرعة وبمكر. "هاي! لا توجد آلة كاتبة كأنتيكة. إن الآلة الكاتبة الجيدة تدوم إلى الأبد تقريباً. هذه الجملات المكتوبات مثل *البدايات!*"

لو كان بإمكانه الوصول إليها لربّت بيده عليها، *وقبّلها* أيضاً.

عادت ابتسامتها من جديد. فانخفضت سرعة نبضات قلبه قليلاً.

"لقد حصلت عليها من محل **القطع المستعملة الجديدة**. أليس اسماً سخيفاً لمخزن؟ لكن دانسي دارتمونغر، السيدة التي تديره، امرأة سخيفة بالفعل". ظهرت عليها بعض ملامح الحزن، لكنه عرف مباشرة أنها لم تكن غاضبة منه. قد تكون غريزة البقاء الغريزة الوحيدة القائمة بذاتها، هذا ما كان يكتشفه، لكنها فيما يبدو ابتكرت طرقاً مختصرة مدهشة بالفعل للتفهم. لقد وجد نفسه يتأقلم أكثر فأكثر مع مزاجها المتقلب ولوياتها المتكررة.

"وإضافة إلى كونها سخيفة، إنها سيئة. دارتمونغر! ينبغي أن يكون اسمها *عاهرة مونغر*. طُلّقت مرتين والآن هي تعيش مع *عامل بار*. لهذا السبب هي أنتيكة –"

"تبدو جيدة".

سكتت لبرهة ثم قالت، وكأنها كانت تعترف: "ينقصها حرف النون".

"صحيح؟"

"نعم، أترى؟"

أمالت الآلة الكاتبة إلى الأعلى كي يتمكن من النظر إلى صفوف المفاتيح نصف الدائرية ورؤية الحرف الناقص مثل ضرس ناقص في فم مليء بالأسنان البالية ولكن المكتملة باستثناء هذا الضرس.

"رأيته".

أعادتها إلى وضعها السابق. فاهتز السرير قليلاً. خمّن بول بأن الآلة الكاتبة قد تزن خمسة أرطال. لقد صُنعت في زمن لم تكن فيه خلائط معدنية، ولا مواد بلاستيكية... ولا مقدم ألعاب كتاب مكون من *سبعة أرقام*، ولا جريدة *نيو أس. إي. توديي*، ولا برنامج *انترتينمنت تونايت*، ولا مشاهير يقومون بتصوير إعلانات لبطاقات اعتماد أو الشراب الروسي.

كشّرت الآلة الكاتبة في وجهه، متوعدة بخلق المشاكل له.

"أرادت خمساً وأربعين دولاراً، لكنها حصلت خمس دولارات بسبب الحرف الناقص". ابتسمت له بمكر وكأنها كانت تقول بأنها ليس غبية.

فابتسم لها. كان المد قد عاد حينئذ. وهذا ما جعل الابتسام والكذب أمراً سهلاً. "منحتك خمساً؟ تعنين بأنك لم تساومي؟"

تباهت آني بنفسها قليلاً. "أخبرتها بأن حرف النون هو حرف مهم".

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"أحسنت! اللعنة!" هنا اكتشف شيئاً جديداً. يصبح التملق يسيراً ما إن تتقنه.

تحولت ابتسامتها إلى ابتسامة ماكرة وكأنها كانت تريد أن تشاركه سراً مثيراً للفضول.

"أخبرتها بأن حرف النون هو أحد الأحرف الموجودة في اسم كاتبي المفضل".

"إنه موجود مرتين في اسم ممرضتي المفضلة".

تحولت ابتسامتها إلى إشراقة. وبشكل لا يصدق، احمرّ خداها القاسيان من الخجل. *هكذا سيبدو الأمر عندما تصنع فرناً في فم أحد الأصنام الموجود في قصص هـ. رايدر هاغارد.*

"أيها المخادع!" ابتسمت بتكلف.

قال بول: "لست مخادعاً! مطلقاً".

"حسناً!" أشاحت ببصرها نبرهة. لم تشرد بفكرها، بل كانت مبتهجة فقط ومرتبكة قليلاً، تريد أن تأخذ بعض الوقت لتجمع أفكارها.

قالت: "كان الكرسي المتحرك أغلى ثمناً منها بكثير. لقد تعدت معدات القسطرة منذ أن –" صمتت فجأة وعبست، ثم تجعدت، ثم نظرت ثانية إليه مبتسمة. "ولكن، حان الوقت لكي تبدأ بالعمل. ومن المؤكد أنك لا تستطيع الكتابة وأنت مستلق".

"لا..."

"لديّ لوح... لقد قصصته كي يناسب... وورقة... انتظر!"

اندفعت خارجة من الغرفة مثل بنت صغيرة، تاركة بول والآلة الكاتبة ينظران إلى بعضهما البعض. اختفت ابتسامته في اللحظة التي أدارت فيها ظهرها. لكن الآلة الكاتبة بقيت مكشرة. اعتقد لاحقاً بأنه كان يعرف تماماً ماذا يعني كل ذلك، تماماً كما اعتقد بأنه يعرف كيف سيكون صوت الآلة الكاتبة، وكيف ستتلقط من خلال تكشيرتها التي تشبه تلك الشخصية الكرتونية الهزلية، داكي داندلز.

عادت إلى الغرفة مع رزمة من الورق من ماركة كورسبل بوند ملفوفة بورق سولوفان، ولوح بطول أربعة أقدام وعرض ثلاثة أقدام.

"انظر!" وضعت اللوح على ذراعي الكرسي المتحرك الذي كان يقف بجانب سريره مثل زائر نحيل رصين. كان باستطاعته منذ تلك اللحظة أن يتخيل نفسه وراء ذلك اللوح، محصوراً مثل سجين.

وضعت الآلة الكاتبة على اللوح، بمواجهته، ووضعت رزمة كورسبل بوند – أكثر أنواع الورق الذي يكرهه في العالم وذلك بسبب الطريقة التي تتشوه فيها الكلمات المطبوعة عليه عندما تُجمَع الصفحات مع بعضها البعض – بجانبها. لقد انتهت الآن من تكوين شيئاً يشبه غرفة دراسة لمعاق.

"ماذا؟"

"تبدو جيدة". قال بول، لافظاً أكبر كذبة في حياته بيسر كبير، ثم سأل سؤالاً كان يعرف جوابه مسبقاً. "ماذا سأكتب هناك، برأيك؟"

"أوه، ولكن يا بول!" قالت وهي تستدير نحوه، وعيناها تتراقصان بحيوية في وجهها المحمرّ خجلاً. "لا أعتقد، أعرف! إنك ستستخدم هذه الآلة الكاتبة من أجل كتابة رواية جديدة! روايتك الأفضل! عودة ميزري!"

24

عودة ميزري. لم يشعر بشيء على الإطلاق. افترض بأن رجلاً قطع للتو يده بمنشار كهربائي قد يشعر بنفس شعوره الآن بينما ينظر إلى معصمه الناتئ بدهشة فاترة.

"نعم!" أضاء وجهها مثل ضوء كشاف. ثم شبكت يديها القويتين بين نهديها وقالت: "سيكون الكتاب لي فقط يا بول! إنه أجري على رعايتي لك كي تستعيد عافيتك! النسخة الوحيدة لأحدث روايات

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com

ميزري! سوف أمتلك شيئاً لن يمتلكه أي شخص في العالم، مهما كانت شدة رغبتهم بامتلاكه! فكّر في الأمر!"

"آني، ميزري ماتت". لكنه، وعلى نحو يثير الدهشة، كان يفكر في الأمر، *بإمكاني أن أعيدها إلى الحياة*. أثارت الفكرة الاشمئزاز في نفسه، ولكن بدون أية دهشة حقيقية. في النهاية، إن الرجل الذي يمكنه الشرب من دلو مخصص لمسح الأرض ينبغي أن يكون قادراً على الكتابة مع قليل من التوجيه.

أجابت آني بشكل حالم: "لا، غير صحيح. حتى عندما كنت... عندما كنت غاضبة منك، علمت بأنها لم تكن ميتة فعلاً. علمت بأنه لم يكن بإمكانك أن تقتلها فعلاً. لأنك شخص طيب".

قال بول: "هل أنا كذلك؟" ونظر إلى الآلة الكاتبة، التي ابتسمت له مكشرة. *إذاً سنرى كم أنت طيب بالفعل، أيها الصديق القديم*، قالت الآلة الكاتبة بصوت هامس.

"نعم!"

"آني، لا أعلم إن كنت أستطيع الجلوس على ذلك الكرسي المتحرك. في المرة السابقة –"

"المرة السابقة الماك، ذلك مؤكد. وسيؤلمك في المرة المقبلة أيضاً. وربما أكثر من ذلك قليلاً. ولكن، سيأتي يوم – ولن يكون بعيداً، بالرغم من أنه قد يبدو بالنسبة لك طويلاً أكثر مما هو في حقيقة الأمر – سيصبح الألم أقل، فأقل، فأقل".

"آني، هل يمكنك أن تخبريني بأمر واحد فقط؟"

"بالطبع يا عزيزي!"

"لو كتبت هذه القصة لك –"

الرواية! واحدة جميلة وعظيمة مثل الروايات الأخرى، ربما أعظم!"

أغمض عيناه للحظة، ثم فتحهما. "حسناً، لو كتبت هذه الرواية

لك، هل ستدعينني أرحل عندما أنتهي منها؟"

لوهلة، غطت وجهها سحابة من عدم الارتياح، لكنها ما لبثت أن نظرت إليه بتمعن وحدو. "أنت تتكلم وكأنني أحتفظ بك سجيناً هنا يا بول".

لم يقل شيئاً، واكتفى بالنظر إليها.

"أعتقد بأنه عندما ستنتهي من كتابتها، لا بد أنك ستكون... ستكون قادراً على مقابلة الناس من جديد. أليس هذا ما تريد سماعه؟"

"هذا ما أردت سماعه، نعم".

"حسناً، بصدق! أعرف بأن الكتّاب يملكون ذوات متكبرة، ولكنني أعتقد بأنني لم أفهم أن ذلك يعني جحوداً أيضاً!"

استمر بالنظر إليها، لكنها أشاحت بنظرها عنه، بنفاد صبر وبشيء من العصبية أيضاً.

أخيراً قال لها: "سأحتاج إلى كل روايات ميزري، إذا كنت تملكينها، لأنني لا أملك دليلي".

قالت: "بالتأكيد لنا أمتلكها! ما هو الدليل؟"

"إنه دفتر أحتفظ فيه بكل المعلومات الخاصة بروايات ميزري. الشخصيات، الأماكن، في الغالب، لكنني أضيف ملاحظات أخرى من خلال ثلاث أو أربع طرق مختلفة. جداول زمنية وأمور تاريخية..".

لاحظ أنها بالكاد تستمع إليه. هذه هي المرة الثانية التي أظهرت فيها اهتماماً ضئيلاً جداً بمهارات المهنة التي كانت تأخذ بألباب صف من الكتّاب المستقبليين. والسبب في ذلك، باعتقاده، هو البساطة نفسها. كانت آني ويلكس عيّنة مثالية للجمهور، امرأة كانت تحب القصص بدون أدنى اهتمام بآليات ابتكارها. إنها تجسيد للنموذج الفيكتوري، القارئ المخلص. لم تشأ الاستماع إليه وهو يتحدث عن دليله وملاحظاته لأن ميزري والشخصيات المحيطة بها كانت بالنسبة إليها حقيقية تماماً. لم تكن الملاحظات تعني لها شيئاً. لو أنه كان يتكلم عن إحصاء عدد

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

سكان قرية ما في ليتل دنتورب، لربما أظهرت له بعض الاهتمام.

"سأحرص على أن تحصل على الكتب. إنها بالية قليلاً، لكن ذلك دليل على أنها قُرئت بشكل جيد وأنها محبوبة، أليس كذلك؟"

قال بول: "نعم، لا حاجة للكتب هذه المرة، فعلاً".

قالت بشكل حالم: "سأحاول أن أقرأ حول تغليف الكتب. سأقوم بتغليف عودة ميزري بنفسي. باستثناء إنجيل أمي، سيكون الكتاب الحقيقي الوحيد الذي أملكه".

"هذا جيد". كان يريد فقط أن يقول شيئاً ما. كان يشعر بألم قليل في معدته.

"سأذهب الآن كي تتمكن من التفكير بشكل جيد. إنه أمر مثير! ألا تعتقد ذلك؟"

"نعم أمي، بالفعل".

"سأعود ومعي قليل من صدر الدجاج والبطاطا المهروسة وبعض البازيلاء خلال نصف ساعة. وأيضاً القليل من الحلوى الهلامية لأنك كنت ولداً مطيعاً. وسأحرص على أن تحصل على الدواء المسكّن في الوقت المناسب. ويمكنك أن تحصل على كبسولة إضافية في الليل إذا ما احتجتها. وسأحرص على أن تنام جيداً، لأنك سوف تضطر للعودة إلى العمل غداً. سوف تتعافى بشكل أسرع عندما تعمل. أراهن على ذلك!"

اتجهت نحو الباب، ثم توقفت للحظة، وبعد ذلك، وعلى نحو مثير للاستغراب، أرسلت له قبلة.

أغلقت الباب وراءها. لم يشأ النظر إلى الآلة الكاتبة، ولفترة وجيزة قاوم النظر إليها، ولكن في نهاية المطاف اتجهت عيناه بشكل غير إرادي نحوها. كانت جالسة على المكتب، مكشرة. كان النظر إليها يشبه قليلاً النظر إلى أداة تعذيب – جزمة لسحق القدم، طاولة الشد، أداة التعليق – قابعة في مكانها دون أي حركة، ولكن لفترة قصيرة فقط.

أعتقد بأنه عندما ستنتهي من كتابتها، لا بد لك ستكون... ستكون

قادراً على مقابلة الناس من جديد.

آه يا أمي، كنت تكذبين علي كليا. كنت أعرف ذلك، وأنت كذلك أيضاً. رأيت ذلك في عينيك.

كانت الصورة التخيلية المحدودة التي انفتحت أمامه الآن مزعجة إلى حدٍّ كبير: ستة أسابيع من الحياة سيجدد فيها معرفته بميزري تشاستين – اسم عائلتها قبل الزواج كارميكيل – وسيعيشها مع الألم النابض من عظامه المكسورة، تليها عملية دفن شريرة في الحديقة الخلفية. أو ربما سوف تطعم بقاياه إلى الخنزيرة ميزري.

لا تفعل ذلك أبدا. ادفعها دفعاً كي تفقد صوابها. إنها أشبه بزجاجة تتوهج عليها بقع تسير على قصبين. حركها قليلاً. اجعلها تنفجر. أفضل من الاستلقاء هناك والتألم.

حاول أن ينظر إلى أحرف الـ W المتداخلة، لكنه سرعان ما عاد للنظر إلى الآلة الكاتبة من جديد. كانت منتصبة على المكتب، صامتة وملونة بالكلمات التي لم يكن يرغب بكتابتها، ومكشرة مع سنّها الناقص.

لا أعتقد بأنك تصدق ذلك، يا صديقي القديم. أعتقد بأنك تريد البقاء حياً حتى لو كان ذلك مترافقاً مع الألم. إذا كان ذلك يعني استرجاع ميزري من أجل ظهور ثان، فستفعل. ستحاول على أية حال. ولكن، سيترجب عليك التعامل معي أولاً... ولا أعتقد بأنني أحب وجهك.

قال بول بصوت أجش: "هذا يجعلنا متعادلين".

هذه المرة حاول أن ينظر إلى النافذة حيث كان الثلج قد بدأ يتساقط من جديد. ولكن، سرعان ما عاد للنظر إلى الآلة الكاتبة بانجذاب أسر رغم محاولاته للمقاومة، حتى دون أن يدرك متى تحولت نظرته إليها.

25

لم يكن الوصول إلى الكرسي المتحرك مؤلماً كما كان يخشى،

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

وذلك كان أمراً جيداً، لأن تجربته السابقة جعلته يعتقد بأنه سوف يتألم كثيراً فيما بعد.

وضعت صينية الطعام على المكتب، ثم جرّت الكرسي المتحرك حتى وصل إلى السرير، ساعدته كي يجلس بشكل مستقيم - سرت قشعريرة من الألم النابض في منطقة حوضه لكنها ما لبثت أن تراجعت بالتدريج - ثم انحنت فوقه، كان الطرف الجانبي من عنقها يضغط على كتفه مثل عنق حصان. لبرهة استطاع سماع دقات قلبها، فالتوى وجهه من القرف. وبعد ذلك وضعت ذراعها اليمنى القوية حول ظهره، واليسرى تحت مؤخرته.

قالت آني: "حاول ألا تحرك ما تحت الركبتين بينما أقوم بذلك". ثم أجلسته على الكرسي ببساطة ويسر. لقد فعلت ذلك بالسهولة التي تضع فيها امرأة كتاباً في خزانة كتبها. نعم، كانت قوية. حتى لو كان في صحة جيدة، فإن نتيجة عراكه مع آني لن تكون مضمونة.

وضعت اللوح أمامه. "أرأيت كم هو مناسب؟" قالت ذلك ثم ذهبت إلى المكتب لتحضر الطعام.

"آني؟"

"نعم".

"أتساءل لو أمكنك أن تديري الآلة الكاتبة كي تواجه الجدار".

عبست. "لماذا بحق الله تريدني أن أفعل ذلك؟"

لأنني لا أريد أن تكشر في وجهي طوال الليل.

قال بسرور: "إنها خرافة قديمة خاصة بي. إنني دائماً أدير الآلة الكاتبة نحو الحائط قبل البدء بالكتابة". سكت قليلاً ثم أضاف: "في كل ليلة عندما كنت أكتب، أصدقك القول".

قالت: "إنها مثل "ابتعد عن الشر وغنّ له". سأبتعد عن الشر طالما أقدر على ذلك". فأدارت الآلة الكاتبة نحو الحائط. "أفضل؟"

"كثيراً".

"يا لك من مخيف". واقتربت كي تطعمه.

26

حلم باني ويلكس في قصر أسطوري، تخرج العفاريت والجن من الفوارير ثم تطير في أرجاء القصر فوق بساط سحري. عندما مر البساط بجانبه (تطاير شعرها وراءها، وكانت عيناها لامعتين وملتهبتين بالتصميم مثل عيني قبطان يبحر بين قطع هائلة من الجليد العائم)، رأى أن البساط كان محاكاً كله باللون الأخضر والأبيض؛ مثل لوحة تسجيل تعود لسيارة من كولورادو.

كان يا ما كان في قديم الزمان، كانت آني تصيح. كان يا مكان في قديم الزمان، حيث ذلك عندما كان جد جدي ما يزال صبياً. هذه قصة تتحدث عن صبي، سمعت هذا من رجل. كان يا مكان. كان يا مكان.

27

عندما استيقظ من نومه، كانت آني تهزه وكانت شمس الصباح ساطعة، وكان تساقط الثلج قد توقف.

قالت وكأنها كانت تغرّد: "استيقظ، أيها النعسان! لقد جلبت لك ثيباً وبيضة مسلوقة جميلة، وبعد ذلك سيكون الوقت قد حان لكي تثيأ".

نظر إلى وجهها المتحمس فأحس بشعور جديد غريب؛ أمل. حلم بأن آني ويلكس كانت شهرزاد، وجسدها الصلب مغطى بأثواب شفافة، وقدميها الكبيرتين محشورتان في حذاء وردي مزركش مقدمته ملتفة نحو الأعلى. كانت تطير على بساطها السحري وتنشد العبارات السحرية التي تفتح أبواب أفضل القصص. ولكن، بالتأكيد ليست آني هي شهرزاد، بل هو. وإذا كان ما سيكتبه جيداً بما يكفي، إذا لم تستطع

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

قتله حتى تكتشف كل ما سيكتبه مهما صرخت بها غرائزها الحيوانية كي تفعل ذلك، قائلة لها بأنها يجب أن تفعل ذلك...

هل يمكن أن لا تكون أمامه أي فرصة؟

نظر وراءها فرأى أنها قلبت الآلة الكاتبة قبل إيقاظه. كانت تكشر له بسنها المفقود، وكأنها كانت تقول له: لا بأس بأن يأمل المرء، وأمر رائع أن يكافح، ولكن في نهاية المطاف، القدر وحده هو من يحدد المصير.

28

جرته نحو النافذة فسطعت شمس الشتاء عليه لأول مرة منذ أسابيع، وبدا له أنه يستطيع سماع بشرته البيضاء الشاحبة، المنفصلة في أماكن متفرقة من جسده بتقرحات صغيرة ناتجة عن النوم الطويل في الفراش، تتمتم بكلمات تعبر عن شكرها وسعادتها. كان زجاج النافذة محاطاً من الداخل بخط مزخرف من الجليد، وعندما مدّ يده شعر بقشعة باردة أشبه بقبة تحيط بالنافذة. كان شعوراً منعشاً وباعثاً على الحنين في آن معاً، مثل رسالة من صديق قديم.

للمرة الأولى منذ أسابيع - بدت له سنيناً - كان قادراً على النظر إلى تفاصيل مكانية مختلفة عن تفاصيل غرفته غير المتغيرة؛ ورق جدران أزرق اللون، صورة قوس النصر، شهر شباط الطويل جداً، الذي يجسده الصبي الذي ينزلق فوق جبل على زلاجته (كان يعتقد بأن ذهنه سيذهب إلى صورة وجه ذلك الصبي وقبعته الصوفية في كل مرة يتحول فيها كانون الثاني إلى شباط، حتى لو عاش ليرى تغير الشهور خمسين مرة أخرى). كان ينظر إلى العالم الجديد بنفس الحماس والتوق الذي شاهد بهما أول فيلم سينمائي - *باسبي* - عندما كان طفلاً.

كان الأفق قريباً؛ إنه كذلك دائماً في جبال روكي، حيث تقطع فيه

المناظر بشكل حتمي بواسطة كتل مائلة من الصخور. كانت السماء زرقاء، خالية تماماً من الغيوم. وهناك غابة خضراء تغطي جانب أقرب جبل إلى المكان، ويفصل بين المنزل وحافة الغابة حوالى خمسين هكتاراً من الأرض المفتوحة المغطاة بالثلج الأبيض البراق. كان من المستحيل معرفة ما إذا كانت الأرض التي تحته محروثة أم مرجاً أخضر. ولم يكن يقطع هذه الساحة المفتوحة سوى مبنىً واحداً: حظيرة حمراء جميلة. عندما كانت تتحدث عن ماشيتها أو عندما رآها تمشي متثاقل بجانب ناقلته ونفسها يتقطع في مقدمة وجهها غير المبالي، تخيل مبنىً متداعياً مثل صورة مأخوذة من كتاب للأطفال عن الأشباح؛ عوارض سقفية منحنية ومتدلية بفعل سنوات من الثلج المتراكم، نوافذ تشبه ثقوب العيدان، بعضها مكسور ومسدود بواسطة قطع من الورق المقوى، أبواب مزدوجة مفتوحة ومتخلعة تتأرجح نحو الخارج. لكنّ هذا البناء المرتب والأنيق بطلائه الأحمر الغامق ونوافذه وأبوابه ذات اللون الأبيض المائل إلى الصفرة بدا مثل مرآب للسيارات في ساحة بلدة ثرية متكدر على شكل حظيرة. أمام المبنى كانت تقف سيارة جيب شيروكي، تبلغ ربما خمس سنوات من العمر ولكن من الواضح أن الاعتناء بها كان ممتازاً، وعلى جانبها كان هناك محراث من نوع فيشر موضوع على حامل خشبي منزلي الصنع. لوصل المحراث مع الجيب، كانت تحتاج فقط إلى قيادة الجيب بحذر نحو الحامل حتى تتشبك الخطافات الموجودة على الهيكل مع المقابض الموجودة على المحراث. سيارة مثالية لامرأة تعيش لوحدها بدون أي جار يمكنها استدعاؤه لمساعدتها (باستثناء آل رويدمان السيئين بالطبع، وأني لن تأخذ صحناً من اللحم منهم حتى لو كانت تموت من الجوع). كان الطريق الفرعي محروثاً بشكل أنيق، مما يدل على أنها استخدمت المحراث بالفعل، لكنه لم يستطع رؤية الطريق لأن المنزل كان يقطع مجال الرؤية.

"أرى بأنك معجب بحظيرتي يا بول".

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

أجفل لدى سماعه صوتها المباغت، فتلفت حوله مفزوعاً. أيقظت الحركة السريعة وغير المحسوبة ألمه المخدّر، الذي زمجر في ما تبقى من ساقه وقبة الملح المتورمة التي حلت محل ركبته اليسرى. وخزه الألم من داخل كهفه العظمي الذي كان يقبع فيه محصوراً، ثم عاد إلى النوم مجدداً.

كان الطعام على الصينية، طعام خفيف، طعام منتهي الصلاحية... لكنّ معدته زعقت لدى رؤيته. عندما سارت نحوه، لاحظ أنها كانت تنتعل حذاء أبيض ذا كعب رقيق.

قال بول: "نعم، إنها جميلة جداً".

وضعت اللوح الخشبي على ذراعي الكرسي المتحرك ثم وضعت الصينية على اللوح. ثم سحبت كرسياً بجانبه وجلست عليه، تراقبه وهو يهم بالتهام الطعام.

"الجمال بصنعه الجميل، هذا ما كانت أمي تقوله دائماً. أنا أحافظ على جمالها، لأنني لو لم أفعل، فإن الجيران سوف يثرثرون. إنهم دائماً يبحثون عن طريقة للنيل مني، أو لإثارة إشاعة عني. ولهذا السبب أحافظ على كل شيء جميلاً ومرتباً. الحفاظ على المظاهر أمر في غاية الأهمية. بالنسبة للحظيرة، لا يوجد الكثير من العمل، طالما أنك لا تدع الأشياء تتراكم. منع الثلج من تكسير في السقف هو الجزء الأصعب من العمل".

قبل سنتين طلبت من بيلي هافرشام أن يضع قضبان تسخين في السقف. ما عليك إلا أن تضغط مفتاحاً حتى تسخن ويذوب الثلج. مع أنني لن أحتاجها كثيراً هذا الشتاء. هل ترى كيف يذوب الثلج من تلقاء نفسه؟"

كانت بيده شوكة مليئة بالبيض في منتصف طريقها إلى فمه. توقفت الشوكة في الهواء عندما نظر إلى الخارج باتجاه الحظيرة. شاهد صفاً من النوازل الجليدية على طول مقدمة السقف. وكانت رؤوس هذه

النوازل تتقطر بسرعة قطرات تتلألأ عند سقوطها على قناة ضيقة من الثلج تشكّلت بجانب الحظيرة.

"تبلغ درجة الحرارة خمساً وأربعين ولم تصل إلى الساعة التاسعة بعد!" تابعت آني كلامها بمرح عندما تخيّل بول المصد الخلفي لسيارته الكامارو يظهر عبر الثلج المذاب ويلمع تحت ضوء الشمس "بالتأكيد إنها لن تستمر – ما زال أمامنا فترة قصيرة قاسية أو ثلاث فترات، وربما عاصفة كبيرة أخرى أيضاً – لكنّ الربيع قادم يا بول، وأمي اعتادت أن تقول بأن الأمل في الربيع مثل الأمل في الجنة".

أعاد شوكته إلى الصحن ثانية والبيض ما يزال معلقاً عليها.

"ألا تريد تلك اللقمة الأخيرة؟ اكتفيت؟"

قال موافقاً: "اكتفيت". وفي عقله تخيل آل روبدمان يقودان سيارتهما قادمين من سايدويندر. شاهد شعاعاً لامعاً من الضوء يضرب وجه السيدة روبدمان، مما جعلها تتكمش وتضع يدها لتحمي وجهها. *ماذا يوجد هناك، يا هام؟ ... لا تقل لي إنني مجلوته، يوجد شيء ما هناك! الانعكاس قريب، لقد أحرق عيني! ارجع قليلاً، أريد أن ألقي نظرة أخرى!*

قالت آني: "إذاً، سآخذ الصينية. ولست يمكنك أن تبدأ". منحته نظرة في غاية الدفء. "لا يمكنني أن أخبرك كم أنا متحمسة يا بول".

خرجت من الغرفة وتركته جالساً على الكرسي المتحرك ينظر إلى الماء المتقطر من النوازل الجليدية المتعلقة بحواف سقف الحظيرة.

29

قال لها عندما عادت لتضع الآلة الكاتبة والورق على اللوح الخشبي: "أفضل نوعاً مختلفاً من الورق، إذا استطعت الحصول عليه".

"مختلف عن هذا؟" سألته، وهي تنقر بأصابعها على رزمة الورق

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

الملفوفة بورق السوتوفان. لكنه أغلى أنواع الورق على الإطلاق! لقد سألت عندما ذهبت إلى مخزن الورق بايير بانتس!"

"ألم تخبرك أمك يوماً أن الأغلى ثمناً لا يعني دائماً أنه الأفضل؟"

اسودّ جبين آني. وحل الامتعاض محل موقفها الدفاعي الأولي. خمّن بول بأن الغضب سيلي ذلك.

"لا، لم تفعل. ما أخبرتني إياه، أيها السيد المتذاكي، هو أنك عندما تشتري شيئاً رخيصاً عادة يكون قليل الجودة".

اكتشف بول بأن وضعها الداخلي كان يشبه الربيع في منطقة الغرب الأوسط. كانت امرأة مليئة بالأعاصير التي تنتظر هبوبها. ولو كان مزارعاً ينظر إلى سماء تبدو مثلما يبدو وجه آني الآن، لذهب في الحال لجمع عائلته ووضعهم في ملجأ مخصص للأعاصير. تحوّل جبينها إلى اللون الأبيض الشديد البياض. وكان يمكن أن يتوسط شكلها منتظم، مثل مسخري حيوان يشتم رائحة نار. وبدأت يداها تنقبضان بمرونة ومن ثم تنقبضان بسرعة، وكأنهما تقبضان الهواء ثم تسحقانه.

كانت حاجته إليها ووضعه الضعيف أمامها يصرخان فيه طالبين منه التراجع، واسترضاءها طالما أن الوقت لم يفت بعد. إن لم يفعل فعلاً – كما كانت ستفعل أية قبيلة من القبائل المذكورة في قصص رايدر هاغارد مع آلهتها عندما تكون غاضبة، بأن تقدم الأضاحي إلى صنمها.

ولكن، كان هناك جزء آخر منه، أكثر ذكاء وأقل جبناً، ذكّره بأنه لن يستطيع لعب دور شهرزاد إذا ما ارتعب منها وحاول استرضاءها كلما ثارت ثائرتها. لأنه إن فعل ذلك، فإنها سوف تزداد غضباً في كل مرة. لو لم تكن تملك شيئاً تريده بقوة، لأخذتك بنفسها إلى المستشفى أو قتلتك لاحقاً من أجل حماية نفسها من آل رويدمان. لأنه بالنسبة لآني، العالم مليء بآل رويدمان، بالنسبة لها، إنهم يكمنون لها خلف كل أكمة. فلماذا لم تكبح هذه العاهرة الآن، يا حبيبي يا بولي، فقد لا تستطيع فعل

ذلك أبداً فيما بعد.

كانت قد بدأت بالتنفس بشكل متسارع، إلى حد اللهاث تقريباً، وازدادت سرعة إيقاع انفتاح وانقباض يديها، فعلم حينها بأنها سوف تنقض عليه خلال لحظات.

جمع القليل مما تبقى له من شجاعة، محاولاً بيأس استحضار الدرة المناسبة تماماً في مثل هذه الحالات من الانفعال الحاد والظرفي: "أنت أيضاً عليك أن توقفي هذا الأمر. الغضب لن يغير في الأمر شيئاً".

تسمّرت في مكانها وكأنها تلقت للتو صفعة منه، واكتفت بالنظر إليه، مجروحة النفس.

قال بشكل صبور: "يا آني، إنها ليست قضية عظيمة".

قالت آني: "إنها حيلة. أنت لا تريد كتابة روايتي ولهذا أنت تقوم بعض الحيل من أجل عدم الشروع بها. أنا متأكدة بأنك سوف تفعل. أوه، يا الله. لكن ذلك لن يجدي. إنها –"

فأجابها: "ذلك سخيف. هل قلت بأنني لن أبدأ؟"

"لا... لا، ولكن –"

"ذلك صحيح. لأنني سوف أبدأ. وإذا أتيت إلى هنا وألقيت نظرة على هذا الشيء، سأريك ما هي المشكلة. أحضري صندوق وبيستر معك، رجاءً".

"صندوق ماذا؟"

تلك العلبة الصغيرة من أقلام الحبر وأقلام الرصاص. في الصحف يدعونها أحياناً صناديق وبيستر، تيمناً بدانييل وبيستر. كانت هذه كذبة اختلقها بتأثير اللحظة، لكنها أتت التأثير المرغوب، حيث بدت أكثر ارتباكاً من أي وقت مضى، تائهة في عالم الاختصاصيين الذي لم تكن لديها أدنى معرفة به. والارتباك بدد غضبها أكثر فأكثر، حتى أنها بدت بأنها لم تعد تعرف إذا كان لديها الحق بأن تغضب أساساً.

www.jn2n.com
bilo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

أحضرت علبة الأقلام ووضعتها بقوة على اللوح ففكر في داخله: *اللعنة! لقد ربحت!* لا؛ ذلك ليس صحيحاً. ميزري هي التي فازت.

لكن ذلك غير صحيح أيضاً. شهرزاد هي التي ربحت، أيها شهرزاد.

قالت بنزق: "ماذا؟"

"راقبي".

فتح رزمة الورق وأخرج صفحة منها. أخذ قلم رصاص مبرياً بشكل جيد ورسم خطاً على الورقة. ثم أخذ قلم حبر ورسم خطاً آخر موازياً للخط الأول. ثم زلق إبهامه على سطح الورقة، فتلطخ الخطّان مع اتجاه سير إبهامه. وكان خط قلم الرصاص أكثر تلطخاً بقليل من الخط المرسوم بقلم الحبر.

"رأيت؟"

"ماذا يعني؟"

"حبر الأنشوطة سوف يتلطخ أيضاً. ليس بقدر خط الرصاص، لكنه أسوأ من خط الحبر".

"هل كنت ستجلس وتحك كل صفحة بإبهامك؟"

"محرر تقليب الأوراق فيما بينها لأسابيع، أو حتى أيام. سوف بسبب الكثير من اللطخات، وعندما تكون المخطوطة قيد العمل، فإن الأوراق تتقلب كثيراً. ستكونين دائماً بحاجة إلى الرجوع إلى الوراء من أجل إيجاد اسم أو تاريخ. يا آني، من أوائل الأشياء التي ستكتشفينها في هذه المهنة هي أن المحررين يكرهون قراءة المخطوطات المطبوعة على ورق كروسابل بوند تقريباً كما يكرهون المخطوطات المكتوبة بخط اليد".

"لا تدعُها كذلك. أكرهها عندما تدعوها كذلك".

نظر إليها مندهشاً فعلاً. "أدعو ماذا بماذا؟"

"عندما تسيء إلى الموهبة التي وهبك إياها الله بتسميتها مهنة. أنا

أكره ذلك".

"أنا آسف".

قالت بيرود: "ينبغي أن تكون آسفاً. يمكنك أيضاً أن تدعو نفسك عاهراً".

لا يا آني، فكّر في نفسه وقد أحس بالغضب فجأة: *أنا لست عاهراً. لم تكن سيارات سريعة تتعلق بشخص عاهر. إن الأمر كله يتعلق بفتاة الساحل الغربي العاهرة اللعينة ميزري. كنت أقود سيارتي باتجاه الساحل الغربي كي أحتفل بتحرري من حالة العهر. وما فعلته أنت هو انتشالي من حطام سيارتي ووضعي في المهد من جديد. بدولارين أستطيع إيقاف بشكل مستقيم، وبأربعة دولارات ألفّ بك العالم. وبين الحين والآخر أرى ومضة في عينيك تخبرني بأنه في أعماق أعماقك تعرفين ذلك أيضاً. قد تطلق سراحك هيئة من المحلفين بداعي الجنون، ولكن ليس أنا يا آني. ليس هذا الصدى.*

قال بول: "نقطة جيدة. والآن، بالعودة إلى موضوع الورق –"

قالت بعدائية: "سأحضر لك ورقك العظيم. أخبرني فقط أي نوع تريد مني أن أحضر وسأجلبه لك".

"طالما أنك تفهمين بأنني إلى جانبك –"

"لا تجعلني أضحك. لم يكن أحد إلى جانبي منذ وفاة أمي قبل عشرين سنة".

"صدقي ما شئت. إذاً، إذا كنت عديمة الثقة إلى هذا الحدّ، فلن يمكنك أن تصدقي بأني ممتن لك لإنقاذ حياتي، هذه مشكلتك".

كان براقعها بمكر، فرأى في عينيها مجدداً ومضة من الشك، ومضة من الرغبة بالتصديق. جيد، جيد جداً. نظر إليها بكل ما يستطيع استجماعه من صدق، لكنه تخيّل نفسه، مرة أخرى، يقحم شظية من الزجاج في حلقها، سافكاً الدم الذي يبقي عقلها المجنون حياً مرة واحدة وإلى الأبد.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

على الأقل يجب أن تكوني قادرة على التصديق بأنني ألقف إلى جانب الكتاب. تحدثت عن تغليفه. أعتقد بأنك كنت تعنين تغليف المخطوطة؟ الصفحات المطبوعة؟

"بالطبع، هذا ما عنيته".

نعم، بالتأكيد. لأنك إذا أخذت المخطوطة إلى المطبعي، فقد يثير هذا الأمر الأسئلة. قد تكونين ساذجة في ما يتعلق بعالم الكتب والنشر، ولكن ليس إلى هذا الحد من السذاجة. إذ إن بول شيلدون مفقود، والمطبعي قد يتذكر تلقيه مخطوطة بحجم كتاب تدور حول أكثر شخصيات بول شيلدون شهرة، وفي وقت قريب من الوقت الذي اختفى فيه الرجل نفسه، قد يتذكر، أليس كذلك؟ ومن المؤكد أنه سيتذكر الإرشادات: إرشادات غريبة إلى درجة أن أي مطبعي سوف يتذكرها. نسخة مطبوعة واحدة فقط من مخطوطة بحجم كتاب.

نسخة واحدة فقط.

"كيف كان شكلها، أيها الضابط؟ حسناً أيها امرأة ضخمة. تبدو تقريباً مثل صنم حجري في واحدة من قصص هـ. رايدر هاغارد. لحظة، لدي اسمها وعنوانها هنا في الملفات... وعني فقط أنظر في النسخ الكربونية عن الفواتير...".

قال بول: "لا يوجد أي عيب في الفكرة أيضاً. المخطوطة المغلفة قد تكون أنيقة أيضاً. تبدو مثل نسخة جميلة على شكل ملف، لكن الكتاب يدوم لفترة طويلة، يا آني، وإذا ما كتبت هذا الكتاب على ورق كوراسابل، فستحصلين على مجموعة من الورق الممسوح خلال عشر سنوات تقريباً. إلا إذا اكتفيت بوضعه على الرف، بالطبع".

لكنها لا تريد ذلك، أليس كذلك؟ بالتأكيد لا. إنها ستنزلها عن الرف كل يوم، ربما كل عدة ساعات، ستنزلها وتقلّب فيها.

غطى وجهها تعبير متصلب غريب. لم تعجبه هذه النظرة العنيدة التي جعلته عصبياً. كان باستطاعته الشعور بغضبها الشديد، ولكن كان

هناك شيء غامض وطفولي أيضاً في هذا التعبير الجديد.

"لست مضطراً للتكلم أكثر. أخبرتك مسبقاً بأنني سأحضر لك ورقك. ما هو نوعه؟"

"في هذا المخزن الذي ذهبت إليه –"

"ذا باببر باتش".

"نعم، ذا باببر باتش. أخبريهم بأنك تريدين ماعونين. الماعون رزمة مؤلفة من خمسمائة صفحة –"

"أعرف ذلك. لست غبية يا بول".

"أعرف أنك لست غبية". كان يزداد عصبية. وكان الألم قد بدأ يهمس في ساقيه من جديد، لكنه كان يصرخ بصوت عالٍ في منطقة حوضه. فلقد مضى على جلوسه في الكرسي المتحرك حوالي ساعة، وانخلع في تلك المنطقة كان يشتكي من هذا الوضع.

حافظ على هدوئك، بحق الله، لا تفقد كل ما اكتسبته!

ولكن، هل اكتسبت شيئاً بالفعل؟ أم أنها مجرد تمنيات؟

"اطلبي ماعونين من الورق الأبيض الطويل الذي يُستخدم في النسخات. هيرمل بوند ماركة جيدة، وكذلك ترايد مودرن. ماعونان من هذا النوع من الورق سوف يكلف أقل من رزمة واحدة من ماركة كوراسابل، وينبغي أن يكونا كافيين لإنجاز العمل كله، أي الكتابة وإعادة الكتابة".

"سأذهب في الحال". وقفت بشكل مفاجئ.

نظر إليها قزعاً، لعلمه بأنها كانت تعني بأنها ستتركه دون إعطائه الدواء، وهذه المرة كان جالساً. الجلوس بحدّ ذاته كان مؤلماً، فكيف إذا طال الأمر، عندها سيكون الألم فظيعاً.

قال بسرعة: "لست مضطرة للقيام بذلك. ورق كوراسابل جيد بما يكفي لكي نبدأ به، في النهاية، سوف أضطر إلى إعادة الكتابة في كل الأحوال".

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

الشخص الغبي وحده من يبدأ عملاً جيداً بأداة سيئة". أخذت رزمة الورق ثم انتزعت الصفحة التي تحمل الخطين المشوهين وحولتها إلى كرة مجعدة. رمت بها في سلة المهملات ثم استدارت نحوه. ذلك التعبير القاسي العنيد غطى وجهها مثل قناع. كانت عيناها تبدوان مثل قطعة عشرة سنتات فقدت بريقها.

"أنا ذاهبة إلى البلدة الآن. أنا أعرف بأنك ستبدأ بأسرع وقت ممكن، بما أنك تقف *إلى جانبي*" – قالت الكلمتين الأخيرتين بسخرية لاذعة – "ولهذا السبب لن أضيع وقتاً حتى في إعادتك إلى الفراش".

ابتسمت – مطت شفتيها فقط، كما تبتسم الدمية تماماً – ثم انزلقت بخفة بحذاء التمريض الأبيض الصامت حتى وصلت إليه. لمست شعره بأصابعها، فأحفل رغم أنه حاول. لا يفعل، لأنه لم يستطع منع نفسه. فاتسعت ابتسامتها الميتة – الحية.

رغم أنني أشك في أننا قد نضطر إلى تأجيل البداية الفعلية لرواية عودة ميزري ليوم... أو يومين... وربما ثلاثة. نعم، قد يمر ثلاثة أيام قبل أن تتمكن من الجلوس ثانية. بسبب الألم. الألم الشديد. لدي زجاجة شراب باردة في الثلاجة. عليّ أن أعيدها إلى الصيدلية.

"آني، يمكنني فعلاً أن أبدأ إذا كنت فقط سوف –".

"لا يا بول". ذهبت إلى الباب ثم استدارت ونظرت إليه بتلك النظرة القاسية المتحجرة. وجدهما عيناها كانتا تنبضان بالحياة تحت جبينها. "ثمة فكرة واحدة أريد أن أتركك معها. بإمكانك الاعتقاد بأنك تستطيع خداعي، أو التحايل عليّ؛ أعرف بأنني لست بطيئة الفهم وغبية. ولكنني لست غبية يا بول. ولست بطيئة الفهم".

انقلب وجهها فجأة. وتبدد التعبير العنيد والقاسي ليحل محله وجه طفل غاضب على نحو مجنون. ظن بول بأن درجة الرعب الذي يحس به قد تقتله. هل فكر بأنه امتلك السيطرة؟ هل اعتقد ذلك فعلاً؟ هل يمكن لشخص أن يلعب دور شهرزاد عندما يكون أسره شخصاً مجنوناً؟

اندفعت نحوه بعنف. الساقان تنثنيان عند الركبتين، القدمان النحيلتان تضربان الأرض بقوة، والمرفقان يشقان الهواء الفاسد في الغرفة مثل مكبسين هوائيين. اهتز شعرها وتمايل حول وجهها مع سقوط المشابك التي كانت تمسك به. هذه المرة لم يكن مرورها صامتاً، بل كان أشبه بوقع خطوات جالوت وهو ينزل إلى وادي العظام. انطلقت صورة قوس النصر على الجدار من الفزع.

"حبيبي – يـــا*!!!!!!*" صرخت ثم هوت بقبضتها على قبة الملح المنتفخة التي كانت تمثل ركبة بول شيلدون اليسرى.

رمى برأسه إلى الخلف وصرخ من الألم، وانتفضت الأوردة في عنقه وجبهته. كان الألم ينبثق من ركبته، مثل نجم توهج بشكل مفاجئ، وانتشر في كامل جسده.

انتزعت الآلة الكاتبة من على اللوح، ورمت بها بقوة على إطار الموقد، رافعة وزنها المعدني كما ترفع صندوقاً من الورق المقوى.

"إذاً، فلتجلس عندك". مطت شفتيها لتظهر تلك الابتسامة المخيفة من جديد. "وفكر في من هو المسؤول هنا، وكل الأشياء التي يمكن أن تعنيها لك إذا ما تصرفت بشكل سيئ أو حاولت خداعي. اجلس عندك واصرخ إن شئت، لأنه لن يسمعك أحد. لا أحد يتوقف هنا لأن الجميع يعرفون أن أني ويلكس مجنونة، كلهم يعرفون ماذا فعلت، بالرغم من تبرئتي".

مشت حتى وصلت إلى الباب ثم استدارت، فصرخ ثانية عندما فعلت ذلك، متوقعاً هجمة أخرى شبيهة بهجمة الثور، فاتسعت ابتسامتها.

قالت بنعومة: "سأخبرك شيئاً آخر. يعتقدون بأنني أفلتُ من العقاب، وهم محقون. فكر في ذلك يا بول أثناء وجودي في البلدة لأجلب لك ورقك المفضل".

غادرت صافقة باب الغرفة وراءها بقوة كانت كافية لتهز البيت كله. ثم سمع صوت دوران المفتاح في القفل.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

أسند ظهره على الكرسي مرتجفاً من أعلاه إلى أسفله، ومحاولاً في الوقت نفسه ألا يرتجف لأن ذلك كان يسبب له الألم، إلا أنه لم يستطع منع نفسه. انهمرت الدموع بغزارة على خديه. ومرة بعد مرة رآها تهجم بسرعة عبر الغرفة، ومرة بعد مرة رآها تهوي بقبضتها على بقايا ركبته بكل القوة التي يهوي بها سكير غاضب بهراوة على بار مصنوع من خشب البلوط. مرات ومرات ابتلعته لجة الألم المشعة الفظيعة تلك.

"أرجوك يا الله، أرجوك". ناشد ربه عندما اشتغل محرك الشيروكي في الخارج. "أرجوك يا الله، أرجوك، أخرجني من هنا أو اقتلني... أخرجني من هنا أو اقتلني".

خفت صوت هدير المحرك تدريجياً مع ابتعاد السيارة، وترك لوحده مع دموعه والألم الذي يعصف في جسده.

30

اعتقد لاحقاً بأن العالم، بلا عقلانيته غير المحدودة، سوف يعتبر تلك الأشياء التي فعلها تالياً بأنها بطولية. لكن ما فعله، في الواقع، لم يكن أكثر من نشيش مترنح أخير بالحياة.

بدا له بأنه يسمع معلقاً رياضياً منقد الحماس - هاورد كوسل، أو وورنر وولف، أو ربما أفضلهم على الإطلاق جوني موست - يصف المشهد، وكان محاولته للحصول على مخزونها من الدواء قبل أن يقتله الألم كان حدثاً رياضياً غريباً. وماذا يمكن أن نسمي مثل هذه الرياضة، على أية حال؟ سباق من أجل دواء مخدر؟

"لا يمكنني أن أصدق هذه الشجاعة التي يظهرها هذا الفتى شيلدون اليوم!" المعلق الرياضي في رأس بول شيلدون يقول محمساً. "لا أعتقد أن أي شخص في ستاد آني ويلكس - أو بين المشاهدين في منازلهم -

كان يظن بأنه يملك أدنى فرصة لجعل هذا الكرسي المتحرك يتحرك بعد الضربة التي تلقاها، لكنني أعتقد... نعم، إنه يتحرك! إنه يتحرك! هوذا ننظر إلى الإعادة!"

سال العرق من جبهته ونزل على عينيه فأحرقهما. لعق شفتيه فأحس بمزيج من الملح والدموع. ولم يتوقف الارتجاف أبداً. كان الألم يشبه نهاية العالم. ففكر في نفسه: *جاء وقت أصبحت فيه مناقشة الألم أمراً عبثياً. لا أحد يعرف بوجود ألم في العالم بمثل حجم هذا الألم. لا أحد. وكأن الشياطين تتحكم به.*

كانت فكرة الكبسولات وحدها - التوفريل الذي تحتفظ به في مكان ما في البيت - هي التي تحفزه على الحركة. باب غرفة النوم المقفل... احتمال ألا يكون الدواء موجوداً في حمام الطابق السفلي كما كان يخمّن بل في مكان آخر... احتمال أن تأتي وتمسك به... كل هذه الأشياء لم تكن ذات أهمية، كانت مجرد ظلال تختبئ خلف الألم. وهو كان سيتعامل مع كل مشكلة منها حال حدوثها.

التحرك جعل حلقة النار تحت خصره وفي ساقيه تغوص أكثر، مطوقة ساقيه مثل أحزمة مزودة بمسامير حارة موجهة رؤوسها نحو الداخل. لكن الكرسي تحرك بالفعل، وإن ببطء شديد.

نجح في التقدم حوالى أربعة أقدام لكنه أدرك بأن ذلك لم يكن مفيداً ما لم يتمكن من إدارة الكرسي، لأنه كان يدحرج الكرسي المتحرك باتجاه الزاوية بعيداً عن الباب.

أمسك بالعجلة اليمنى، مرتجفاً.

(فكر في الكبسولات، فكر في الراحة التي ستجلبها الكبسولات).

ثم ضغط بكل ما استطاع من قوة. أصدر احتكاك الإطار المطاطي بالأرضية الخشبية صوتاً خفيفاً يشبه صوت الفئران. ضغط بقوة أكبر فارتعشت عضلاته الهزيلة كما يرتعش الهلام، وامتطت شفتاه إلى الخلف كاشفتين عن أسنانه الصارّة على بعضها... واستدار الكرسي

hilo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

ببطء.

أمسك بالدولابين معاً وحرك الكرسي مرة أخرى. هذه المرة قطع خمسة أقدام قبل أن يتوقف ليعدّل نفسه. وما إن انتهى من قيامه بذلك حتى غاب عن الوعي.

عاد إلى وضعه السابق بعد خمس دقائق، سامعاً صوت المعلق الرياضي المحمّس الخافت في رأسه: "إنه يحاول المضي قدماً مرة أخرى! لا يمكنني أن أصدق شجاعة هذا الفتى شيلدون!"

بالقرب من الباب، رأى أحد مشابك الشعر التي سقطت من رأسها عندما هجمت عليه، فتقدم نحوه. حاول الوصول إليه، لكنّ رؤوس أصابعه توقفت على بعد بضعة سنتمترات منه. عضّ شفته، ولم ينتبه إلى العرق الذي كان يسيل من وجهه ورقبته وبيّاك قميص بجامته.

"لا أعتقد بأنه يستطيع الوصول إلى الدبوس، لقد قام بجهد عظيم، يا أعزائي، ولكنني أخشى بأن تلك هي نهاية المحاولة".

وربما لا.

ترك نفسه يتدلى على الجهة اليمنى من الكرسي المتحرك، محاولاً تجاهل الألم المشتعل في جانبه الأيمن لكنه ما لبث أن استسلم وصرخ بصوت عالٍ. كما قالت، ليس هناك من يسمعه على أية حال.

ما تزال أصابعه معلقة على بعد سنتمترين من الأرض، تمشّط الهواء فوق المشبك مباشرة. كان يحمن بأن وركه الأيمن على وشك الانفجار.

يا الله، رجاءً ساعدني رجاءً.

انحنى أكثر بالرغم من الألم. لمست أصابعه الدبوس لكنه لم ينجح إلا في دفعه قليلاً إلى الأمام. انزلق قليلاً داخل الكرسي، مع الحفاظ على ميلانه نحو جانبه الأيمن، وصرخ مجدداً من الألم الذي انبثق من أسفل ساقيه. كانت عيناه منتفختين، وفمه فاغراً، ولسانه متدلياً بين أسنانه مثل شريط السحب الخاص بستائر النوافذ. سالت قطرات قليلة

من اللعاب من مقدمة لسانه وسقطت على الأرض.

قرص المشبك بين أصابعه... حاول إمساكه كما يمسك الملقط... فكاد أن يفقده ثانية... لكنه مالبث أن أطبق عليه وأمسكه في قبضته.

تسببت محاولته لتقويم جلسته بانبثاق دفقة جديدة من الألم جعلته يكتفي بالجلوس واللهاث لبعض الوقت، مميلاً رأسه إلى الخلف بقدر ما كان يسمح له ظهر الكرسي غير المريح. كان المشبك قابعاً على اللوح بين ذراعي الكرسي. أحس بأنه على وشك أن يتقيأ، لكن ذلك الإحساس زال بعد ذلك.

ما الذي تفعله؟ جزء من عقله حاول السخرية من الوضع بأكمله. *هل تنتظر رحيل الألم؟ إنه لن يرحل. إنها تستشهد بأمها دائماً، فلم لا تستشهد بك أنت أيضاً؟ كانت تملك بعض المقولات الخاصة بها أيضاً، أليس كذلك؟*

نعم، صحيح.

وبينما هو جالس هناك، برأسه المائل إلى الوراء، ووجهه المضاء بالعرق، وشعره الملتصق بجبهته، قال بول بصوت عالٍ واحدة من تلك المقولات، وكأنه كان يترنم بتعويذة سحرية: "قد يكون هناك عفاريت، وقد يكون هناك جن، لكن الله يساعد أولئك الذين يساعدون أنفسهم".

صحيح. فلتوقف الانتظار إذاً، يا بولي، لأن الجني الوحيد الذي سيظهر هنا هو ذلك الجلي الثقيل الوزن، آني ويلكس.

تحرك مرة أخرى، دافعاً الكرسي المتحرك ببطء نحو الباب. كانت قد أقفلته، لكنه ظنّ بأنه قد يكون قادراً على فتحه. كان توني بوناسارو – الذي أصبح الآن مجرد ذرات متناثرة من الرماد – لص سيارات. عندما كان يحضر لكتابة روايته **سيارات سريعة**، درس بول آليات سرقة السيارات مع شرطي عجوز سابق يدعى توم توبفورد. علّمه توم كيف يشغّل السيارة بدون مفتاح، وكيف يستخدم قطعة المعدن الرقيقة والمرنة التي يسميها لصوص السيارات "طقّاشة" من أجل فتح قفل باب

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

السيارة، وكيف يبطل مفعول جهاز إنذار السرقة في السيارة.

قال له توم ذات يوم ربيعي في نيويورك قبل سنتين وتصف تقريباً: *لنفترض أنك لا تريد أن تسرق سيارة على الإطلاق، بل حصلت على سيارة، لكنك تملك القليل من البنزين فقط. ولديك خرطوم، لكن السيارة التي انتقيتها من أجل المخصصات المجانية من البنزين تملك غطاء بنزين مقفول. هل هذه مشكلة؟ ليس إذا كنت تعرف ماذا ستفعل، لأن معظم أقفال أغطية خزانات البنزين قابلة للفتح بسهولة. كل ما أنت بحاجة إليه هو مشبك شعر.*

تطلب إيصال الكرسي المتحرك إلى المكان الذي يريده بالضبط خمس دقائق بدت وكأنها دهر. كان الدولاب الأيسر بالكاد يلامس الباب.

ذكّر ثقب المفتاح – الذي يتموضع في منتصف إطار معدني متسخ قديم الطراز – بول برسومات قصة جون تينيل، *أليس في بلاد العجائب*. انحنى إلى الأمام قليلاً – مصدراً آهة عميقة بصوت عال – ونظر داخل الثقب. استطاع أن يرى ممراً قصيراً مفضياً إلى ما كان واضحاً أنه أنها صالة الاستقبال: بساط أحمر غامق على الأرض، أريكة قديمة الطراز مفروشة بقماش ووسائد متقابلة، مصباح نور ثريا متدلية من سقاره.

وعلى يساره، في منتصف الممر، كان هناك باب نصف مفتوح. تصارعت دقات قلب بول، من المؤكد، على الأغلب، أن هذا الباب كان يؤدي إلى الحمام. لقد سمعها مراراً تسحب الماء منه (بما فيها تلك المرة التي ملأت فيها دلو المسح الذي شرب منه بحماس). وألم يكن هو نفس المكان الذي كانت تأتي منه دائماً قبل إعطائه الدواء؟

كان يظن ذلك.

أمسك بالمشبك، فأفلت من بين أصابعه وسقط على اللوح وانزلق باتجاه الحافة.

"لا!" زعق بول ثم بالكاد أطبق يده عليه قبل أن يسقط. أمسكه في

قبضته ثم غاب عن الوعي ثانية.

أحس بأن غيابه عن الوعي هذه المرة كان أطول من المرة الأولى؛ رغم عدم امتلاكه أي دليل يثبت إحساسه هذا، بدا بأن الألم – باستثناء الألم المعذب الصادر من ركبته اليسرى – قد هدأ قليلاً. كان المشبك مستلقياً على اللوح بين ذراعي الكرسي المتحرك. هذه المرة سرّن أصابعه عدة مرات قبل الإمساك به.

الآن، فكّر في نفسه، وهو يقوّم المشبك بيده اليمنى، *لن ترتجف. ضع هذه الفكرة في ذهنك. أنت لن ترتجف.*

اقترب بجسده من الباب ثم وضع المشبك في ثقب الباب، سامعاً صوت المعلق الرياضي في عقله (*نابضة بالحياة!*) وهو يصف الواقعة.

انسكب العرق من وجهه مثل الزيت. كان يستمع إلى صوت المعلق... بل أكثر من ذلك، كان يشعر به.

إن الذراع المتحرك في ثقل رخيص ليس أكثر من كرسي هزاز، قال توم تويفورد، مؤرجحاً يديه للمزيد من الإيضاح. *هل تريد أن تقلب كرسياً هزازاً؟ إنه أسهل أمر في العالم، أليس كذلك؟ ما عليك إلا أن تقلبه بسرعة... وهذا كل ما عليك فعله مع ثقل كهذا. ارفع الذراع المتحرك إلى الأعلى ثم افتح غطاء خزان البنزين بسرعة، قبل أن يرتد إلى مكانه.*

رفع الذراع المتحرك مرتين لكن المشبك انزلق في كلتا المرتين وارتد الذراع بسرعة إلى مكانه. كان المشبك يداً يلحني، فخشي أن ينكسر بعد محاولتين أو ثلاث.

"أرجوك يا الله". قال بينما كان يزلقه مجدداً في الثقب. "أرجوك يا الله، مجرد فرصة صغيرة لهذا الصبي، هذا كل ما أطلبه".

سيداتي وسادتي، لقد أدى شيلدون اليوم أداء بطولياً، لكن هذه المحاولة سوف تكون فرصته الأخيرة. لا يمكنني أن أسمع همسة واحدة من الجمهور...

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

أغمض عينيه، تلاشى صوت المعلق الرياضي بينما كان يصغي بكل جوارحه لخشخشة الدبوس الخافتة داخل القفل. الآن! ثمة مقاومة الآن! الذراع المتحرك! بإمكانه رؤيته يقبع في الداخل، مثل الرجل المقوّس لكرسي هزاز، يضغط على لسان القفل، ويبقيه في مكانه.

إنه قابل للفتح بسهولة يا بول. ما عليك إلا أن تبقى هادئاً.

عندما تكون متألماً إلى هذه الدرجة، من الصعب أن تبقى هادئاً.

مدّ يده اليسرى تحت يده اليمنى وأمسك بمقبض الباب، ثم بدأ بتطبيق ضغط خفيف على الدبوس... ثم أكثر قليلاً... ثم أكثر قليلاً...

بدأ الدبوس ينحني وينزلق في الوقت نفسه. كان يحس بذلك، وفي لحظة يأس ضغط إلى الأعلى بأقوى ما يستطيع، ثم أدار مقبض الباب، ودفع الباب. سمع صوت ترقمة خفيفة عندما انكسر الدبوس إلى نصفين، وارتد الجزء الداخلي من القفل إلى مكانه. صعقه إدراكه بالفشل للحظة قصيرة رهيبة قبل أن يرى الباب ينفتح ببطء ويبرز لسان القفل من الغطاء المعدني مثل إصبع فولاذي.

قال هامساً: "لك الشكر يا الله".

لنعد إلى شريط الفيديو! صرخ وورنر ووقف بانتهاج جديد في ذهن بول، بينما ضج الآف الحاضرين في ستاد اتي وإنكن – دون أن نذكر ملايين المشاهدين في المنازل – بالهتاف.

"ليس الآن، يا وورنر". قال بصوت أجش، ثم بدأ العملية الطويلة المتمثلة بإرجاع وتعديل الكرسي المتحرك حتى يتمكن من التموضع في مواجهة الباب مباشرة.

31

مرت عليه لحظة سيئة – لا، ليست سيئة فقط، بل مرعبة، فظيعة – عندما بدا له أن الكرسي المتحرك لم يكن يناسب عرض الباب.

صحيح أن عرضه لم يكن يزيد عن عرض الباب بأكثر من خمسة سنتمترات، لكن تلك الخمسة سنتمترات كانت مع ذلك عريضة جداً. لقد *ادخلته مطوياً، هذا ما جعلك تعتقد في البداية بأنه عربة تسوق*، حثته عقله بكآبة.

ولكن، في نهاية المطاف، تمكّن بول من التموضع – بمشقة – بشكل مستقيم في مواجهة مدخل الباب ومن ثم الانحناء بما يكفي لإمساك إطار الباب بيديه. احتكت أغطية محور الكرسي المتحرك مع الخشب، لكنه تمكّن في النهاية من المرور.

وبعد ذلك، غاب عن الوعي.

32

أيقظته صوتها من غيبوته. فتح عينيه فرآها توجه فوهة بندقية نحوه. كانت عيناها تشعان بغضب دفين. وكان ثمة لعاب على أسنانها.

"إذا كنت تريد حريتك بشدة يا بول فسأكون سعيدة بمنحك إياها".

سحبت الى الخلف زندي البندقية.

33

انتفض مذعوراً، متوقعاً صوت إطلاق رصاص. لكنها لم تكن هناك بالطبع، فأدرك بأن ذلك لم يكن سوى حلماً.

ليس حلماً، بل إنذاراً. إنها قد تأتي في أي وقت.

تغيّرت نوعية الضوء المنتشر عبر باب الحمام نصف المفتوح فأصبح أكثر إضاءة. يبدو أنه كان ضوء وقت الظهيرة. تمنّى أن تدق الساعة لتخبره كم كان صائباً في تخمينه، لكنها بقيت صامتة بعناد.

لقد بقيت خارج الديت لخمسين ساعة في المرة الماضية.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

لقد فعلت ذلك حقاً. وقد تبقى هذه المرة ثمانين ساعة، أو أنك قد تسمع وصول سيارة الشيروكي بعد خمس ثوانٍ من الآن. في حال أنك لا تعرف، يا صاحبي، بإمكان مكتب الطقس أن يضع لافتات تنذر بحدوث إعصار، ولكن في ما يتعلق بمتى وأين سيضرب هذا الإعصار، فإنهم لا يعلمون أبداً.

قال بول: "صحيح". ودفع الكرسي المتحرك باتجاه الحمام. نظر إلى الداخل، فشاهد غرفة بسيطة، أرضيتها مبلّطة ببلاط أبيض سداسي الشكل. وحوض استحمام بحنفيات صدئة، بجانبه خزانة للمناشف، ومقابل الحوض هناك مغسلة، وفوقها خزانة للأدوية.

كان ثلج المسح في الحوض. استطاع رؤية جزئه العلوي البلاستيكي.

لحسن الحظ كان الممر عريضاً بما يكفي بالنسبة إليه كي يدير الكرسي المتحرك ويواجه الباب، لكنّ ذراعيه كانتا ترتجفان من الإرهاق. في طفولته كان بول ضعيفاً ونحيلاً، الأمر الذي دعاه إلى الاعتناء بنفسه جيداً. عندما أصبح راشداً وذلك بالجري وممارسة التمارين الرياضية على جهاز نوتيلوس، لكن كل تلك العضلات التي نماها في تلك الفترة باتت الآن أشبه بعضلات شخص عاجز، وكل تلك التمارين الرياضية لم تكن سوى حلماً قطعته شمس الصباح.

على الأقل كان هذا الباب أكثر اتساعاً؛ ليس كثيراً، ولكن بما يكفي ليجعل مروره فيه أقل رعباً. تخطّى بول العتبة بكرسيه ثم سارت الدواليب المطاطية الصلبة بسنعومة فوق البلاط. ثم رائحة شيء حامضي ارتبط أتوماتيكياً برائحة المستشفيات؛ لعله الليسول. لم يكن هناك مرحاض في الحمام، مع أنه كان يعتقد سابقاً بوجوده. إذاً، فصوت الماء المتدفق المتكرر كان يأتي من الطابق العلوي فقط، ومن المرات التي كان يسمع فيها هذا الصوت كان يأتي مباشرة بعد استخدامه وعاء الشيرز. ولكن، كان هناك فقط حوض الاستحمام والمغسلة وخزانة

المناشف ببابها المفتوح.

نظر بولهلة إلى الكدمات المرتبة للمناشف الزرقاء والسفنجات لتنظيف الجسم - كان يعرفها من المرات التي نظّفته فيها - ثم حوّل انتباهه إلى خزانة الأدوية الواقعة فوق المغسلة.

كانت بعيدة عن متناول يده.

رغم محاولاته الجاهدة للوصول إليها إلا أنها كانت تبعد حوالي عشرين سنتمتراً عن أطراف أصابعه. مع ذلك، استمر في محاولة الوصول إليها، غير قادر على التصديق بأن القدر أو أي شيء آخر يمكن أن يكون بهذه القسوة.

أصدر بول صوتاً مجروحاً، مكتوماً، ثم أنزل يده وأسند ظهره، لاهثاً. نظر حوله محاولاً إيجاد أي شيء يمكن استعماله من أجل فتح باب خزانة الأدوية فشاهد ممسحة ذات عصاً زرقاء طويلة تستند إلى زاوية الحمام.

هل ستستخدم هذه؟ حقاً؟ حسناً، أعتقد أن ذلك ممكن. افتح خزانة الأدوية بواسطتها ثم أسقط بعضاً من الأدوية إلى المغسلة. لكن الزجاجات سوف تتكسر، وحتى لو لم يكن هناك من زجاجات، فإنك ستوقت تضطر إلى إعادة ما أنزلته من الخزانة. فماذا ستفعل عندما سترجع وترى الفوضى؟

قال بصوت متحشرج: "سأقول لها بأنها كانت ميزري. سأقول لها إن ميزري مرّت إلى هنا لتبحث عن دواء يرجعها من الموت".

ثم انفجر بالبكاء... لكنّ عينيه، حتى من خلال الدموع المنهمرة منهما، كانتا تتفحصان الغرفة بحثاً عن شيء ما، أي شيء، فرصة ما، مجرد فرصة لعينة.

نظر ثانية إلى خزانة المناشف، وفجأة انحبست أنفاسه السريعة، وتوسعت حدقتاه.

أول نظرة خاطفة له توجهت إلى الرفوف حيث توجد الشراشف

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

المطوية وأغطية الوسائد واسفنجات تنظيف الجسم والمناشف. بعد ذلك نظر إلى الأرضية وهناك شاهد عدداً من الصناديق الكرتونية المربعة الشكل. بعضها كان يحمل اسم أبجون، وبعضها الآخر اسم ليلي، وبعضها الآخر كام فرمستيكلز.

أدار الكرسي المتحرك بعجلة ودون انتباه، متسبباً بالألم لنفسه.

أرجوك يا الله لا تجعله يكون محتواها الخاص بعبوات الشامبو الإضافية أو قوط الحيض أو صور أمها العزيزة المقدسة أو –

سحب أحد الصناديق ثم فتحه. لم يكن هناك شامبو أو أي عيّنات مجانية من ماركة ايفون. ولكن كان هناك خليط فوضوي من الأدوية، معظمه موجود في علب صغيرة مكتوب عليها عيّنات مجانية. وفي أسفل الصندوق كان هناك عدد قليل من الأقراص والكبسولات، بألوان مختلفة، ملفوفة بشكل غير ثابت. كان يعرف بعض هذه الأدوية، مثل موتريم ولوبريسور، الدواء الخاص بارتفاع الضغط الشرياني الذي تناوله أبوه في السنوات الثلاث التي سبقت وفاته، لكنه لم يسمع بالأدوية الأخرى أبداً.

تمتم بصوت وهو يفتش بغضب في العلبة: "نوفريل، نوفريل، أين النوفريل اللعين؟"

لم يكن هناك أي نوفريل. أغلق الصندوق الكرتوني ثم دفعه إلى داخل خزانة المناشف مجدداً، ثم حاول وضعه في مكانه الأصلي.

مال نحو جهته اليسرى وتمكّن من التقاط صندوق كرتوني آخر. عندما فتحه لم يستطع أن يصدق ما كان يراه.

ترافون. دارفوسيت. دارفون كومباوند. مورفوز ومورفوز كومبليكس. ليبريوم. فاليوم. ونوفريل. عشرات وعشرات وعشرات من العلب المجانية. العلب الجميلة. العلب العزيزة. فتح واحدة منها ورأى الكبسولات التي كانت تعطيه منها كل ست ساعات.

كُتب على العلبة، **لا تُصرف بدون وصفة الطبيب.**

قال بول متنهداً: "آه يا الله، إن الطبيب موجود!" مزّق ورق السيلوفان بأسنانه ثم ابتلع ثلاثاً من الكبسولات معاً، غير آبه بطعمها المر. توقف قليلاً وحدق في الكبسولات الخمس الباقية تحت ورق السيلوفان الممزق، ثم ابتلع كبسولة رابعة.

تلفّت حوله بسرعة، بعينين ماكرتين وخائفتين، وذقنه تكاد تلامس عظم صدره. بالرغم من أنه كان يعرف تماماً بأن الوقت كان ما يزال مبكراً لزوال الألم، إلا أنه شعر بالراحة فعلاً. يبدو أن امتلاك الكبسولات كان أكثر أهمية من تناولها.

إذا جاءت الآن –

"حسناً، حسناً. وصلتني الرسالة".

نظر داخل الصندوق الكرتوني، محاولاً حساب عدد علب العينات المجانية التي يمكنه أخذها دون أن تلاحظ أن فأراً صغيراً يُدعى بول شيلدون كان يقضم من مؤونتها.

قهقه بصوت حاد، ومسترخ. أدرك حينئذ بأن الدواء لم يكن يريح ساقيه فقط. لقد حصل على جرعته من المخدرات، إذا شئنا الدقة.

تحرك أيها الغبي. ليس هناك وقت للاستمتاع باسترخائك الآن.

أخذ خمساً من العلب؛ أي ما مجموعه ثلاثون كبسولة. كان يتوجب عليه منع نفسه من أخذ المزيد. حرك بقية العلب والزجاجات بيده، آملاً بأن تبدو تماماً كما بدت عندما نظر إليها أول مرة داخل الصندوق. طوى أغطية الصندوق ثم دفعه داخل خزانة المناشف.

كانت هناك سيارة قادمة.

انتصب جسده وتوسعت عيناه. أرخى يديه على جانبي كرسيه المتحرك وقبض عليهما بقوة. إذا كانت التي هي القادمة، فقد انتهى أمره. فهو لن يستطيع إعادة ذلك الكرسي الضخم، صعب الحركة، إلى غرفة النوم في الوقت المناسب. ربما قد يتمكن من ضربها بعصا المسح الغليظة قبل أن تلوي عنقه كالدجاجة.

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

جلس في كرسيه المتحرك، وعلب توفريل في حضنه وساقاه المكسورتان بارزتان أمامه، وانتظر لعل السيارة تمر أو تغيّر وجهتها.

علا صوت السيارة لمدة بدت وكأنها لن تنتهي... ومن ثم بدأ يخبو تدريجياً.

حسناً. هل تريد إنذاراً أكثر رعباً من هذا يا عزيزي بول؟

في الحقيقة، لم يرد ذلك. ألقى نظرة أخيرة إلى الصناديق. بدت له كما رآها في المرة الأولى - بالرغم من أن الألم كان يعتصره حين نظر إليها، وبالتالي فهو لم يكن متأكداً من ذلك تماماً - ولكنه كان يعرف بأن أكوام الصناديق قد لا تكون مبعثرة بالشكل الذي كانت تبدو عليه. كلا، على الإطلاق. كانت لدي تملك الملاحظة الدقيقة للمريض النفسي ولعلها كانت تحفظ موقع كل منها بدقة. قد تلقي نظرة واحدة عابرة داخل الخزانة فتعرف ما حدث. لكن إدراكه هذه الحقيقة لم يتسبب له بالخوف؛ بل بنوع من تقبل الواقع. وإذا كان هناك من عواقب، أو عقاب، فإنه قد يتمكن من مواجهتها بإدراكه بأنه لم يكن بمقدوره أن يفعل أفضل مما فعل.

أرجع كرسيه ببطء داخل الحمام وهو ينظر إلى الخلف بين الفينة والأخرى ليتأكد بأنه يسير في الطريق الصحيح. كانت تلك الحركة تتسبب له الكثير من الألم في السابق، لكن الكبسولات، فيما يبدو، كانت قد تكفلت بأمر الألم هذه المرة.

اتجه صوب الممر ثم توقف فجأة، عندما خطرت له فكرة رهيبة: ماذا لو كانت أرضية الحمام مبللة قليلاً، أو متسخة؟

نظر إلى الأرضية، ولبرهة بدا له أن فكرة أنه لا بد أن يكون قد ترك آثاراً على البلاط الأبيض النظيف كانت مقنعة إلى درجة أنه *رأى* آثار عجلاته بالفعل. هزّ رأسه ونظر ثانية، فلم يجد أي أثر. لكنّ الباب كان مفتوحاً أكثر مما كان من قبل. اتجه إلى الأمام، وأدار الكرسي قليلاً إلى اليمين كي يتمكن من إمساك قبضة الباب ثم سحبه حتى أصبح

نصف مغلق. نظر إليه مجدداً، ثم جذبه قليلاً، ليكون أقرب إلى الإطار. بدا ذلك أفضل.

مدّ يديه إلى العجلات ليدفعها فيرجع إلى غرفته، عندما أدرك بأنه كان يقف قبالة غرفة الجلوس تقريباً، وغرفة الجلوس هي المكان الذي يضع فيه معظم الناس أجهزة الهاتف و -

شعّ ضوء في رأسه كشعلة فوق مرج ضبابي.

"مرحباً، مركز بوليس سايدويندر، الشرطي هامبغي يتكلم".

"اصغ إليّ، أيها الشرطي هامبغي. اصغ جيداً ولا تقاطع، لأني لا أعلم كم من الوقت لديّ، اسمي بول شيلدون. أتصل بك من منزل آني ويلكس، أنا سجين لديها منذ أسبوعين على الأقل، وربما منذ شهر، لا -

آني ويلكس؟"

"تعال إلى هنا في الحال. أرسل سيارة إسعاف، بالله عليك، تعال إلى هنا قبل أن تأتي..."

ولكن، ما الذي جعلك تعتقد بأنها تمتلك هاتفاً؟ هل سمعت بأنها تتصل بأحد من قبل؟ وبمن يمكن لها أن تتصل؟ بأصدقائها الطبيين آل روبيدان؟

لمجرد أنها لا تملك شخصاً لتتشرشر معه طوال اليوم فهذا لا يعني بأنها لا تعي حقيقة أن الحوائط يمكن أن تقع، قد تسقط من أعلى الدرج فتكسر يدها أو ساقها، أو قد تشتعل النار في الحظيرة -

إنك تختبر حظك ليس إلا. إنك تختبر حظك وأنت تعرف ذلك.

أجل. كان يعرف ذلك، لكن فكرة وجود ذلك الهاتف، والإحساس المتخيّل بملامسته بأصابعه، وصوت طقطقة قرصه الدوار أو النغمة الصادرة عنه لدى نقره على الرقم 0؛ كان إغراء هذه التخيلات أقوى من قدرته على مقاومتها.

أدار الكرسي المتحرك حتى أصبح في مواجهة غرفة الجلوس، ثم

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

اتجه نحوها.

كانت الغرفة منعدمة التهوية، وتفوح منها رائحة عفنة. ورغم أن الستائر التي كانت تغطي النوافذ المقوسة كانت نصف مسدلة، سامحة بالإطلالة على منظر الجبال الجميل، إلا أن الغرفة كانت تبدو مظلمة جداً، وقد عزا ذلك إلى ألوانها الغامقة. كان اللون الأحمر الغامق هو اللون السائد، وكأن شخصاً ما أراق كمية كبيرة من الدم الوريدي فيها.

فوق رف الموقد، كانت هناك صورة فوتوغرافية ملونة لامرأة متجهمة ذات عينين صغيرتين عاتبتين، وفم دقيق مزموم، ووجه سمين. كانت الصورة، المحاطة بإطار مذهب مزخرف على الطراز الروكوكي، بحجم صورة الرئيس المعلقة في مراكز البريد في المدن الكبرى. بالطبع، لم يكن بول بحاجة إلى تصريح مصدق يخبره بأنها كانت صورة الأم المبجلة لآني ويلكس.

دفع كرسيه إلى الأمام أكثر، فاصطدم الجزء الأيسر منه بطاولة صغيرة الحجم عليها قطع تزيينية خزفية. اهتزت القطع وسقطت إحداها – بطريق خزفي يقف على كتلة جليدية خزفية – من على الحافة.

دون تفكير، مدّ يده وتلقف البطريق. كانت الحركة غير إرادية... لكن ردة الفعل بدأت بعدها. أمسك البطريق بقوة في قبضته المضمومة، محاولاً السيطرة على جسده المرتعش. *لقد أمسكت به، وبدون صعوبة. إضافة إلى ذلك، هناك سجادة على الأرض، ربما لم يكن سينكسر في كل الأحوال –*

ولكن، ماذا لو انكسر! عمل ذهنه بسرعة. *لو انكسر! عليك أن تعود إلى غرفتك قبل أن تترك شيئاً ما وراءك... أثراً ما...*

لا، ليس بعد. ليس بعد، بالرغم من الرعب الذي كان يعتريه. لقد تكبد الكثير من المشقة من أجل الوصول إلى هنا، وإذا كان هناك من مردود لعمله فهو سيحصل عليه.

نظر في أرجاء الغرفة، المليئة بأثاث يفتقر إلى الأناقة فشاهد على

طاولة موجودة إلى جانب الطرف البعيد من الأريكة، حيث تجلس ربما لمشاهدة التلفزيون، هاتفاً بسيطاً ذا قرص دوار.

أعاد البطريق الخزفي برفق – بالكاد تجرأ أن يتنفس – إلى طاولة التحف ثم دفع كرسيه باتجاه الهاتف.

كانت هناك طاولة أمام الأريكة – حرص على تفاديها هذه المرة – عليها مزهرية خضراء قبيحة الشكل تحتوي على مجموعة من الأزهار الجافة. وكانت المزهرية تبدو وكأنها ستنقلب من مجرد لمسها لأن ثقلها كان يتركّز في القسم العلوي منها.

لم تكن هناك سيارات قادمة؛ ولا يُسمع سوى صوت الريح.

أمسك قبضة الهاتف بيده ورفعها ببطء.

إحساس غريب مبهم يملأ عقله حتى قبل أن تلمس قبضة الهاتف أذنه فلا يسمع شيئاً. أعادها على مهل، وفجأة خطر بباله سطراً من أغنية قديمة لزوجر ميلر بدا بأنه يقدم معنىً فارغاً من أي معنى: *لا هاتف، لا مسيح، لا حيوانات مذللة... ليس لديّ سجائر...*

تتبع سلك الهاتف بعينيه فشاهد القابس في نهايته موصولاً مع المأخذ المربع قديم الطراز على الحائط. كل شيء كان يبدو بأنه يعمل بشكل نظامي.

مثل الحظيرة وقضبان التسخين على السقف.

الحفاظ على المظاهر أمر في غاية الأهمية.

أغمض عينيه فرأى آني ويلكس تنزع المأخذ الكهربائي وتضع صمغاً لاصقاً في الفراغ. رآها تعيد غرز المأخذ في الصمغ الأبيض حيث سيقسى ويتجمد فيه إلى الأبد. ولن تعرف شركة الهاتف بوجود أي مشكلة ما لم يحاول أحدهم الاتصال بآني والإبلاغ بأن خطّها لا يعمل، إلا أن أحداً لم يتصل بها. أليس كذلك؟ وهي ستتلقى الفواتير الشهرية على خطها الميت وستدفعها مباشرة. أما الهاتف، فلم يكن سوى ديكوراً خارجياً، كجزء من معركتها الدائمة *للحفاظ على المظاهر*، مثل الحظيرة

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

الأنـــوقة المرتـــبة بطلائهـــا الأحمر النظيف وأبوابها وشبابيكها المطلية بـــاللون الأبيض المائل إلى الصفرة وقضبان التسخين لإذابة ثلج الشتاء. هل عمدت إلى تعطيل الهاتف تحسباً لظرف كهذا؟ هل توقعت بإمكانية خـــروجه من الغرفة؟ شكّ في ذلك. إذ لا بد أن الهاتف – *الهاتف الذي يعمل* – كان يزعجها قبل فترة طويلة من وصوله. لا بد أنها استلقت في ســـريرها في الليل، تحملق في سقف غرفة نومها، وتصغي إلى صفير الـــرياح الجبلية، متخيلة بأن الناس الذين يكرهونها أو يحقدون عليها – كل من هم مثل آل رويدمان في العالم – أناس قد يخطر ببالهم، في أي وقت، أن يتصلوا بها بواسطة الهاتف ويصرخوا: *أنت من فعلتها يا آني! لقـــد أخذوك إلى دنفر، ونحن نعلم بأنك فعلتها! إنهم لن يأخذوك كل هذه المســـافة إلى دنفر مالم تكوني مذنبة!* بالطبع، لا بد أنها طلبت وحصلت علـــى رقم غير مسجل في دليل الهاتف – أي شخص يُحاكم ويبرأ من جـــريمة كبيرة (وإذا كانت المحكمة في دنفر، فلا بد أن الجريمة كبيرة) ســـيفعل ذلـــك حتماً – ولكن، حتى الرقم غير المسجل لن يريح شخصاً عصـــابياً مـــثل آنـــي ويلكس لفترة طويلة. فالجميع كانوا ضدها، وكان بإمكـــانهم الحصول على الرقم إذا ما أرادوا ذلك. ولعل المحامين الذين رافعـــوا ضـــدها في المحكمة سيكونون سعداء للمبادرة إلى أي شخص يطلبه منهم، والناس سوف يطلبونه بالتأكيد. إنها ترى العالم مكاناً مظلماً مليـــئاً بحشـــود بشرية تموج مثل البحار، تراه كوناً حقوداً يحيط بخشبة مســـرح وحـــيدة سُلّطت عليها بقعة مضيئة وحيدة... تضم آني ويلكس وحدهـــا. إذاً، من الأفضل لها أن تزيل الهاتف، أن تسكته، كما ستسكته هو لو علمت بأنه وصل إلى هنا.

ســـمع صوتاً مذعوراً في عقله يحثه على الخروج من ذلك المكان والعـــودة إلى غرفته وإخفاء الكبسولات في مكان ما والعودة إلى مكانه بجانب النافذة كي لا تلاحظ *أي فرق* حين تعود. هذه المرة كان متفقاً مع ذلـــك الصـــوت. أرجـــع كرسيه منتبهاً إلى الهاتف، وعندما أصبح في

الفســـحة الخالية الوحيدة في الغرفة، بدأ عملية دوران الكرسي المتحرك المجهدة متحاشياً المساس بالطاولة التي اصطدم بها قبل قليل.

كان بالكاد قد انتهى من الالتفاف عندما سمع صوت سيارة مقتربة، فعلم أنها كانت سيارتها العائدة من البلدة.

34

كـــاد أن يغشـــى عليه من فرط الرعب الذي أحس به، رعباً مليئاً بإحســـاس عميق بالذنب يفقده شجاعته. وفجأة تذكّر الحادثة الوحيدة في حـــياته التـــي كانت تشابه تقريباً هذه الحادثة من ناحية بعدها العاطفي الـــبائس. كان في الثانية عشرة من عمره، أثناء العطلة الصيفية. وكان أبـــوه يعمـــل، وأمه ذهبت لتمضية يومها في بوسطن برفقة جارتهم في الحي السيدة كاسيرك. رأى علبة سجائر أمه فأشعل واحدة منها. دخّنها بحمـــاس، شاعراً بالارتياح وعدم الارتياح في وقت واحد، متخيلاً بأنه نفـــس الشـــعور الـــذي يحســـه اللصوص عند سرقة مصرف ما. وفي منتصف السجارة – كانت الغرفة قد امتلأت برائحة الدخان – سمع أمه تفـــتح البـــاب الأمامي. *"بولي؟ هذه أنا، لقد نسيت حقيبتي!"* بدأ بالتلويح بيديه بجنون محاولاً تبديد الدخان، عارفاً بأن ذلك لن يجدي، عارفاً بأن أمره قد انكشف، عارفاً بأنه سوف يُصفع عقاباً له.

تذكّر الحلم الذي جاءه خلال إحدى فترات غيبوبته: *إذا كانت تريد حريتك بشدة يا بول، فستكون سعيدة بمنحك إياها.*

بدأ صوت المحرك يخبو مع إبطاء السيارة المقتربة لحركتها. إنها هي.

وضـــع بـــول يديـــن بالكـــاد كان يشعر بهما على العجلات ودفع الكرســـي باتجـــاه الممر، ملقياً نظرة واحدة إلى البطريق الخزفي القابع علـــى قاعدته الثلجية. هل كان في المكان نفسه الذي وجده فيه؟ لم يكن

www.jn2n.com
hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

متأكداً. ولكن، لم يكن أمامه إلا أن يأمل في أن يكون كذلك.

دفع الكرسي بسرعة في الممر باتجاه باب غرفة النوم. أمل بأن يدخل الكرسي مباشرة وبدون صعوبة، لكن هذا الأمل كان ناقصاً قليلاً؛ قليلاً فقط لقد اصطدم الكرسي بالجانب الأيمن من إطار الباب وارتد قليلاً إلى الخلف.

هل خدشت الطلاء؟ أوه، يا الله، هل خدشت الطلاء؟ هل تركت أثراً؟

لا، لم يكن هناك أي خدش. الحمد لله. بل مجرد ثلم صغير. أرجع كرسيه إلى الخلف قليلاً ثم عدّل اتجاهه، محاولاً المرور من فتحة الباب الضيقة.

بدأ صوت المحرك يتموج مع اقتراب السيارة المتأرجح والآن ها هو يسمع صوت الإطارات المخصصة للسير على الثلج.

دفع الكرسي إلى الأمام فعلق محوراً العجلتين بين جانبي باب غرفة النوم. دفع بقوة أكبر، وهو يعلم بأن ذلك لن يجديه نفعاً. كان عالقاً بين جانبي الباب مثل سدادة زجاجة شراب، غير قادر على الفكاك من كلتا الجهتين.

دفع الكرسي دفعة قوية أخيرة، فارتجفت عضلات ذراعيه كما ترتجف الأوتار في آلة الكمان، وعبر الكرسي أخيراً من خلال الباب مصدراً صوت صرير مزعج.

دخلت الشيروكي إلى الطريق الفرعي المؤدي إلى مدخل المنزل.

لا بد أنها تحمل رزماً، ورق الطباعة، وربما أشياء أخرى أيضاً، ولا بد أنها ستمشي عبر الممر المرصوف بحذر بسبب الثلج، وأنت هنا الآن، لقد انقضى الأسوأ، هناك وقت، ما زال هناك وقت...

تقدم أكثر داخل الغرفة، ثم دار نصف دورة فأصبح موازياً لباب الغرفة المفتوح، عندما سمع صوت محرك الشيروكي وقد توقف عن الدوران.

مال قليلاً وأمسك مقبض الباب وحاول إغلاقه. فارتد لسان القفل، الذي كان ما يزال بارزاً مثل إصبع فولاذي، من الإطار. دفعه بمقدمة إبهامه، فبدأ يتحرك... ثم توقف. توقف تماماً، رافضاً السماح بإغلاق الباب.

حدّق فيه بغباء للحظة من الزمن، مفكراً بتلك الحكمة القديمة التي تقول: *أي شيء يُحتمل أن يسوء حاله سوف يسوء حاله.*

أرجوك يا الله، لا مزيد من المصاعب، ألا يكفي أنها عطلت الهاتف؟

ترك لسان القفل فارتد كالنابض وبرز من الباب مجدداً. ثم دفعه ثانية فواجه نفس الإعاقة. داخل القفل سمع صوت خشخشة غريبة تعرّف أنها صادرة عن ذلك الجزء الذي انكسر من الدبوس. لقد سقط على نحو منع لسان القفل من الرجوع بشكل كامل.

سمع صوت باب السيارة يُفتح. حتى أنه سمع صوت لخيرها وهي تخرج منها. كما سمع خشخشة أكياس ورق فعرف أنها كانت تجمع رزمها.

قال بصوت هامس: "هيا". وبدأ يحرك اللسان برفق إلى الأمام والخلف. كان يدخل لمسافة قصيرة جداً في كل مرة ثم يقف. وكان يسمع صوت الدبوس الثمين يخشخش في الداخل. "هيا... هيا... هيا...".

بكى ثانية فاندمجت دموعه المنهمرة مع قطرات العرق المنسكبة على خديه. كان يدرك - دون أن يدري كيف - أنه كان ما يزال يتألم بالرغم من الجرعة الكبيرة من المسكنات التي ابتلعها، ويدرك كذلك أنه سوف يدفع ثمناً باهظاً لقاء عمله الصغير هذا.

ولكن، ليس بقدر الثمن الذي ستجعلك تدفعه إذا لم تستطع إغلاق هذا الباب اللعين يا بولي.

سمع صوت وقع خطواتها الحذرة وهي تمشي عبر الممر المرصوف. ثم خشخشة الأكياس... ومن ثم خشخشة مفاتيح المنزل وهي تخرجها من محفظتها.

hlo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"هيا... هيا... هيا..."

عندما دفع اللسان هذه المرة، سمع صوت طقّة خفيفة داخل القفل وانزلق اللسان البارز أكثر بقليل من سنتمتر واحد داخل الباب، لكن ذلك لم يكن كافياً لإغلاق الباب... بقي القليل فقط.

"رجاء... هيا..."

بدأ يحرك اللسان بسرعة أكبر، يتحايل عليه، مصغياً إليها وهي تفتح باب المطبخ. بعد ذلك - مثل إعادة مرعبة لذلك المشهد الذي امسكته فيه أمه وهو يدخن - صاحت آني بفرح: "بول؟ هذه أنا! لقد حصلت على أوراقك!"

لقد أمسكت بي! لقد أمسكت بي! أرجوك يا الله، لا تجعلها تؤذيني يا الله -

ضغط إبهامه بشكل لا إرادي على لسان القفل، فسمع صوت انكسار الدبوس في الداخل. وانزلق اللسان بشكل كامل داخل الباب.

وفي المطبخ سمع صوت احتكاك أسنان سخاب معطفها وهي تفتحه.

أغلق باب الغرفة. *هل سمعت هذا الصوت؟ لا بد أنها سمعته!* بدا صوت ارتداد اللسان أشبه بصوت طلقة المسدس الذي يعلن بدء السباق في ألعاب القوى.

أرجع الكرسي المتحرك باتجاه النافذة، وكان ما يزال يرجعه ويعدّل موضعه عندما سمع صوت خطواتها في الممر المؤدي إلى غرفته.

"لقد حصلت على أوراقك يا بول! هل أنت صاح؟"

لوى ذراع التوجيه مرة أخيرة ثم دفع الكرسي باتجاه النافذة عندما سمع صوت مفتاحها يخشخش في القفل.

لن ينجح الأمر... الدبوس... سوف تشك...

ولكن، لا بد أن ذلك الجزء المتبقي من الدبوس قد سقط واستقر في أسفل القفل، لأن مفتاحها عمل بشكل طبيعي. جلس في كرسيه، بعينين

نصف مغمضتين، آملاً بأن يكون قد أرجع كرسيه إلى حيث كان في الأصل (أو على الأقل قريباً منه بحيث لا تلاحظ ذلك)، وبأن تعتبر وجهه المبلل بالعرق وجسده المرتعش مجرد ردة فعل على حاجته الماسة للدواء، والأهم من ذلك كله، آملاً بأن لا يكون قد ترك وراءه أي أثر.

وفي اللحظة التي انفتح فيها الباب نظر إلى الأسفل فأدرك أنه أغفل أمراً في غاية الأهمية، وذلك بسبب قلقه الشديد من إمكانية أن يكون قد خلّف وراءه أثراً ماء كانت علب النوفريل ما تزال في حضنه.

35

كانت تحمل رزمتين من الورق، فرفعت إحداهما في يد واحدة وابتسمت، ثم قالت: "كما طلبت بالضبط، أليس كذلك؟ تزايد مودرن. لديّ ماعونان هنا، وهناك اثنان آخران في المطبخ، في حال احتجت المزيد. إذاً، فأنت ترى -"

توقفت فجأة، وعبست وهي تنظر إليه.

"إنك تنفطر عرقاً... ولونك محموم". ثم سكتت قليلاً. "ماذا كنت تفعل؟"

رغم أن سؤالها هذا جعل صوته الداخلي المذعور يزعق ثانية طالباً منه أن يستسلم ويعترف بما فعله ويطلب منها السماح، إلا أنه نجح في الرد على نظرتها المتشككة بتبرّم ساخر.

"أعتقد بأنك تعرفين ماذا كنت أفعل. كنت أعاني من الألم".

أخرجت من جيب تنورتها منديلاً ورقياً مسحت به جبهته فتبلل كله بالعرق. ثم ابتسمت له تلك الابتسامة الأمومية الزائفة.

"هل كان شديداً جداً؟"

"نعم. نعم، كان بالغ الشدة. والآن، هل يمكنني أن -"

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"أخبرتك عن إثارة غضبي. عش وتعلّم. أليس هذا ما يقولونه؟ حسناً، إذا كنت ستعيش، فأعتقد بأنك سوف تتعلم".

"هل يمكنني الحصول على دوائي الآن؟"

قالت آني: "خلال دقيقة". لم تفارق عيناها وجهه الشاحب المليء بالبقع الحمراء التي تشبه الطفح الجلدي. "أولاً، أريد أن أتأكد من أنك لا تريد شيئاً آخر. شيئاً آخر نسيته آني ويلكس الغبية لأنها لا تعرف كيف يتعامل السيد الذكي مع تأليف الكتب. أريد أن أتأكد من أنك لا تريدني أن أعود إلى البلدة لأجلب لك مسجلة، أو ربما خفّاً منزلياً خاصاً بالكتابة، أو شيئاً من هذا القبيل. لأنك إن كنت تريد مني ذلك، فسأذهب. أمنيتك هي بمثابة أمر بالنسبة لي ويتوجب عليّ تنفيذها. حتى أنني لن أنتظر كي أعطيك دوائك، بل سأقفز إلى سيارتي ثانية وأذهب. فما هو قولك أيها السيد الذكي؟ هل كل شيء موجود؟"

"كل شيء موجود، آني، رجاءً".

"ألن تثير غضبي ثانية؟"

"لا، لن أثير غضبك ثانية".

"لأنني عندما أغضب، أفقد السيطرة على نفسي". ثم أخفضت عينيها ناظرة إلى حيث كانت يداه تطوّقان بقوة علب النوفريل، وبقيت تنظر لفترة طويلة.

سألته بنعومة، "بول؟ لماذا تمسك يديك بهذا الشكل؟"

بدأ بالبكاء. كان بكاؤه ناجماً عن إحساسه بالذنب، وهو أكثر ما كان يكرهه في الأمر. لقد جعلته يشعر بالذنب بالرغم من كل ما فعلته به هذه المرأة الشريرة.

رفع عينيه ونظر إليها والدموع تنهمر منهما وتنساب على خديه، ولعب آخر ورقة في يديه.

"أريد دوائي، وأريد كذلك وعاء التبول. لقد حبستُه طوال الوقت الذي كنت فيه خارج المنزل يا آني، لكنني لا أستطيع أن أحبسه أكثر

من ذلك، وأنا لا أريد أن أبلل نفسي مجدداً".

ابتسمت له بلطف، وأشرق وجهها، ثم رفعت شعره من على جبهته. "عزيزي المسكين. لقد تركتك آني لفترة طويلة، أليس كذلك؟ فترة طويلة! أيتها العجوز اللئيمة يا آني! سأحضره في الحال".

36

لم يجرؤ على وضع الكبسولات تحت السجادة بالرغم من اعتقاده بأنه كان يملك الوقت الكافي لفعل ذلك قبل عودتها، وذلك لأن التنوءات ستكون ظاهرة للعيان رغم صغر حجم العلب. عندما سمعها تذهب إلى الحمام، أخذ العلب ومدّ يده بصعوبة وراء جسده وحشرها في مؤخرة سرواله الداخلي فوخزته الزوايا الكرتونية الحادة في شق مؤخرته.

عادت تحمل بيدها وعاء التبول، وهو علبة من الصفيح قديمة للطرلا بنت مثل مجفف الشعر. وباليد الأخرى كانت تحمل قرصين من النوفريل وكأساً من الماء.

قرصان آخران من تلك الأقراص التي تناولتها قبل نصف ساعة مثل الآن قد تسقطك في غيبوبة ومن ثم تقتلك، فكّر في نفسه، ثم أجابه الصوت الآخر على الفور: *ذلك أفضل*.

أخذ القرصين وابتلعهما مع الماء.

مدت يدها لتعطيه وعاء التبول. "هل تحتاج إلى مساعدة؟"

"لا، يمكنني القيام بذلك لوحدي".

أدارت وجهها مراعاة له في الوقت الذي أخرج فيه قضيبه ووضعه داخل الأنبوب البارد وتبول. نظر إليها مع بداية انبعاث صوت طرطشة بوله داخل الوعاء فشاهدها تبتسم.

"هل انتهيت؟" سألته بعد بضع دقائق.

"نعم". كان في الواقع بحاجة ماسة إلى التبول، لكنه في خضم تلك

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

اللحظات المثيرة لم يكن لديه الوقت للتفكير في مثل هذه الأشياء.

أخذت وعاء التبول منه ووضعته بحذر على الأرض. "والآن، لنرجعك إلى السرير. لا بد أنك مرهق... ولا بد أن ساقيك تغنيان أوبرا مأساوية".

أومأ برأسه موافقاً، بالرغم من أنه لم يكن يشعر بشيء على الإطلاق، فهذه الجرعة التي تناولها منذ قليل إضافة إلى تلك التي أخذها بنفسه كانت تسير به إلى فقدان الوعي على نحو مثير للقلق، وقد كان بالفعل بدأ يرى الغرفة من خلال طبقات من الضباب الرمادي. فحرص على التركيز على فكرة واحدة. عندما ستحمله إلى السرير ستكون مغمضة العينين بحيث إنها لن تلاحظ أن سرواله الداخلي كان محشواً بالعلب الصغيرة.

دفعت الكرسي إلى طرف السرير.

"دقيقة واحدة أخرى يا بول وسيكون بإمكانك أن تأخذ قسطاً من النوم".

"آني، هل يمكنك الانتظار خمس دقائق أخرى؟"

نظرت إليه، ثم ضيقت نظرتها قليلاً.

"اعتقدت بأنك كنت تعاني ألماً مروعاً أيها المحتال".

"بالفعل. إنني أتألم بشدة... وخصوصاً ركبتي. حيث... آه، حيث فقدت أعصابك. لست مستعداً للرفع بعد، فهل يمكنك الانتظار خمس دقائق حتى... حتى...".

كان يعرف ما يريد قوله لكن الكلمات كانت تهرب منه. فنظر إليها بيأس، عارفاً بأنها سوف تكتشف أمره في النهاية.

"حتى يأخذ الدواء مفعوله؟" سألته فأومأ برأسه ممتناً.

"حسناً، سآخذ بعض الأشياء ثم أعود في الحال".

حالما خرجت من الغرفة مدّ يده وراء ظهره وأخرج العلب ثم وضعها تحت الفراش واحدة تلو الأخرى. كانت طبقات الضباب تزداد

كثافة أمام عينيه وتتحول بأطراف من اللون الرمادي إلى الأسود.

ادفع العلب إلى أبعد مكان تستطيع الوصول إليه. تأكد من قيامك بذلك حتى لا تسحبها مع الغطاء المتدلي عندما تغير أغطية الفراش. أبعدها بقدر ما... ما...

دفع العلبة الأخيرة تحت الفراش ثم أسند ظهره ونظر إلى السقف، حيث كانت أحرف الـ W ترقص سكرى على الجص.

أهربيقيا.

الآن عليّ أن أمسح.

أوه، أنا واقع في ورطة كبيرة هنا.

آثار، هل خلّفت ورائي أية آثار؟

عندما بول شيئاً عن الوعي. وعندما استفاق، كان قد مرّ على نومه أربع عشرة ساعة، وكان الثلج يسقط مجدداً في الخارج.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

II

ميزوري

الكتابة لا تولد التعاسة،
إنها تولد من التعاسة.

مونتان

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

1

عودة ميزري

بول شيلدون

hllo_A@hotmail.com

إلى آني ويلكس

www.jn2n.com

الفصل الأول

اعتقد إيان كارميكايل لنفسه بأن الأمطار في كوزنوود كانت أشد وأغزر من أي منطقة أخرى في إنكلترا، بالرغم من أنه لم يكن ليغادر ليفل دانثورب مقابل كل مجوهرات المنكة لولا الضرورة القصوى.

كانت هناك قطعة قماش قديمة معلقة على علاقة موجودة في المدخل، فاستخدمها لتنشيف شعره الأشقر الغامق، بعد انتهائه من تعليق معطفه الذي يقطر ماءً وخلع جزمته.

وبينما هو في صالة الاستقبال، وصلت إلى مسامعه من بعيد نغمات شوبان الجميلة، فوقف يصغي

إليها والمنشفة ما تزال في يده اليسرى.

لم تعد القطرات التي تنساب على خديه الآن هي من ماء المطر بل كانت دموعه المنسكبة من عينيه.

تذكر جيفري حين قال له عليك ألا تبكي أمامها يا صديقي العزيز. هذا هو الشيء الذي ينبغي ألا تفعله أبداً.

كان جيفري محقاً بالطبع - نادراً ما كان جيفري العزيز يخطئ - لكن نجاة ميزري من ملاك الموت جعل من المستحيل بالنسبة إليه أن يحبس دموعه من الانهمار. كان يحبها حباً جماً، وكان يعلم أنه سيموت بدون ميزري ستفقد الحياة معناها بالنسبة إليه، وستموت في داخله.

صحيح أن ماضيها كان طويلاً وقاسياً، لكنه لم يكن أطول وأشد قساوة من ماضي العديد من الشابات اللواتي رأتهن، حينما قالت القابلة إنه لم يشتد قلقها إلا بعد منتصف الليل - عندما بدأ المخاض - وذلك بعد ساعة من مغادرة جيفري على حصانه من أجل إحضار الطبيب، بالرغم من أن الطقس كان ينذر بقرب هبوب العاصفة.

"عزيزي جيفري!" قالها بصوت عال هذه المرة وهو يخطو باتجاه المطبخ الدافئ الذي يسبب الدفء.

"هل قلت شيئاً يا سيدي الشاب؟" سألته السيدة راميج، مديرة منزل آل كارميكايل الصعبة الإرضاء ولكن المحببة، وهي تدخل من مخزن الأطعمة بقبعتها

المفزلية المائلة، كالعادة. ثم تنشقت من مسحوق الدخان، الذي ما تزال تعتقد بأنه، بعد كل تلك السنين، عادة سيئة سيئة.

قال إيان: "ليس عن قصد، سيدة راميج".

"من صوت تقطر الماء عن معطفك المعلق هناك في المدخل، لا بد أنك مبلل بالماء من رأسك حتى أخمص قدميك!"

قال إيان: "بالفعل". ثم فكر في داخله: لو عاد جيفري مع الطبيب متأخراً عشر دقائق فقط، فإنني أعتقد بأنني كنت سأموت. حاول إبعاد هذه الفكرة عن ذهنه - لأنها كانت بلا طائل ومثيرة للبأس في آن واحد - لكن فكرة الحياة بدون ميزري كانت مرعبة إلى درجة أنها كانت لا تفارقه.

ثم جاء صوت صراخ طفل معافى - ابنه - معلناً استعداده لتناول وجبته المسائية ليقطع عليه هذه التأملات الكئيبة. وبعد ذلك سمع صوت غرغرة توماس القديرة، التي ويلكس، وهي تحاول تهدئته وتغير له حفاضه.

قالت السيدة راميج: "إن صوت الطفل الصغير جيد هذا اليوم". عندئذ سنحت لإيان لحظة قصيرة للتفكير مجدداً في مسألة كونه أبا لطفل، لكن صوت زوجته الآتي من الممر قطع عليه تفكيره من جديد.

"مرحباً عزيزي".

رفع عينيه ونظر إلى محبوبته ميزري. كانت تقف بهدوء في الممر، وشعرها الكستنائي يشع على نحو غامض مثل قطع صغيرة من الجمر تتدفق بغزارة

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

فاتنة فوق كتفيها. كانت بشرتها ما تزال شاحبة، لكن إيان شاهد في وجنتيها ما يشبه بعودة اللون إليهما. أما عيناها السوداوان العميقتان فقد كانتا تتلألآن بفعل انعكاس وهج المصابيح في المطبخ في كل منهما مثل ماستين صغيرتين لميتين.

"عزيزتي!" صاح إيان ثم ركض إليها، تماماً كما فعل في ذلك اليوم في ليفربول، عندما بدا له أن القراصنة سوف يخطفونها بالتأكيد بعد أن أقسم له ساد جاك ويكرشام بأنهم سيفعلون ذلك.

فجأة تذكرت السيدة راميج شيئاً لم تفهمه في صالة الاستقبال فعادت وتركتهما معاً وابتسامة عريضة على وجهها. والسيدة راميج بدورها لم تستطع منع نفسها من التساؤل كيف ستكون الحياة لو وصل جيفري والطبيب متأخرين ساعة واحد في تلك الليلة العاصفة الحالكة السواد قبل شهرين من هذا اليوم، أو لو لم تنجح تجربة تفل دم السيد الشاب الشجاع إلى أوردة ميزري الفاضية.

"دعك من هذا يا فتاة". قالت لنفسها وهي تمشي مسرعة عبر الصالة. "بعض الأشياء لا تتحمل التفكير". يا لها من نصيحة جيدة أعطاها إياها إيان. لكنهما اكتشفا معاً فيما بعد بأن إسداء النصح في بعض الأحيان كان أسهل من تقبله.

في المطبخ، ضم إيان ميزري بقوة إلى صدره، شاعراً بأن روحه تحيا ثم تموت ثم تحيا من جديد من رائحة جلدها الدافئ.

لمس صدرها الفاغر وتحسس نبضات قلبها القوية

والثابتة.

همس لها: "لو مت لكنت قد مت معك".

وضعت ذراعيها حول عنقه، فالتقطت يده أكثر بصدرها الميت. همست ميزري: "هش، عزيزي. ولا تكن سخيفاً. أنا هنا... هنا. قبلني الآن! إن مت، فأخشى أن السبب سيكون من شدة رغبتي فيك".

أطبق شفتيه على شفتيها وعزز يديه في وهج شعرها الكستنائي، ولبضع دقائق اختفى كل شيء في الوجود، ولم يبق إلا هما فقط.

2

وضعت آني الصفحات المطبوعة الثلاث على الطاولة بجانبه وانتظر ليعرف ماذا ستقوله عنها. كان يحس بالفضول لكنه لم يكن قلقاً، فلقد كان مندهشاً بحق من سهولة انزلاقه ثانية إلى عالم ميزري. كان عالمها بسيطاً وحسياً، لكن ذلك لم يغير حقيقة أن العودة إلى ذلك العالم لم تكن كريهة كما كان يتوقع، كانت في الواقع باعثة على الارتياح. ولهذا السبب، فغر بول فمه مشدوهاً عندما قالت آني:

"إنها ليست منطقية".

"لِمَ؟ لم تعجبك؟" لم يكن يصدق. كيف أعجبت روايات ميزري الأخرى ولم تعجبها هذه؟ إنها شديدة الشبه بنمط روايات ميزري. ماذا عن السيدة العجوز الأمومية راميج وهي تستنشق دخانها في مخزن الطعام، وماذا عن مداعبة إيان وميزري لبعضهما البعض مثل شاب وشابة مثاريين جاءا إلى البيت للتو من حفلة راقصة لشباب المدرسة الثانوية، و —

هنا بدت آني هي المحتارة.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"أعجبتني؟ بالطبع أعجبتني. إنها رائعة. عندما ضمها إيان بين ذراعيه، بكيت. لم أتمكن من منع نفسي". في الواقع، كانت عيناها حمراوين قليلاً. وسمّيت ممرضة الطفل توماس باسمي... كان ذلك غاية في اللطف".

فكّر بول: *وتكبة أرضاً، أو على الأقل، أمل ذلك. وبالمناسبة، كان اسم الطفل في البداية شين، إذا كنت مهتمة، لكنني غيّرته لأنني وجدت بأن هناك الكثير من حرف الفون سلفاً.*

قال بول: "أعتقد بأنني لم أفهم".

"أنا لم أقل شيئاً عن عدم إعجابي بها، بل قلت بأنها ليست منطقية. يوجد فيها غش. عليك أن تغيّرها".

يبدو أن القارئة المواظبة قد تحولت إلى محرر عديم الرحمة.

دون أي انتباه منه، غطّى وجه بول تعبير يوحي بأنه كان يصغي بكل جوارحه. كان يستخدم هذا التعبير دائماً عند استماعه إلى المحررين، لأن الإيحاء بالإصغاء والتركيز إلى ما يقولونه يطريهم ويرضيهم، وإذا أحس المحررون بالإطراء، فإنهم قد يتخلون أحياناً عن بعض أفكارهم المجنونة.

سألها: "أين الغش فيها؟"

"حسناً، لمتطى جيفري حصانه وذهب إلى الطبيب. هذا جيد. لقد حصل ذلك في الفصل 38 من رواية *طفل ميزري*. لكن الطبيب لم يأت، كما تعلم بالتأكيد، لأن الحصان تعثر عندما حاول جيفري القفز فوق بوابة السيد كرانثورب الحقير – أمل يا بول *بأن* ينال هذا القذر العقاب الذي يستحقه في عودة *ميزري*، هذا ما أرجوه بالفعل – فكسر كتفه وبعض أضلاعه واستلقى هناك معظم الليل تحت المطر إلى أن مرّ بالصدفة صبي راعي الغنم ووجده. إذاً فالطبيب لم يأت أبداً. أرأيت؟"

"نعم". وجد نفسه فجأة غير قادر على إبعاد عينيه عنها.

ظن بأنها كانت تعتمر قبعة محرر، وأنها كانت على وشك أن

تملي عليه ما يكتب وكيف يكتبه. لكن الوضع لم يكن على هذا النحو. لنأخذ السيد كرانثورب على سبيل المثال: كانت *تأمل* بأن ينال السيد كرانثورب العقاب الذي يستحقه، لكنها لم تطلب ذلك. لقد نظرت إلى المسار الإبداعي للقصة على أنه أمر يقع خارج نطاق سيطرتها، بالرغم من سيطرتها الواضحة عليه هو نفسه. إلا أن بعض الأشياء ببساطة لا يمكن القيام بها. إن الإبداع أو عدمه لا علاقة لهما بهذه الأشياء، والقيام بها فعل أحمق يشبه إعلان إلغاء قانون الجاذبية أو لعب تنس الطاولة بقطعة من القرميد. صحيح *أنها* كانت قارئة مواظبة، ولكن هذا لا يعني بأنها كانت قارئة فهلوية.

فهي لم تقبل بأن يقتل ميزري، وها هي ترفض أن يعيد ميزري إلى الحياة من جديد.

يا الله، لكنني قتلت ميزري بالفعل. فماذا عساي أفعل؟

قالت آني: "عندما كنت طفلة، اعتادوا أن يعرضوا أفلاماً متسلسلة في دور السينما. حلقة في كل مرة. مثل 'المنتقم المقنّع'، و'فلاش غوردون'، وذلك الذي يتحدث عن فرانك باك؛ الرجل الذي ذهب إلى أفريقيا من أجل صيد الحيوانات البرية والذي كان يستطيع إخضاع الأسود والنمور بمجرد التحديق فيها. هل تذكر تلك الأفلام المتسلسلة؟"

"نعم أذكرها، ولكن لا يمكن أن تكوني كبيرة السن إلى هذه الدرجة يا آني، لا بد أنك شاهدتها على التلفزيون، أو أن أخاً أو أختاً أكبر منك أخبروك عنها".

ظهرت غمازتان صغيرتان على جانبي فمها ضمن تلك الكتلة اللحمية الصلبة لفترة قصيرة ثم اختفتا. "استمر في خداعك أيها المحتال! لقد كان لي أخ كبير بالفعل، واعتدنا على الذهاب لمشاهدة تلك الأفلام مساء كل سبت. حدث ذلك في بيكرزفيلد، كاليفورنيا، حيث ترعرعت. وبالرغم من أنني كنت أستمتع بالمشاهد التي تُعرض قبل الأفلام وبالرسوم المتحركة الملونة والأفلام السينمائية الطويلة، إلا أن ما كنت

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

لتطلع لمشاهدته فعلاً هو الحلقة التالية من تلك الأفلام المتسلسلة. وغالباً ما كنت أجد نفسي أفكر فيها طوال الأسبوع وخاصة في الأوقات غير المناسبة؛ إذا كان الدرس مملاً، أو إذا اضطررت إلى رعاية أطفال السيدة كرينميستر الأربعة المملين والمتطلبين. كم كنت أكره أولئك الأطفال".

صمتت آني، وأشاحت بنظرها إلى الزاوية. كانت هذه هي المرة الأولى التي يحصل معها ذلك منذ أيام، وقد تساءل بول بشيء من القلق ما إذا كانت ستفقد سيطرتها على نفسها ثانية. لأنه إذا كان ذلك صحيحاً، فمن الأفضل له أن يحصّن نفسه.

وأخيراً، خرجت من غيبوتها تلك، وعلى وجهها، كما هو الحال دائماً، تعبير يدل عن استغراب خفيف، كأنها لم تكن تتوقع بأن العالم ما يزال موجوداً.

كان "الرجل النفاث" هو المفضل بالنسبة لي. كما في الفصل السادس مثلاً، "موت في السماء"، حيث تراه غائباً عن الوعي بينما كانت طائرته تسقط بشكل منحدر وبالسرعة القصوى باتجاه الأرض. أو في نهاية الفصل التاسع، "موت مشتعل" حيث تراه مقيداً إلى كرسي في مخزن تلتهمه النيران. وفي بعض الأحيان يكون في سيارة بلا مكابح، أو يتعرض لغاز سام، أو لخطر الكهرباء".

"مواقف مشوقة، كما يسمونها". تجرأ بول على التعليق.

لوّحت بيدها في وجهه دلالة على نفاد الصبر، ففهم بأن من الأفضل له - اليوم على الأقل - أن لا يقاطعها. كنت أستمتع بالتفكير في كيفية خروجه من تلك المواقف الصعبة. كنت أصيب أحياناً، وأخطئ في أحيان أخرى. لم أكن أهتم في الواقع، طالما أنهم كانوا يكتبونها بشكل منطقي. أقصد الناس الذين ألّفوا القصة".

نظرت إليه بحدة للتأكد من أنه فهم القصد. وقد فهم بول ما ترمي إليه تماماً.

"على سبيل المثال، عندما كان فاقداً وعيه في الطائرة. استيقظ فوجد مظلة تحت المقعد. فلبسها وقفز من الطائرة وكان ذلك منطقياً بما يكفي".

الآلاف من مدرسي مادة الإنشاء سيخالفونك الرأي يا عزيزتي، فكر بول في داخله. *فما تتحدثين عنه يُسمّى "الإله المنقذ"، وكان الإغريق أول من استخدمه في مسارحهم الدائرية. عندما يضع مؤلف المسرحية بطله في مأزق يستحيل الخروج منه، تأتي تلك الكرسي المزينة بالزهور من فوق رأسه، فيجلس عليها ثم تُسحب الكرسي وتخلصه من الخطر. حتى أغبى الأغبياء سيفهم الرمزية هنا؛ لقد تم إنقاذ البطل من قبل الله. لكن هذه التقنية، التي تعرف في اللغة الاختصاصية أحياناً بـ "خدعة المظلة" الموجودة تحت مقعد الطائرة، بطُل استخدامها أخيراً حوالي العام 1700، بالطبع باستثناء تلك القصص السخيفة مثل مسلسل الرجل النفاث وكتب ناتسي درو. أعتقد بأنك لم تسمعي بذلك يا آني.*

للحظة لن ينساها طوال عمره، ظنّ بول بأنه سينفجر بالضحك. ونظراً لمزاجها في ذلك الصباح، فإن هذا سوف يؤدي به بالتأكيد إلى نيل عقوبة مؤلمة. لكنه رفع يده بسرعة ووضعها على فمه مغطياً البسمة كانت على وشك الظهور، وتظاهر بأنه يسعل.

خبطته بيدها على ظهره بقوة إلى درجة مؤلمة.

"هل هذا أفضل؟"

"نعم، شكراً".

"هل يمكنني الذهاب الآن يا بول، أو هل تريد أن تعطس؟ هل أجلب لك الدلو؟ هل تشعر بأنك سوف تتقيأ؟"

"لا، آني، أرجوك تابعي. ما تقولينه في غاية اللطف".

بدت راضية قليلاً؛ ليس كثيراً، بل قليلاً. "عندما وجد تلك المظلة، كان ذلك منطقياً. ربما ليس واقعياً، لكنه منطقي".

فكّر في ما تقوله، فتفاجأ - إن آراءها العرضية الثاقبة ثم تكف

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

عن إدهاشه – ثم قرر بأن ما قالته كان صحيحاً. قد تكون كلمتا منطقي وواقعي مترادفتين في أحد المجالات، لكن ليس في هذا المجال.

قالت آني: "ولكن، خذ جزءاً آخر. وهذا هو بالضبط مكمن الخطأ في ما كتبته أمس يا بول، فاصغ إليّ".

"كلي آذان صاغية".

نظرت إليه بحدة لترى إذا كان يمزح. غير أن وجهه كان شاحباً وجدياً، ويشيه إلى حدٍّ كبير وجه طالب مجتهد. تبدّد الدافع إلى الضحك عندما أدرك بأن آني يمكن أن تكون عارفة بكل شيء عن تقنية "الإله المتقل" باستثناء الاسم.

قالت: "حسناً، هذا هو الجزء الذي لم يكن فيه مكابح. لقد وضع الأشرار الرجل النفاث في سيارة لم يكن فيها مكابح، ثم لحموا أبواب السيارة كي لا يتمكن من فتحها، ثم شغّلوا السيارة فبدأت تسير في ذلك الطريق الجبلي المتعرج. يمكنني أن أقول لك بأنني كنت أجلس على حافة مقعدي آنذاك".

كانت تجلس على حافة سريره، فيما كان بول يجلس على كرسيه المتحرك. كانت قد مرّت خمسة أيام على رحلته السريعة إلى الحمام وصالة الاستقبال، وقد تعافى من تلك التجربة بأسرع مما كان يتوقع. في الحقيقة، إن مجرد عدم اكتشافها لأمره كان بمثابة دافع رائع للتعافي واستعادة النشاط.

نظرت بشرود إلى التقويم المعلق على الحائط، حيث يقود ذلك الصبي المبتسم زلاجته خلال شهر شباط الذي لا ينتهي.

"إذاً، كان الرجل النفاث المسكين عالقاً في تلك السيارة بدون حقيبته النفاثة أو حتى خوذته الخاصة، ويحاول توجيه وإيقاف السيارة وفتح الباب الجانبي في وقت واحد. بإمكاني أن أقول بأنه كان منهمكاً مثل رجل بذراع واحدة يقوم بإلصاق ورق جدران".

نعم، استطاع بول فجأة أن يتخيل المشهد ويفهم كيف استُخدم

للإثارة والتشويق. كان المشهد بأكمله مثالاً بشكل يوحي بوجود خطر داهم ويُظهر اندفاعاً سريعاً في منحدر قاس. لقطة إلى دواسة الفرامل، التي تغوص بسهولة إلى آخرها عندما تطأ قدم الرجل عليها (استطاع تخيل الحذاء بوضوح تام، حذاء من النوع الذي كان شائعاً في الأربعينيات). لقطة إلى كتفه يخبط الباب. ثم لقطة من الخارج تُظهر نتوءاً غير منتظم من اللحام يغطي قفل الباب. غباء، بالتأكيد، لكن يمكنك توظيفه في أشياء معينة؛ يمكنك تسريع نبضات القلب بواسطته.

"وهكذا، بعد ذلك ترى أن الطريق ينتهي عند ذلك الجرف"، تابعت آني وصفها، "والجميع في السينما كانوا يعرفون بأن الرجل النفاث إذا لم يخرج من سيارته الهادسون القديمة قبل أن تصل إلى الجرف، فإنه سيهلك لا محالة. تُرتاني تلك السيارة، والرجل النفاث ما يزال يحاول تشغيل الفرامل أو فتح الباب، ثم... تصعد فوقها! وتطير في السماء ثم تهوي وتضرب جانب الجرف عند منتصف سقوطها تقريباً ثم تنفجر ويشب الحريق فيها، ثم تسقط في المحيط، وبعد ذلك تظهر الرسالة الختامية على الشاشة تقول: الأسبوع المقبل الفصل ١١، طيران التنين".

جلست على طرف السرير ويداها متشابكتان بقوة، وصدرها الضخم يرتفع ويهوي بسرعة.

"حسناً!" قالت دون أن تنظر إليه، موجهة نظرها إلى الجدار فقط، "بعد ذلك، بالكاد استطعت مشاهدة الفيلم. وخلال الأسبوع التالي، لم أستطع الكف أبداً عن التفكير في الرجل النفاث. كيف سيتمكن من النجاة؟ لم أستطع حتى التخمين.

وفي السبت التالي، كنت أقف أمام السينما منذ منتصف الظهر، رغم أن شباك التذاكر لن يفتح حتى الواحدة وخمسين دقيقة والفيلم لن يبدأ حتى الثانية. ولكن، بول... ما حدث... حسناً، لن يمكنك أبداً أن تخمن!"

لم يتفوه بول بأية كلمة، ولكن كان بإمكانه أن يخمن. فهو يعرف

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

كيف أنها أُعجبت بما كتبه بالرغم من أنها تعرف بأنه ليس منطقياً؛ عرفت ذلك وقالته، ليس بذلك التعقيد الأدبي المزيف أحياناً للمحررين، بل بيقين بسيط وغير متناقض لقارئ دائم. لقد عرف ذلك وأحس بالخجل من نفسه. كانت محقة. فهو كتب شيئاً غير منطقي.

"كانت الحلقة الجديدة تبدأ دائماً بنهاية الحلقة السابقة. وهكذا، عرضوا الرجل النفاث وهو يقود السيارة في المنحدر، وعرضوا الجرف الصخري، وعرضوه وهو يخبط باب السيارة محاولاً فتحه. ومن ثم، فجأة، انفتح الباب فخرج منه وسقط على الطريق! وتابعت السيارة طريقها إلى الجرف. كان جميع الأطفال يهتفون فرحاً بنجاة الرجل النفاث، إلا أنا يا بول. كنت غاضبة! فبدأت بالصراخ "هذا ليس الذي حدث في الأسبوع الماضي! هذا ليس الذي حدث في الأسبوع الماضي!"

وثبت أني من مكانها وبدأت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. كان رأسها منخفضاً، وشعرها الأحمر يهتز حول وجهها، وعيناها تقدحان شرراً، ضاربة قبضة إحدى يديها في راحة اليد الأخرى بشكل متواصل.

"حاول أخي إيقافي، وعندما لم أستجب له حاول وضع يده على فمي لإسكاتي فعضضتها ورحت أصرخ من جديد "هذا ليس الذي حدث في الأسبوع الماضي! هل كلكم أغبياء كي لا تتذكروا؟! هل أصبتم جميعاً بالنسيان؟" فقال لي أخي "أنت مجنونة يا آني". لكنني كنت أعرف بأنني لست مجنونة. ثم جاء المشير وقال بأنني إذا لم أصمت فإنه سيتوجب عليّ المغادرة فقلت له "بالتأكيد سأغادر لأن هذا غش قذر، هذا ليس الذي حدث في الأسبوع الماضي!"

نظرت إليه فشاهد بول جريمة واضحة في عينيها.

"إنه لم يخرج من تلك السيارة اللعينة! كانت في طريقها إلى الحافة وهو ما يزال في داخلها! هل تفهم ذلك؟"

أجاب بول: "نعم".

"هل تفهم ذلك؟"

فجأة هجمت عليه، وبالرغم من أنه أحس بأنها كانت تزيد إيذاءه، كما فعلت في السابق، ربما لأنها لم تتمكن من النيل من ذلك المؤلف الذي أخرج الرجل النفاث من سيارة الهادسون بشكل مخادع قبل أن تسقط من فوق الجرف، إلا أنه لم يتحرك على الإطلاق. لقد استطاع رؤية بنور اضطرابها الحالي من خلال نافذة الماضي التي فتحتها له منذ قليل. إن الظلم الذي شعرت به – بالرغم من طفوليته – حقيقي تماماً، بدون أدنى شك.

لم تضربه، بل أمسكت به من مقدمة العباءة التي كان يرتديها وجذبته إليها حتى كاد وجهاهما يتلامسان.

"هل فهمت؟"

"نعم، آني، نعم".

حدقت إليه بتلك النظرة السوداء الغاضبة، لا بد أنها رأت حينئذ الحقيقة في وجهه، لأنها بعد لحظات رمت به باحتقار في كرسيه.

تغضن وجهه من جراء شعوره بالألم، لكنه بعد قليل بدأ يخف.

"إذاً فأنت تعرف ما هو الخطأ؟"

أعتقد ذلك، بالرغم من أنني سأكون ملعوناً إذا كنت أعرف كيف سأصلحه.

فردّ عليه الصوت الآخر في الحال: *لا أعرف إذا كان الله سيلعنك أم سيبقيك يا بولي، لكنني أعرف شيئاً واحداً فقط: إذا لم تبتكر طريقة لإعادة ميزري إلى الحياة – طريقة تقنعها بالطبع – فإنها سوف تقتلك.*

"فلتقم بعملك إذن". قالت بشكل مقتضب، ثم غادرت الغرفة.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

3

نظر بول إلى الآلة الكاتبة القابعة في الغرفة أمامه. حرف النون! لم يكن يعرف بعد ما هو معدل ورود حرف النون في كل سطر مما كتب.

قالت الآلة الكاتبة: *ظننت بأنه من المفترض أن تكون ماهراً.*

مسخها ذهنه صوتاً إذرائياً لكنه فتي، صوت مراهق يحمل مسحاً في أفلام الكاوبوي الهوليودية، فتىً مصمم على كسب شهرة سريعة هنا في ديدوود. *أنت لست ماهراً كفاية. للعنة، لا يمكنك حتى أن ترصي ممرضة سابقة مجنونة ثقيلة الوزن. لعلك كسرت عظمة الكتابة في ذلك الحادث أيضاً... وهي العظمة الوحيدة التي لا تتماثل للشفاء.*

أرجع ظهره إلى الخلف إلى آخر حدّ يسمح به كرسيه وأغمض عينيه. كان سيسهل عليه تحمّل رفضها لما كتبه لو أن بإمكانه عزو ذلك إلى الألم، إلا أن الألم في الحقيقة كان قد بدأ بالتراجع أخيراً.

كانت الكبسولات المسروقة موضوعة بأمان بين الفراش وحامل النوابض. لم يكن قد تناول أياً منها؛ معرفته بأنها موجودة وضعت الطلب كانت كافية بالنسبة له. صحيح أنه كان هناك احتمال بأن تجد أني الكبسولات فيما لو خطر ببالها فقط أن تقلب الفراش، إلا أنه كان مستعداً للإقدام على هذه المجازفة.

لم تحدث بينهما أية مشكلة منذ ثورة غضبها حول مسألة الورق. كان دوائه يأتيه بانتظام، وهو كان يتناوله راضياً. لكنه تساءل ما إذا كانت تعرف بأنه قد أدمن على المادة.

يا رجل، هذه مبالغة بعض الشيء، أليس كذلك؟

لا، هذا ليس صحيحاً. فقبل ثلاث ليال، عندما تأكد بأنها كانت في الطابق العلوي، أخذ خلسة إحدى علب الدواء المجانية وقرأ كل شيء مكتوب على الورقة بداخلها، وعرف المادة الأساسية في النوفريل.

الحقيقة هي أنك تتماثل للشفاء يا بول. صحيح أن ساقيك تحت الركبتين تبدوان مثل صورة رسمها طفل في الرابعة من عمره بواسطة عود خشبي، إلا أنك تتماثل للشفاء. يمكنك أن تصمد على الأسبرين أو الإسبرين الآن. إنك لست بحاجة إلى النوفريل.

كان عليه أن يقلل من تناولها، عليه أن يتفادى بعض الكبسولات. ولكن، إلى أن يتمكن من فعل ذلك، فإنها سوف تستمر بإعطائه الكبسولات بشكل منتظم.

حسناً، سأتفادى واحدة أو اثنتين من الكبسولات في كل مرة تجلبها إليّ. سأضع واحدة تحت لساني والبقية الأخرى، ثم سأدسها تحت الفراش مع الكبسولات الأخرى عندما تعيد كأس الماء. ولكن، ليس اليوم. فأنا لا أشعر بأنني مستعد للدواء اليوم. سأبدأ غداً.

هوهوه، يولي، إنك مضحك فعلاً، قالت الآلة الكاتبة بصوت ذلك الكاوبوي الأجش.

تمتم بول بصوت خافت: *إن الطيور القذرة من الأميركيين ليست كلها مضحكة، لكننا لا نكف عن المحاولة. عليك أن تتقبلي ذلك.*

حسناً، من الأفضل لك أن تبدأ التفكير في كل المخدرات التي تتناولها يا بول. من الأفضل لك أن تبدأ بالتفكير بها بشكل جدي.

قرر فجأة، بتأثير تلك اللحظة، بأن يبدأ بالتحايل على الدواء حالما يخط أول فصل يدل إعجاب اني على الورق؛ الفصل الذي تقرر أني بأنه ليس مغشوشاً.

جزء منه – ذلك الجزء الذي كان يستمع حتى إلى أفضل التعليقات التحريرية وأكثرها إنصافاً بغظاظة وقلة تهذيب – اعترض لأن اني كانت مجنونة، ولأنه لم يكن يملك أي وسيلة تجعله متأكداً مما ستقبله أو لا تقبله، ولأن كل ما سيحاول فعله لن يكون أكثر من رمية نرد.

لكن جزءاً آخر – جزء أكثر عقلانية من الأول – خالفه في الرأي. لأنه يعرف أن يميز الأفكار الجيدة من غير الجيدة عندما يجدها.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

لـم يكـن يعرف بأن ما كتبه كان خاطئاً؟ تلك الأفكار لم تكن أكثر من أكاذيـب قابلـة للتصـديق. لقد ساءت الأمور لأنه كان يغش وهو كان يعرف ذلك حق المعرفة.

حسـناً، أيها تقرأ أفكارك أيها الأحمق، قالت الآلة الكاتبة بصوتها المهين والبشع. *أليس كذلك؟ فلماذا أنت فاشل الآن؟*

في الواقع، لم يكن يعرف ماذا سيفعل، لكنه كان يعتقد بأنه مضطر للقـيام بشـيء مـا، وعلـى وجه السرعة. لم يهتم كثيراً بمزاجها هذا الصـباح، بيد أنه أحس بأن عليه أن يعد نفسه محظوظاً لأنها لم تكسر سـاقيه مـن جديـد بواسطة عصا كرة القاعدة أو تطلق أظافره بأسيد الـبطاريات أو شيء من هذا القبيل للإشارة على امتعاضها من الطريقة التـي استهل بها كتابها. فإن ردات الفعل الانتقادية هذه محتملة الحدوث دائماً نظراً لنظرة أني الفريدة إلى العالم. لو خرج من هذه الورطة حياً، اعـتقد بـول بأنه سوف يكتب رسالة إلى كريستوفر هيل، الذي يكتب مقـالات نقديـة حول الكتب في جريدة *التايمز* النيويوركية. سيقول في رسـالته: "كلمـا كـان يتصل بي محرري ويخبرني بأنك كنت تخطط لمـراجعة أحـد كتبـي فـي جـريدة *التايمز*، كانت ركبتاي تصطكان ببعضهما. لقد منحتني بعض المقالات النقدية الجيدة أيها الصديق القديم، لكنك أيضاً نسفتني أكثر من مرة، كما تذكر بالتأكيد. على أي حال، كنت فقط أريد أن أخبرك بأن تستمر في عملك وتكتب أقسى ما عندك من نقد لأنـني وجـدت مزاجاً نقدياً جديداً تماماً. يمكننا أن نسمي هذه المدرسة الفكـرية **حقلـة شواء كولورادو** أو **دلو المسح**. إنها تجعل النقد الذي تكتـبونه أيها الأصدقاء يخيف بقدر ما تخيف جولة في دوامة في مدينة الألعاب سيدرال بارك".

هـذا ممتاز جداً، يا بول، كتابة *رسائل حب إلى النقاد* بالنسبة إلى أحدهم *مثيرة جداً للضحك*.

نعم، بالفعل.

كانت الآلة الكاتبة قابعة هناك أمامه تضحك ساخرة منه.

قـال بـول بكآبة: "أنا أكرهك". ثم أشاح بنظره إلى الخارج عبر النافذة.

4

إن العاصفة الثلجية التي استيقظ عليها بول بعد يوم من رحلته إلى الحمـام استمرت لمدة يومين فازدادت سماكة الثلج حوالى ثمانية عشر إنشـاً علـى الأقل. وعندما أشرقت الشمس أخيراً وبدأت تسترق النظر بحـياء بيـن الغيوم، كانت سيارة آني الشيروكي قد أصبحت مجرد تلة بيضاء في الممر الفرعي الموصل إلى المنزل.

ولم تكن الشمس مشرقة فقط بل حارة أيضاً، حيث بثت الدفء في وجهـه ويديه بينما هو جالس في مكانه. كانت قطع الجليد المتدلية من سـقف الحظـيرة تـتقطر من جديد. شرد فكره لفترة وجيزة مفكراً في سـيارته الموجودة في الثلج، ثم التقط قطعة من الورق ولفها داخل الآلة الكاتبة. طـبع كلمتـي **عودة ميزري** في الزاوية العلوية اليسرى من الورقـة، والـرقم ٤ فـي الزاوية العلوية اليمنى. ثم ضرب على مفتاح الإرجـاع أربـع أو خمس مرات ليعيد مركز الكتابة إلى المنتصف، ثم طـبع **الفصـل الأول**. كان يضرب على المفاتيح بقوة أكبر من اللازم، وذلـك حتى يصل الصوت إلى مسامعها وتتأكد بأنه يكتب *شيئاً ما* على الأقل.

حينـئذ بـدا ذلك الفراغ الأبيض الممتد تحت كلمتي الفصل الأول مثل هوة ثلجية يمكن أن يسقط فيها ويموت اختناقاً في الثلج.

أفريقيا.

طالما أنهم يكتبونها بشكل متطفل.

ذلك الطائر جاء من أفريقيا.

www.jn2n.com
hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

كانت هناك مظلة تحت مقعده.

أفريقيا.

الآن عليَّ أن أسمح.

انفصل عن الواقع شيئاً فشيئاً، مع علمه بأن عليه ألا يفعل ذلك، لأنها لو جاءت ووجدته شارداً بدلاً من انهماكه بالكتابة فستغضب بدون أدنى شك، بيد أنه ترك نفسه يحلّق في عالم الخيال بالرغم من ذلك. لكنه في الواقع لم يكن يحلم فقط، بل كان – بطريقة غريبة – يفكر... ينظر... يبحث.

تبحث عن ماذا يا بولي؟

هذا واضح جداً. كانت الطائرة تهوي وهو كان يبحث عن المظلة تحت المقعد. جيد؟ هل هذا منطقي كفاية؟

منطقي كفاية. عندما كان يبحث عن المظلة تحت المقعد، كان ذلك منطقي بما يكفي. ربما ليس واقعياً تماماً، لكنه منطقي.

عندما كان طفلاً، أرسلته أمه خلال عطلتين صيفيتين إلى معسكر نهاري كان يقيمه مركز مالدن الاجتماعي. وفي ذلك المعسكر كانوا يلعبون هذه اللعبة... كانوا يجلسون بشكل دائري، واللعبة كانت تشبه أفلام أي المتسلسلة... وكان يربح فيها تقريباً دائماً... ماذا كانت تدعى هذه اللعبة؟

تخيّل خمسة عشر أو عشرين صبياً وفتاة يجلسون بشكل دائري في إحدى الزوايا الظليلة في ساحة اللعب – كلهم كانوا يلبسون قمصاناً كُتب عليها مركز مالدن الاجتماعي – ويستمعون بانتباه إلى المرشد وهو يشرح كيفية لعب اللعبة. *كان اسم اللعبة، **هل يمكنك؟** وهذا هو اسم اللعبة التي تلعبها الآن يا بولي، أليس كذلك؟*

بالفعل، هذا ما كان يعتقده بول.

في لعبة **هل يمكنك؟** بدأ المرشد بسرد قصة عن شخص يُدعى كيرتيس كوريغان. كان كيرليس ضائعاً في أدغال أميركا الجنوبية.

وفجأة يجد نفسه محاطاً بالأسود من كل جانب... ثم بدأت الأسود تقترب منه.

كان بحوزة المرشد ساعة توقيت استطاع بول شيلدون تخيّلها بشكل واضح ومثير للإعجاب، بالرغم من عقله المتخدر وبالرغم من أنه لم يمسكها في يده منذ ما يزيد عن ثلاثين عاماً. استطاع رؤية أرقامها الدقيقة، والإبرة الصغيرة الموجودة في أسفل الساعة التي كانت تسجل أعشار الثواني، كما استطاع رؤية اسم الماركة المكتوب بأحرف دقيقة: لوكس.

بعد ذلك نظر المرشد إلى الدائرة ثم اختار أحد الأطفال، وقال: "دانييل، **هل يمكنك؟**" وما إن لفظ المرشد كلمتي هل يمكنك؟ حتى ضغط على زر التوقيت معلناً بدء حساب الوقت.

كان أمام دانييل حينئذ عشر ثوان فقط كي يتابع القصة، فإذا لم يبدأ الكلام خلال تلك الثواني العشر، فإنه سوف يخرج من الدائرة. أما إذا استطاع إخراج كيرليس من ورطته مع الأسود، فسيعود المرشد مرة أخرى إلى الدائرة ليطرح سؤال اللعبة التالي، ذلك السؤال الذي استحضر وضعه الحالي إلى ذهنه مجدداً، "هل نجح؟"

كانت قواعد هذا الجزء من اللعبة تشبه قواعد أي تماماً: الواقعية ليست ضرورية، أما المنطقية فبلى. كان بإمكان دانييل أن يقول، على سبيل المثال: لحسن الحظ، كان كيرليس يحمل معه بندقية وينشستر ومعها الكثير من الذخيرة. وهكذا أطلق النار على ثلاثة من الأسود وفرّت الأسود الأخرى". في هذه الحالة، بالطبع، نجح دانييل في إخراج كيرليس من ورطته. عندها سوف يأخذ المرشد ساعة التوقيت ويتابع القصة إلى أن يصل إلى وضع كيرليس، مثلاً، في بركة من الرمال المتحركة أو أي شيء آخر، ثم يسأل طفلاً آخر إذا كان أو كانت تستطيع إكمال القصة، ثم يضغط زر التوقيت مجدداً.

لكن الثواني العشر ليست كافية، ولن يكون التفكير المنطقي بالأمر

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

اليسير... وبذا سيكون اللجوء إلى الغش أسهل. فقد يقول الطفل الثاني شيئاً ما مثل: "عندئذ جاء ذلك الطائر العملاق - أعتقد بأنه العقاب الأنديزي - فأمسك كيرليس برقبته وجعله يطير به وينتشله من تلك الرمال المتحركة".

وعندما يسأل المرشد، "هل نجح الطفل الثاني في إكمال القصة بشكل منطقي؟" سيرفع الأطفال الذين يظنون بأنه نجح أيديهم، وسيرفعها من يظنون العكس منخفضة. في حالة العقاب الأنديزي، بالطبع، من المؤكد أن الطفل سوف يدعى للخروج من الدائرة.

هل يمكنك يا بول؟

بالتأكيد. هذا هو سبب بقائي على قيد الحياة. وإلا فكيف أمكن لي أن أحتفظ بمنزلين لي في نيويورك وأولس انكلوس، لأنني قادر، وهذا مما لا يدعو إلى الاعتذار بشأنه، للغاية. هناك الكثير من الأشخاص الذين يستطيعون الكتابة أفضل مني والذين يملكون فهماً أفضل مني لطبيعة الناس وما يجب أن تكون عليه الإنسانية، أعرف ذلك. ولكن، عندما يسأل المرشد أحداً من هؤلاء الأشخاص، هل نجح؟ فإن القليل من الناس يرفعون أيديهم موافقين. لكنهم يرفعون أيديهم لي... أو لميزري... على أي حال، أعتقد بأن الأمرين سيان ويدلان على شيء واحد في نهاية المطاف. هل أقدر؟ نعم، بالتأكيد أنا قادر. بالطبع. هناك مليون شيء لا أقدر على فعله في هذا العالم. لا أستطيع أن أضرب كرة ملتفة، حتى عندما كنت في المدرسة الثانوية. لا يمكنني أن أصلح حنفية يتسرّب منها الماء. لا يمكنني أن أتزلج بواسطة الحذاء ذي الدواليب ولا يمكنني أن أصدر نغمة "فا" على الغيتار. وقد حاولت الزواج مرتين لكنني لم أفلح في كلتيهما. أما إذا أردتني أن أخنك بعيداً في متاهات الخيال، أو أن أخيفك، أو أبكيك أو أضحكك، نعم، أستطيع. أستطيع أن أفعل ذلك مراراً وتكراراً حتى ترفع يديك طالباً الاستسلام. نعم، أنا أستطيع.

فهمست الآلة الكاتبة بصوتها الوقح والكريه من داخل هذا الحلم العميق: *ما تراه هنا أيها الأصدقاء، هو الكثير من الثرثرة والكثير من الفراغ الأبيض.*

هل يمكنك؟

نعم، نعم!

هل نجح؟

لا. لقد ارتكب غشاً. في رواية طفل ميزري، لم يأت الطبيب أبداً. لعلكم تسيتم ما حصل معكم الأسبوع الماضي، لكن التمثال الحجري لا ينسى أبداً. على بول أن يترك الدائرة. اعذروني، رجاء. الآن عليّ أن أنظف. الآن عليّ أن -

hllo_A@hotmail.com

5

www.jn2n.com

"- أنظف". تمتم بول في نومه، ثم مال إلى الجهة اليمنى، فانحرفت رجله اليسرى قليلاً، الأمر الذي أدى إلى التسبب بألم شديد في ركبته المهشمة، وذلك كان كافياً لإيقاظه من غفوته. كان قد مضى على ذلك أقل من خمس دقائق. كان باستطاعته سماع آني تغسل الصحون في المطبخ. في العادة، كانت تغني أثناء قيامها بأعمالها الروتينية اليومية، لكنها هذه المرة لم تكن تغني، فهو لم يكن يسمع سوى قرقعة الصحون وصوت هسيس ماء الشطف بين الحين والآخر. نذير شؤم آخر. *إليكم نشرة أحوال جوية خاصة بسكان مقاطعة شيلدون: إنذار بوجود إعصار سيبقى مفعوله سارياً حتى الساعة 5:00 مساء. أكرر، إنذار بوجود إعصار -*

لقد حان الوقت للتوقف عن اللعب والبدء بالعمل. إنها تريد إعادة ميزري إلى الحياة، بشرط أن يتم ذلك بشكل منطقي. ليس مهماً أن يكون واقعياً، فليكن منطقياً وحسب. لو تمكّن من القيام بذلك هذا

الصباح، لتمكّن ربما من التخلص من الإحباط الذي كان يحس بقدومه قبل أن يسيطر عليه.

أسند بول ذقنه على يده ونظر عبر النافذة إلى الخارج. كان يفكر بسرعة وبعمق، ولكن دون أن يدرك ذلك. بدت تلك الطبقات من ذهنه الواعي - التي تتعامل مع أشياء مثل متى غسل شعره بالشامبو أو ما إذا كانت آني سوف تأتي أو لا تأتي في الوقت المناسب لإعطائه حصته من المخدرات - بأنها قد غادرت المكان في إجازة طويلة. ومع أن عقله كان يستقبل بيانات حسية واردة، إلا أنه لم يكن يحس بها، فهو لم يكن يرى ما كان يراه، ولم يكن يسمع ما كان يسمعه.

فيما كان جزء آخر من عقله يجرّب الأفكار، يرفضها، ويحاول الجمع بينها، ثم يرفض التوليفة برمتها. كان يحس بذلك يجري داخله، ولكن لم تكن له أية صلة به.

أدرك بأن ما كان يحصل معه في ذلك الوقت هو محاولة **استنباط فكرة**. ومحاولة استنباط فكرة لم تكن تشبه، بالطبع، **ولادة الفكرة**، والتي هي طريقة أكثر تواضعاً لقول: *أنا حبلى! أو وجدتها! أو لقد تطلق البهامي.*

جاءته فكرة رواية **سيارات سريعة** ذات يوم في نيويورك. كان قد خرج لشراء جهاز فيديو لمنزله الكائن في شارع 38. وخلال سيره، مرّ بمعرض للسيارات قرأى مستخدماً يحاول فتح باب سيارة بواسطة ذراع حديدية. هذا كل شيء. لم تكن لديه أدنى فكرة ما إذا كان ما شاهده تشرعياً أم غير شرعي، بل إنه لم يعد يكترث للأمر كله بعد اجتياز شارعين أو ثلاثة. وهكذا تحول ذلك المستخدم إلى توني بوناسارو، الذي انتحل اسمه من دليل الهاتف. تصف القصة وُجدت بشكل جاهز في عقله، والنصف الآخر أتى فيما بعد بشكل تلقائي. كان يشعر بالنشوة والسعادة، وكأنه كان ثملاً. لقد جاءه الإلهام على نحو غير متوقع ومفرح، فلقد ذهب لشراء جهاز تسجيل فيديو فإذا به يحصل على شيء

أفضل منه. **لقد وُلدت الفكرة.**

أما الطريقة الأخرى - **محاولة استنباط فكرة** - فهي ليست مميزة بذاتها أو ذات طبيعة سامية، لكنها ضرورية بكل تأكيد. لأنك عندما تقوم بكتابة رواية، فمن المؤكد - في أغلب الأحيان - أنك سوف تجد نفسك عالقاً في مكان ما، عاجزاً عن الاستمرار، وحينئذ لن يكون من المنطقي المضي قدماً، ما لم **تستنبط فكرة.**

في العادة، عندما كان يحتاج **لاستنباط فكرة**، كان يرتدي معطفه ويذهب في نزهة على الأقدام. كان يعرف بأن المشي تمرين مفيد للصحة، بيد أنه كان يجده مملاً. لكنه، إذا كان بحاجة إلى فكرة، فإن الملل قد يكون بالنسبة لرواية عالقة مثل العلاج الكيميائي بالنسبة لمريض مصاب بالسرطان.

في منتصف رواية **سيارات سريعة**، قتل توني بوناسارو الملازم غراي أثناء محاولة الأخير وضع الأصفاد في يديه في صالة للسينما في ساحة تايمز. كان بول يريد أن يقتل توني بجريمته - لفترة قصيرة على الأقل - لأنه لن يكون هناك فصل ثالث إذا كان توني سيقبع في زنزانة. ولكن، في نفس الوقت، لم يكن باستطاعة توني ببساطة أن يترك غراي جالساً في صالة السينما مع مقبض سكين بارز من تحت إبطه الأيسر، وذلك لأن ثلاثة أشخاص على الأقل كانوا يعرفون بأن غراي ذهب لملاقاته.

إذاً، كان التخلص من الجثة هو المشكلة، وبول لم يكن يعرف كيف يحلها. ثمة عائق هنا، وهذه هي اللعبة. *لقد قتل كيرليس كوريغان هذا الشخص في صالة للسينما تقع في ساحة تايمز وهو بحاجة الآن لإعادة الجثة إلى سيارته دون أن يقول له أي شخص: "هيي، أنت يا سيد، هل هذا الشخص ميت كما يبدو عليه أو أنه مصاب بالإغماء؟" إن استطاع إيصال الجثة إلى السيارة، عندها سيتجه إلى مدينة كوينز ويرميها في ذلك المشروع المعماري المهجور الذي يعرفه. بولي! هل*

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

يمكنك؟

لـم تكـن هـناك مهلة عشر ثوانٍ، بالطبع (لم يوقّع عقداً مع أحد الناشـرين مـن أجـل الكتاب، ولذلك لم يكن هناك موعد للتسليم يشغل بالـه). مـع ذلك، فهناك دائماً مهلة محددة، مهلة سيضطر الكاتب بعد انقضـائها إلـى مغادرة الدائرة، ومعظم الكتّاب يعرفون ذلك. فإذا ظل الكـتاب متوقفاً فترة طويلة، وفقد القدرة على التقدم، فإنه يبدأ بالتحلل، ومن ثم يتداعى.

ذهـب بـول في نزهة سيراً على الأقدام، لا يفكر في أي شيء، تماماً كمـا يفعـل الآن: لا يفكر في أي شيء. وبعد ثلاثة أميال من المشي، خطرت بباله فكرة: *افرض أنه أشعل حريقاً في صالة السينما؟*

بـدت بأنها فكرة جيدة. لم يكن يشعر بدوار أو أي شعور بالإلهام، بـل كـان شعوره يشبه شعور نجار ينظر إلى قطعة من الخشب يعتقد بأنها يمكن أن تفي بالغرض.

باستطاعته أن يشعل ناراً في حشوة المقعد المجاور له، فما رأيك؟ المقـاعد المعينة في صالات السينما تلك دائماً ما تكون ممزقة، وسيكون هـناك دخـان، دخان كثيف. باستطاعته أن يقاوم التدرج الأطول منة ممكنة قبل أن يجر غراي معه إلى الخارج. يمكنه أن يخرج غراي على أنه ضحية استنشاق الدخان، ما رأيك؟

اعـتقد بأنهـا فكـرة جـيدة. صحيح أنها بحاجة إلى الكثير من التفاصيل، لكنها بدت جيدة. **لقد توصل إلى فكرة.** وبذلك يمكنه استئناف العمل.

كـان يجلـس بهدوء في كرسيه، مسنداً ذقنه على كفه، ينظر إلى الحظـيرة. لو كان باستطاعته المشي، لتوجه إلى الحقل وتنزّه فيه. كان جالسـاً بهدوء، يكاد يكون غافياً، منتظراً حدوث شيء ما، غير مدرك لأي شيء حوله باستثناء شعوره بوجود شيء يتكوّن في عقله الباطني، شعوره بأن ثمة أبدية من التخيلات تبلى ثم تُقيم ثم توجد بأنها ناقصة ثم

تُهدم في طرفة عين. انقضت عشر دقائق، خمس عشرة دقيقة. في ذلك الوقت شغّلت آني المكنسة الكهربائية في غرفة الاستقبال (لكنها لم تكن تغنـي)، كان يسمع لكنه لم يكن يعي ما يسمع. كان الصوت يدخل عقله ثم يخرج ثانية مثل مرور الماء في قناة للري.

أخـيراً، بـدأت فكرة تشق طريقها عبر عقله الباطني – الطبيب موجـود – فـتلقف عقلـه الواعـي الفكرة مثل رسالة دُفعت عبر شق الرسائل في الباب. ثم بدأ في معاينتها. كاد أن يرفضها في البداية، لكنه أعاد النظر فيها فقرر في نهاية المطاف بأنه يمكنه الاحتفاظ بنصفها.

ثم لمعت بذهنه فكرة أخرى، أقوى من الأولى.

بدأ بول ينقر بأصابعه بقلق على عتبة النافذة.

حوالي الساعة الحادية عشرة بدأ بول بالكتابة. كانت وتيرة الكتابة في البداية بطيئة. نقرات منفصلة تعقبها فواصل من الصمت، بعضها كان يستغرق خمس عشرة ثانية. ثم بدأت هذه الفواصل الصامتة تقصر بشـكل تدريجـي. لو كان بول يكتب على آلته الكاتبة الكهربائية لكان الصوت لطوفاً، لكنّ صوت النقر على آلة "رويال" كان مقعقعاً وكريهاً.

بعـد أن عـاود لم ينتبه إلى صوت الآلة الكاتبة الذي يشبه صوت رشـاش دائـم. مـع نهاية الصفحة الأولى انتهى بول من عملية التحمية، ومع نهاية الصفحة الثانية كان قد انطلق في سرعته القصوى.

بعـد فترة قصيرة لطفلت آني المكنسة الكهربائية ووقفت في ممر الـباب تراقـبه. لـم يلاحظ بول وجودها هناك. في الواقع، إنه لم يكن يلاحـظ وجوده هو نفسه. لقد تحرر أخيراً من الواقع، وانطلق في عالم الخـيال. كـان في ذلك الوقت موجوداً في باحة كنيسة ليبل دانتوريه، يتـنفس هواء الليل الرطب، ويشم رائحة الطحالب والأرض والضباب. سمع صوت ساعة برج الكنيسة المشيخيّة تدق معلنة الساعة الثانية فدوّن ذلك في القصة على الفور.

ظلـت انـي تراقبه لفترة طويلة. كان وجهها القاسي جامداً وغير

hllo_A@hotmail.com
www.jn2rn.com

مبتسم، لكنه بطريقة ما كان يوحي بشيء من الرضا. وبعد ذلك غادرت المكـان. ومع أن وقع خطواتها كان ثقيلاً كالمعتاد، إلا أن بول لم يسمع ذلك أيضاً.

عمـل حـتى الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم، وفي الثامنة مساء طلب منها مساعدته للعودة إلى كرسيه المتحرك مجدداً. ظل يكتب لـثلاث سـاعات، بالرغم من أن الألم بدأ يشتد بحلول الساعة العاشرة. عادت آني في الحادية عشرة، فطلب منها خمسين دقيقة أخرى.

"لا يا بول، ذلك يكفي. لونك أبيض كالملح".

وضعته في السرير فغفا خلال ثلاث دقائق. نام طوال الليل للمرة الأولـى منذ خروجه من الغيبوبة، وكان نومه للمرة الأولى أيضاً بدون أي أحلام.

كان يحلم مستيقظاً.

6

عودة ميزري

بول شيلدون

إلى آني ويلكس

الفصل الأول

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

للوهلة الأولى لم يكن جيفري أليبورتون متأكداً من الرجل العجوز الواقف عند الباب، ولم يكن ذلك راجعاً فقط إلى أن الجرس أيقظه من غفوة عميقة. فإن المزرعة في الهند في الريف، بالنسبة له، هو صعوبة التمييز بين ولـئك القرويين بالرغم من أعدادهم القليلة. في بعض الأحيان، كل ما على المرء أن يفعله هو الاعتماد على الشبه العائلي؛ مع أن هذا الشبه لا يـنفي بالطبع إمكانية وجود اختلاف في الأنساب. على أي حـال، بإمكان المرء أن يتعامل مع مثل هذه الـلحظات في العادة، بالرغم مما يمكن أن يشعر به من إحراج حين يحاول الاستمرار في محاورة اعتيادية مع شخص يـنبغي أن يـتذكر اسمه لكنه لا يستطيع ذلك. وتـبلغ الأمـور أعـلى درجات الإحراج عـندما يأتي وجهـان مألوفـان في وقت واحد، وخاصة إذا شعر المرء

بأن اللياقة تفرض عليه تقديمهما لبعضهما.

قال الزائر: "آمل بأنني لا أسبب لك أي إزعاج يا سيدي". كان الرجل يقلّب قبعة زخيمة من القماش بقلق بين يديه، ومن خلال ضوء المصباح الذي رفعه جيفري كي يراه بشكل أفضل، بدا وجهه مجعداً، أصفر اللون، وبالغ القلق؛ ومرعوباً أيضاً. "إنني فقط لم أشأ أن أذهب إلى الدكتور بوكيفغس، كما أنني لم أشأ أن أزعج سيادته. ليس، على الأقل، قبل أن أتحدث إليك، إن فهمت قصدي يا سيدي".

في الحقيقة، لم يفهم جيفري ما يرمي إليه الرجل، لكنه فجأة عرف شيئاً واحداً: عرف من هو هذا الزائر القادم في وقت متأخر. والأمر الذي ساعده على معرفته هو ذكره للدكتور بوكيفغس، راعي الكنيسة. فمنذ ثلاثة أيام، أجرى الدكتور بوكيتغس مفاسك مبزري الدينية القديمة الأخيرة في باحة الكنيسة التي تقع خلف بيته، وهذا الرجل كان موجوداً هناك، لكنه كان يحسن تملك الحضور بحيث يصعب الانتباه إليه.

اسمه كولتر، وهو قنديلفت في الكنيسة، أو بصراحة: كان الرجل حفّار قبور.

قال جيفري: "كولتر، بماذا يمكنني أن أخدمك؟"

تكلم كولتر بتلعثم. "إنما الأصوات يا سيدي. الأصوات في باحة الكنيسة. إن السيدة غير مرتاحة في قبرها، سيدي، إنها لا... وأنا أخشى. أنا -"

أحس جيفري بأن شخصاً وكزه في معدته. أخذ نفساً عميقاً فاشتعل الألم في جنبه، حيث أضلاعه المكسورة

التي قام الدكتور شايتبون بتضبيدها بإحكام. كان الدكتور شايتبون قد توقع بأن يصاب جيفري بحالات الرئة بعد استلقائه ليلة كاملة في تلك الحفرة تحت المطر البارد، ولكن، ولحسن الحظ، مضى على ذلك ثلاثة أيام ولم يصب بأي حمى أو سعال. كان متأكداً من أن ذلك لن يحدث، فالله لا يتخلى عن الخاطئين بهذه السهولة. كان يعتقد بأن الله سوف يتركه يعيش ليتذكر حبيبته المسكينة الراحلة لمدة طويلة جداً.

سأله كولتر: "هل أنت بخير يا سيدي؟ سمعت بأنك أصبت إصابة بالغة في تلك الليلة". توقف لبرهة، ثم تابع كلامه. "الليلة التي توفيت هي فيها".

قال جيفري بشكل بطيء: "أنا بخير، كولتر، هذه الأصوات التي تقول بأنك تسمعها... أنت تعلم بأنها مجرد تخيلات، أليس كذلك؟"

بدا كولتر مصدوماً.

قال كولتر: "تخيلات؟ يا سيدي، بعد قليل ستقول لي بأنك لا تؤمن بالله والحياة الآخرة! لماذا، ألم يزدانكان فرومسلي العجوز بانرسون بعد يومين من جنازته يشع بلون أبيض براق (قد يكون ذلك صحيحاً بالفعل، فكر جيفري، وخاصة بعد أن يكون العجوز فرومسلي قد أنهى زجاجته الأخيرة)؟ وألم تز نصف البلدة اللعينة الراهب الكاثوليكي العجوز يمشي على حافة شرفات بيت السيد ريدجهيث؟ الأشباح حقيقية مثلك ومثلي يا سيدي، لكنّ هذه الأصوات مخيفة فعلاً، حتى أنني أخاشى الاقتراب من باحة الكنيسة، وعليّ أن أحفر قبراً لطفل آل رويدمان غداً".

www.jn2n.com
hllo A@hotmail.com

لـلا جيفري في داخله دعاءً يلهمه الصبر. كان بالكاد قادراً على كبت رغبته في الصراخ في وجه هذه القديسة المسكين. فقد كان نائماً بسلام بجانب النوافذ مع كتاب على حضنه عندما جاء كولتر وأيقظه... ومع كل ثانية تمر كان يزداد استيقاظاً، ومع كل ثانية تمر كانت تغمره بعمق أكبر غمامة من الكآبة والحزن، لإدراكه بأن حبيبته قد رحلت. لقد دُفنت في قبرها منذ ثلاثة أيام، وسرعان ما سيمر أسبوع... شهر... سنة... عشر سنين. كان الحزن مثل صخرة على شاطئ المحيط، والنوم مثل المد الذي يأتي فيغطي صخرة الحزن [illegible] بسلام. بعد المد بالتراجع فتنكشف الصخرة من جديد، صخرة ستبقى موجودة إلى الأبد، أو حتى يشاء الله أن يزيحها.

وهذا الصخر يتجرأ ويأتي إلى البيت ويتفوه بكلمات سخيفة حول الأشباح! لكن وقبل الرجل بدأ تعساً إلى درجة جعلت جيفري يمسك أعصابه.

قال جيفري بهدوء: "الآنسة ميزري - سيادتها - كانت محبوبة جداً".

قال كولتر بحماس: "نعم يا سيدي، بالفعل". ثم نقل قبعته القماشية إلى يده اليسرى وأخرج باليمنى منديلاً أحمر كبيراً. نظف أنفه فيه بنفخة قوية، واغرورقت عيناه بالدموع.

"كلنا نشعر بالأسى لرحيلها". مد جيفري يده إلى قميصه وفرك بطاقته القطنية المعيكة بقلق.

"أجل، ونحن كذلك يا سيدي، ونحن كذلك". خرجت كلماته مكتومة من تحت المنديل، لكن جيفري استطاع رؤية عينيه؛ كان الرجل يبكي بصدق فعلاً. فتبدد آخر ما تبقى من غضبه الأناني إشفاقاً عليه. "كانت سيدة طيبة، يا سيدي، نعم، كانت سيدة عظيمة".

قال جيفري برقة: "أجل، كانت طيبة بالفعل". وخشي من أن دموعه هو نفسه باتت على وشك الانهمار، مثل غيمة داكنة تنذر بهطول أمطار غزيرة في ليلة من ليالي أواخر الصيف. "وفي بعض الأحيان، يا كولتر، عندما يرحل عنا شخص طيب - وخاصة إذا كان عزيزاً علينا جميعاً - فإننا نجد صعوبة في تقبل هذا الأمر. ولذلك فإننا قد نتخيل بأنه لم يرحل. هل تفهمني؟"

رد كولتر بحماس: "بالطبع يا سيدي! لكن هذه الأصوات... سيدي، لو أنك سمعتها!"

قال جيفري بصبر: "أي نوع من الأصوات تعني؟"

ظن جيفري بأن كولتر سوف يتحدث عن أصوات تشبه صوت حفيف أوراق الأشجار بسبب الرياح، أصوات قام خياله بتضخيمها بالطبع، أو ربما صوت ابن عرس وهو يشق طريقه نحو الجدول الذي يقع خلف ساحة الكنيسة. ولهذا، فهو لم يكن مستعداً لما قاله كولتر حينذاك بصوت هامس ومذعور: "صوت خربشة، يا سيدي! وكأنها ما تزال حية في قبرها وتحاول العودة إلى عالم الأحياء مجدداً. أصدقك القول يا سيدي!"

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

الفصل الثاني

بعد خمس عشرة دقيقة، عاد جيفري وحيداً. اقترب من الخزانة التي تحتوي على معدات المائدة في غرفة الطعام. كان يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. أحس وكأنه رجل يمشي في قلب العاصفة. ربما كان سيعتقد بأن الحمى التي توقع الدكتور شابلبون - بفرح تقريباً - بأنها ستصيبه في النهاية قد أصابته بالفعل، إلا أنها لم تكن كذلك، بالرغم من أن وجنتيه اصطبغتا بلون أحمر فاقع وتحولت جبهته إلى لون الشمع، وبالرغم من أن جسده كان يرتجف بشدة إلى درجة أنه كاد يوقع زجاجة الشراب التي أخرجها من الخزانة.

لو كان هناك احتمال - أدنى احتمال - بأن تكون الفكرة الفظيعة التي غرسها كولتر في عقله صحيحة، فإن عليه ألا يبقى متسمراً هنا أبداً. لكنه أحس بأنه بدون شراب سوف يسقط على الأرض مغشياً عليه.

في تلك اللحظة، قام جيفري بفعل شيء لم يسبق له أن قام به من قبل، ولن يقوم به بعد ذلك أبداً. رفع جيفري زجاجة الشراب إلى فمه وشرب من مقدمة عنقها مباشرة.

ثم همس لنفسه: "سوف نرى بشأن هذا الأمر. سوف نرى بشأن هذا الأمر. ولكنني إذا قمت بهذه المهمة اللعينة واكتشفت في نهاية الأمر بأنها لم تكن سوى تخيلات حفار قبور خرف، أقسم بأنني سوف أعاقب

كولتر اللعين هذا مهما كان مجد ميزري".

الفصل الثالث

ركب عربته وقادها تحت سماء عجيبة، فمع أنها لم تكن قاتمة تماماً بسبب وجود القمر، إلا أنه كان يختفي بين الحين والآخر بين طيات الغيوم المتسابقة. رفرف ذيل معطفه بشدة خلفه وهو يحث "ماري" بسوطه على الجري بسرعة أكبر. لكن الفرس العجوز لم تكن مرتاحة للسرعة التي يصر هو على بلوغها، وهو لم يكن مرتاحاً للألم الذي في كتفه وجنبه... ولكن، لم يكن بالإمكان تجنب هذا الألم بالنسبة لكليهما.

صوت خريشة، يا سيدي! وكأنها ما تزال حية في قبرها وتحاول العودة إلى عالم الأحياء مجدداً!

هذه الجملة بحد ذاتها لم تضعه في حالة قريبة من الرعب، لكنه تذكر مجيله إلى بيت كالثورب في اليوم الذي تلا موت ميزري. نظر هو وإيان إلى بعضهما، ثم حاول إيان أن يبتسم بالرغم من أن عينيه كانتا تلمعان بالدموع مثل جوهرتين ثمينتين.

"كان الأمر سيكون أخف وطأة لو أنها بدت... لو أن علائم الموت بدت عليها أكثر. أعرف كيف يبدو هذا الكلام -"

قال جيفري محاولاً رسم ابتسامة على وجهه: "لا، من المؤكد أن المسؤول عن الدفن قد وضع كل خبرته و -"

صرخ إيان: "المسؤول عن الدفن!" وللمرة الأولى

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

أحس جيفري بأن صديقه كان على حافة الجنون. "المسؤول عن الدفن! لم أجلب أي مسؤول عن الدفن ولن أجلب واحداً مثله ليطليها بالمساحيق كما لو كانت دمية!"

"إيان، صديقي العزيز! عليك ألا -" مدّ جيفري يده وكأنه كان يريد أن يربت على كتف إيان فإذا بها تتحول إلى عناق حار. بكى الاثنان بين ذراعي بعضهما مثل الأطفال، وفي ذلك الوقت تماماً استيقظ مولود ميزري - وهو صبي لم يتجاوز عمره يوماً واحداً، ولم يكن قد سُمّي بعد - وبدأ بالبكاء. فيدأن السيدة راسيج - رغم أن قلبها كان يكاد يسقط من الحزن على فراق سيدتها - تغنّي له بصوت متكسر والدموع تملأ عينيها.

في ذلك الوقت، وبسبب خشيته على سلامة عقل صديقه، لم يهتم كثيراً بما قاله إيان بقدر اهتمامه بالطريقة التي قال ذلك بها. ولكن الآن، بينما يحث ماري على الجري بسرعة أكبر باتجاه تيتل كالثورب، وبالرغم من الألم الشديد الذي يحس به، الآن فقط عادت تلك الكلمات إليه وخاصة بعد الحكاية التي سمعها من كولز: لو أن علامات الموت بدت عليها أكثر، لو أن علائم الموت بدت عليها أكثر.

وهذا ليس كل شيء. في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، ومع بدء مجيء سكان القرية إلى كالثورب ميل من أجل أداء واجب التعزية إلى السيد المفجوع، عاد شايفبون. كان يبدو تعباً، وليس على ما يرام؛ وهذا ليس بمستغرب بالنسبة لرجل ادعى

بأنه صالح ويليفغتون (الدوق الحديدي نفسه) عندما كان (شايفبون، وليس ويليفغتون) صبياً. مع أن جيفري يعتقد بأن قصة ويليفغتون مبالغ بها على الأرجح، إلا أن شيفي العجوز، كما كان هو وإيان يدعوانه عندما كانا طفلين، اعتنى بجيفري في كل الأمراض التي أصابته في طفولته، وحتى في ذلك الحين كان يبدو عجوزاً بالنسبة له؛ رغم أن الأطفال غالباً ما يرون كل من هم فوق الخامسة والعشرين بأنهم كبار في السن. على أي حال، كان جيفري يعتقد بأن شيفي يبلغ من العمر، قطعاً، خمسة وسبعين عاماً.

إذاً، فهو كان عجوزاً... وفوق ذلك، أمضى الساعات الأربع والعشرين الماضية في عمل منهك ومرهق... ألا يمكن لرجل عجوز ومرهق أن يكون قد ارتكب خطأ ما؟

خطأ فظيع غير معلوم؟

هذه الفكرة بالذات، أكثر من أي فكرة غيرها، هي التي دفعته للخروج في هذه الليلة العاصفة والباردة، تحت قمر يبرز بتردد بين الغيوم من حين لآخر.

ألا يمكن أن يكون قد ارتكب مثل هذا الخطأ؟ جزء منه - ذلك الجزء الجبان منه الذي يفضل خسارة ميزري إلى الأبد على أن يفكر في الفتيحة الحتمية لمثل هذا الخطأ - استبعد هذه الفكرة. ولكن، عندما عاد شيفي...

كان جيفري مجلس بجانب إيان، الذي كان يتذكر والألم يعتصر قلبه كيف أنقذ هو وجيفري ميزري من

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

زنزافات قصر الفايكونت الفرنسي الجنون لرؤية وكيف هربوا بعد ذلك في عربة محملة بالقش، وكيف ألهبت ميزري أحد حراس الفايكونت في اللحظة الحاسمة عندما مدت ساقها الجميلة العارية من خلال القش ولوحت بها برفة لتجلب اهتمامه. ولكن، ألم يكن شيني مشغول البال كثيراً في تلك اللحظات؟ ألم يبهه عليه التشتت على نحو يثير الاستغراب؟ هل يمكن أن يكون الإرهاق هو السبب فقط، أم ثمة شيء آخر... ذلك ما...؟

لا، من المؤكد لا. اعتزم عقله على ما يفكر به. كانت الفرس تعدو بأقصى سرعتها وهي تصعد مقبة كالشورب هيل. كان بيت المزرعة مظلماً، ولكن - آه، جيد! - ما يزال هناك ضوء وحيد في منزل السيدة راميج.

"هيا يا فاري!" صرخ جيفري، وصفق السوط في الهواء، محفزاً إياها. "لم يبق الكثير أيتها الفتاة، وبعدها يمكنك أن تأخذي قسطاً من الراحة".

من المؤكد، من المؤكد أن ما تفكر به غير صحيح!!

لكن تفحص شيني لأطلاع جيفري وكتفه المخلوع بدا متسرعاً وبدون أي اهتمام حقيقي، كما أنه لم يقل كلمة واحدة لإيان، بالرغم من حزنه الشديد وتحيبه من حين لآخر. لا، لقد قال شيئاً بالفعل، فبعد زيارته القصيرة تلك، سأل شيني: هل هي...؟

قال إيان بصعوبة: "نعم، في صالة الاستقبال. حبيبتي المسكينة ترقد في صالة الاستقبال. قبلها عني، يا شيني، وقل لها بأنني سأكون معها بعد

قليل!"

عندما انفجر إيان بالبكاء مجدداً، قصد شيني صالة الاستقبال، بعد أن تمتم بكلمة نصف مسموعة من المواساة. بدا الآن لجيفري أن الطبيب العجوز قد بقي هناك لمدة طويلة إلى حدٍ ما... أو لعل ذاكرته بخصوص هذا الحدث بالذات تراقصة بعض الشيء. لكنه عندما خرج، بدا وكأنه كان فرحاً، ومنذ كان جيفري متأكداً من ذاكرته. كان ذلك التعبير غريباً تماماً في غرفة يسودها جو من الحزن والدموع، غرفة علقت فيها السيدة راميج الستائر الجنائزية السوداء.

تبع جيفري الطبيب العجوز إلى خارج الغرفة وتحدث معه في المطبخ، طلب منه أن يصف مسحوقاً منوماً لإيان، الذي كان يبدو مريضاً بالفعل.

غير أن شيني بدا مشتت الذهن كلياً، وقال: "إنهما لا تشبه حالة الآنسة إيفلين هايد مطلقاً. لقد تحققت من ذلك".

عاد شيني إلى عربته دون أن يرد على سؤال جيفري. دخل جيفري إلى المنزل ثانية، تاركاً تعليق شيني الغريب، عازياً سلوكه الذي لا يقل غرابة عما قاله إلى كبر السن، والتعب، وطريقته الخاصة في الحزن، ثم ركز اهتمامه مجدداً على إيان، وعقد العزم على أن - لعدم وجود مسحوق منوم - يصب الشراب ببساطة في حلقه حتى يغيب عن الوعي.

إنهما لا تشبه حالة الآنسة إيفلين هايد مطلقاً. لقد تحققت من ذلك.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

تحققت من ماذا؟

لم يكن لدى جيفري أية فكرة عن ذلك، لكنه كان مصمماً على اكتشاف الحقيقة، مهما كانت كلفة ذلك على سلامة عقله، وكان يدرك بأن الكلفة سوف تكون باهظة.

الفصل الرابع

كانت السيدة راميج ما تزال مستيقظة عندما بدأ جيفري بالطرق بقوة على باب المنزل، بالرغم من مضي ساعتين على موعد نومها المعتاد. ومع أنها كانت امرأة من النوع القوي والهادئ، إلا أن الطرق القوي والمفاجئ أفلقها وجعلها تفلت صرخة صغيرة، وخرق نفسها بالحليب الساخن الذي كانت تصبه من الإبريق في الكوب.

"من يطرق الباب في العاشرة؟" صرخت السيدة راميج من وراء الباب. "أيا تكن فإنني لا أشكرك على التسبب بإحراقي لنفسي!"

"أنا جيفري سيدة راميج! جيفري أليبورتون! افتحي الباب بحق الله!"

فغرت السيدة راميج فمها، واتجهت نحو الباب لكنها توقفت في منتصف الطريق عندما انتبهت إلى أنها كانت ترتدي ثوبها المسائي. لم يسبق لها أن سمعت صوت جيفري على هذا النحو، ولم تكن لتصدق لو أن أحداً قال لها ذلك. لأنه إذا كان هناك رجل في كل إنكلترا يملك قلباً أكثر شجاعة من قلب سيدها

العزيز، فإنه سيكون السيد جيفري. ومع ذلك، فصوته الآن كان يرتجف مثل صوت سيدة على وشك الانهيار.

"لحظة، سيد جيفري! يجب أن أبدل ثوبي!"

صرخ جيفري: "اللعنة! لا آبه لو كنت عارية تماماً سيدة راميج! افتحي هذا الباب! افتحيه بحق الله!"

توقفت لبرهة فقط ثم اتجهت نحو الباب وسحبت القفل وفتحته بسرعة. تسبب شكل جيفري بما هو أكثر من الصدمة لها، الأمر الذي جعل عقلها يضج بأفكار لموضوعات عنيفة.

وقف جيفري على عتبة باب مدبرة المنزل بوضعية مائلة غريبة تشبه وضعية بائع متجول التوى ظهره جراء سنوات طويلة من حمل كيس البضائع. كان يضغط بيده اليمنى على جنبه الأيسر، وكان شعره مشعثاً وعيناه متعبتين. أما لباسه فقد كان مثيراً للانتباه من أول وهلة، فياساً لرجل - متأنق، يمكننا القول - حريص على انتقاء ملابسه بعناية مثل جيفري أليبورتون. فلقد كان يرتدي سترة سموكينغ قديمة مع حزام معوج، وقميصاً أبيض مفتوح الياقة، وبنطالاً صوفياً خشناً بفاصب حذاء مثقباً متجولاً وليس أغنى رجل في لينتل دافنورب، ويستعمل خفين منزليين بالية.

وبدورها لم تكن السيدة راميج ترتدي ثياب حفلة راقصة، إذ كانت ترتدي ثوبها المنزلي الأبيض الطويل، وتعتمر قبعتها المنزلية المصنوعة من

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

فراء القفازين بأشرطتها الملتفة غير المعقودة، والمنسدلة حول وجهها مثل شراشيب مظلة مصباح. كانت تحدق إليه بقلق متعاظم. كان واضحاً أنه آذى مجدداً أضلاعه التي كسرها قبل ثلاثة أيام عندما ذهب ليأتي بالطبيب، ولكن لم يكن الألم هو الذي جعل عينيه تشتعلان على هذا النحو، بل الرعب؛ الرعب الذي لم يكن بمقدوره السيطرة عليه.

"سيد جيفري! ماذا -"

قال بصوت أجش: "لا أسئلة! ليس الآن، ليس قبل أن تجيبي على سؤال واحد".

"أي سؤال؟" هذا ما بلغ خوفها حدّه الأقصى. كانت تضع يدها اليسرى مقبوضة بقوة فوق صدرها الكبير.

"هل يعني اسم آنسة إيفلين هايد أي شيء بالنسبة لك؟"

فجأة عرفت سبب ذلك الشعور الرعب الذي كان يقض مضجعها منذ ليلة السبت الفائتة. لا بد أن جزءاً من عقلها فكّر بهذه الفكرة الفظيعة لكنه كبتها داخله، لأنها لم تكن بحاجة لأي إيضاح، فمجرد ذكر اسم تشارلوت إيفلين هايد سيئة الحظ، فقيدة قرية ستوربريدج أون فوركيل التي تقع على مسافة قريبة إلى الغرب من ليتل دنثورب، جعلها تجهش بالبكاء.

"أوه يا الله! أوه يا الله! هل ذُفنت حية؟ هل ذُفنت حية؟ هل حبيبتي ميزري ذُفنت حية؟"

وقبل أن يتمكن جيفري من الإجابة، جاء دور

السيدة القوية رامبج لتقوم بشيء لم يسبق لها أن قامت به قبل تلك الليلة ولن تفعله ثانية: لقد أغمي عليها.

الفصل الخامس

لم يكن لدى جيفري وقت للبحث عن حلول الاستغراق، وهو على أية حال استبعد أن تحافظ هذه المرأة القوية بمثل هذه المادة في منزلها. لكنه وجد تحت مغسلتها خرقة تفوح منها رائحة خفيفة للغاية للأموفيا، فمررها تحت أنفها وضغط بها قليلاً أسفل وجهها.

ارتجفت، ثم صرخت، ثم فتحت عينيها. نظرت إليه بحيرة تنم عن عدم إدراك لما يجري حولها، لكن ذلك لم يدم إلا لحظات قليلة، ثم أجلست نفسها.

قالت: "لا، لا سيد جيفري، قل لي بأنك لا تعني ما قلته، قل بأن ذلك غير صحيح -"

"لا أعلم إذا كان ذلك صحيحاً أم لا، ولكن علينا أن نتحقق من الأمر في الحال. في الحال سيدة رامبج. لا يمكنني أن أقوم بالحفر لوحدي، وإذا كان لا بد من الحفر فسيتوجب علينا أن نقوم به سوية..." كانت تنظر إليه بعينين مرعوبتين، ويداها مطبقتان بقوة على فمها. "هل يمكنك أن تساعديني، إذا ما احتجت للمساعدة؟ إذ لا يوجد أحد غيرك".

قالت بحذر: "سيدي، سيدي إيان -"

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

قال جيفري: "ينبغي ألا يعلم أي شيء حتى نكتشف الأمر!"

"أوه، ذلك فظيع... فظيع!" قالت بصوت مرتجف، ثم أمسكت بالطاولة وجذبت نفسها حتى تمكنت من الوقوف على قدميها، ولكن بترنح.

سألها بسرعة أكبر: "من أنت بحق؟ إذا لم تكوني بخير، يجب علي أن أقوم بالأمر لوحدي".

سحبت نفساً عميقاً مرتجفاً ثم زفرته - كان الترنح قد توقف في ذلك الحين - ثم استدارت ومشت نحو مخزن المؤونة. "هناك رفشان في الكوخ خلف المنزل، بفأس أيضاً، حسبما أظن. ضعها في عربتك. لدي نصف زجاجة من الجن في مخزن المؤونة. لم يمسها أحد منذ وفاة بيل قبل خمس سنوات من الآن. سأحتسي القليل منه ثم سأنضم إليك سيد جيفري".

"إنك امرأة شجاعة، سيدة راميج. أسرعي".

"لا تخف، أسرع أنت".

الفصل السادس

تحت سحب ما تزال تسابق بعضها وقمر أصبح في ذلك الوقت قابعاً في الأفق، كانت العربة تخب الخطا باتجاه ساحة الكنيسة. كانت السيدة راميج هي التي تقود العربة الآن، تصفق السوط فوق ماري الغتارة، التي كانت ستقول لهما - لو أن الأحصنة قادرة على التكلم - بأن ما يفعلانه كان كله خطأ. فمن المفترض أنها كانت نائمة في إسطبلها الدافئ في مثل هذا

الوقت من الليل. كان اصطكاك الرفشين والفأس ببعضها البعض يصدر صوتاً عالياً على نحو مزعج. وكانت السيدة راميج تقول لنفسها بأن لو أحداً رآهما الآن لأصابه الرعب بكل تأكيد، فلا بد أنهما كان يبدوان مثل الأشخاص الذين ينبشون القبور في إحدى روايات ديكينز... أو بالأحرى كشخص ينبش القبور في عربة يقودها شبح، نظراً إلى أنهما كانت متشحة بالبياض من الأعلى إلى الأسفل. كان ثوبها الأبيض يرفرف حول كاحليها القويين وأشرطة قبعتها تتطاير بعنف خلفها.

وصلا إلى الكنيسة أخيراً. أدارت السيدة راميج ماري لتسعد الطريق الحاذي لها. وأقشعر بدنها من صوت الرياح الذي يشبه صوت الأشباح، فتساءلت في داخلها، لماذا يبدو مكان مقدس مثل الكنيسة مخيفاً بعد حلول الظلام، لكنها أدركت على الفور بأن السبب ليس الكنيسة... بل الرحلة نفسها.

عادت السيدة راميج بذاكرتها إلى حادثة الآنسة إيفلين هايد، فتذكرت بأن السيد جيفري وسيدها لم يكونا في لينتل دانثورب عندما وقعت. حدث ذلك في فصل الربيع، قبل نصف عام تقريباً. كانت ميزري قد دخلت أسعد مراحل حملها - بعد انقضاء فترة الإحساس بالإعياء الصباحي - مع بداية ظهور بطنها وقبل فترة طويلة من الشعور بعدم الارتياح المرافق لذلك. وكانت قد أرسلت الرجلين لقضاء أسبوع في مزرعة أوك هول في دونكاستر في صيد القنبرة ولعب الورق وكرة القدم، وما لا يعلمه إلا الله من الحماقات

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

الذكورية الأخرى. لم تكن السيدة راميج تخشى على ميزري أبداً، ولكنها، في كل مرة يذهب السيد جيفري وسيدها إلى أوك هول، كانت تتساءل ما إذا كان أحدهما - أو الاثنان معاً - سيرجع محملاً على ظهره في مؤخرة عربة.

كانت مزرعة أوك هول جزءاً من ميراث ألبرت فوسيلغتون، رفيق جيفري وإيان من أيام المدرسة. وكانت السيدة راميج تعتقد، عن حق، بأن بيرتي - كما كانوا يدعونه - فوسيلغتون كان مجنوناً. فقد أكل قبل ثلاث سنوات حصانه المفضل لتعب البولو بعد افطاره إرضاء على أن يكسر اثنين من قوائمه. قال بيرتي بأن ذلك كان دلالة على الحب. "تعلّمت ذلك من الزنوج في كيب تاون. الزنوج، يا لهم من رجال رائعين. يضعون أعوداً وأشياء في شفاههم، يا للهول. كان باستطاعة البعض منهم وضع مجلدات خرائط الإبحار الكبيرة الاثني عشر كلها في شفاههم السفلية، ها ها! لقد علموني بأن أي رجل يحب أن يأكل الشيء الذي يحبه. إنه أمر شاعري على نحو فظيع، أليس كذلك؟"

بيد أن السيد جيفري وإيان كانا - بالرغم من هذا السلوك الغريب - يكنّان حباً كبيراً لبيرتي (أتساءل ما إذا كان ذلك يعني بأنهما سوف يأكلانه بعد أن يموت؟)

بعد يوم أو يومين لا أكثر، وجدت الآنسة تشارلوت إيفنس هايد من قرية ستوربيدج أون فيركيل ممددة على المرج الخلفي لبيتها وقد فارقت

الحياة. كانت هناك باقة من الأزهار المقطوفة حديثاً بالقرب من يدها الممدودة. كان طبيب القرية ويُدعى بيلفورد رجلاً قادراً بكل معنى الكلمة، لكنه، مع ذلك، دعا الطبيب العجوز شايبون لاستشارته. عزا بيلفورد موت الآنسة إيفلين هايد إلى إصابتها بنوبة قلبية مفاجئة. بالرغم من أن الفتاة كانت ما تزال في ريعان الشباب، إذ لم تكن قد تجاوزت التاسعة عشرة من عمرها، لذا كان الرجل في حيرة من أمره.

والعجوز شيفي بدوره كان محتاراً، لكنه في النهاية انطاف واتفق على تشخيص بيلفورد. وكذلك فعل معظم سكان القرية: قلب الفتاة لم يكن يعمل بشكل جيد. هذا كل ما في الأمر، مثل هذه الأشياء تحدث رغم ندرتها ولا بد أن الجميع يتذكرون وقوع مثل هذه الحالة المأساوية في وقت ما من الماضي. ولعل هذا الاتفاق العام هو الذي أنقذ مهنة بيلفورد - إن لم يكن رأساً - بعد انكشاف الحقيقة الفظيعة. ورغم أن الجميع اتفقوا على أن موت الفتاة مثير للحيرة، ولكن لم يخطر ببال أحد أنها لم تكن ميتة أساساً.

بعد أربعة أيام على الدفن، شاهدت امرأة مسنة تدعى السيدة سوامز - تعرفها السيدة راميج معرفة سطحية - شيئاً أبيض ملقى على أرض مقبرة الكنيسة البروتستانتية عندما دخلتها كي تضع الزهور على قبر زوجها الذي توفي في السنة السابقة. كان الشيء الأبيض أكبر من أن يكون ورقة زهرة ساقطة فاعتقدت بأنه طير ميت. لكنها كلما

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

اقتربت أكثر كانت تزداد تأكداً من أن الشيء الأبيض لم يكن ملقىً على الأرض بل بارزاً منها. وعندما اقتربت أكثر شاهدت يداً بارزة من قبر حُفر منذ وقت قريب. كانت الأصابع متجعدة على شكل تفرّع يبعث على القشعريرة. وكانت العظام المغطاة بالدم بارزة من الأصابع باستثناء الإبهام.

ركضت السيدة سوامز من المقبرة وهي تزعق وتصرخ، ركضت طوال الطريق حتى وصلت إلى الطريق العام لقرية ستوربريدج - مسافة تقرب من ميل وربع الميل - وابلغت النبأ إلى الخلاق، الذي كان يعمل شرطياً محلياً أيضاً. ثم وقعت على الأرض مغشياً عليها. وضعت في سريرها لاحقاً ولم تنهض منه لمدة شهر تقريباً.

أخرجت جثة الآنسة المسكينة إيفلين هايد بالطبع. عندئذ حث جيفري أليبورتون ماري على التوقف أمام البوابة التي تقود إلى باحة كنيسة ليتل دانثورب، فتعنّت السيدة راميج لو أنها لم تستمع إلى حكايات نبش القبور. فهي كانت مرعبة إلى حدٍّ لا يوصف.

شخص يبلفورد الحالة بأنها غيبوبة. لا بد أن الفتاة المسكينة وقعت في غيبوبة تشبه الموت على نمط تلك التي يجريها المتصوفون الهنود طوعاً على أنفسهم قبل أن يجعلوا أحداً يدفنهم أحياء أو يُدخلوا إبراً في أجسادهم. ولعلها بقيت في هذه الحالة لمدة ثماني وأربعين ساعة، أو ربما ستين ساعة، أو باختصار، بقيت مدة كافية لتجد نفسها عند استيقاظها لبعض على أرض حديقتها الخلفية حيث كانت

تقطف الورود بل مدفونة وهي ما تزال حية.

في تلك الأثناء، كانت السيدة راميج تتبع جيفري عبر بوابات المقبرة في جو من الضباب الخفيف حول علامات القبور المائلة إلى ما يشبه الجُزُر.

كانت الآنسة إيفلين هايد مخطوبة وتستعد للزواج. وفي يدها اليسرى - ليست اليد المتجعدة البارزة من تحت الأرض - كانت تحمل خاتم الخطوبة الماسي الذي شقّت بواسطته بطانة كفنها المصنوع من الحرير، والله يعلم كم من الساعات قضت وهي تستخدمه من أجل اختراق غطاء كفنها الخشبي. وفي النهاية، من الواضح أنها - مع اقتراب نفاد الهواء - استخدمت الخاتم بيدها اليسرى من أجل النبش والحفر ويدها اليمنى لمحاولة الوصول إلى السطح. كانت بشرة وجهها مصبوغة بلون أرجواني غامق وعيناها المتقفتحتان المسوّرتان بالدماء تحدقان بتعبير ملؤه برعب لا حدّ له.

بدأت ساعة برج الكنيسة تدق معلنة الساعة الثانية عشر - الساعة التي، كما كانت أمها تقول لها، ينفتح فيها قليلاً الباب الفاصل بين الحياة والموت ويمر الأموات عبره في كلا الاتجاهين - وكان ذلك كافياً لجعل السيدة راميج تفكر في الهرب بأقصى سرعتها، رغم أن الهرب لن يخفف من ذعرها بل كان سيشتد مع كل خطوة تخطوها.

امرأة غبية جبانة! وجدت السيدة راميج نفسها، ثم عدلت ذلك إلى: امرأة غبية، جبانة، أنانية! سيدك هو الذي يجب أن تفكري فيه الآن

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

وليس مخاوفك!... لو أن هناك فرصة واحدة فقط لأن تكون سيدتي -

آه، لا، من الجنون مجرد التفكير في مثل هذا الأمر. فقد مضى وقت طويل. طويل جداً. طويل جداً.

قادها جيفري إلى شاهدة قبر ميزري - كُتب عليها، السيدة كالثورب - فوقف الاثنان ينظران إليها وكأنهما مفتونان مغناطيسياً. وإضافة إلى تاريخ ميلادها ووفاتها، الشيء الوحيد الذي كُتب على الشاهدة هو: أحبها الكثيرون.

نظرت إلى جيفري وقالت له، كمن استيقظ لتوه من غفوة عميقة: "لم نجلب الأدوات".

"لا، ليس بعد". أجابها ورمى نفسه على الأرض بكامل طوله ثم وضع أذنه على الأرض، التي بدأت تغطيها البراعم الأولى للعشب الجديد بعد تزع الغطاء العشبي القديم بفعل الحفر.

للوهلة الأولى، كان التعبير الوحيد الذي شاهدته تحت ضوء المصباح الذي كانت تحمله هو نفس التعبير الذي شاهدته على وجهه منذ أن فتحت له الباب؛ نظرة خوف وعذاب. لكن التعبير الجديد كان مزيجاً من الرعب المطلق والأمل غير العقلاني إلى حدٍ ما.

رفع رأسه ونظر إلى السيدة راميج بعينين متوهجتين وفم يرتجف. قال بهمس وكأن طاقته قد استنزفت كلها: "أعتقد بأنها حية، آه، يا سيدة راميج -"

ثم انبطح من جديد على بطنه وصرخ في الأرض: "ميزري! ميزري! نحن هنا! إننا نسمعك! اصمدي! اصمدي! عزيزتي!"

وثب على قدميه بسرعة ثم ركض بأقصى ما لديه من قوة نحو العربة، متعثراً بحقيبه الضباب الأرضي الهادئ.

ركعت السيدة راميج على الأرض، كاشفة عن ركبتيها، ثم وضعت يدورها أذنها على الأرض؛ لقد رأت في السابق الأولاد في وضعية مشابهة بالقرب من سكة الحديد في محاولة منهم لسماع صوت القطار القادم. وسمعت بالفعل صوت خربشة واطئة تنبعث من تحت الأرض. لم تكن أصوات حيوان من النوع الذي يعيش في جحر تحت الأرض، بل كانت أصوات أصابع تخدش بيأس في الخشب.

سحبت نفساً عميقاً مرتجفاً، وكأنها كانت تعيد العمل إلى قلبها من جديد، ثم زعقت: "إننا قادمون! سيدتي! الحمد لله والشكر لله لقدومنا في الوقت المناسب، إننا قادمون!"

بدأت تكشط التربة بأصابعها المرتجفة. ورغم أن جيفري أتى بسرعة كبيرة، إلا أنهما كانت في ذلك الحين قد حفرت حفرة يبلغ عمقها حوالي ربع متر.

7

كان بول قد انتهى من كتابة تسع صفحات من الفصل السابع - تمكن جيفري والسيدة راميج من إخراج ميزري من قبرها في اللحظة الحاسمة ليكتشفا بأنها لم تعرفهما ولم تعرف نفسها أيضاً - عندما دخلت آني إلى الغرفة. هذه المرة سمعها وهي تدخل، فتوقف عن الكتابة، أسفاً

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

على خروجه من عالم الخيال.

كانت تمسك بالفصول الستة الأولى إلى جانب تنورتها. كانت قد أخذتها منه منذ حوالى الساعة، لكنها لم تستغرق في قراءة الصفحات الإحدى والعشرين التي تشكل عدد صفحات هذه الفصول سوى عشرين دقيقة فقط. نظر إليها بتمعن فلاحظ أنها كانت شاحبة قليلاً.

قال بول: "حسناً؟ هل هي منطقية؟"

"أجل"، قالت بغير اكتراث وكأنها كانت قد توصلت إلى هذا الاستنتاج مسبقاً، وهذا ما كان بول يعتقده أيضاً. "إنها منطقية، وجيدة. ممتعة، ولكنها مرعبة أيضاً! إنها لا تشبه أبداً أياً من كتب ميزري الأخرى. تلك المرأة المسكينة التي قضمت نهايات أصابعها –" هزت رأسها ثم قالت مكررة: "إنها لا تشبه أيا من كتب ميزري الأخرى."

إن الرجل الذي كتب تلك الصفحات كان هو نفسه يعيش في حالة ذهنية مرعبة يا عزيزتي، قال بول في داخله.

"هل أتابع الآن؟"

"سأقتلك إن لم تفعل!" أجابته مع ابتسامة خفيفة. لم يكن وقع هذا التعليق – الذي كان سيبدو، في ظرف آخر، عادياً تماماً مثل تعليقات على نمط، تبدو جميلاً جداً *اليوم بحيث أود أن آكلك الآن* – عليه عادياً.

مع ذلك، كان هناك شيء أثار اندهاشه بينما كانت تقف عند الباب. كانت تبدو وكأنها خائفة قليلاً من الاقتراب منه، وكأنها كانت تظن بأن ثمة شيء فيه قد يحرقها. ولم يكن موضوع الدفن قبل الأوان هو الذي جعلها تحس بذلك، بالطبع لا، بل كان الفرق بين محاولته الأولى وهذه المحاولة. ففي محاولته الأولى كان يشبه طفلاً في الصف الثامن يكتب موضوعاً عن "كيف أمضيت عطلتك الصيفية؟" لكنّ هذه المحاولة كانت مختلفة تماماً. كان الفرن مشتعلاً. لا يعني ذلك بأن ما كتبه كان مميزاً بشكل خاص – صحيح أن القصة كانت ساخنة لكنّ الشخصيات كانت نمطية وقابلة لتوقع سلوكها – لكنه استطاع هذه المرة على الأقل أن

يولّد بعض الطاقة، كانت هناك حرارة تنبعث من بين السطور.

لقد أحسست بالحرارة. أعتقد بأنها تخشى الاقتراب أكثر كي لا أحرقها. غمره إحساس بالسعادة وهو يفكر بذلك.

قال بلطف: "حسناً، لن تضطري إلى قتلي يا آني، فأنا أريد أن أستمر. إذن، أعطني إياها؟"

"بالتأكيد". جلبت الصفحات إليه، ووضعتها على اللوح، ثم رجعت بسرعة.

"هل تودين قراءة ما أكتب فصلاً بفصل؟"

ابتسمت آني. "أجل! سيبدو الأمر تقريباً مثل الأفلام المتسلسلة، عندما كنت طفلة!"

"حسناً، ولكنني لا أستطيع أن أعدك بالتشويق في نهاية كل فصل. فالأمر لا يسير على هذا النحو."

قالت بحماس متقد: "ستكون مشوّقة بالنسبة لي، سأرغب في معرفة ماذا سيجري في الفصل 18 حتى لو انتهى الفصل 17 بميزري وإيان وجيفري يجلسون على مقاعدهم على الشرفة يقرأون الجرائد. أنا منذ هذه اللحظة متشوقة لمعرفة ماذا سيحدث تالياً. لا تخبرني!" أضاقت بحزم، وكان بول عرضة عليها أن يفعل ذلك.

قال: "حسناً، أنا في العادة لا أري عملي لأحد قبل الانتهاء منه كلياً". ثم ابتسم لها. "ولكن، بما أن هذا الوضع خاص، فسأكون سعيداً بأن أدعك تقرأين ما أكتبه فصلاً بفصل". *وهكذا بدأت ألف ليلة وليلة الخاصة ببول شيلدون*، قال بول في داخله. "ولكنني، أتساءل ما إذا كنت ستقومين بشيء لأجلي؟"

"ماذا؟"

"بأن تملئي أحرف النون الناقصة للعينة هذه".

أشرق وجهها بابتسامة عريضة. "سيكون ذلك شرفاً لي. سأدعك وحدك الآن".

hlo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

مشت باتجاه الباب، ثم توقفت هناك مترددة، ثم استدارت. وبخجل عميق ومحرج، قدّمت له أول اقتراح تحريري لها. لعلها كانت نحلة".

كان في ذلك الوقت ينظر إلى الورقة المطوية في الآلة الكاتبة، يبحث عن الحفرة. كان يريد أن يعيد ميزري إلى منزل السيدة راميج قبل أن ينتهي هذا اليوم. رفع رأسه ونظر إلى آني ثانية بنفاد صبر أحسن إخفاءه. "عفواً؟"

قالت آني: "نحلة". ثم شاهد الدم يصعد من رقبتها إلى وجنتيها ويصبغهما بلون أحمر قانٍ. وبعد لحظة لاحظ أن أذنيها أصبحتا متوهجتين أيضاً. "هناك شخص من كل اثني عشر شخصاً لديه حساسية لسم النحل. لقد شاهدت الكثير من الحالات من قبل... قبل أن أتقاعد من الخدمة كممرضة. وتظهر الحساسية بأشكال مختلفة، في بعض الأحيان يمكن أن تسبب لسعة نحلة حالة من الغيبوبة... مشابهة لما اعتاد الناس أن يسمونه... آ... داء الجمدة".

بات لونها قرمزياً الآن.

أدار بول الفكرة في رأسه لفترة وجيزة ثم دوّنها على ورقة بيضاء. نعم، قد تكون نحلة هي السبب في دفن الآنسة المسكينة اثنتين هايد، حتى أنها فكرة منطقية، بما أن الحادثة وقعت في منتصف فصل الربيع، وفي الحديقة أيضاً. لكنه كان قد قرر مسبقاً بأن المصداقية تتعلق بامرأتين دفنتا حيّتين، وميزري ماتت في غرفة نومها. ولا تكمن المشكلة في أن الخريف ليس فصلاً ينشط فيه النحل، بل في ندرة إصابة المرأتين بغيبوبة نتيجة للسعة نحلة، أي في ندرة أن تكون لديهما نفس ردة الفعل التحسسية تجاه لسعات النحل وخاصة إذا لم تكونا مرتبطتين بقرابة دم. فالقارئ الدائم، باعتقاد بول، لن يتقبّل فكرة دفن امرأتين – لا قرابة بينهما وتعيشان في قريتين متجاورتين – حيّتين بسبب لسعة نحلة.

لجأ بول إلى التعابير الملطّفة التي يستخدمها الكتّاب عادة في أوساط مهنتهم: "إنها محتملة، بالطبع. سآخذها بعين الاعتبار يا آني،

لكنني أملك بعض الأفكار الخاصة بي، قد لا تنسجم معها".

"أوه، أعرف ذلك. أنت الكاتب، وليس أنا. إنما أنني قلت لك أي شيء. أنا آسفة".

"لا داعي للأسف –"

لكن آني لم تسمع ما قاله لأنها كانت قد ذهبت، وكان صوت وقع خطواتها الثقيلة في الممر يوحي بأنها لم تكن تمشي بل بالكاد تركض باتجاه غرفة الاستقبال. كان بول ينظر في الفراغ، قبل أن يحني رأسه؛ ثم تتوسع حدقتاه.

كانت هناك علامة سوداء على جانبي إطار الباب بارتفاع عشرين سنتمتراً تقريباً عن الأرض، فعرف على الفور بأنهما ناتجتان عن احتكاك محوري الكرسي المتحرك عندما ارغمه على المرور من الباب. إنها لم تلاحظهما حتى الآن. لقد مضى على ذلك قرابة الأسبوع، وعدم تمكنها من رؤيتهما كان أشبه بالمعجزة. ولكن، لن يمضي وقت طويل – ربما غداً، أو هذا المساء – حتى تأتي حاملة المكنسة الكهربائية وتكتشف الأمر.

وهي ستفعل.

لم يتمكن بول من كتابة الكثير خلال ما تبقى من اليوم.

كانت الحفرة قد اختفت.

8

في صباح اليوم التالي، كان بول جالساً في سريره، متكئاً على كومة من الوسائد، يشرب كوباً من القهوة ويحدق في تينك العلامتين، بعين مجرم مذنب رأى لتوه قطعة ثياب ملوثة بالدماء تنسى لسبب ما أن يتخلص منها. فجأة، دخلت آني إلى الغرفة مسرعة. كانت عيناها متسعتين ومنتفختين. وكانت تحمل خرقة لمسح الغبار في يد... وفي اليد

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

الأخرى، ومما يثير الدهشة والرعب في آن واحد، كانت تحمل أصفاداً.

"لماذا -"

هـذا كـل ما استطاع أن يقوله. لقد أمسكت به بقوة وسحبته حتى أصـبحت جلسته منتصبة، فزعق من الألم الذي انبثق من ساقيه، والذي كـان هـو الأسـوأ مـنذ أيام. طار فنجان القهوة من يده وتحطم على الأرض. *لا بد أنها رأت العلامتين. لعلها رأتهما منذ وقت طويل.* كانت ذلك هو التفسير الوحيد الذي استطاع الخروج به لهذا التصرف الغريب.

"اسكت أيها الغبي". قالت بصوت هامس ولكن بغضب، ثم أمسكت بـرديه ووضـعتهما خلف ظهره. وحالما سمع صوت طقطقة الأصفاد، سمع أيضاً صوت سيارة تدخل ممر المنزل.

فتح فمه كي يتكلم أو ربما يزعق ثانية، فإذا بها تحشر الخرقة فيه قبل أن يتمكن من القيام بأي منهما. كان طعم الخرقة مريعاً، اعتقد بأنه آت من سائل التنظيف بلاغ أو اندست، أو شيء من هذا القبيل.

"لا تصـدر أي صوت". قالت وهي تتحنى إليه وتهز يديها على جانبـي رأسه، وخصلات شعرها تداعب جبهتها ووجنتيها. "أحذرك يا بـول. إن سـمع أحد - أياً يكن هذا الشخص - أي شيء، فسأقتله، أو أقتلهم، وأقتلك، ثم سأقتل نفسي".

ثـم عادت إلى وضعية الوقوف. كانت عيناها متورمتين، ووجهها متعرقاً، وكان هناك بقايا مع بيض على شفتيها.

"تذكر يا بول".

كـان يومئ برأسه، لكنها لم تر ذلك، لأنها كانت قد بدأت تركض خارجة من الغرفة.

توقفـت سـيارة شيفروليه بيل إير قديمة ولكن حوفظ عليها بشكل جيد وراء سيارة آني الشيروكي. سمع بول صوت باب ينفتح في مكان مـا بعـد غرفة الاستقبال ثم ينغلق بقوة. كان الرجل يبدو في الخامسة والسـتين من عمره، لكنه قد يكون في العقد الثامن؛ لعله شريك مهم في

مؤسسـة محامـاة أو رئيس نصف متقاعد لشركة بناء، لكنه كان أقرب لأن يكون صاحب مزرعة أو مالك عقارات. ربما كان جمهورياً، ولكن ليس من النوع الذي يضع لاصقة بشعار الحزب على مصد سيارته بل من النوع الذي ينتعل حذاءً إيطالياً ذا مقدمة مدببة. أو لا بد أنه موظف محلـي جاء إلى هنا في مهمة رسمية، لأنه من غير المحتمل أن يلتقي رجل مثله بامرأة منعزلة مثل آني ويلكس إلا في إطار مهمة رسمية.

راقـب بـول آنـي وهـي تمشي بخطىً مسرعة باتجاه الطريق الفرعـي، لـيس بقصد مقابلته بل بهدف اعتراض سبيله. هنا بدا الأمر وكـأن تخـيلاته السـابقة قد تحققت. لم يكن شرطياً ولكن موظفاً ما. موظف جاء إلى منزل آني، ومجيئه لن يقدم شيئاً لبول باستثناء تقصير عمره.

لمـاذا لا تدعـه إلى الداخل يا آني؟ فكّر في داخله، محاولاً عدم الانخـداع بالخـرقة المغبرة. *لماذا لا تدعه إلى الداخل وتريه طيرك الإفريقي؟*

كانـت تتكلم حتى قبل أن تصل إليه، وكان نفسها يخرج من فمها بأشـكال تشـبه البالونات في أفلام الكارتون ولكن بدون كلمات مكتوبة داخلهـا. مـد يـا تونتي قفازاً جلدياً أبيضاً فنظرت إليها باحتقار لبرهة، ثم بـدأت تلـوح بإصـبعها في وجهه، وازداد عدد تلك البالونات البيضاء الفارغـة المتصاعدة من فمها. ثم انتهت بالتصارع مع معطفها من أجل رفع السحاب.

مـد الـرجل يـده إلى جيب سترته وأخرج ورقة ثم أراها إياها بطـريقة شـبه اعتذارية. مشت أمامه على الطريق الفرعي، وكانت ما تـزال تـتكلم، إلـى أن ابتعدا عن مجال رؤيته. كان باستطاعته رؤية ظليهما على الثلج، ولكن ليس أكثر. وعرف بأنها فعلت ذلك عن قصد، لأنـه إذا لـم يكن باستطاعة بول أن يراهما، فهذا يعني بأن الرجل لن يتمكن من رؤيته إذا خطر بباله أن ينظر عبر نافذة غرفة الضيوف.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

بقي الظلان على الثلج المتكوم على الطريق الفرعي الموصل إلى منزل آني والأخذ في الذوبان حوالى خمس دقائق بدت طويلة جداً بالنسبة لبول. فجأة، وصل إلى مسامعه لأول مرة منذ خروج آني صوتها وهي تصرخ بغضب مهددة السيد رانشو غراند. كانت كتفاه تؤلمانه، لكنه اكتشف بأنه لا يستطيع أن يحرك نفسه كي يخفف الألم. لقد ربطت يديه بطريقة ما إلى إطار السرير بعد تقييدهما بالأصفاد.

لكنّ الغرفة كانت أكثر ما كان يزعج بول، فرائحة سائل تلميع المفروشات المقززة التي تفوح منها أحدثت صداعاً في رأسه وجعلته يشعر بالإقياء. لكنه حاول التركيز بشدة على مقاومة هذا الشعور. وعندما بدأت جبهته تتصبب بالعرق البارد، عادت آني والسيد رانشو غراند (هكذا دعاه بول) إلى الظهور مجدداً. الآن كانت آني تحمل الورقة بيدها وتمشي وراء الرجل ملوحة بإصبعها من خلف ظهره، والبالونات الكرتونية الفارغة تخرج من فمها. لم يلتفت الرجل إليها. كان وجهه خالياً من أي تعبير، وكأنه كان يتقصد ذلك، لكنّ شفتيه المزمومتين بشدة أوحتا بشيء مما كان يعتمل بداخله. أهو الغضب؟ ربما. أم الكره؟ أجل، ربما كان هذا أقرب إلى حقيقة شعوره.

ركب سيارته وأغلق الباب. الآن، كانت آني تقف بجانب السيارة وتستمر بالتلويح بإصبعها أمام النافذة. تمكّن بول بصعوبة من سماع صوتها: "– تعتقد بأنك ذكي جداً!"

بدأت السيارة بالرجوع ببطء على الطريق الفرعي. وكان السيد رانشو غراند فيما يبدو مصراً على عدم النظر إلى آني المكشرة عن أسنانها.

صرخت آني بصوت أعلى من ذي قبل: *تعتقد بأنك رجل مهم جداً!"*

فجأة، ركلت آني المصد الأمامي لسيارة السيد رانشو غراند. ركلته بقوة لدرجة أنها أسقطت قطع الثلج المحشورة فوق الدواليب. كان

العجوز ينظر من فوق كتفه اليمنى، وهو يوجه السيارة عبر الطريق. في تلك اللحظة، التفت ونظر إليها. بدا وكأنه أرغم على التخلي عن ذلك الموقف الحيادي الذي حافظ عليه منذ بدء زيارته.

"حسناً، سأقول لك شيئاً أيها الطائر القذر! الكلاب الصغيرة تذهب إلى الحمام على عجلات كبيرة! ما رأيك بذلك؟ ها؟!"

على أي حال، مهما كان رأي السيد رانشو غراند بما قالته فهو على ما يبدو لم يكن ينوي إرضاءها، فعاد إلى رسم ذلك التعبير الحيادي على وجهه من جديد. ثم اختفى من نطاق رؤية بول.

وقفت آني هناك لفترة قصيرة، واضعة يديها منقبضتين على وركيها، ثم رجعت إلى المنزل بخطوات غاضبة. سمع باب المطبخ يفتح ثم يغلق بعنف شديد.

حسناً، لقد ذهب السيد رانشو غراند ذهب، ولكن أنا هنا. أجل، أنا هنا.

9

لكنها هذه المرة لم تصب جام غضبها عليه.

دخلت آني إلى الغرفة. كانت ما تزال مرتدية معطفها، لكن سحّابه كان مفتوحاً الآن. ودون أن تنظر إليه بدأت تنزع الغرفة ذهاباً وإياباً بخطىً سريعة. كانت الورقة ما تزال بيدها، وكانت بين الحين والآخر تهزها أمام أنفها وكأنها كانت توبخ نفسها.

"عشرة بالمائة زيادة في الضريبة، هذا ما يقوله! متأخرة، كما يقول! حق بالحجز! محامون! دفعات فصلية! مستحقة الدفع! كوكادودي! كاكا! كاكا بوبي دودي!"

همهم بول من خلال الخرقة، لكنها لم تلتفت إليه، وكأنها كانت لوحدها في الغرفة. ثم زادت من سرعة خطواتها، قاطعة الهواء بجسدها

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

الصـــلب. كان يعتقد بأنها سوف تمزق الورقة إلى قطع صغيرة، لكنها فيما يبدو لم تكن تجرؤ على فعل ذلك.

"خمسمائة وستة دولارات!" صرخت ملوحة بالورقة في وجهه هذه المـــرة. ثم انتزعت الخرقة التي كانت تخنقه من فمه، ورمت بها على الأرض. أمـــال رأسه جانباً محاولاً السيطرة على شعوره بالإغياء. كان يشـــعر بـــأن ذراعيه تنفصلان رويداً رويداً عن مفصليهما. "خمسمائة وستة دولارات وسبعة عشر سنتاً! إنهم يعلمون بأنني لا أريد أحداً هنا! لقد أخبرتهم، أليس كذلك؟ انظر! انظر!"

حاول كبت شعوره بالإغياء من جديد، مصدراً صوت تجشؤ يائس.

"إذا تقـــيأت أعتقد بأنك ستضطر إلى الاستلقاء فيه. قل شيئاً عن الحجز على منزلي. ماذا يعني ذلك؟"

قال متذمراً: "الأصفاد..."

قالـــت بـــنفاد صـــبر: "نعم، نعم، تبدو أحياناً مثل طفل". أخرجت المفتاح من جيب تنورتها ثم اقتربت منه ودفعته إلى الجهة اليسرى حتى ارتطم أنفه بأغطية الفراش. صرخ لكنها تجاهلته. صدر صوت خشخشة ثم طقطقة ثم تحررت يداه أخيراً. جلس في سريره لاهثاً، ثم انزلق ببطء علـــى الوســـائد وحرص على أن يمدّ ساقيه بشكل مستقيم. كانت هناك أخاديد شاحبة على معصميه لكنها بدأت تمتلئ باللون الأحمر.

حشرت أني الأصفاد في جيب تنورتها بغير اكتراث، وكأن وجود أصفاد الشرطة في البيوت أمر اعتيادي تماماً، مثل المناديل الورقية أو علاقات الثياب.

ســـألت أني محدداً: "ما هو الحجز؟ هل هذا يعني بأنهم سيمتلكون منزلي؟ هل هذا هو ما يعنيه؟"

أجاب بول: "لا، إنه يعني..." ثم تنحنح ليصفي حنجرته مما تبقى مـــن طعم الخرقة. لكنها لم تلاحظ بل بقيت واقفة في مكانها تحدق إليه بصـــبر بـــدأ ينفد إلى أن استطاع التكلم من جديد. وبعد قليل، قال بول:

"إنه يعني فقط أنك لا تستطيعين بيعه".

"فقط؟ فقط؟ لديك فكرة مضحكة عن فقط، سيد بول شيبدون. لكنني أعـــتقد بـــأن مشـــاكل أرملة فقيرة مسكينة مثلي غير ذات أهمية كبرى بالنسبة لسيد ذكي وغني مثلك".

"بـــل على العكس من ذلك. أفكر بمشاكلك وكأنها مشاكلي يا آني. لقـــد عنيت فقط أن حق الحجز ليس كتلة قياساً لما يمكن أن يفعلوه إذا تراكمت الأقساط المستحقة عليك. هل تراكمت؟"

"الأقساط المستحقة؟ أنا أدفع فواتيري. أنا فقط... هذه المرة..."

لقد نسيت، أليس كذلك؟ نسيت، تماماً كما تنسين تغيير شهر شباط في ذلك التقويم اللعين. إن نسيان دفع قسط ضريبة المنزل الفصلية أسوأ بكثير من نسيان تغيير ورقة الشهر، وأنت غاضبة لأنها المرة الأولى التي تنسين شيئاً بهذه الأهمية. في الحقيقة، إن حالتك تزداد سوءاً يا آنـــي، أليس كذلك؟ تزداد سوءاً مع كل يوم يمر. إن المرضى النفسيين يتأقلمون مع العالم بطـــريقة ما – ولكن بشكل سيئ – وفي بعض الأحـــيان، واعـــتقد بـــأنك تعرفين ذلك جيداً، إنهم يرحلون عنه بطريقة بشعة. ولكـــن، هـــناك خـــط فاصل بين المرض النفسي القابل للتأقلم والمـــرض النفسي غير القابل للتأقلم. وأنت تقتربين شيئاً فشيئاً من هذه الخط الفاصل كل يوم... وجزء منك يعلم ذلك.

قالت بتجهم: "إن وضعك هذا جعلني مشغولة أكثر من رجل بذراع واحدة يقوم بإلصاق ورق الجدران".

فجأة خطرت لـــه فكرة، فكرة جيدة بالفعل. واحتمال أن يكون لهذه الفكرة وقع إيجابي عليها كان كبيراً جداً. قال بصدق وهدوء: "أعلم ذلك، أنـــا مدين لك بحياتي وأنا لم أسبب لك إلا الألم منذ أتيت. لدي أربعمائة دولار في محفظتي. أريدك أن تدفعي أقساطك المتأخرة بها".

نظـــرت إلـــيه بشيء من الاضطراب والرضا في آن واحد. "أوه، بول. لا يمكنني أن آخذ مالك".

www.jn2n.com
hllo_X@hotmail.com

قال مبتسماً: "إنه ليس لي". وفي داخله كان يفكر: *ما أريده يا آني هو أن تنسي شيئاً من الأشياء التي تتمنينها عندما أكون قد حصلت على إحدى مسكاكينك، وأنا أكيد بأنني سأتحرك بشكل جيد في استعمالها. سوف تتعذبين بشدة لمدة عشر ثوان قبل أن تعرفي بأنك ميتة.* "إنه لك. سمّه عربوناً إذا شئت". سكت لبرهة، ثم قام بمجازفة محسوبة: "إذا كنت تعتقدين بأنني لا أعلم بأنني كنت سأكون ميتاً لو لم يكن هذا المال لك، فأنت مجنونة".

"بول... لا أعرف..."

"أنا جاد". امتزجت ابتسامته بنفحة صدق ساحرة. "لقد فعلت ما هو أكثر من إنقاذ حياتي، كما تعرفين. لقد أنقذت حياتين. فبدونك كانت ميزري ستبقى ممدة في قبرها".

في ذلك الوقت، أصبح وجهها مشرقاً بينما هي تنظر إليه.

"كما أظهرت لي خطأ أساليبي. لقد أعدتني إلى الطريق الصحيح ثانية. ولهذا فإنني مدين لك بأكثر من أربعمائة دولار بكثير. وإذا لم تأخذي هذا المال فإنك سوف تجعلينني أشعر بسوء بالغ".

"حسناً، أنا... حسناً. أنا... اشكرك".

"أنا من يجب أن يشكرك. هل يمكنني أن أرى الورقة؟"

أعطته إياها بدون أي اعتراض. كانت عبارة عن إشعار بدفع ضريبة مستحقة. تفحصها بسرعة ثم أعادها إليها.

"هل تملك مالاً في البنك؟" أبعدت عينيها عن عينيه. "لدي مال محفوظ لوقت الحاجة، ولكن ليس في البنك، فأنا لا أؤمن بالبنوك".

"تقول الورقة بأنهم لا يستطيعون تنفيذ الحجز عليك إلا إذا بقيت الضريبة دون دفع حتى الخامس والعشرين من آذار. في أي يوم نحن؟"

حدقت بعيوس في التقويم. "يا الله! ذلك غير صحيح".

نزعت الورقة، فاختفى الوند مع زلاجته. راقب بول ذلك بنوع من الأسف لا معنى له. أظهر شهر آذار جدول ماء مزبد يجري بسرعة

بين ضفتين مغطاتين بالثلوج.

حدقت في التقويم لفترة قصيرة وكأنها كانت تعاني من قصر النظر ثم قالت: "اليوم هو 25 آذار".

بالتأكيد، لهذا السبب جاء الرجل اليوم". وهو *لم يخبرك بأنهم وضعوا حجزاً على منزلك يا آني، بل كان يخبرك بأنهم سوف يضطرون إلى فعل ذلك إذا لم تتمكني من دفع ما يستحق عليك قبل أن تغلق مكاتب البلدة أبوابها هذا المساء. الرجل، في الواقع، كان يحاول أن يقدم لك خدمة*. "ولكن، إذا دفعت هذه الخمسمائة وستة دولارات قبل —"

قاطعته بحدّة، "وسبعة عشر سنتاً. لا تنس السبعة عشر سنتاً اللعينة".

"حسناً، سبعة عشر سنتاً. إذا دفعت المبلغ قبل أن تغلق مكاتب البلدة هذا المساء، فلن يكون هناك حجز. إذا كان الناس في البلدة يشعرون اتجاهك كما تقولين، يا آني —"

"إنهم يكرهونني! كلهم ضدي يا بول!"

"— فستكون ضرائبك واحدة من الطرق التي سيحاولون بواسطتها طردك من هنا. إن تهديد شخص ما بالحجز لأنه أغفل عن دفع قسط ضئيل واحد أمر غريب إلى حدٍّ كبير. في الواقع، تفوح منه رائحة قذرة. أما إذا أغفلت دفع قسطين ضئيلين، فإنهم قد يحاولون أخذ منزلك وبيعه في المزاد العلني. إنها فكرة مجنونة، لكنني أعتقد بأنهم، من الناحية التقنية، يتصرفون ضمن القانون".

قهقهت بصوت حاد وعالٍ. "دعهم يحاولون! سأقتل بعضاً منهم! سأكتفي بقول هذا القدر. أجل يا سيدي. أجل يا سيدي!"

قال بهدوء: "وفي النهاية، سيقتلونك أنت. ولكن، ليس هذا هو المهم".

"وما هو المهم إذن؟"

"أنني، ربما هناك أشخاص في سايدوينتر متأخرين عن دفع

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

ضرائبهم سنتين أو ثلاث ولا أحد يأخذ منهم منازلهم أو يبيع مفروشاتهم في المزاد العلني في مبنى البلدية. وأسوأ ما يمكن أن يحصل لمثل هؤلاء الأشخاص هو أن يقطعوا عنهم ماء الشرب. لنأخذ مثلاً آل رويدمان". نظر إليها نظرة ماكرة. "هل تظنين بأنهم يدفعون ضرائبهم في وقتها؟"

"أولئك القزمون البيض؟ هه!"

"أعتقد بأنهم يقصدونك أنت بالذات يا آني". في الحقيقة، هذا ما كان يعتقده بالفعل.

"لن أذهب! سأبقى هنا فقط من أجل إذلالهم! سأبقى هنا وأبصق في أعينهم!"

"هل يمكنك الحصول على مائة وستة دولارات لتضيفها إلى الأربعمائة الموجودة في محفظتي؟"

"أجل". عندها بدأت تشعر بارتياح حذر.

"جيد. إذاً، أقترح عليك أن تدفعي ضريبتهم اللعينة اليوم". *وبينما أنت هناك، سأرى ما يمكنني فعله بتلك العلامتين اللعينتين على الباب. وعندما أنتهي من ذلك، سأرى ما إذا كنت أستطيع الخروج من هنا، يا آني. فقد سئمت قليلاً من ضيافتك.*

أرغم نفسه على الابتسام.

ثم أضاف: "لا بد أن هناك سبعة عشر سنتاً على الأقل داخل طاولة السرير هذه".

10

لآني ويلكس مجموعة من القواعد الغريبة الخاصة بها. فعلى الرغم من أنها أجبرته على الشرب من دلو المسح، ومنعت عنه دواءه حتى أنهكه الألم، وجعلته يحرق النسخة الوحيدة من روايته الجديدة،

وقيدت يديه، وحشرت خرقة تفوح منها رائحة سائل تلميع المفروشات في فمه، إلا أنها لم تسمح لنفسها بأخذ ماله من محفظته. بل جلبتها إليه - وهي محفظة قديمة بالية من نوع لورد باكستون ما تزال معه منذ أيام الجامعة - ووضعتها في يديه.

كل بطاقات التعريف بهويته كانت قد اختفت. في هذا الأمر لم تستورع عن أخذها دون إذن منه. لكنه لم يسألها عنها، إذ اعتقد أن من الحكمة ألا يفعل.

كانت الأوراق المالية - معظمها من فئة الخمسين دولاراً - ما تزال جديدة. في تلك اللحظة تذكّر، بوضوح بدا له مثيراً للدهشة ومنذراً بالخطر في آن واحد، نفسه وهو يوقف سيارته الكامارو أمام شباك خدمة الزبائن في بنك ميدلتون قبل يوم من انتهائه من رواية **سيارات سريعة** ويضع شيكاً بأربعمائة وخمسين دولاراً على الصينية. الرجل الذي قام بذلك كان حراً ومعافى وسعيداً، ولم يكن حكيماً أن يقدّر أياً من هذه الأشياء الرائعة. الرجل الذي قام بذلك نظر إلى الموظفة التي تخدم الزبائن وهم في سياراتهم بعين مهتمة ومفعمة بالحيوية؛ كانت طويلة، شقراء، ترتدي ثوباً ضيقاً يبرز مفاتنها. وهي بدورها بادلته النظرات... ففكّر في داخله، ترى ماذا ستقول لو رأته الآن، وقد فقد أربعين رطلاً من وزنه وازداد عمره عشر سنوات، وأصبحت ساقاه على هذا النحو المرعب؟

"بول؟"

رفع رأسه ونظر إليها وهو يحمل المال في يده. كان المبلغ أربعمائة وعشرين دولاراً.

"نعم؟"

كانت تنظر إليه بتلك النظرة الأمومية المربكة؛ المربكة بسبب الروح الشريرة التي تخفيها وراء تلك النظرة. "هل أنت تبكي يا بول؟"

مسح وجنتيه بيده الفارغة. نعم، كانت هناك بعض القطرات. ابتسم

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

وسلّمها المال. قليلاً. كنت أفكر كم كنت طيبة معي. أعتقد بأن الكثير من الناس لن يفهموا... لكنني أعتقد بأنني أعرف".

لمعت عيناها هي الأخرى عندما انحنت ولمست شفتيه برقة. شم رائحة شيء ما في نفسها، شيء انبعث من داخلها المظلم والمتعفن، شيء يشبه رائحة السمك ميتة. كانت الرائحة أسوأ ألف مرة من طعم ورائحة خرقة مسح الغبار. وقد استحضرت إلى ذهنه ذكرى رائحة نفسها الكريهة (تنفّس! اللعنة، تنفّس!) وهي تدخل إلى حلقه مثل ريح قذرة آتية من الجحيم.

انقبضت معدته، لكنه ابتسم لها.

قالت آني: "أحبك عزيزي".

"هل تضعينني في الكرسي المتحرك قبل أن تذهبي من فضلك؟ أريد أن أكتب؟"

"بالطبع". عانقته. "بالطبع يا عزيزي".

11

إن لطافتها لم تشمل ترك باب الغرفة غير مقفول. لكن هذا الأمر لم يكن يمثل مشكلة بالنسبة له. فهو، هذه المرة، لم يعد ذلك النصف مجنون الذي يعاني من الألم ومن أعراض من يقلع عن الإدمان، وبالإضافة إلى ذلك، فقد قام بجمع أربعة من دبابيس شعرها كما يجمع السنجاب الجوز من أجل الشتاء، وخبأها تحت الفراش مع أقراص الدواء.

عندما تأكد من ذهابها، دحرج الكرسي المتحرك إلى جانب السرير وأخرج الدبابيس، كما أخذ إبريق الماء وعلبة المحارم من فوق طاولة السرير. لم يكن جرّ الكرسي مع الآلة الكاتبة الجاثمة فوق اللوح أمامه صعباً عليه كثيراً، فذراعاه أصبحتا أكثر قوة من ذي قبل بما لا يقاس.

لعل آني ويلكس ستصاب بالدهشة من قوتيهما الآن، وهو كان يأمل بشدة بأن يأتي يوم ليس ببعيد ويرى هذه الدهشة في عينيها.

مع أن الرويال لم تكن آلة جيدة للكتابة، لكنها كانت أداة نافعة لأداء التمرينات الرياضية بها. وهي كانت السبب في تنامي قوة ذراعيه، إذ كان يتحيّن فرصة خروج آني من الغرفة أثناء جلوسه وراءها كي يبدأ برفعها ثم وضعها عدة مرات. في البداية، أفضل ما كان باستطاعته القيام به هو خمس رفعات. أما الآن فقد أصبح قادراً على رفعها ثماني عشرة أو عشرين مرة بدون توقف. وهذا ليس سيئاً بالنسبة لرجل وزن خمسين رطلاً.

كان يعالج القفل بواسطة دبوس واحد ويضع اثنين احتياطيين في فمه مثل خياطة تحيط حافة ثوب. اعتقد بأن الجزء المكسور من الدبوس الذي كان ما يزال قابعاً في مكان ما داخل القفل قد يحبط محاولته، لكنه كان مخطئاً. فقد وصل على الفور تقريباً إلى الذراع المتحرك في القفل ودفعه إلى الأعلى ساحباً اللسان معه. ثم تمايل للحظة فقط ما إذا كانت قد وضعت قفلاً ذا مزلاج على الباب من الخارج أيضاً، لكن شكوكه سرعان ما تبددت في الهواء حين دفع الباب فانفتح.

مع أذنين متحفزتين لسماع صوت عودة أولد بيسي – بالرغم من أنه لم يمض على ذهابها سوى خمس وأربعين دقيقة – سحب مجموعة من المناديل الورقية ونقعها في إبريق الماء ثم انحنى إلى جانبه الأيمن في وضعية غير مريحة مما تسبب له بالتياث دفقة شديدة من الألم. لكنه كزّ على أسنانه متجاهلاً الوجع، وبدأ بمسح العلامة الموجودة على الجانب الأيمن من الباب.

أحس بارتياح عارم عندما رأى العلامة تختفي حالما بدأ بمسحها. يبدو أن محوري الكرسي المتحرك لم يخدشا الطلاء، كما كان يخشى، بل احتكا به فقط.

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

ليتعد عن الباب، ثم أدار الكرسي بشكل معاكس، ثم أرجعه بشكل خلفي حتى يتمكن من العمل على مسح العلامة الأخرى. وعندما انتهى منها عاد وأدار الكرسي من جديد ثم نظر إلى الباب، محاولاً الرؤية بعيني آني الشكوكتين. كانت العلامتان ما تزالان موجودتين ولكن بشكل باهت جداً بحيث يالكاد يمكن ملاحظتهما. فاعتقد بأن ذلك جيد.

دفع الكرسي نحو الباب ثم نظر إلى الممر؛ ولكن، مع اختفاء العلامتين الآن، لم يعد يشعر بدافع للمضي أكثر، أو التجرؤ أكثر، هذا اليوم. في يوم آخر ربما. نعم.

ما كان يريد فعله في ذلك الوقت هو الكتابة.

أغلق الباب، فبدا صوت طقة القفل عالياً جداً.

إفريقيا.

ذلك الطير آتى من إفريقيا.

ولكن، عليك ألا تبكي من أجل ذلك الطير يا بولي، لأنه سينسى بعد مرور فترة من الزمن كيف كانت تبدو رائحة السهوب في منتصف الظهيرة، وأصوات الظباء المتجمعة على أطراف بركة الماء، والرائحة الحمضية الحادة لأشجار الجيكا جيكا في المساحات الشاسعة شمال نيغرود. بعد مرور فترة من الزمن، سينسى اللون الأحمر الفاقع للوشح بالألوان الوردي لغياب الشمس خلف جبل كليمنجارو. بعد مرور فترة من الزمن، لن يعرف سوى غيابات الشمس المغلفة بالضباب في سماء يومبطن، هذا كل ما سيتذكره وكل ما سيريد أن يتذكره. بعد مرور فترة من الزمن، لن يريد أن يعود إلى موطنه مرة أخرى، وإذا ما أعاده شخص ما وحرره هناك، سيجثم في مكان واحد خائفاً ومتألماً من الحنين إلى ذلك المكان الآمن الذي تعوّد عليه، إلى أن يأتي شيء ما ويقتله.

قال بول بصوت مرتجف: "لوه، إفريقيا، النعمة".

دفع كرسيه وهو يبكي نحو سلة المهملات ودفن مجموعة المناديل الورقية المبللة تحت الأوراق المرمية. ثم أعاد الكرسي إلى جانب النافذة

ووضع ورقة في الآلة الكاتبة.

وبالمناسبة يا بولي، ألم يبرز مصد سيارتك من تحت الثلج بعد؟ هل هو بارز الآن يلمع بفرح تحت الشمس منتظراً مرور شخص ما ليراه بينما أنت قابع هنا تضيّع ما يمكن أن تكون فرصتك الأخيرة؟!

نظر بارتياب إلى الورقة البيضاء الموضوعة في الآلة الكاتبة.

لن أتمكن من الكتابة الآن على أية حال، فقد أفسدت هذه الفكرة الأمر.

ولكن، في الواقع، لم يسبق أن تمكّن شيء من إفساد قدرته على الكتابة من قبل. فعلى الرغم من الهشاشة المعروفة للفعل الإبداعي، إلا أنه كان دائماً الشيء الوحيد الأكثر صلابة والأكثر قدرة على التحمل في حياته. إذ لم يتمكن شيء أبداً من تلويث ذلك المعين المجنون لأحلامه، سواء أكان شراباً أم مخدرات أم الألم نفسه. وهو التجأ إلى ذلك المعين الآن، مثل حيوان عطش وجد بركة ماء عند مغيب الشمس، وشرب منها؛ أي أنه وجد الحفرة في الورقة وسقط فيها مع الشكر والامتنان. ومع عودة آني إلى البيت في السادسة والربع، كان قد أنجز خمس صفحات تقريباً.

12

خلال الأسابيع الثلاثة التالية، شعر بول بأنه محاط بهدوء كهربائي غريب. كان فمه جافاً على الدوام. والأصوات كانت تبدو عالية جداً. سرت عليه أيام شعر خلالها بأن باستطاعته أن يثني الملاعق بمجرد النظر إليها. وفي أيام أخرى شعر بالرغبة في البكاء بشكل هستيري.

بعيداً عن هذه الحالة، وبعيداً عن الرغبة المجنونة بالحكاك التي كانت تنتفع من ساقيه المتماثلتين للشفاء، فقد استمر العمل. وهكذا بدأت كدسة الأوراق الموضوعة على يمين الرويال تصبح أعلى فأعلى. في

hlo A@hotmail.com
www.jn2n.com

السابق، قبل هذه التجربة الغريبة، كان يعتبر كتابة أربع صفحات في اليوم أفضل إنجاز له (أثناء كتابة **سيارات سريعة**، كان الإنجاز اليومي الأقصى له هو ثلاث صفحات – واثنتين في كثير من الأيام – قبل الانطلاقة الختامية السريعة). ولكن، خلال فترة الأسابيع الكهربائية الثلاثة هذه، التي انتهت مع هروب العاصفة المطرية للخامس عشر من نيسان، كان معدل ما ينجزه بول في اليوم هو اثنتي عشرة صفحة؛ سبع في الصباح وخمس في المساء. ولو أن أحداً ما في حياته السابقة (كان قد بدأ يعتبرها كذلك، حتى دون إدراك منه) أوحى له أن باستطاعته العمل بمثل هذه السرعة، لضحك بول بشدة. عندما بدأ المطر بالسقوط، كان قد انتهى من كتابة مائتين وسبع وستين صفحة من جوهة ميزري. مادة أولى، بالطبع، لكنه راجعها ووجد بأنها كانت ممتازة إلى حد مثير للدهشة نظراً لكونها مادة أولى.

جزء من السبب في ذلك كان يعود إلى الحياة المستقيمة التي يعيشها. إذ لم يعد يقضي ليالي طويلة مشوشة متنقلاً من مكان إلى آخر، تليها أيام طويلة مشوشة يقضيها في شرب القهوة وعصير البرتقال وابتلاع أقراص الفيتامين B. ولم يعد يستيقظ في اليوم التالي وبجانبه شقراء أو حمراء أتى بها من مكان ما في الليلة السابقة، ساقطة تبدو مثل ملكة في منتصف الليل، ومثل عفريتة في العاشرة من صباح اليوم التالي. ولم يعد يشرب السجائر. كان قد طلبها منها مرة واحدة من قبل فقابلته بنظرة سوداوية جعلته يطلب منها على الفور بأن تنسى ما قد طلبه منها. لقد أصبح رجلاً نظيفاً الآن. ليست هناك عادات سيئة (باستثناء إدمانه على الكوديين، بالطبع. لم نقم بأي شيء بهذا الخصوص، أليس كذلك يا بول؟) ولا أمور ملهية. يستيقظ في الصباح، يتناول فرصين من النوفريل مع كوب من العصير. في الثامنة يأتي طعام الفطور. يُقدَّم إلى المسيو في سريره. بيضة واحدة، مقلية أو مسلوقة، ثلاث مرات في الأسبوع. حبوب غنية بالألياف في الأيام

الأربعة الباقية. ثم إلى الكرسي المتحرك، وإلى جانب النافذة. يجد الحفرة في الورقة. ويعود إلى القرن التاسع عشر، حيث كان الرجال رجالاً، والنساء خجولات. ثم وقت الغداء، ثم قيلولة بعد الظهر، والاستيقاظ مجدداً، أحياناً ليعدّل شيئاً ما، وأحياناً أخرى للقراءة وحسب. كان لديها كل ما كتبه سومرست موم (ذات مرة، تساءل بول ما إذا كانت تملك رواية جون فاولز الأولى، لكنه قرر بأنه من الأفضل له ألا يسألها) وكانت تزيد عن عشرين مجلداً تمثل نتاجه الأدبي الكامل، فبدأ بول يشق طريقه عبرها مفتوناً بفهم الرجل الدقيق لقيم الفن القصصي. كان بول قد أقنع نفسه بفكرة أنه لم يعد يستطيع قراءة القصص كما كان يفعل عندما كان طفلاً، فبعد أن أصبح هو نفسه كاتباً لها، اقتصرت جهوده على التجارب العملية فقط. لكن سومرست موم أغراه للقراءة من جديد، ومن ثم حوّله إلى طفل من جديد، وكان ذلك رائعاً بالفعل. في الخامسة تأتيه بعشاء خفيف، وفي السابعة تجلب التلفزيون الأبيض والأسود ليشاهدا معاً برنامجي *M*A*S*H* و*WKRP* في سينسيناتي، وعند انتهاء هذين البرنامجين، يعود بول إلى الكتابة. وعندما يفرغ من الكتابة، يجر كرسيه المتحرك ببطء إلى السرير (كان باستطاعته جره بسرعة أكبر، لكنه كان يتقصد ذلك كي لا تعرف أني). عندها تسمعه أني، فتأتي وتضعه في السرير. بووم. فيغط في النوم بسرعة الضوء، واليوم التالي يشبه سابقه تماماً. واليوم الذي يليه. واليوم الذي يليه.

خلال اليومين اللذين تبعا ذهاب أني إلى البلدة كي تدفع فاتورة ضريبتها، حاول بول نسيان إخفاقه في اغتنام ما يمكن أن تكون فرصته الذهبية للنجاة وركّز بدلاً من ذلك على إعادة ميزري إلى بيت السيدة راسيج. إن أخذها إلى منزل جيفري ليس مناسباً أبداً، فالخدم – وبالأخص تايلر، كبير خدم جيفري الثرثار – سوف يرون ويتكلمون. كان بحاجة إلى إثبات فقدان الذاكرة الكلي الناتج عن الصدمة التي تلقتها عندما أدركت أنها دُفنت حية. فقدان الذاكرة؟ اللعنة، الساقطة لم يعد

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

بإمكانها الكلام كثيراً. يا له من أمر مريح، نظراً لثرثرة ميزري الاعتيادية.

إذاً، ما هو الأمر التالي؟ خرجت الساقطة من قبرها، والآن أين القصة اللعينة؟ هل يتوجب على جيفري والسيدة راميج أن يخبرا إيان بأن ميزري كانت ما تزال حية؟ لم يكن بول يظن ذلك، لكنه في الوقت نفسه لم يكن متأكداً.

ليس إيان، فكّر في داخله، بينما كان ينظر إلى الحظيرة في الخارج. *ليس بعد. الطبيب أولاً. ذلك العجوز اللعين مع حرف النون المتكرر في اسمه. شابليون.*

تفكيره في الطبيب ذكّره بتعليق آني عن لسعات النحل، وهذه لم تكن المرة الأولى. *شخص واحد من كل ألفي عشر شخصاً...*

لكنها لن تنفع. امرأتان من عائلتين مختلفتين في بلدتين متجاورتين لديهما نفس الحساسية للسعة النحلة؟

بعد ثلاثة أيام من تخلص آني وبلكس من موقفها الصعب بدفع ضريبتها المتأخرة، كان بول في فراشه في فترة قيلولة بعد الظهر. كان على وشك أن يغفو، فإذا بفكرة تلمع في ذهنه. كانت أشبه بالنجم قنبلة هيدروجينية.

جلس منتصباً في سريره، متجاهلاً دقة الألم التي أيقظت ساقيه.

"آني!" صرخ بأعلى صوته. "آني، تعالي إلى هنا!"

سمع صوت قدميها الثقيلتين وهي تنزل السلم. لم تكن تنزله درجة درجة بل درجتين في كل مرة. كانت عيناها جاحظتين وخائفتين عندما دخلت الغرفة.

"بول! ما الأمر؟ هل تعاني من مغص؟ هل أنت –"

أجابها بول: "لا، لا يا آني، أنا آسف إذا أخفتك، ولكن عليك أن تساعديني كي أصل إلى الكرسي. الفكرة الرائعة! لقد وجدتها!" وأفلتت كلمة بذيئة من فمه دون أن يدرك، لكنها هذه المرة لم تؤثر بها قيد

يبدو، فقد كانت تنظر إليه باحترام وبكثير من الرهبة.

"بالتأكيد يا بول".

وضعته في الكرسي بأسرع ما يمكن. ثم بدأت بجره باتجاه النافذة. هزّ بول رأسه بصبر نافد وهو يقول: "إنها لن تأخذ وقتاً طويلاً، لكنها في غاية الأهمية".

"هل هي تتعلق بالكتاب؟"

"إنها الكتاب نفسه. اسكتي. لا تتكلمي معي".

أمسك بقلم حبر، متجاهلاً الآلة الكاتبة (إنه لا يستخدم الآلة الكاتبة أبداً في كتابة ملاحظاته) وأخذ ورقة وملأها على الفور. ربما لم يكن بإمكان أحد غيره قراءة ما كتب.

كانتا قريبتين. إنيما لحلتان وقد أثرتا بهما بنفس الطريقة لأنهما كانتا قريبتين. ميزري بتيمة. وإيفلين هايد كانت شقيقة ميزري! أو ربما أختها غير الشقيقة. ومن الذي ينتبه أولاً؟ شيلي؟ لا. شيلي أبله. السيدة ر يمكنها أن تذهب لرؤية شارل. والدة إ. هـ. و –

ثم خطرت له فكرة بدت رائعة، لأنه رفع رأسه وفغر فمه وحدّق عنده.

قالت آني بقلق: "بول؟"

قال هامساً: "كانت تعرف. بالطبع كانت تعرف. على الأقل كانت تشك بقوة. ولكن –"

ثم انكب على ملاحظاته ثانية.

السيدة ر تدرك على الفور بأن السيدة إ. هـ. يجب أن تعرف بأن م لهما صلة بابنتها. نفس الشعر أو أي شيء آخر. تذكّر بأن والدة إ.هـ. تبدأ بأن تصبح مثل شخصية سحرية. سوف تحتاج لأن تطورها. السيدة ر تبدأ بإدراك أن السيدة إ.هـ. قد تكون تعرف بأن ميزري دفنت حية!! افترض بأن السيدة العجوز اعتقدت بأن ميزري كانت وليدة علاقاتها المتعددة في الماضي و –

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

وضع القلم على الطاولة ونظر إلى الورقة، ثم أخذ القلم ببطء من جديد وبدأ بكتابة عدة أسطر أخرى.

ثلاث نقاط مهمة:

1. كيف تكون ردة فعل السيدة إ.ه. على شكوك السيدة ر؟

لا بد أن تكون إما قاتلة أو خائفة حتى الموت. أفضل أن تكون خائفة لكنني أعتقد بأن أ.و. ستفضل القاتلة. حسناً فلتكن قاتلة.

2. كيف يتعامل إيان مع هذا؟

3. فقدان ذاكرة ميزري.

أوه، هناك شيء آخر يجب النظر بشأنه. هل تكتشف ميزري بأن أمها تكيفت مع احتمال أن تكون ابنتها دُفنتا حيتين بدلاً من أن تفصح عن الحقيقة؟

لماذا؟

قال بول: "يمكنك أن تعيديني إلى السرير الآن إذا شئت. إذا بدوت مجنوناً، فأنا آسف. كنت منفعلاً".

"لا بأس، بول". كانت ما تزال تشعر بالزهو.

منذ ذلك الحين سار العمل بشكل رائع. كانت هي سحقة، فالقصة كانت تتحول لتصبح مرعبة أكثر من كل كتب ميزري الأخرى. لم يكن الفصل الأول نجاحاً تحقق بالصدفة بل كان فصلاً ممهداً لما بعده. لكن القصة أيضاً كانت مشغولة بطريقة أكثر غنىً من كتب ميزري الأخرى منذ الكتاب الأول، والشخصيات أكثر حياة. كانت روايات ميزري الثلاث الأخيرة أكثر بقليل من حكايات مغامرات بسيطة مع قدر كبير من الجنس الموصوف بشكل مثير من أجل إرضاء السيدات. وهنا بدأ بول يدرك أن هذه الرواية كُتبت وفق الأسلوب القوطي، ولهذا فهي كانت تعتمد على الحبكة أكثر من اعتمادها على الموقف. كانت التحديات متواصلة. فالمسألة لم تعد مجرد *هل يمكنك؟* أن تشرع بكتابة رواية جديدة من روايات ميزري، للمرة الأولى منذ سنوات، بل كانت

هل يمكنك؟ أن تقوم بكذا وكذا كل يوم تقريباً... وقد اكتشف بأنه كان *قادراً* بالفعل.

ثم جاء المطر وتغيرت الأمور.

13

منذ الثامن من نيسان وحتى الرابع عشر منه تمتعا بفترة متواصلة من الطقس الجميل. كانت الشمس مشرقة والسماء صافية وارتفعت درجات الحرارة في بعض الأحيان لتصل إلى منتصف الستينيات، بدأت بقع بنية من الأرض تظهر في الحقل وراء حظيرة آني الحمراء الجميلة. اختبأ بول وراء عمله وحاول ألا يفكر في سيارته، التي تأخر اكتشافها مسبقاً، وكلما كانت الكامارو تتسلل خلسة إلى عقله، كان يستدعي على الفور شرطة النماغ فتبعد الفكرة مكبلة بالأصفاد في يديها وقدميها. لكن المشكلة كانت تكمن في أن هذه الفكرة المزعجة كانت لديها طريقة ما تمكنها من الهرب والعودة مرة بعد مرة، بأشكال مختلفة. حلم ذات ليلة بأن السيد راتشو غراند عاد إلى منزل آني، وخرج من سيارته الشيفروليه بيل إير المعتنى بها جيداً حاملاً بيد جزءاً من مصد الكامارو وباليد الأخرى عجلة القيادة فيها. وسألها: *هل هذه الأشياء لك؟*

فاستيقظ بول بحالة ليست جيدة.

من جهة أخرى، لم تكن آني بحالة معنوية أفضل مما كانت عليه خلال ذلك الأسبوع المشمس من بداية الربيع. كانت تتظف وتطهو (بالرغم من أن أي شيء كانت تطهوه كان له مذاق صناعي غريب، وكأن السنوات التي قضتها في تناول الأطعمة من كافتيريات المشافي قد أفسدت أي موهبة لها في الطهو)، وفي فترة بعد الظهر من كل يوم كانت تلف بول ببطانية زرقاء ثقيلة وتحشر رأسه في قبعة صيد

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

خضراء ثم تجره وتصعه على الشرفة الخلفية للمنزل.

في تلك الفترات كان يصطحب معه أحد كتب موم، لكنه نادراً ما كان يقراه فالوجود خارجاً مرة أخرى كانت تجربة أهم بكثير من السماح لأي شيء آخر بإلهائه عنها. في الغالب كان يجلس وحسب، ويشتم رائحة الهواء البارد المنعش بدلاً من رائحة الغرفة النتنة القليلة الأوكسجين، ويستمع إلى تقطر قطع الثلج المعلقة على حواف السطح، ويراقب انسحاب الظلال ببطء عبر الحقل الثلجي الذائب. وكانت تلك أفضل الأوقات على الإطلاق.

كانت آني تغني بصوتها العالي المعتاد ولكن بدون حس موسيقي. وتضحك مثل طفل لتكت *M*A*S*H* و *WKRP*، وخاصة للنكت الخليعة نسبياً (والتي كانت معظمها تنتمي إلى *WKRP*). وتملأ بدون كلل أحرف II بعد انتهاء بول من كتابة الفصلين التاسع والعاشر.

جاء فجر الخامس عشر عاصفاً وغائماً، وتغيرت آني. فكّر بول بأن ذلك ربما كان يرجع إلى انخفاض الضغط الجوي. ولعله كان التفسير الأنسب.

لم تأت بدوائه حتى التاسعة، وعندها كان بأمس الحاجة إليه إلى درجة أنه فكّر باللجوء إلى مخبئه السري. ولم تحضر مع الدواء طعام الإفطار. عندما دخلت إلى الغرفة كانت آني ما تزال تلبس ثوبها المنزلي الزهري، لاحظ بنوع من الشك وجود علامات حمراء على خديها وذراعيها تشبه علامات ناتجة عن خدش بالأظافر. وشاهد أيضاً بقايا طعام متناثرة على ثوبها المنزلي. كما أنها لم تكن تنتعل إلا فردة واحدة من خفها المنزلي. صد - سلاش، صد - سلاش، هكذا بدا صوت قدميها عندما اقتربت منه. كانت عيناها باهتتين وشعرها معلقاً حول وجهها.

"خذ". رمت القرصين إليه. بداها أيضاً كانتا ملتويتين بخطوط مختلطة من مواد مختلفة، حمراء وبنية وبيضاء. لم يعرف ما هي هذه

المواد. ولم يكن متأكداً من أنه يريد أن يعرف. اصطدم القرصان بصدره ثم سقطا في حضنه. استدارت لتخرج. صد - سلاش، صد - سلاش، صد - سلاش.

"آني؟"

توقفت ولكن لم تستدر. بدت أكبر حجماً بهذه الوضعية، بكتفيها المدورتين اللتين ضاق بهما ثوبها الوردي، وشعرها الذي كان يبدو مثل خوذة أصيبت بضربات عديدة. كانت تشبه امرأة بدائية تنظر من داخل كهفها.

"آني، هل أنت بخير؟"

"لا". قالت بدون اكتراث، ثم استدارت. نظرت إليه نظرة بليدة وهي تفرض شفتها السفلى بين أسنانها وسبابة يدها اليمنى. شدت شفتها إلى الخارج، ثم لوتها وفرصتها في نفس الوقت. تجمّع الدم في البداية بين الشفة واللثة، ثم تدفق إلى ذقنها. ثم استدارت وغادرت دون أن تتفوه بكلمة واحدة. أغلقت الباب وراءها... وأقفلته. سمع صوت قدميها وهي تمشي بفردة خف واحدة عبر الممر وإلى غرفة الاستقبال. ثم سمع صرير كرسيها المفضل عندما جلست عليه. ولا شيء آخر. لا تلفزيون. ولا غناء. ولا قرقعة صحون أو أوانٍ معدنية. كانت تجلس هناك فقط في حالة غير طبيعية.

ثم سمع صوتاً. لم يتكرر لكنه كان مميزاً تماماً. كانت صفعة. وصفعة قوية جداً. وبما أنه كان وحده في تلك الغرفة المقفولة، وهي وحدها هناك، فلست بحاجة لأن تكون شرلوك هولمز لكي تعرف بأنها صفعت نفسها. وكان قد شاهدها منذ قليل تشد شفتها السفلى وتغرز أظافرها القصيرة في لحمها الزهري الحساس.

فجأة تذكّر ملاحظة حول المرض العقلي كان قد كتبها في رواية ميزري الأولى، حيث جرت معظم الأحداث في مستشفى بيدلام في لندن (وُضعت ميزري هناك بواسطة امرأة غيورة وشريرة ومجنونة). عندما

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

تبدأ شخصية هوسية مكتئبة بالعبور في مرحلة اكتئاب شديد، فإن من بين الأعراض التي قد تُظهرها هذه الشخصية عرض يتمثل في أفعال عقاب ذاتي: صفع، لكم، قرص، حرق الشخص لنفسه بعقب سيجارة، إلخ.

فجأة أحس بخوف شديد.

14

تذكر بول مقالة لإدموند ويلسون يقول فيها إن معيار وورتسورث لكتابة شعر جيد – عواطف جياشة تستحضر في وقت هادئ – قد يفيد أيضاً في معظم الروايات الدرامية. ربما كان ذلك صحيحاً. لم يعرف بول في حياته كتّاباً كانوا يجدون استحالة في الكتابة حتى بعد شجار زوجي ثانوي، وهو نفسه كان لا يستطيع الكتابة عندما يكون منزعجاً أو مهموماً. ولكن، ثمة أوقات كان يحصل فيها نوع من التأثير المعاكس، وهي الأوقات التي كان يكتب فيها على العمل ليس فقط لأنه كان ملزماً بالهلنة، بل لأن العمل بحدّ ذاته كان وسيلة للهرب مما كان يزعجه. وهذه الحالات كانت تحدث عادة عندما يكون تصحيح مصدر الإزعاج خارجاً عن إرادته.

وما كان يجري معه في ذلك الوقت هو واحدة من تلك الحالات. فعندما جاءت الساعة الحادية عشرة من ذلك الصباح ولم تأت لوضعه في كرسيه، قرر أن يصل إلى الكرسي بنفسه. صحيح أنه لم يكن بمقدوره إنزال الآلة الكاتبة من على رف الموقد، إلا أنه كان يستطيع الكتابة بالقلم. كان متأكداً من قدرته على رفع نفسه والجلوس في الكرسي، وكان يعلم بأن جعل آني تعرف بأنه قادر على ذلك ليست بالفكرة الجيدة على الإطلاق، إلا أنه كان بحاجة إلى هذا الحل، اللعنة، فهو لم يكن يستطيع الكتابة وهو ممدّد في السرير.

حرك نفسه حتى وصل إلى حافة السرير، ثم تأكد من أن كابح الكرسي المتحرك يثبت الدولابين، ثم أمسك بذراعي الكرسي وجذب نفسه حتى وصل إلى المقعد وجلس. الأمر الوحيد الذي تسبب له بالألم كان رفع ساقيه ووضعهما على الدواسات واحدة بعد الأخرى. وبعد ذلك، جر الكرسي إلى النافذة وأخذ مخطوطته.

سمع خشخشة المفتاح في القفل. فتحت آني الباب ونظرت إليه. كانت هنالك هالتان سوداوان حول عينيها. وكان خدها الأيمن متورماً، وهناك مادة حمراء حول فمها وعلى ذقنها. اعتقد بول لوهلة بأنه دم نزف من شفتها إلى أن رأى التوت فيها، فعرف بأنه مربّى التوت، أو حشوة توت، وليس دماً. نظرت إليه ونظر إليها بدوره دون أن ينقوها بأي كلمة. وفي الخارج، بدأت أولى قطرات المطر تبلل النافذة.

قالت أخيراً: "إذا كان باستطاعتك الوصول إلى ذلك الكرسي بنفسك، يا بول، فإنني أعتقد بأنك تستطيع أن تملأ بنفسك حروف النون اللعينة أيضاً".

ثم أغلقت الباب وأقفلته مجدداً. جلس بول ينظر إليه لفترة طويلة، وكان هناك شيء ما يراه. كان مذهولاً إلى درجة أنه لم يكن يستطيع القيام بأي شيء آخر.

15

لم يرها مرة أخرى حتى آخر بعد الظهر، بعد زيارتها تلك، كان العمل مستحيلاً بالنسبة إليه. قام بمحاولتين عقيمتين، لكنه رمى بالورقة في سلة المهملات واستسلم. فعاد وجر الكرسي إلى جانب السرير. خلال رفع نفسه من أجل العودة إلى السرير انزلقت إحدى يديه وكان على وشك أن يسقط. فأنزل رجله اليسرى واستند بكامل ثقله عليها. صحيح أنها أنقذته من السقوط إلا أن الألم كان فظيعاً، حيث شعر وكأن

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

عشرة مسامير انغرزت في عظامه فجأة. صرخ من الوجع، لكنه تجاهل الألم ومدّ يديه وتسلق اللوح الرأسي للسرير وأمسك به ثم جذب نفسه حتى وصل إلى السرير، جاراً رجله اليسرى المتوجعة وراءه.

ذلك سوف يأتي بها، سوف ترغب بمعرفة ما إذا كان بول شيلدون قد تحول إلى لوشيانو باغاروتي، أو أن الأمر بدا على هذا النحو.

لكنها لم تأت. وهو لم يكن قادراً على تحمل الألم النابض في رجله اليسرى. فانقلب على بطنه ومدّ يده عميقاً تحت الفراش ثم أخرج علبة من علب التوفريل. ابتلع قرصين ثم غاب عن الوعي.

عندما عاد إلى وعيه، اعتقد في البداية بأنه ما يزال يحلم. فما شاهده كان شديد الشبه بالحلم، مثل الليلة التي أدخلت فيها قِدر الشواء إلى الغرفة. كانت آني تجلس على طرف سريره، وقد وضعت كتاباً مليئاً بأقراص التوفريل على الطاولة بجانب السرير. وفي يدها كانت تحمل مصيدة فئران من نوع فيكتور، ولم تكن المصيدة فارغة، بل كان فيها فأر كبير ذو فراء بني مبقّع. المصيدة كسرت ظهر الفأر لكنّ قائمتيه الخلفيتين كانتا ما تزالان ترتجفان. وكانت هناك نقط من الدم على شاربه.

لم يكن ذلك حلماً، بل مجرد يوم ضائع آخر في بيت الرعب مع آني.

كانت رائحة نفسها تشبه رائحة جثة متحللة مغطاة بين فضلات طعام متعفنة.

"آني؟" جلس منتصباً، منقلاً عينيه بينها وبين الفأر. كانت الشمس قد اختفت وراء الأفق لكنّ السماء كانت ما تزال زرقاء والمطر يهطل ويصيب نوافذ الغرفة. وكانت الريح تعصف بقوة في الخارج وتنتحب الممرات فيهتز تحت وقع ضرباتها ويصدر صريراً وكأنه كان يتألم.

مهما كان الخطب الذي كانت تعاني منه في ذلك الصباح فإنه كان

لسوءاً في المساء. بل أسوأ بكثير. أدرك بول في تلك اللحظة بأنه كان يراها بدون أقنعتها كلها. كانت تلك آني الحقيقية، آني الداخلية. حتى وجهها، الذي كان يبدو في السابق صلباً إلى درجة مرعبة، أصبح الآن رخواً مثل عجينة لا حياة فيها. وكانت عيناها باهتتين وخاليتين من أي تعبير. وكانت تلبس تنورتها بالمقلوب، وكان هناك المزيد من العلامات الحمراء على جلدها، والمزيد من الدماء المتخثرة على ثيابها. وعندما تحركت البعثت رائحة كريهة جداً إلى درجة أن بول لم يتمكن من إحصائها. وكان أحد ثديي آني يبرز منها مكشوفاً بالكامل تقريباً بمادة نصف جافة شبيهة بمرق اللحم.

همست المصيدة: "إنهم يدخلون إلى القبو عندما تمطر". صدأصدأ انهيار الفأر بصوت ضعيف، ثم انقض في الهواء. كانت عيناه تتدحرجان في حياة بما لا يقاس من عيني آسرته. "أنا أضع المصائد. يجب علي أن أفعل ذلك. أمسح الصفيحة بدهن الخنزير. غالباً ما ألتقط ثمانية أو تسعة. أحياناً أجد فئراناً أخرى –"

ثم غابت عن الوجود لمدة ثلاث دقائق تقريباً، حاملة المصيدة في الهواء، حالة مثالية من الشرود الفصامي. كان بول يحدق فيها، ويحدق في الفأر وهو يصاصاً ويصارع، فأدرك حينئذ بأن ما كان يعتقده من قبل وهو أن الأمور لا يمكن أن تصبح أكثر سوءاً كان غير صحيح. غير صحيح أبداً.

وأخيراً، حالما بدأ يعتقد بأنها رحلت نهائياً إلى عالم النسيان، أزلت المصيدة وتابعت كلامها وكأنها لم تتوقف أبداً عن الكلام.

"– غرقى في الزاوية. يا للمساكين".

نظرت إلى الفأر وسقطت دمعة على فروه الكثيف.

"مخلوقات مسكينة صغيرة".

أطبقت إحدى يديها القويتين على الفأر ثم سحبت النابض باليد الأخرى. تلوّى الفأر بين يدها وحاول أن يعضها. كان صوت صأصأته

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

ضعيفاً لكنه مريع. ضغط بول براحة يده على فمه.

"كيف يدق قلبه! كيف يكافح للهرب! كما نفعل نحن يا بول. كما نفعل نحن. نعتقد بأننا نعرف الكثير، لكننا في حقيقة الأمر لا نعرف أكثر مما يعرفه فأر في مصيدة، فأر يظهر مكسور يظن بأنه ما زال يريد أن يعيش".

تحولت اليد الممسكة بالفأر إلى قبضة. ثم تفقد عيناها نظرتهما البعيدة والخالية من أي تعبير. أراد بول أن يشيح بنظره عن المنظر لكنه لم يستطع. بدأت الأوتار تبرز من تحت باطن ذراعها. فجأة تدفق الدم من فم الفأر. سمع بول عظامه تتحطم، ثم انغرزت أصابعها الخشنة في جسده واختفت داخله حتى المفاصل الأولى. تناثر الدم على الأرض. ونتأت عينا المخلوق المسكين.

رمت الجثة إلى الزاوية ومسحت يدها بغير اكتراث بالشرشف، مخلّفة بقعاً حمراء طويلة.

"الآن أصبح بسلام". هزت كتفيها ثم ضحكت. "سأحضر بندقيتي يا بول، أتأذن لي؟ لعل العالم الآخر أفضل، للفئران والبشر معاً. ليس ثمة فرق كبير بينهما".

"ليس قبل أن أنتهي". قال بول، محاولاً انتقاء كلماته بعناية. وهذا الأمر كان في غاية الصعوبة، فهو لم يرها بمثل هذه الحالة البائسة من قبل. هذه هي الحالة التي يصل إليها المكتئبون قبل أن يطلقوا النار على جميع أفراد عائلاتهم، وعلى أنفسهم في النهاية. هذه هي الحالة التي تُلبس فيها امرأة مكتئبة نفسياً طفليها أحسن ما عندهما من ثياب ثم تأخذهما كي تطعمهما البوظة، ثم إلى أقرب جسر، فتحمل طفلاً على كل ذراع وتقفز من فوق الجسر. المكتئبون يقتلون أنفسهم.

ليتني أقرب إلى الموت من أي وقت مضى، فكّر بول في داخله، *لأنها تعني ما تقول. السافلة تعني ما تقول.*

"ميزري؟" سألته وكأنها لم تسمع بهذا الاسم من قبل. ولكن كان

هناك بريق غامض قصير في عينيها، أليس كذلك؟ كان يظن ذلك.

"ميزري، أجل". فكّر ملياً في ما سيقوله وكيف، إذ بدت كل مقاربة ممكنة وكأنها مفخخة. "أوافق على أن العالم مكان قذر في معظم الوقت". ثم أضاف بشكل سخيف: "وخاصة عندما تمطر".

أيها الغبي، توقف عن الثرثرة!

"أعني، لقد عانيت الكثير من الألم خلال هذه الأسابيع القليلة الماضية، و –"

"الألم؟" نظرت إليه باحتقار. "أنت لا تعرف ماهو الألم. ليس لديك أدنى فكرة عنه يا بول".

"لا... أعتقد ذلك. ليس بالمقارنة بك".

"ذلك صحيح".

"ولكن... أريد أن أنهي هذا الكتاب. أريد أن أرى كيف ستؤول الأمور". ثم توقف لبرهة. "وأريدك أن تنهي وتري ذلك أنت أيضاً. قد لا يتمكن الإنسان من الكتابة إن لم يكن ثمة شخص ليقرأ ما كتب. هل تفهمينني؟"

نظر إلى ذلك الوجه الحجري المريع بقلب مرتجف.

"أي؟ هل تفهمينني؟"

"أجل..." تنهدت. "وأنا أيضاً أريد أن أعرف كيف ستنتهي. ذلك الشيء الوحيد الذي أريد أن أعرفه في هذا العالم، باعتقادي". فجأة، وعلى مهل – من الواضح أنها لم تكن مدركة لما كانت تفعله – بدأت تلعق دم الفأر من على أصابعها. ضغط بول على أسنانه بقوة وقال لنفسه بأن عليه أن يمسك نفسه ولا يتقيأ مكرراً ذلك عدة مرات. "إنه يشبه انتظار نهاية أحد تلك الأفلام المتسلسلة".

تلفتت حولها فجأة، وقد صبغ الدم فمها مثل أحمر الشفاه.

"دعني أعرض عليك الأمر ثانية يا بول. بإمكاني أن أحضر بندقيتي. بإمكاني أن أنهي كل هذا الأمر لكلينا. أنت لست بالرجل الغبي،

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

إنك تعلم بأنني لن أدعك ترحل من هنا. كنت تعلم ذلك، أليس كذلك؟"

لا تدع عينيك تترنحان. إذا رأت عينيك تترنحان فستقتلك الآن.

"نعم. لكن الحياة تنتهي دائماً في نهاية المطاف، أليس كذلك يا أني؟ في النهاية كلنا نموت".

ارتسم ظل ابتسامة على شفتيها، ثم اقتربت منه ولمست وجهه، بشيء من الحب.

"أظن بأنك تفكر في الهرب. كما يفعل الفأر في المصيدة، أنا متأكدة. لكنك لن تهرب يا بول. قد تهرب لو كانت هذه واحدة من قصصك، لكنها ليست كذلك. لا أستطيع أن أدعك ترحل من هنا... ولكنني قد أرحل معك".

للحظة، فكّر في أن يقول لها: *حسناً يا أني افعلي ما شئت بشأن هذا الأمر وحسب*. لكنّ حاجته للحياة ورغبته فيها – وكان ما يزال ثمة قدر كبير منهما في داخله – برزتا فجأة وزجرتا ذلك الوهن المؤقت وابعتاه.

قال لها: "أشكرك، لكنني أريد أن أنهي ما قد بدأته".

تنهدت ثم وقفت. "حسناً، اعتقد بأنني كنت أعرف ذلك مسبقاً بالتأكيد، لأنني كما ترى أحضرت لك بعض أقراص الدواء، بالرغم من أنني لا أذكر أنني فعلت ذلك". فهفهت بصوت مكتوم وكأن الضحكة خرجت من بطنها. "سأضطر إلى الغياب لفترة. لأنني إذا لم أفعل، فلن يهمني ما أنت وما تريده. لديّ مكان أقصده حين أشعر على هذا النحو. مكان في الجبال. هل قرأت يوماً قصص أنكل ريموس يا بول؟"

أومأ برأسه.

"هل تذكر الأرنب برير يخبر الثعلب برير عن مكان الضحك الخاص به؟"

"أجل".

"هكذا أدعو مكاني في الجبال، مكان الضحك. هل تذكر أنني قلت

لك بأنني كنت عائدة من سايدويندر عندما وجدتك؟"

أومأ برأسه.

"حسناً، كانت تلك كذبة بيضاء. كذبت لأنني لم أكن أعرفك جيداً حينئذ. كنت في الحقيقة قادمة من مكان الضحك الخاص بي. هناك لافتة على الباب كُتب عليها: مكان الضحك الخاص بأني. أحياناً أضحك بالفعل عندما أذهب إلى هناك... لكنني في معظم الأحيان أصرخ وحسب".

"كم ستبقين غائبة؟"

كانت تنظر بشكل حالم إلى الباب. "لا يمكنني أن أخبرك. لقد أحضرت لك الأقراص. ستكون بخير. خذ اثنين كل ست ساعات. أو ستة كل أربع ساعات لو كلها مرة واحدة".

ولكن، ماذا سأكل؟ أراد أن يطرح عليها هذا السؤال، لكنه لم يفعل. لم يشأ أن يعيد انتباهها إليه. كان يريدها أن تذهب. فبقاؤه هناك معها كان أشبه بالبقاء مع ملاك الموت.

بقي مستلقياً في سريره لفترة طويلة، يصغي إلى تحركاتها، أولاً في الطابق العلوي، ثم على الدرج، ثم في المطبخ، متوقعاً بأن تغير رأيها في أية لحظة وتعود إلى الغرفة حاملة بندقيتها معها بعد كل شيء. حتى أنه لم يحس بالارتياح عندما سمع صوت الباب الجانبي يغلق ويُقفل، أتبعه صوت خطواتها في الخارج. فالبندقية يمكن ببساطة أن تكون موضوعة في الشيروكي.

اهتز محرك أولد بيسي ثم دار. داست آني على دواسة البنزين بقوة. ثم اشتغلت الأضواء الأمامية العالية فأضيئت ستارة فضية لامعة من المطر. ثم بدأت الأضواء تنسحب بشكل تدريجي بينما كانت السيارة ترجع على الطريق الفرعي. ثم استدارت بسرعة، فصادت العتمة المكان من جديد، ثم رحلت آني. هذه المرة لم تأخذ الطريق المنحدر نزولاً، في اتجاه سايدويندر، بل أخذت الطريق المتجه إلى الجبال.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

قال بول بصوت أجش: "ذاهبة إلى مكان الضحك الخاص بها". ثم بدأ هو نفسه بالضحك. كانت تملك مكان الضحك الخاص بها، وهو كان يملك مكان الضحك الخاص به. لكن فورة الضحك المجلوبة هذه انتهت عندما نظر إلى جثة الفأر المشوهة الملقية في الزاوية.

ثم خطرت له فكرة.

"من قال بأنها لم تترك لي أي شيء لآكله؟" سأل الغرفة ثم ضحك، هذه المرة بقوة أكبر. في البيت الفارغ، بدا مكان الضحك الخاص ببول شيلدون أشبه بغرفة شخص مجنون في مستشفى للمجانين.

16

بعد ساعتين، فتح بول قفل غرفة النوم مرة أخرى وللمرة الثانية أرغم الكرسي على المرور من الباب. كان يأمل بأن تكون المرة الأخيرة. كانت هناك بطانيتان على حضنه. وكل الأقراص التي خبأها تحت الفراش كانت ملفوفة في منديل ورقي وموضوعة تحت سرواله الداخلي. كان مصمماً على الخروج من البيت إن استطاع ذلك، سواء أكان هناك مطر أم لم يكن. تلك فرصته وسيستغلها هذه المرة. سايدويندر تقع في اتجاه المنحدر والطريق ستكون زلقة في المطر والظلمة حالكة، لكنه كان مصمماً على المحاولة مهما كانت الظروف. صحيح أنه لم يعش حياة بطل ولا قديس، لكنه لن يسمح بأن يموت مثل منير غريب الشكل في حديقة للحيوانات.

تذكّر بشكل غير واضح ليلة أمضاها وهو يحتسي الشراب مع كاتب مسرحي كئيب يُدعى بيرنشتاين في مكان يُدعى رأس الأسد في مدينة فيليج (ولو قُدّر له أن يعيش ليرى مدينة فيليج ثانية فسيركع على ما سيبقى من ركبتيه ويقبّل رصيف شارع كريستوفر). خلال تلك الجلسة، تحول الحديث إلى اليهود الذين كانوا يعيشون في ألمانيا خلال

السنوات الأربع أو الخمس السعيدة قبل أن يجتاح الجيش الألماني بولندا وتبدأ الحفلات المرعبة بشكل جدي. تذكر بول أنه أخبر بيرنشتاين، الذي فقد عمته وجده في أعمال العنف التي نفذها النازيون، بأنه لم يكن يفهم لماذا لم يغادر يهود ألمانيا - اللعنة، بل يهود أوروبا كلها، ولكن بشكل خاص في ألمانيا - البتة عندما كانت ما تزال لديهم فرصة. بيد أن أغلبهم لم يرحلوا، الأغبياء، والكثير منهم اختبروا بأنفسهم ذلك النوع من الاضطهاد. من المؤكد أنهم كانوا يعرفون ما سيصيبهم. فلماذا إذاً بقوا هناك؟

صعقه جواب بيرنشتاين لسخافته وقساوته وصعوبة فهمه معاً: *معظمهم كانوا يملكون أجهزة بيانو. نحن اليهود متحزون جداً للبيانو. عندما تملك بيانو، يصبح التفكير في الرحيل أكثر صعوبة.*

الآن فهم. نعم. في البداية كانت ساقاه المكسورتان وحوضه المهشم هما العائق الأساسي. ثم بدأ الكتاب. وفيما يبدو، فقد كان مستمتعاً به على نحو غير عقلاني. بالطبع، من السهولة بمكان إلقاء اللوم على العظام المكسورة والإدمان، لكن الكتاب كان في واقع الأمر هو السبب الرئيس. وهذه الأشياء كلها كانت تمثل البيانو الخاص به. وماذا ستفعل إذا جاءت من مكان الضحك ووجدت أنه قد غادر المنزل؟ ستحرق مخطوطة الكتاب؟

قال بول: "لا أبالي نهائياً". وقد كان صادقاً في ما يقوله. لأنه إذا قُدّر له أن يعيش، فسيؤلف كتاباً آخر؛ بل إنه يستطيع إعادة تأليف هذا الكتاب نفسه إذا شاء. لكن الميت لن يستطيع تأليف كتاب ولا شراء بيانو جديد.

ذهب إلى غرفة الاستقبال. عندما شاهدها في المرة السابقة كانت مرتبة، لكنها الآن مليئة بأكداس من الصحون المنتشرة في كل الأمكنة. من الواضح أن آني لم تكن تصفع أو تقرص نفسها فقط عندما تكون مكتئبة. يبدو أنها كانت تلتهم الطعام أيضاً، ولم تكن تهتم بالتنظيف بعده. تذكّر الهواء النتن الذي تدفق عبر حنجرته خلال غيبوبته فانقبضت

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

معدتـــه من القرف. معظم بقايا الطعام كانت من الحلويات. كانت هناك بقايـا جافة أو نصف جافة من البوظة تملأ العديد من الطاسات المكورة وصـــحون الحساء. وهناك أيضاً قطع كعك وقطع من الفطائر المدهونة بمـــادة مـــا. وكانت هناك كمية كبيرة من هلام الليمون المغطى بطبقة لامعة من الكريما المخفوقة فوق التلفزيون وإلى جانبه قنينة بيبسي سعة لترين وصحناً مليئاً بمرق اللحم. كانت قنينة البيبسي ملطخة ببقع باهتة أفقدتها شفافيتها، فخمّن بأن آني كانت تشرب منها مباشرة، وأن أصابعها كانـــت ملوثة بالبوظة أو مرق اللحم أثناء قيامها بذلك. تذكّر بأنه لم يكن يسـمع صـــوت قـرقعة أوانٍ معدنـــية، فعرف الآن السبب، لأنها غير موجـــودة أصلاً. كما شاهد قطرات جافة - معظمها من البوظة - على الحصيرة والأريكة.

هـــذا ما شاهدته على ثوبها. هذه هي المواد التي كانت تأكلها. من هـــنا جاءت رائحة نفسها المقرفة. عادت صورة آني كامرأة بدائية إلى ذهـــنه، فتخـــيلها تجلس هنا وتغرف البوظة أو تصب طاسة بحجم اليد مليـــئة بحســـاء الدجاج نصف المخثر في فمها، تليها جرعة ضخمة من البيبسي. تشرب وتأكل وهي غارقة في حالة اكتئابية حادة.

كـــان البطريق الخزفي القابع على قاعدته الثلجية ما يزال موجوداً علـــى طاولة التحف، لكن العديد من القطع الخزفية الأخرى كانت ملقاة في الزاوية، حيث تبعثرت شظاياها في المكان.

تذكـــر أصـــابعها وهـــي تخترق جسد القار. والبقع الحمراء على الشرشف. وكيف لعقت الدم من على أصابعها بشرود وكأنها كانت تلعق البوظة. صحيح أن هذه الصور كانت مرعبة، إلا أنها كانت دافعاً رائعاً للإسراع.

كانت الأزهار الجافة الموضوعة على طاولة القهوة مقلوبة. وتحت الطاولـــة، كـــان هناك صحن من حلوى الكلسترد وكتاب كبير بعنوان *طريق الذاكرة. ابن التجوال في طريق الذاكرة عندما تتمرين بالاكتئاب*

ليس فكرة جيدة يا آني، لكنني أعتقد بأنك أصبحت تعرفين ذلك في هذه المرحلة من حياتك.

دفع كرسيه عبر الغرفة. كان المطبخ أمامه مباشرة، وعلى الجانب الأيمن ممر قصير يؤدي إلى الباب الأمامي. وبجانب الممر سلم يفضي إلـــى الطـــابق العلوي. ألقى نظرة سريعة إلى السلم فشاهد قطرات من البوظة على بعض الدرجات المفروشة بنوع من السجاد ولطخات لامعة على الدرابزين. اتجه بول نحو الباب. كان يعتقد بأنه إذا كان هناك من طـــريق للخـــروج مـــن هنا، فسيكون عبر باب المطبخ - الذي كانت تستخدمه آنـــي عـــند خروجها لإطعام الحيوانات، والذي خرجت منه راكضـــة عـــندما أتى السيد رانشو غراند - ولكن كان يتوجب عليه أن يتفحص هذا الباب أولاً. عله يجد مفتاحاً ما.

لكنه لم يجد شيئاً.

كـــان ســـلم المدخل شديد الانحدار كما كان يخشى، ولكن حتى لو كان هناك مسار مخصص للكرسي المتحرك (وهو احتمال لم يكن ليقبله في لعبة "هل يمكنك؟" حتى لو اقترحه صديق له)، فلن يكون باستطاعته اســـتخدامه، لأن البـــاب كـــان معززاً بثلاثة أقفال. قفل الشرطة يمكنه الـــتعامل معه، لكن القفلين الآخرين كانا من نوع كريغز، أفضل أنواع الأقفال في العالم، بحسب كلام صديقه الشرطي السابق توم توبفورد.

عـــاد أدراجـــه عبر الممر، مقاوماً الذعر الذي نشب في روحه، ومذكراً نفسه بأنه لم يكن يتوقع الكثير من الباب الأمامي أصلاً. وعندما وصل إلى صالة الاستقبال أدار الكرسي ودخل إلى المطبخ. كانت غرفة قديمـــة الطـــراز، أرضيتها مفروشة بغطاء لماع، وسقفها مصنوع من الصـــفيح المضـــغوط. الـــثلاجة قديمة لكن صوتها هادئ. وعلى بابها لُصـــقت ثلاث قطع من المغناطيس، وليس مستغرباً أن كلها كانت على شـــكل قطـــع مـــن المـــأكولات الحلـــوة: قطعة من العلكة، قضيب من الشـــوكولاته من ماركة هيرشي، لفافة تونسي. كان أحد أبواب الخزائن

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

مفتوحاً فرأى أن رفوفها كانت مغلفة بمشمّع أبيض. وكانت هناك نوافذ كبيرة فوق حوض غسل الأطباق تسمح بدخول الكثير من الضوء حتى في الأيام الغائمة. كان يُفترض بهذا المطبخ أن يكون باعثاً على البهجة والارتياح، إلا أنه لم يكن كذلك في واقع الأمر. فقد كانت حاوية القمامة المفتوحة ملأى عن آخرها بالفضلات حتى أن بعضاً منها كان منثوراً على الأرض، وكانت تفوح منها رائحة طعام فاسد، لكنها لم تكن الرائحة الأسوأ على أية حال، فالغرفة كانت عبقة برائحة أمي ويلكس. ومع أن معظم تلك الرائحة كانت موجودة في ذهنه، إلا أنها كانت محسوسة بالفعل.

كان هناك ثلاثة أبواب في المطبخ. اثنان على يساره، وواحد مقابله تماماً بين الثلاجة ومخزن المؤونة.

اتجه إلى البابين الواقعين إلى يساره أولاً. أحدهما كان باب خزانة المطبخ؛ عرف ذلك حتى قبل أن يشاهد المعاطف والقبعات والأوشحة والأحذية، وذلك من خلال صرير المفاصل العالي. الباب الآخر كان الباب الذي تستخدمه أمي للخروج. هناك أيضاً قفل شرطة وقفلان من نوع كريغز. آل رويدمان، ابقوا في الخارج، ولست بحاجة لأن أقول لكم في الداخل.

تخيلها تضحك.

"أيتها الساقطة اللعينة!" ضرب بقبضة يده على جانب الباب، فألمته يده، فوضعها بين أبطه وضغط عليها. انزعج من لسع النموع في عينيه، ومن انزواج الرؤية عندما رمش بهما، ولكن لم تكن بيده أي حيلة. فالذعر قد تملكه بقوة أكبر الآن، فبدأ يسأل نفسه ماذا سيفعل الآن، ماذا سيفعل الآن، قد تكون هذه هي فرصته الأخيرة –

ما سأفعله الآن هو القيام بتقييم شامل لهذا الوضع. قال لنفسه بجدية. *لو أنك تستطيع البقاء هادئاً لفترة أطول بقليل، هذا كل ما في الأمر. هل تعتقد بأنك قادر على فعل ذلك، أيها الجبان اللعين؟*

مسح عينيه – فالبكاء لن يخرجه مما هو فيه – ونظر عبر نافذة الباب التي تشكل نصفه العلوي. في الواقع، إنها ليست نافذة واحدة بل ست عشرة نافذة صغيرة. بالطبع، كان بإمكانه تحطيم الزجاج في كل واحدة منها، ولكن كان عليه أيضاً أن يحطم العوارض الخشبية الفاصلة بينها، وقد يستغرق ذلك ساعات بدون منشار، لأنها كانت تبدو قوية. وماذا بعدئذ؟ سقوط كاميكازي على المدخل الخلفي؟ يا لها من فكرة رائعة. قد يكسر ظهره، وهذا سيفصل رأسه عن ساقيه لبعض الوقت. ولن يطول استلقاؤه في الخارج تحت الصقر القوي حتى يموت من البرد. وذلك سيضع حداً لكل معاناته.

مستحيل. مستحيل. قد أموت، نعم، ولكن أقسم بأنني لن أموت قبل أن أظهر لمحبتي الأولى كم استمتعت بمعرفتها. وهذا ليس وعداً، بل قسم مقدس.

هدأت فكرة الانتقام من أتى الذعر الذي كان يمكن روحه أكثر من كل كلمات التوبيخ التي كان يكيلها لنفسه. والآن، بعد أن أصبح أكثر هدوءاً، ضغط على المفتاح الكهربائي بجانب الباب المقفول فاشتعل ضوء في الخارج، وكان ذلك مناسباً، لأن الشمس كانت قد غابت كلياً حينها. كان المنزلق الفرعي مغطىً بالمياه، وتحولت الأرض المحيطة بالمنزل إلى مستنقع من الوحل وبرك من المياه الراكدة وبقع ثلج ذائب. وعن طريق إزاحة الكرسي إلى يسار الباب بقليل، استطاع رؤية الطريق العام لأول مرة. كان طريقاً أسفلتياً عادياً مؤلفاً من مسارين ويقع بين ضفتين ثلجيتين آخذتين بالذوبان، تغطيه مياه الأمطار والمياه الناتجة عن ذوبان الثلج.

لعلها أقفلت الأبواب كي لا يدخل آل رويدمان، ولكن من المؤكد أنها لم تقفلها كي تمنعني من الخروج، لأنني إذا خرجت بهذا الكرسي المتحرك فسيغطس حتى أغطية محوريه خلال خمس ثوان. لن تذهب إلى أي مكان يا بول. ليس الليلة، وربما ليس قبل عدة أسابيع. تحتاج

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

الأرض إلى شهر كي تعود صلبة من جديد، إلا إذا أردت أن تحطم الثلاجة وتخرج ملها بدون الكرسي وتزحف.

بالطبع، هو لم يكن يريد أن يفعل ذلك. فقد كان سهلاً عليه تخيّل كيف ستشعر عظامه المهشمة بعد عشر أو خمس عشرة دقيقة من الزحف والتلوّي في البرك الباردة مثل يرقة تحتضر. وحتى إذا افترض أنه تمكّن من الوصول إلى الطريق العام، فما هي احتمالات مرور سيارة عابرة؟ فالسيارتان الوحيدتان اللتان سمعهما هنا، إضافة إلى أولاد بيمي، هما سيارة السيد رانشو غراند والسيارة التي أخافته عند عبورها بجانب المنزل في أول فرار له من غرفته.

أطفأ الضوء الخارجي ثم عبر باتجاه الباب الآخر الذي يقع بين الثلاجة ومخزن المؤونة. كان هناك ثلاثة أقفال على هذا الباب أيضاً، ولم يكن يُفتح من الخارج، علاوة على ذلك. وجد بول مفتاحاً كهربائياً، فضغط عليه، فشاهد غرفة إضافية أنيقة تمتد على طول المنزل من الجهة المقابلة للرياح. يوجد عند أحد طرفيها كومة من الخشب وجذع للتقطيع مع فأس منغرز فيه. وعند الطرف الآخر، كانت هناك طاولة للعمل مع عدة شغل معلقة على علاقات. وإلى يمين الطاولة كان هناك باب آخر. ومع أن المصباح الكهربائي لم يكن قوياً جداً، إلا أن ضوءه كان كافياً لكي يرى قفل شرطة آخر وقفلين آخرين من نوع كريغز على ذلك الباب أيضاً.

بعد يأسه من الأبواب، دفع كرسيه باتجاه مخزن المؤونة. وقبل أن ينظر إلى الطعام المخزن على الرفوف، نظر إلى علب القماش. كان هناك صندوقان من أعواد القماش الورقية، التي تُفتح كالكتاب، وعلى الأقل أربعة وعشرين علبة من نوع دايمند بلو تيبس، مكدسة فوق بعضها البعض بشكل مرتب.

توهّلة، فكّر في إشعال النار بالمكان، ثم رفض الفكرة معتبراً إياها الأكثر سخفاً على الإطلاق. لكنه شاهد شيئاً جعله يعيد التفكير في الأمر

قليلاً. كان هناك باب آخر، ولم يكن ثمة أقفال عليه.

فتح بول الباب فرأى سلّماً متعرجاً قديماً يفضي إلى القبو. انبعثت من المكان المظلم رائحة رطوبة وخضراوات متعفنة أثارت الاشمئزاز في نفسه. سمع أصوات صاصاة واطنة فتذكّر كلامها: *إنهم يدخلون إلى القبو عندما تمطر. أنا أضع المصائد. يجب عليّ فعل ذلك.*

أغلق الباب بسرعة. انسابت قطرة عرق من جبينه ودخلت إلى زاوية عينه اليمنى محرقةً إياها، فمسحها بمفصل إصبعه من الخارج. عادت فكرة إحراق المكان لتداعب عقله مجدداً، فبعد علمه بأمر القبو، بدت إليه معقولة أكثر، إذ بإمكانه الاختباء هناك. لكن السلم كان شديد الانحدار، واحتمال أن يُدفن فيه حياً إذا ما انهار منزل آني المحترق فوق القبو قبل أن تصل سيارات الإطفاء من سايدويندر كان وارداً جداً، والضرر الموجود فيه، كل ذلك جعله يتخلى عن الفكرة نهائياً.

كيف يدق قلبه! كيف يكافح الهرب! كما نفعل نحن يا بول. كما نفعل نحن.

قال بول بلا وعي: "إفريقيا". ثم شرع ينظر إلى علب وأكياس الطعام في المخزن، محاولاً تقدير ما يمكنه أخذه دون أن يثير شكوكها عندما يستوعب من مكان الضحك. فأدرك حينئذ بالضبط ما يعنيه هذا التقدير: لقد تخلى عن فكرة الهرب.

في الوقت الحاضر فقط، قال عقله المضطرب مدافعاً عن الفكرة.

لا، أجابه صوت أكثر عمقاً فيه حازماً، بل إلى الأبد يا بول. إلى الأبد.

قال بصوت هامس: "لن أستسلم أبداً. هل تسمعني؟ لن أستسلم أبداً".

ردّ ذلك الصوت مستهزئاً: *حسناً... سنرى، أليس كذلك؟*

أجل، سيريان بالفعل.

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

17

كان مخزن المؤونة يبدو مثل ملجأ لمن يتوقع حدوث كارثة. وكان هـذا برأيه طبيعياً بالنسبة لشخص بمثل حالتها، فهي امرأة وحيدة تعيش فـي الجبال، حيث يتوقع المرء أن يقضي فترة معينة – ربما يوم واحد فقط، وربما أسبوع أو حتى أسبوعان – مقطوعاً عن بقية العالم. وربما آل رويدمـان نفسهم كانوا يملكون مخزن مؤونة سيجعل أي شخص من منطقة أخرى في البلاد يرفع حاجبيه استغراباً... لكنه كان يشك في أن يمتلك آل رويدمان أو أي شخص آخر في تلك المنطقة أي شيء مشابه ولـو من بعيد لما كان يراه في تلك اللحظة. فذلك لم يكن مخزن مؤونة بل سوبرماركت لعين. وكان بول يعتقد بأن ثمة رمزية معينة يوحي بها مخـزن آنـي. فقد كانت أكوام البضائع المكدسة فيه تشير إلى الخيط الرفيع الذي يفصل بين الوقع وجنون الارتياب. غير أن هذه التفاصيل لمـن هم في مثل وضعه لم تكن تستحق الاهتمام. اللعنة على الرمزية. عليك بالطعام.

صـحيح، ولكن كان عليه أن يكون حذراً. فالمسألة لا تتعلق فقط بما قد تشك بفقدانه، بل وبالكمية التي يجب أن يأخذها معه أيضاً، بحيث يمكـنه إخفاءهـا دون أن تلاحظ وجودها إذا ما جاءت على حين غرة. ولكن، سواء أعرفت بفقدان شيء ما أم وجدت شيئاً ما في غرفته، فهو في النهاية بحاجة لأن يأكل.

كـان هناك الكثير من علب السردين المستطيلة التي تحتوي على مفاتيح معها تحت غلافها الورقي. جيد. سيأخذ بعضاً منها. وهناك أيضاً علب من اللحم، ولكن بدون مفاتيح. حسناً، يمكنه أن يفتح اثنتين منها في المطبخ ويأكلها أولاً. ثم يدفن الفوارغ عميقاً تحت قمامتها الفائضة. كما وجـد صندوقاً كبيراً مفتوحاً، بداخله صناديق أصغر كُتب على غلافها

المعزق المصنوع من المولوفان "وجبات خفيفة". أضاف بول أربعاً من هذه الوجبات الخفيفة إلى المخزن المتنامي في حضنه، إضافة إلى علب مخصصـة لشخص واحد من رفائق الذرة وحبوب الإفطار. لاحظ بول عـدم وجـود علـب تحتوي على وجبات مخصصة لشخص واحد من الحبوب المحلاة. إذا كانت موجودة من قبل، فلا بد أن آني التهمتها كلها في حفلتها الأخيرة.

وعلـى أحـد الرفوف، رأى بول كومة من علب سلم جم مكدسة بشـكل مرتب وأنيق. أخذ أربعاً منها محاولاً عدم إفساد الشكل الهرمي للكومة، وأكل على الفور واحدة بنهم كبير، مستمتعاً بنكهة الدهن وطعم الملوحـة فيها. ثم دس الغلاف تحت سرواله الداخلي على أمل التخلص منه لاحقاً.

بما أنه قرر التخلي عن فكرة الهرب أو إشعال النار في البيت، فقد أصـبح من الضروري أن يعود إلى غرفته. يا لها من خيبة أمل، لكنه واسى نفسه بفكرة أن الأمور كان يمكن أن تكون أشد سوءاً. كانت ساقاه قد بدأتا تؤلمانه من جديد. على أي حال، يمكنه عندما يصل إلى الغرفة أن يتناول قرصين من الدواء ثم يكتب إلى أن يغلبه النعاس ومن ثم ينام. استعاد عزيمته في تلك الليلة؛ ليس تخفيفاً على نفسه، بل لأن العاصفة كانـت تزداد شدة في الخارج. أعجبته فكرة الكتابة بهدوء ومن ثم النوم وهـو مطمئـن بأن آني لن تقتحم عليه غرفته حاملة برأسها فكرة من أفكارها المجنونة أو حتى طلباً أكثر جنوناً.

أرجـع كرسيه حتى خرج من مخزن المؤونة، ثم توقف قليلاً ليطفئ المصباح، مذكراً نفسه بضرورة وضع كل شيء في مكانه قبل أن يعود إلى الغرفة. ولو نفد الطعام منه قبل عودتها فبإمكانه الخروج لجلب المزيد.

(مثل فأر جائع، أليس كذلك يا بول؟)

ولكـن، عليه ألا ينسى كم يجب أن يكون حذراً. عليه ألا ينسى بأنه يخاطر بحياته في كل مرة يغادر فيها غرفته. إن نسيان ذلك قد

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

يعود عليه بالوبال.

18

عند مروره بغرفة الاستقبال، لفت نظره الكتاب الكبير تحت الطاولة. *طريق الذاكرة*. كان كبيراً مثل مخطوطة من القطع الكبيرة لمسرحية من مسرحيات شيكسبير، وسميكاً مثل كتاب مقدس عائلي.

بدافع الفضول، التقطه وفتحه.

ألصقت على الصفحة الأولى قصاصة مأخوذة من صحيفة تحتوي على عمود واحد بعنوان زفاف ويلكس – بيريمان. كانت هناك صورة لرجل شاحب ذي وجه ضيق وامرأة ذات عينين داكنتين وفم مكتنز. حول بول نظره من صورة الصحيفة إلى الصورة المعلقة فوق رف الموقد فوجد أن الصورة التي تعرفها القصاصة باسم كريسيلدا بيريمان *(الآن أصبح لديّ اسم جديد بإدراجه في رواية عودة ميزري)* هي بدون أدنى شك صورة أم آني. كُتب أسفل الصورة بخط أنيق: *بيكرسفيلد جورنال، 30 أيار 1938.*

على الصفحة الثانية هناك تصريح ولادة: بول إيمري ويلكس، وُلد في مستشفى بيكرسفيلد، في 12 أيار 1939. الأب، كارل ويلكس؛ الأم، كريسيلدا ويلكس. *لعله الشخص الذي كانت تذهب برفقته لمشاهدة الأفلام المتسلسلة*، فكّر بول. وكان *اسم أخيها بول أيضاً*.

والصفحة الثالثة أعلنت ولادة آني ويلكس: وُلدت في ١ نيسان 1943. أي أن عمر آني تخطى الرابعة والأربعين بقليل. لم يفت بول حقيقة أن آني وُلدت في عيد الكذب.

في الخارج، كانت الريح تعصف والمطر يهطل بشدة.

من شدة افتتانه بما يراه، نسي بول أمر الألم، وقلب الصفحة.

القصاصة الثالثة كانت مأخوذة من الصفحة الأولى من صحيفة

بيكرسفيلد جورنال. كانت الصورة تُظهر رجل إطفاء على سلم ومن خلفه ألسنة اللهب تتصاعد من مبنى خشبي محترق.

خمسة أشخاص ماتوا في منزل محترق

خمسة أشخاص، أربعة منهم ينتمون لعائلة واحدة، ماتوا في الساعات الأولى من صباح يوم الأربعاء في حريق كبير شب في بناء طابقي في بيكرسفيلد على طريق ووتش هيل. ثلاث من الضحايا كانوا أطفالاً – بول كريمنتز 8 سنوات، فريدريك كريمنتز 6 سنوات، وأليسون كريمنتز 3 سنوات. والرابع والدهم، أدريان كريمنتز 41 عاماً. وكان السيد كريمنتز قد أنقذ قبل أن يموت الطفلة الناجية الوحيدة من عائلته، لوريان كريمنتز، التي تبلغ من العمر ثمانية أشهر فقط. تقول السيدة جينيكا كريمنتز بأن زوجها وضع أصغر أطفالها الأربعة بين ذراعيها وقال لها: "سأعود مع الآخرين خلال دقيقة أو دقيقتين، صلّي من أجلنا". ثم أضافت قائلة: "ولم أره بعدها".

الضحية الخامسة، إيرفينغ ثالمان 58 عاماً، كان عازباً يعيش في الطابق الأخير من المبنى. وكان الطابق الثالث خالياً أثناء اندلاع الحريق، لأن عائلة كارل ويلكس، الذين اعتبر أفرادها من عداد المفقودين في البداية، كانت قد غادرت المبنى في ليلة الثلاثاء بسبب تسرب المياه في المطبخ.

"أنا حزينة على السيدة كريمنتز وعلى مصابها الأليم". أخبرت كريسيلدا ويلكس مراسل صحيفة جورنال، "لكنني أحمد الله على سلامة زوجي وأطفالي".

قال رئيس مركز إطفاء سيلترانيا، مايكل أوون بأن النار بدأت في القبو. وعندما سُئل عن احتمال حدوث حريق متعمد، قال: "أرجح أكثر قيام متشرد سكير بالتسلل إلى القبو، واحتساء بعض المشروبات الكحولية، وإشعال الحريق بالصدفة بواسطة سيجارة. ولعله هرب بدلاً

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

من محاولة إطفاء الحريق، فقُتل خمسة أشخاص. آمل بأن تجد الفاعل".

وعندما سُئل عن الدلائل، قال أووان: "لحوزة الشرطة عدة خيوط، وهي تتبعها بسرعة وجدية، هذا كل ما أستطيع قوله".

وفي أسفل القصاصة كُتب بنفس الخط الأنيق: *28 تشرين الأول 1954.*

أحس بول بأن دقات قلبه بدأت تتسارع وبانقباض في معدته، مع أنه كان ما يزال متماسكاً.

فتران صغيرة.

ثلاث من الضحايا كانوا أطفالاً.

فتران السيدة كرينمتز في الطابق السفلي.

أوه، لا. يا إلهي، لا.

كم كنت أكره أولئك الفتران الصغيرة.

كانت مجرد طفلة!

كانت في الحادية عشرة من عمرها. ربما كانت كبيرة وذكية بما يكفي كي تصنع بعض الكيروسين حول زجاجة كحول رخيصة، ثم تشعل شمعة، وتضع الشمعة في منتصف الكيروسين. لعلها لم تكن تعتقد بأن ذلك سوف ينجح. لعلها اعتقدت بأن الكيروسين سيتبخر قبل أن تحترق الشمعة كلها. لعلها اعتقدت بأنهم سوف يخرجون أحياء... كانت تريد فقط إخافتهم كي ينتقلوا من المبنى. لكنها هي من قامت بذلك يا بول، هي التي فعلتها، وأنت تعرف هذا.

ثم قلب الصفحة.

قصاصة أخرى من بيكرسفيلد جورنال مؤرخة في 19 تموز 1957. وتحتوي على صورة لكارل ويلكس وقد بدا أكبر قليلاً في السن. كانت القصاصة تعلن وفاته.

موت محاسب من بيكرسفيلد إثر سقطة مميتة

كارل ويلكس، مقيم في بيكرسفيلد منذ وقت طويل، مات بعد فترة قصيرة من دخوله مستشفى هيرنانديز العمومي الليلة الماضية. من الواضح أنه تعثر بكومة من الثياب، تُركت على السلم في وقت سابق، أثناء نزوله للرد على الهاتف. قال الدكتور المشرف، فرانك كانلي بأن ويلكس مات من جراء كسور مضاعفة في الجمجمة وكسر في الرقبة. كان في الرابعة والأربعين من عمره.

خلّف ويلكس وراءه زوجة، كريسيلدا؛ وابنا، بول 18 عاماً؛ وابنة، آن 14 عاماً.

عندما تحوّل بول إلى الصفحة التالية، اعتقد لوهلة بأن آني ألصقت قصتين من ورقة نعي أبيها لها بدافع المحبة أو بمحض الصدفة. لكنه رجح الاحتمال الثاني أكثر. كان بول يعتقد بأن كلتا الحادثتين لم تقعا بمحض الصدفة على الإطلاق.

أحس برعب شديد يتسلل إلى روحه.

كُتب في أسفل القصاصة التالية: *لوس أنجلوس كول، 29 كانون الأول 1962.*

طالبة في جامعة USC تموت إثر سقطة مميتة

أعلن عن وفاة أندريا سينت جيمس، طالبة تمريض في جامعة USC، لدى وصولها إلى مستشفى ميرسي شمال لوس أنجلوس نتيجة لحادث غريب.

كانت الآنسة سينت جيمس تتشارك مع زميلتها في دراسة التمريض، آن ويلكس من بيكرسفيلد، في شقة خارج الحرم الجامعي تقع في شارع ديلمور. بعد الساعة الحادية عشرة مساء بقليل، سمعت الآنسة ويلكس صوت صرخة قصيرة تبعها "أصوات ارتطام رهيبة". فاندفعت الآنسة ويلكس، التي كانت تدرس حينئذ، إلى منبسط الدرج في الطابق

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

الثالث فشاهدت الآنسة سيلت جيمس على منبسط الدرج ممددة بوضعية غريبة للغاية".

قالت الآنسة ويلكس بأنها كادت أن تقع هي الأخرى أثناء محاولتها مساعدة زميلتها. قالت الآنسة ويلكس: "كان لدينا قط اسمه بيتر غان، ولكننا لم نره منذ عدة أيام فاعتقدنا بأن جمعية الحيوانات الضالة قد أمسكت به لأننا كنا ننسى دائماً أن نضع له بطاقة تعريف. كان ميتاً وممدداً على السلم. لا بد أنها تعثرت بالقط. غطيت أندريا بيلوزي ثم اتصلت بالمستشفى. كنت أعلم بأنها فارقت الحياة، لكنني لم أعرف بمن أتصل غير المستشفى".

"يا الله".

همس بول بهذه الكلمة مرة بعد مرة. كانت يده ترتجف بشدة عندما قلب الصفحة. هنا توجد قصاصة من صحيفة كول تقول بأن القط الضال الذي تبنته طالبة التمريض كان مسموماً.

بيتر غان، يا له من اسم لطيف بالنسبة لقط، فكّر بول.

كان قبو المبنى يحتوي على فئران. اشتكى المستأجرون إلى مفتشي الأبنية، الأمر الذي أدى إلى توجيه إنذار لمالك المبنى في العام السابق. تسبب مالك المبنى بجلبة كبيرة في اجتماع لاحق لمجلس المدينة إلى درجة أن الصحف غطّتها. لا بد أن آني علمت بالأمر. وعندما حكم عليه أعضاء المجلس – الذين استاءوا من قذفهم بكلمات نابية – بغرامة قاسية، قام مالك المبنى بوضع طعم سام في القبو. أكل القط السم، ثم زحف إلى أقرب مكان من صاحبيته قبل أن ينفق، وقتل واحدة منهما.

سخرية تلبق ببول هارفي، فكّر بول في داخله، ثم ضحك بشكل متشنج. *أراهن بأنه جعلها حكايته البوسية أيضاً.*

يا لها من قصة مثقلة. مثقلة جداً.

باستثناء أننا نعرف بأن آني ويلكس أخذت بعضاً من الطعم المسموم في القبو وأطعمته يدها إلى القط. وفي حال لم يشأ بيتر غان

العزيز أن يأكله، فمن الجائز أنها حشرته في حلقه بواسطة عود. ولعلها كانت تعرف بأن رفيقتها في الشقة سوف تأتي مخمورة قليلاً. قطة ميتة وكومة من الثياب. ذات الطريقة، كما يقول توم تويفورد. ولكن، لماذا يا آنسي؟ هذه القصاصات تخبرني بكل شيء إلا الجواب على هذا السؤال. لماذا؟

خلال الأسابيع القليلة الماضية، وكوسيلة للبقاء على قيد الحياة، أصبح جزء من عقله يفكر كما تفكر آني. وهذا الجزء بالذات هو الذي تكلم وأجاب على هذا السؤال. ومع أن ما قاله كان هو الجنون بعينه، إلا أنه كان في الوقت نفسه منطقياً إلى حدٍّ بعيد.

قتلتها لأنها كانت تستمع إلى مذياعها في وقت متأخر من الليل.

قتلتها بسبب الاسم الغبي الذي أطلقته على القط.

قتلتها لأنني سئمت من رؤيتها تقبّل صديقها على الأريكة بينما كانت يده تغوص عميقاً تحت تنورتها وكأنه كان ينقب عن الذهب.

قتلتها لأنني أمسكت بها وهي تغش.

قتلتها لأنها أمسكت بي وأنا أغش.

القصاصات غير مهمة، أليس كذلك؟ قتلتها لأنها كانت فأرة قذرة، وكان هذا السبب كافياً بالنسبة إليّ.

قال بول هامساً: "وربما لأنها كانت الآنسة متذاكية". ثم رمى برأسه إلى الخلف وضحك ضحكة مخيفة. هذا إذاً هو طريق الذاكرة، صحيح؟ أوه، أية تشكيلة غريبة ومتنوعة من الأزهار السامة نمت على جانبي ذلك الطريق القديم!

ألم يقارن أحد تلك المقطتين الغريبتين ببعضهما؟ أولاً أبوها، ومن ثم رفيقتها في السكن؟ هل أنت جاد في قولك هذا؟

نعم، كان جاداً في قول ذلك لنفسه. فالحادثتان وقعتا في بلدتين مختلفتين وبفارق زمني قدره خمس سنوات. ونُشرتا في صحيفتين مختلفتين في ولاية مكتظة بالسكان، حيث يتعثر الناس دائماً على السلالم

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

ويكسرون أعناقهم.

وهي كانت ذكية، ذكية جداً.

ذكية كالشيطان نفسه، فيما يبدو. لكنها الآن فقط بدأت تفقد قدراتها العقلية. والأمر الوحيد الذي سيعزّيه قليلاً هو أن تقع أخيراً في يد العدالة لقتلها بول شيلدون.

قلب الصفحة فوجد قصاصة أخرى من صحيفة جورنال – والأخيرة منها كما سيتبين. وهي بعنوان "الآنسة ويلكس تتخرج من مدرسة التمريض". ومؤرخة في 17 أيار 1966. كانت آني في الصورة شابة، وجميلة إلى حدٍّ يثير الدهشة، ترتدي زي التمريض وتبتسم للكاميرا. كانت صورة تخرّج بالطبع. وقد تخرجت بامتياز أيضاً.

اضطرت فقط لأن تقتل رفيقتها في السكن كي تصل إلى هذه النقطة، فكر بول في داخله، ثم ضحك ضحكته العالية المخيفة. عصفت الريح حول البيت وكأنها كانت ترد عليه. واهتزت صورت الأم على الحائط قليلاً.

القصاصة التالية كانت من صحيفة *يونيون ليدير* التي تصدر في مانشستر، ولاية نيوهامبشاير. ومؤرخة في 2 آذار 1969. كانت ورقة نعي بسيطة وبنت بأن لا علاقة لها على الإطلاق بآني ويلكس، تقول القصاصة بأن إيرنست غونيار، 79 عاماً، توفي في مستشفى القديس جوزيف "بعد مرض طويل". وترك وراءه زوجة، واثني عشر ابناً وبنتاً، وعدداً كبيراً من الأحفاد وأبناء الأحفاد. *يبدو أنه لم يتبع الطريقة الطبيعية لمنع الحمل*، فكّر بول في داخله، ثم ضحك ثانية.

هي التي قتلته. هذا ما حدث للعجوز الطيب إيرنست. وإلا، لماذا تضع ورقة نعيه هنا؟ هذا كتاب آني الخاص بالموتى، أليس كذلك؟

لماذا، حباً بالله؟ لماذا؟

مع آني ويلكس، ليس لهذا السؤال جواب منطقي.

صفحة أخرى، وورقة نعي أخرى من صحيفة *يونيون ليدير*،

مؤرخة في 19 آذار 1969. تُدعى السيدة هيستر "كويني" بيوليفانت، 84 عاماً. كانت هذه المرأة تبدو في الصورة وكأنها انتشلت من حفرة تحتوي على ترسبات إسفلتية. نفس الشيء الذي حصل مع إيرني حصل مع كويني أيضاً، إذ يبدو أن المرض الطويل كان سارياً في ذلك الوقت. ومثل إيرني أيضاً، توفيت كويني في مستشفى القديس جوزيف. الزيارات في 20 آذار، الساعة 2:00 و6:00 مساء، في دار فوستر للجنائز. والدفن في مقبرة ماري سير في 21 آذار، الساعة 4:00 من بعد الظهر.

فكّر بول، لا بد أن كورسا موسيقياً دينياً أدى خصيصاً أغنية "آني، آن تأتي إلى هنا". وضحك ثانية.

في الصفحات التالية، كانت هناك ثلاث ورقات نعي أخرى من صحيفة *يونيون ليدير*. رجلان عجوزان توفيا بعد مرض طويل أيضاً، وامرأة في السادسة والأربعين، تُدعى بوليت سيمو، توفيت – للمرة الأولى – بعد مرض قصير. بدت صورة "كويني" بالمقارنة مع صورة بوليت سيمو المرافقة لورقة نعيها – مع أنها كانت غير واضحة الملامح – مثل بارني. راح بول يفكر في سبب وفاة بوليت: *لنقل أنها نوبة قلبية مفاجئة، مثلاً. نقلت على أثرها إلى مستشفى القديس جوزيف، ثم... ثم ماذا؟ ماذا بالتحديد؟*

في الحقيقة، لم يكن بول يريد أن يفكر في التفاصيل... لكن ما لفت انتباهه في الوفيات الثلاث هو أنها كلها حدثت في مستشفى القديس جوزيف.

وإذا نظرنا إلى سجل الممرضات لشهر آذار من العام 1969، فهل سنجد اسم آني ويلكس؟ فكّر بول.

هذا الكتاب كبير جداً، يا الله، كبير جداً.

هذا يكفي. لا أريد أن أرى المزيد منه، رجاءً. لقد وصلتني الفكرة. سأضع هذا الكتاب حيث وجدته ثم سأذهب إلى غرفتي. أعتقد

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

بالتي لن أكتب بعد كل ما رأيته. أعتقد بأنني سأتناول قرصاً إضافياً ثم سأخلد إلى النوم، سمّه تأميناً ضد الكوابيس، أو أي شيء آخر. ولكن، لن أمضي أبعد من ذلك في طريق ذاكرة آني، رجاءً. من فضلك، رجاء.

لكنّ يديه لم تطاوعاه، وكأنهما كانتا تملكان عقلاً وإرادة مستقلتين عنه، بل استمرتا بتقليب الصفحات، وبسرعة أكبر فأكبر.

قصاصتان أخريان من *بوستون لينير* فيهما ورقتا نعي إضافيتان، واحدة في أواخر أيلول 1969 والأخرى في بداية تشرين الأول.

القصاصة التالية كانت مأخوذة من صحيفة *هيرالد*، الصادرة في هاريسبورغ، ولاية بنسلفانيا، بتاريخ 19 آذار 1970. وهي بعنوان: مستشفى تستقدم موظفين جدد. كانت هناك صورة لرجل قليل الشعر يرتدي نظارات، وبدا لبول بأنه من النوع الذي يأكل مخاطه سراً. نوّهت الفقرة إلى أنه إضافة إلى مدير الدعاية الجديد (الرجل الأصلع ذو النظارات نفسه)، انضم عشرون شخصاً آخرون إلى طاقم مستشفى ريفرفيو: طبيبان، وثماني ممرضات مسجّلات، وعمال مطبخ متنوعون، وموظفون مساعدون، وبوّاب.

آني كانت واحدة من الممرضات المسجّلات.

في الصفحة التالية سارى إعلان وفاة مقتضب لرجل، أو امرأة، عجوز توفي في مستشفى ريفرفيو في هاريسبورغ، بنسلفانيا.

صحيح. بائع متجول عجوز توفي لنفس السبب المفضل: بعد معاناة طويلة من المرض.

تبعه رجل عجوز آخر مات من السبب الذي يأتي في المرتبة الثانية لأسباب الوفاة: مرض قصير.

ثم طفل في الثالثة من عمره سقط في بئر، فأصيب برضوض خطيرة في الرأس، جُلب على أثر ذلك إلى مستشفى ريفرفيو في حالة غيبوبة.

راح بول يقلب الصفحات بخدر، وفي الخارج كانت الأمطار تهطل والرياح تعصف بالمنزل. القصة واضحة لا لبس فيها: حصلت آني على عمل جديد، وقتلت المزيد من الناس، واستمرت في حياتها.

ربما قتلت أطفال كريمنتز لأنهم كانوا فقراء... وقتلت رفيقة سكنها... وربما حتى أباها بالذات. ولكن، هؤلاء الآخرون؟

لكنه كان يعرف. آني التي توجد في داخله كانت تعرف. عجائز ومرضى. كلهم كانوا عجائز ومرضى ما عدا السيدة سيمو – لعلها كانت مشلولة عندما دخلت المستشفى – والطفل الذي سقط في البئر. لقد قتلتهم آني لأنهم –

قال بول بصوت هامس: "لأنهم كانوا فقراء".

مساكين. يا لهم من مخلوقات مسكينة.

بالتأكيد. فمن وجهة نظر آني، كان الناس في العالم بأسره مقسمين إلى ثلاث فئات: فقراء، ومخلوقات مسكينة... وآني.

كانت تتنقل باتجاه الغرب دائماً، من هاريسبورغ إلى بيتزسبورغ إلى دولوث إلى فارغو. ومن ثم، في العام 1978، إلى دنفر. وفي كل الحالات كان النموذج نفسه يتكرر: فقرة ترحيب بالانضمام إلى طاقم المستشفى يُذكر فيها اسم آني من بين أسماء أخرى، ثم حالتان أو ثلاث حالات موت عادية، ومن ثم تبدأ الدائرة من جديد.

إلى أن وصلت إلى دنفر.

في البداية، بدا الأمر متشابهاً. هناك فقرة تعلن عن وصول موظفين جدد. هذه المرة كانت القصاصة مأخوذة من صحيفة تقوم المستشفى نفسها بنشرها، مستشفى ريسفينغ في دنفر. كتبت أني بخطها الأنيق اسم الصحيفة، ذي غورني [وتعني طاولة نقل المرضى]. "يا له من اسم عظيم بالنسبة لصحيفة مستشفى". قلب بول للغرفة. قلب الصفحة، فوجد ورقة النعي الأولى، مأخوذة من صحيفة *لبوز* في روكي ماونتن. لورا د. روثبيرغ. مرض طويل، 21 أيلول 1978. مستشفى

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

ريسيفينغ في دنفر.

الصفحة التالية كانت تعلن عن حفل زفاف بدلاً من جلسة وفاة. وتُظهر الصورة آني في ثوب أبيض مزركش. تمسك بيد رجل يقف بجانبها يدعى رالف دوغان. كان دوغان معالجاً فيزيائياً. وكانت القصاصة بعنوان "حفل زفاف دوغان – ويلكس". صحيفة ديوز، 2 كانون الثاني 1979. الشيء الوحيد الملفت للنظر في دوغان هو أنه كان يبدو مثل والد آني. لو حلق دوغان شاربه – لعلها أجبرته على فعل ذلك بمجرد انتهاء شهر العسل – لأصبح الشبه بينه وبين أبيها شبهاً متطابقاً، فكّر بول.

تحسس بول بأصابعه سماكة الأوراق المتبقية في كتاب آني وهو يفكر بأن دوغان لا بد أنه نفّذ طالعه الفلكي – يا للأسف – في اليوم الذي تقدم فيه لطلب يدها للزواج.

أعتقد بأن هناك احتمالاً كبيراً في أنني سأجد فقرة موجزة عنك في الصفحات التي لم أطلع عليها بعد. أظن أنك ستصادف شخصاً يحمل كومة من الغسيل أو قطة ميتة على السلم. قطة ميتة ذات اسم لطيف.

لكنه كان مخطئاً. فالقصاصة التالية المأخوذة من صحيفة نيو لاند كانت تتحدث عن "والدين جدد". ونيو لاند بلدة صغيرة تقع غرب ياولدر. *ليس بعيداً جداً عن هنا*، خمّن بول. لم يجد بول للوهلة الأولى اسم آني في القصاصة القصيرة المليئة بالأسماء، لكنه أدرك بعدئذ بأنه كان يبحث عن الاسم الخطأ. فهي كانت موجودة بالفعل، ولكن باسم مختلف إذ أصبحت الآن جزءاً من مؤسسة جنسية – اجتماعية تُدعى "السيد والسيدة دوغان".

انتفض رأس بول. هل كانت تلك سيارة آنية؟ لا... إنها الرياح وحسب. مؤكد أنها الرياح. ثم عاد ثانية إلى كتاب آني.

عاد رالف دوغان إلى مساعدة المصابين، والمشلولين، والعميان في مستشفى مقاطعة أرلياهو. ويُفترض بأن آني عادت كذلك إلى عمل

الممرضة التقليدي المتمثل بتقديم المساعدة وتأمين الراحة للمرضى والمصابين بإصابات خطرة.

الآن سيبدأ القتل، قال بول في نفسه. *لكن السؤال الحقيقي الوحيد يتعلق برالف دوغان: هل سيأتي في البداية، أم في المنتصف، أم في النهاية؟*

لكنه أخطأ ثانية في تفكيره. فالقصاصة التالية لم تكن ورقة نعي، بل كانت إعلاناً لمتعهد عقارات، وتظهر في الزاوية اليسرى العليا منه صورة منزل. عرف بول المنزل فقط من الحظيرة المتصلة به، فهو لم يسبق له أن رأى منزل آني من الخارج.

وفي الأسفل كتبت آني بخطها الأنيق: *تم دفع نقود إيرنست في 1 آذار 1979. ووُقّعت العقود في 13 آذار 1979.*

منزل لقاعدة؟ منزل صيفي؟ لا، لم يكن باستطاعتهما تحمل نفقات مثل هذه الرفاهية. إذاً...؟

حسناً. لعلها كانت تحب رالف دوغان فعلاً. ولكن، من المؤكد أن شيئاً ما قد تغير، إذ لم تكن هناك ورقة نعي منذ...

قلّب الصفحات إلى الوراء ليرى.

منذ لورا روشبرغ في أيلول 1978. لقد توقفت عن القتل منذ أن قابلت رالف تقريباً. لكن ذلك كان فيما مضى، أما الآن فالأمور تغيرت، وها هي فترات الإحباط تعود من جديد. فتنظر إلى المسنين والعجّز... المرضى المحتضرين... وترثي لحال هذه المخلوقات المسكينة، وربما تقول لنفسها: *إن هذه البيئة بالذات هي التي تثير الإحباط في. هذا الممر الطويل المكسو بالسيراميك ورواح المكان وصرير الأحذية ذات النعال المطاطية والبول المتالسين. لو أمكن لي أن أخرج من هذا المكان فسأكون بخير.*

إذاً، من الواضح أن رالف وآني عادا إلى الطبيعة.

قلّب الصفحة فإذا به يصاب بالذهول مما رأى.

hlo A@hotmail.com
www.jn2n.com

كُتب في أسفل الصفحة: 23 آب 1980 اللعنة عليك!

كانت الورقة، رغم سماكتها، ممزقة في عدة أمكنة تحت وطأة غضب اليد الممسكة بالقلم.

القصاصة عبارة عن عمود مأخوذ من صحيفة نيدرلاند بعنوان "تحويل بالطلاق". لكنه اضطر لقلب الصفحة رأساً على عقب كي يتأكد من أن رالف وآني كانا المقصودين، لأنها ألصقتها بالمقلوب.

نعم، ها هما، رالف وآني دوغان. الأسباب: مرض عقلي.

تمتم بول: "طُلقا بعد مرض قصير". ثم رفع رأسه ثانية، لاعتقاده بأنه سمع صوت سيارة قادمة. إنها الرياح، الرياح فقط... مع ذلك، من الأفضل له أن يعود إلى غرفته الآمنة. لم يكن الألم المتزايد في ساقيه هو السبب فقط، بل إحساسه المتفاقم بالخوف أيضاً، وكأنه كان على حافة الوقوع في حالة متقدمة من الرهاب.

لكنه انكب على الكتاب ثانية. بدا الأمر وكأنه من الأفضل له أن يكمل الكتاب حتى النهاية، مثل رواية مقرفة عليك الانتهاء منها.

لغرط عقد زواج آني بطريقة قانونية اعتيادية أكثر مما توقع بول. إذ يمكن القول بالفعل بأن الطلاق حدث على أثر مرض قصير.

لقد اشتريا منزلاً في آذار، وهذه الخطوة لن تحصل لو كانت تشعر بأن زواجك كان في طريقه إلى الانهيار. فماذا حصل إذاً؟ هذا ما لم يكن يعرفه بول. لكنه، عندما قرأ القصاصة مرة ثانية، لاحظ شيئاً موحياً. *أنجيلا فورد من جون فورد. كريستين فراولي من ستانلي فراولي. دانا ماكلارين من لي ماكلارين. و...*

رالف دوغان من آني دوغان.

ثمة عادة أميركية هنا، أليس كذلك؟ لا أحد يتحدث عنها كثيراً لكنها موجودة. الرجال يتقدمون لطلب يد النساء تحت ضوء القمر، والنساء يطلبن الطلاق في المحكمة. صحيح أن الأمر لا يحدث على هذا النحو دائماً، ولكن هذا ما يحدث عادة. فما هي قصة هذه التركيبة

السنجوية؟ تقول أنجيلا: "انزل عن ظهري يا رجل!" وكريستين تقول: "اختر لنفسك خطة جديدة يا ستان!" ودانا تقول: "اترك المفتاح يا لي!" وماذا يقول رالف، الرجل الوحيد الذي وُضع على رأس القائمة؟ أعتقد بأنه يقول: "دعيني بربك أخرج من هنا!"

قال بول: "لعله رأى القطة الميتة على السلم".

في الصفحة التالية فقرة أخرى تعلن عن "والدين جدد" مأخوذة هذه المرة من صحيفة *كامبرا* في باولدر، كولورادو. هناك صورة لاثنتي عشر موظفاً جديداً يقفون على مرج مستشفى باولدر. وكانت آني تقف في الصف الثاني، بوجهها المدوّر الأبيض وقبعتها البيضاء ذات الشريط الأسود. افتتاح جديد لاستعراض جديد. كانت الصورة مؤرخة في 9 آذار 1981. وها آني استعادت اسم عائلتها من جديد.

باولدر، إنها المدينة التي تحولت فيها آني إلى مجنونة حقيقية.

قلّب بول الصفحات بسرعة أكبر ورعب متعاظم، وكان ثمة سؤالان محددان لم يبارحا ذهنه: *لماذا بحق الله لم يتحركوا بسرعة أكبر للقبض عليها؟ وكيف تمكنت من التملص منهم بهذه السهولة؟*

العاشر من أيار، 1981: معاناة طويلة من المرض. الرابع عشر من أيار: معاناة طويلة من المرض. الثالث والعشرون من أيار: معاناة طويلة من المرض. التاسع من حزيران: مرض قصير. الخامس عشر من حزيران: قصير. السادس عشر: طويل.

قصير، طويل، طويل، قصير، طويل، طويل، قصير.

يا الله، كم من الناس قتلت؟

إذا أمكن لنا أن نقول إن كل ورقة تعني ملصقة في هذا الكتاب تعني جريمة، فإن المحصلة تزيد عن ثلاثين شخصاً مع نهاية العام 1981... كل ذلك من دون أن تشك السلطات بالأمر. بالطبع، معظم الضحايا كانوا مسنين، والبقية كانوا يعانون من إصابات مميتة، ولكن مع ذلك... سيعتقد المرء أن...

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

القصاصة التالية مأخوذة من صحيفة *كاميرا* ومؤرخة في 14 كانون الثاني 1982. وفيها يظهر وجه آني الشبيه بوجه صنم تحت عنوان يعلن عن: "تعيين رئيسة ممرضات جديدة لقسم العناية بالمواليد الجدد".

في 29 كانون الثاني، بدأ قتل المواليد الجدد.

لقد أرّخت آني القصة بأكملها بدقة عالية وبكثير من الجهد. وكان بول سعيداً في تتبعها. *لو أن الناس الذين يحثون عنك وجدوا هذا الكتاب يا آني، لكنت الآن في السجن، أو في مصحة عقلية، وإلى نهاية عمرك.*

لم يثر موت أول طفلين رضيعين أي شك، إذ تذكر قصة موت أحدهما عيوباً خلقية شديدة. لكن الأطفال الرضع، سواء أكانوا يعانون من عيوباً خلقية أم لا، ليسوا كالمسنين الذين يموتون بسبب فشل كلوي، أو ضحايا حوادث السير الذين يصلون إلى المستشفى على آخر رمق مع تطاير نصف رؤوسهم أو وجود ثقب بحجم مقود السيارة في أحشائهم. لقد بدأت تقتل الأصحاء إلى جانب المرضى. يبدو أنها – فكر بول – بدأت تنظر إليهم جميعاً، تحت وطأة اضطرابها الذهاني المتفاقم، كمخلوقات مسكينة، مسكينة جداً.

بحلول منتصف شهر آذار من العام 1982 وصل عدد الموتى من الأطفال المولودين حديثاً إلى خمسة أطفال في مستشفى باولدر. فبدأ على أثر ذلك تحقيق واسع في الأمر. وفي 24 آذار، عزت صحيفة كاميرا السبب إلى "الحليب الملوث". تم استدعاء "مصدر مسؤول في المستشفى"، فتساءل بول ما إذا كانت آني ويلكس نفسها هي ذلك المصدر المسؤول.

توفي طفل آخر في نيسان، واثنان آخران في أيار.

ثم، كتبت الصفحة الأولى من صحيفة بوست الصادرة في دنفر في الأول من حزيران:

تقول المتحدثة باسم مكتب الشريف:

"لم تصدر أي اتهامات حتى الآن"،

بقلم مايكل لويث

آني ويلكس، رئيسة الممرضات في قسم الولادات في مستشفى باولدر، 39 عاماً، تخضع لاستجواب على خلفية موت ثمانية أطفال حديثي الولادة. حدثت الوفيات خلال مرحلة أشهر قليلة. وكل الوفيات وقعت بعد تعيين الآنسة ويلكس.

نفت المتحدثة باسم مكتب الشريف، تامارا كينسولفينغ، أن تكون الآنسة ويلكس قيد الاعتقال. وعندما سئلت عما إذا كانت الآنسة ويلكس قد جاءت إلى مكتب الشريف بملء إرادتها كي تدلي بمعلوماتها عن القضية، أجابت الآنسة كينسولفينغ: "أعتقد بأن ذلك ليس دقيقاً". ولدى سؤالها عما إذا كان قد تم توجيه اتهام إلى ويلكس بأية جريمة، قالت الآنسة كينسولفينغ: "لا، ليس حتى الآن".

وتطرقت بقية الفقرة إلى سيرة آني المهنية. كان واضحاً أنها تتمتع بالكفاءة، ولكن لم تكن هناك أية إشارة إلى وجود تذمر من أي شخص في كل المشافي التي عملت فيها آني، وليس فقط المستشفى الموجودة في باولدر.

نظر بول إلى الصورة المرافقة للفقرة مشدوهاً.

آني قيد الاحتجاز. يا أرحم الراحمين، آني قيد الاحتجاز. صحيح أن الصنم لم يسقط بعد، لكنه كان يترنح... يترنح.

كانت آني تسير بخطوات ثقيلة بمرافقة رجال شرطة أقوياء. وكان وجهها شاحباً وخالياً من أي تعبير، وترتدي زي العمل وحذاء أبيض.

الصفحة التالية: إطلاق سراح آني ويلكس، وتعتيم على سير التحقيقات.

hlo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

لقد أفلتت بفعلتها. بطريقة ما أفلتت من فعلتها. يبدو أن الوقت قد حان بالنسبة إليها لتختفي وتظهر في مكان آخر؛ ربما أيداهو، أو كاليفورنيا، أو يوتاه. لكنها بدلاً من ذلك، عادت إلى العمل من جديد. وبدلاً من وجود فقرة تتحدث عن وافدين جدد إلى مكان ما أبعد باتجاه الغرب، كان هناك عنوان رأسي عريض على الصفحة الأولى من صحيفة نيوز الصادرة في روكي ماونتن في 2 تموز 1982:

الرعب يستمر:

ثلاث وفيات جديدة لمواليد جدد في مستشفى باولدر

وبعد يومين ألقت السلطات القبض على عجوز بورتوريكي تم أطلقت سراحه بعد تسع ساعات. لاحقاً، في التاسع عشر من تموز، أعلنت صحيفتا بوست في دنفر ونيوز في روكي ماونتن معاً نبأ اعتقال آني ويلكس. وعُقدت جلسة استماع ابتدائية قصيرة في أوائل شهر آب. وفي 9 أيلول، حوكمت في قضية قتل طفلة تدعى كريستوفر تبلغ من العمر يوماً واحداً فقط، إضافة إلى سبعة اتهامات أخرى بارتكاب جرائم قتل من الدرجة الأولى. ونوهت الفقرة إلى أن بعض ضحايا آني المزعومين عاشوا ما يكفي من الوقت حتى حصلوا على أسماء حقيقية.

تضمنت الفقرتان اللتان تصفان سير المحاكمة في صحيفتي بوست ونيوز، رسائل من القراء إلى رؤساء التحرير. وكلٌ كانوا مجمعين على أن الإعدام شنقاً هو أنسب عقاب لآني ويلكس. كما أطلق عليها أحد المراسلين لقب السيدة التنين، فالتصق بها الاسم طوال مدة المحاكمة. معظمهم كانوا يشعرون بأن السيدة التنين يجب أن تُطعَن حتى الموت بواسطة شوك قلب التربة، ومعظمهم أبدى رغبة بتنفيذ هذا الحكم.

كتبت آني بجانب واحدة من هذه الرسائل بخط مهزوز ومثير للشفقة، مختلف تماماً عن خطها الأنيق المعتاد: *العصي والحجارة سوف*

تكسر عظامي لكن الكلمات لن تؤذيني أبداً.

كان واضحاً أن الخطأ الأكبر الذي ارتكبته آني هو عدم التوقف عن القتل عندما أدرك الناس أخيراً بأن ثمة خطب ما يجري. كان ذلك خطأً كبيراً، ولكن لسوء الحظ، لم يكن كبيراً بما يكفي. فالصنم لم يسقط، بل ترنح فقط. كانت الدلائل التي قدمها الادعاء ظرفية بالكامل. فقد قدم النائب العام دليلاً يتمثل بوجود علامة يد على وجه ورقبة الطفلة كريستوفر مطابقة لحجم يد آني، مع علامة لخاتم الكوارتز البنفسجي الذي كانت آني تضعه في إصبعها الرابع من يدها اليمنى. كما قدم سجلاً بالمرات التي دخلت فيها آني وخرجت من غرفة المولودين حديثاً بحيث كانت متوافقة مع وفيات الأطفال. لكن آني كانت رئيسة لقسم الولادات، ولذلك فإن دخولها وخروجها كانا أمرين طبيعيين بحكم عملها. كما تمكن الدفاع من إبراز عشرات المناسبات الأخرى التي دخلت فيها آني القسم دون أن يحدث أي شيء سيئ.

حاك الادعاء شبكته بأحسن ما كان باستطاعته، لكن علامة اليد والخاتم كانت – في الواقع – الدليل المدين الوحيد الذي استطاع الخروج به. ومع ذلك، ورغم قلة الدلائل المُدينة، فقد قررت ولاية كولورادو إحالة آني إلى المحكمة، الأمر الذي جعل بول يفكر في سبب محتمل لحدوث ذلك، وهو أن آني قالت أشياء موحية إلى حدٍّ بعيد، وربما مُدينة أيضاً، أثناء استجوابها الأولي، لكن محاميها نجح في إبعاد ضبط الاستجواب عن سجل المحاكمة. بيد أن الأمر المؤكد بالنسبة لبول هو أن قرار آني بأداء الشهادة نيابة عن نفسها في جلسة الاستماع الابتدائية كان أمراً غير حكيم على الإطلاق. تلك الشهادة التي لم يستطع محاميها إبعادها عن سجل المحاكمة (بالرغم من أنه حاول جاهداً فعل ذلك). ومع أن آني لم تعترف بشيء رغم الكلمات الكثيرة التي قالتها خلال الأيام الثلاثة التي قضتها "هناك على المنصة في دنفر"، إلا أن بول كان يعتقد بأنها في واقع الأمر اعترفت بكل شيء.

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com

القصاصات التي ألصقتها أني في كتابها كانت تحتوي على بعض الخيوط الهامة:

هل جعلوني أشعر بالحزن؟ بالطبع جعلوني أشعر بالحزن، نظراً للعالم الذي نعيش فيه.

ليس لديّ ما يجعلني أشعر بالعار. أنا لا أشعر بالعار مطلقاً. ما أفعله، نهائي، وأنا لا أنظر أبداً إلى الخلف في مثل هذه الأمور.

هل حضرت جنازة أي منهم؟ بالطبع لا. أنا أحد الجنائز كئيبة جداً ومثيرة للإحباط. إضافة إلى ذلك، فأنا لا أعتقد بأن المولودين حديثاً يملكون أرواحاً.

لا، لم أبك أبداً.

هل كنت أشعر بالأسف؟ أعتقد بأن هذا سؤال فلسفي، أليس كذلك؟

بالطبع لا أفهم الأسئلة. أفهم كل أسئلتكم، وأعلم بأنكم كلكم تريدون النيل مني.

لو أصرت على أداء الشهادة بنفسها، فكّر بول في نفسه، *من المحتمل أن محاميها كان سيقتلها كي يسكتها.*

أحيلت القضية إلى هيئة المحلفين في 13 كانون الأول 1982. وهنا وجد بول صورة مفزعة لأني في قصاصة من صحيفة نيوز، تجلس فيها أني بهدوء في قفص الاتهام وتقرأ رواية **غاية ميزري**. وكُتب تحت الصورة: "وهي في تلك الحالة المزرية؟"

وفي 16 كانون الأول، هناك عنوان رأسي عريض يقول: السيدة التين بريئة. وتحت العنوان، نقل عن أحد أعضاء هيئة المحلفين، الذي طلب عدم الكشف عن اسمه، قوله: "كانت لديّ شكوك كبيرة بخصوص براءتها، نعم. ولكن للأسف، كانت هناك شكوك منطقية جداً في ما يتعلق بتجريمها. أمل بأن تتم محاكمتها ثانية على واحدة من التهم الأخرى، لعل الادعاء سيتمكن من تقديم دلائل أقوى عليها".

كلهم كانوا يعرفون بأن أني هي الفاعلة، لكن أحداً لم يتمكن من

إثبات ذلك. ولهذا تمكنت من الإفلات بفعلتها.

في الصفحة التالية يقول النائب العام بأن أني سوف تحاكم بكل تأكيد على واحدة من الاتهامات الأخرى. لكنه بعد ثلاثة أسابيع نفى أنه قال ذلك. وفي أوائل شهر شباط أصدر مكتب النائب العام بياناً قال فيه بأن القضية ضد أني ويلكس أُقفلت، بالرغم من استمرار حالات قتل الأطفال في مستشفى باولدر.

لقد أفلتت بفعلتها.

ولم يشهد زوجها لصالح أي من الجانبين. أتعجب لماذا؟!

كان هناك المزيد من الصفحات في الكتاب، لكنه عرف من قلة سماكتها وطريقة التصاقها ببعضها أنه أوشك على الانتهاء من تاريخ أني الحقيقي.

الصفحة التالية مأخوذة من صحيفة غازيت الصادرة في سايدوينندر والمؤرخة في 19 تشرين الثاني 1984. تقول الصحيفة بأن بعض المتحولين عثروا على بقايا رجل مشوه ومقطع الأوصال جزئياً في الجزء الشرقي من محمية غرايدر وايلدلايف. ثم يذكر العدد الصادر في الأسبوع التالي من الصحيفة نفسها بأن الرجل المقتول يدعى أندرو بوميروي، 23 عاماً، وهو من كوك ستريم هاربور، نيويورك. كان بوميروي قد غادر نيويورك متجهاً إلى لوس أنجلوس في أيلول من السنة السابقة بواسطة سيارات استقلها على الطريق. وآخر مرة تحدث فيها إلى أبويه كانت في الخامس عشر من تشرين الثاني. وقد اتصل بهم من جولسبورغ وكان الاتصال على نفقة المتلقي. وُجدت الجثة في قاع جدول جاف، وتعتقد الشرطة بأن بوميروي قُتل بالقرب من الطريق العام 9 ثم جرفته المياه الناتجة عن ذوبان الثلج في الربيع حتى محمية وايلدلايف. وقد ذكر تقرير المحقق الجنائي بأن الجريمة تمت بواسطة فأس.

تساءل بول، لسبب وجيه، كم تبعد محمية غرايدر وايلدلايف عن

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

المكان الذي يقبع فيه؟

قلب الصفحة ونظر إلى القصاصة الأخيرة - حتى الآن على الأقل - وانحبست أنفاسه من المفاجأة. كان يقف وجهاً لوجه أمام ما يشبه ورقة نعيه هو بالذات. ليس تماماً، ولكن...

قال بصوت مبحوح خافت: "ولكنه كاذب لكي تتدخل الحكومة".

كانت القصاصة مأخوذة من صحيفة نيوزويك. تحت عمود "الانتقالات"، هناك نبأ عن طلاق ممثلة تلفزيونية. ثم فقرة تتحدث عن مقتل شخص منتفخ يعمل في صناعة الفولاذ. وفوقها كانت هذه الفقرة:

بلاغ عن مفقود: بول شيلدون، 42 عاماً، روائي اشتهر بسلسة روايات رومانسية تدور حول امرأة مثيرة وعاشقة للحياة وسطحية تدعى ميزري نشاستين؛ تشرب من قبل وكيله بوليس بول. قال بول: "أعتقد بأنه بخير، ولكن، أرجو أن يتصل ويريح ذهني".

وزوجتاه السابقتان تأملان بأن يتصل ويريح حسابيهما المصرفيين. شوهد شيلدون آخر مرة قبل أسبوعين في باوندر، كولورادو، التي قصدها كي يكمل روايته الجديدة.

كان تاريخ القصاصة يعود لأسبوعين.

بلاغ عن مفقود، هذا كل شيء. بلاغ عن مفقود فقط. لم أمت بعد.

فجأة أحس بأنه بحاجة إلى دوائه، ليس بسبب ساقيه فقط، بل لأن كل ما فيه كان يؤلمه. أعاد الكتاب بحرص إلى مكانه ثم بدأ يدفع الكرسي المتحرك نحو غرفة الضيوف.

في الخارج، كانت الرياح تعصف بقوة أكبر من ذي قبل، صافعةً المنزل بزخات من المطر البارد. انكمش بول على نفسه وهو يئن، محاولاً بكل ما أوتي من قوة أن يمنع نفسه من البكاء.

19

بعد ساعة - الآن وقد امتلأ بالمخدر وبدأ النعاس يغالبه - أصبح صوت عويل الرياح في الخارج يبعث على الراحة والاسترخاء بدلاً من الخوف. فكّر بول: *لن أنجو. مستحيل. ما الذي يقوله توماس هاردي في روايته* **جود المغمور**؟ *كان من الممكن أن يأتي شخص ما ويخفف من روع الصبي، ولكن لم يأت أحد... لأنه لا يوجد أحد". صحيح. بالفعل. فالمستجول الوحيد [مسلسل مغامرات تلفزيوني أميركي قديم] مشغول بإعداد دعايات تجارية حول حبوب الإفطار، وسوبرمان يقوم بأفلام سينمائية في مدينة نيفيل. وأنت لوحدك يا بولي. راقد هنا لوحدك. ولكن، ربما كان ذلك أمراً جيداً. لأنك ربما تعرف ما هو الحل، في نهاية المطاف، أليس كذلك؟*

نعم، كان يعرف بالتأكيد.

لو كان يريد الخروج من تلك الورطة، فسيتوجب عليه أن يقتلها.

أجل. هذا هو الحل، الحل الوحيد الموجود. أظن ذلك. إذاً، فهي نفس اللعبة القديمة، أليس كذلك؟ بولي... هل يمكنك؟

أجاب بدون أي تردد. *أجل، أستطيع.*

ثم غلبه النعاس، فنام.

20

استمرت العاصفة طوال نهار اليوم التالي، وفي الليل انقشعت الغيوم ورحلت، وفي نفس الوقت انخفضت درجة الحرارة من ستين درجة إلى خمس وعشرين. فتجمد العالم بأكمله في الخارج. وفي صباح ذلك اليوم الثاني الذي قضاه بأكمله وحيداً، جلس بول بجانب نافذة غرفة النوم ينظر إلى الأرض المجلدة المتلألئة فسمع صوت الخنزيرة ميزري

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

تصدّل في الحظيرة وصوت خوار واحدة من البقرتين.

بالرغم من أنه كان يسمع أصوات الحيوانات في أغلب الأحيان – كانت أصوات الحيوانات قد أصبحت جزءاً من البيئة العامة المحيطة به تماماً مثل دقات الساعة في غرفة الاستقبال – إلا أنه لم يسبق له أن سمع الخنزيرة تصدّل على هذا النحو. كان يعتقد بأنه سمع البقرة تخور بهذه الطريقة مرة من قبل، لكن ذلك كان صوتاً شيطانياً سمعه في حلم شيطاني أتاه بسبب الألم الذي كان يفترسه. وقد حدث ذلك عندما غادرت آني للمرة الأولى تاركة إياه بدون أي دواء يخفف عنه ألمه. صحيح أن بول تربّى في ضواحي بوسطن وعاش معظم حياته في مدينة نيويورك، إلا أنه كان يعرف ماذا يعني خوار البقرة المتألمة. إحدى البقرتين كانت بحاجة لأن تُحلب. أما الأخرى فمن الواضح أنها لم تكن بحاجة لذلك، ربما لأن عادات آني غير الثابتة في الحلب جففت حليبها.

وماذا عن الخنزيرة؟

إنها جائعة. هذا كل ما في الأمر. وهذا كاف.

ولن يخفف عليهما أحد في ذلك اليوم، فقد كان يشك في إمكانية رجوعها حتى لو كانت تريد ذلك، لأن ذلك الجزء من العالم كان قد تحول إلى حلبة تزلج كبيرة. كان متفاجئاً قليلاً من شدة تعاطفه مع تينك الحيوانين، ومن حدّة غضبه من آني لأنها تركتهما، بأنانيتها القاسية وغير المبالية، تعانيان في حظيرتهما.

لو أن باستطاعة حيواناتك التكلم يا آني لأخبرتك من هو الطير القذر الحقيقي هنا.

أما بالنسبة له، فقد كان مرتاحاً في تلك الأيام. كان يأكل من العلب التي جلبها معه، ويشرب الماء من الإبريق الجديد، ويتناول دواءه بانتظام، وينام قيلولته كل بعد ظهر. وأما بالنسبة لقصة ميزري وفقدان ذاكرتها ولاكتشاف قريبتها التي لم يشتبه أحد بوجودها من قبل، فقد

تطورت وتقدمت بثبات حتى وصلت إلى إفريقيا، التي أصبحت موقع أحداث النصف الثاني من الرواية. والمفارقة الباعثة على السخرية هنا تتمثل في أن تزعم آني على كتابة أفضل روايات ميزري على الإطلاق. ذهب إيان وجيفري إلى ساوثهامبتون لتجهيز عربة، سمياها لوريلي، من أجل الرحلة. هناك، في القارة السوداء كانت ميزري (التي استمرت بين الحين والآخر بالانزلاق في نوبات من الغيبوبة التي تشبه الموت، وفي أكثر اللحظات إحراجاً) أمام طريقين لا ثالث لهما، إما أن تموت أو تشفى. في إفريقيا، وعلى بعد حوالي مائة وخمسين ميلاً من لوساكا، وهي مستوطنة بريطانية – هولندية صغيرة تقع على الرأس الشمالي من هلال ساحل باربارى الخطر، كان يعيش شعب البوركا، أكثر سكان إفريقيا الأصليين خطورة؛ يسمّون أحياناً شعب النحل. القليل من البيض الذين تجرأوا على الدخول إلى منقطة البوركا عادوا منها، لكن أولئك الذين تمكنوا من العودة جلبوا معهم حكايات مذهلة عن وجه امرأة بارز من جانب أرض مرتفعة وخشنة، وجه فاغر الفم مع بالوعة كبيرة مثقبة على جبهته الحجرية. وكانت هناك قصة أخرى – مجرد إشاعة، بالتأكيد، لكنها تعلق في الذهن على نحو غريب؛ تقول بأن خلية من النحل الأبرص العملاق كانت تعيش ضمن الكهوف المحفورة في الجهة الخلفية من جبهة ذلك الصنم. أسراب من النحل تحوم حول ملكتها لحمايتها. مخلوقات بشعة ذات سم قاتل... وسحر قاتل.

في أوقات النهار، كان بول يلهي نفسه بهذه الحماقة المبهجة. وفي أوقات المساء، كان يجلس بهدوء ويستمع إلى صئيل الخنزيرة ويفكر في طريقة لقتل السيدة التين.

اكتشف بول بأن ممارسة لعبة "هل يمكنك؟" في الحياة الواقعية تختلف تماماً عن ممارستها كطفل ضمن دائرة من الأطفال الجالسين جلسة القرفصاء، أو ممارستها أمام الآلة الكاتبة كبالغ. عندما تكون مجرد لعبة (وحتى لو أنك تأخذ المال مقابلها، فهي تبقى مجرد لعبة)،

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

يمكنك اختلاق بعض الأشياء الغريبة والجميلة وجعلها تبدو ممكنة التصديق. مثل صلة القربى التي تربط بين ميزري تشاستين وتشارلوت إيفلين هايد (تبيّن أنهما أختان غير شقيقتين؛ وستكتشف ميزري لاحقاً بأن أبيها يعيش مع شعب البوركا في إفريقيا). ولكن، في الحياة الواقعية، تفقد هذه الأفكار الغريبة بطريقة ما قوتها وفعاليتها.

ولكن، هذا لا يعني بأن بول لم يحاول. فمع وجود كل تلك الأدوية في حمام الطابق السفلي، من المؤكد أن هناك طريقة ما لاستعمالها من أجل التخلص منها، أليس كذلك؟ أو على الأقل ليجعلها عاجزة لمدة كافية لقتلها؟ النوفريل مثلاً. كمية كافية منه ولن يضطر بعدها لقتلها، فهي ستزحل من تلقاء نفسها.

تلك فكرة رائعة يا بول. سألوا لك ماذا ستفعل. ما عليك إلا أن تأخذ ملء قبضة من تلك الكبسولات وتحشرها كلها في كوب البوظة التي تحبها، ستعتقد بأنها حبوب الفستق فتزدردها كلها.

لا. من المؤكد أن هذه الفكرة لن تنجح، حتى لو فتح غطاء الكبسولات ومزج المسحوق في البوظة الطرية. فالكبسولات النوفريل طعم مر إلى حدّ كبير. لقد تذوقها ويعرف طعمها جيداً. إنها ستميزه على الفور في وسط تلك الحلاوة المتوقعة... وعندها ستحل المصيبة عليك يا بولي، مصيبة عظمى.

لو جاءت في سياق قصة، لكانت فكرة رائعة حتماً. بيد أنها ببساطة لن تنفع في الحياة الواقعية. فهو لم يكن متأكداً من أنه سيفعل ذلك حتى لو كان المسحوق الأبيض داخل الكبسولات بدون أي طعم على الإطلاق. فالفكرة ليست آمنة بما يكفي، ليست مضمونة بما يكفي. تلك ليست لعبة، إنها حياته.

مرت أفكار أخرى في ذهنه ورفضها بسرعة أكبر من سابقتها. إحداها تمثلت بتعليق شيء ما (خطرت الآلة الكاتبة بباله على الفور) فوق الباب بحيث تسقط على رأسها فتقتلها أو تغيّبها عن الوعي حالما

تدخل الغرفة. وأخرى تمثلت بمد سلك خفي يصل بين جانبي السلم، لكن المشكلة في كلتا الفكرتين هي أنهما – مثل حيلة النوفريل في البوظة – كانتا غير مضمونتين بما يكفي. لم يكن يستطيع منع نفسه من التفكير في ما يمكن أن يحصل له إذا ما حاول قتلها وأخفق.

عندما حلّ الظلام في تلك الليلة الثانية، بدأ صهيل ميزري يصبح رتيباً ومزعجاً، فلقد بدا صوت الخنزيرة مثل صوت باب مفتوح ذي مفاصل صدئة يئز كلما هبت الريح، أما البقرة المسكينة فتوقفت فجأة عن الخوار، فتساءل بول بقلق ما إذا كانت قد ماتت من جراء انفجار صدرها. لبرهة، حاولت مخيلته (*النابضة بالحياة!*) أن تصور له البقرة وهي ممددة بلا حراك في بركة من الحليب الممزوج بالنماء، لكنه سرعان ما أرغمها على التوقف. فقال لنفسه: *الأبقار لا تموت بهذه الطريقة*. لكن كلماته هذه كانت غير مقنعة. فهو لم يكن يعرف إذا كانت الأبقار تموت بهذه الطريقة أم لا. إضافة إلى ذلك، فالبقرة لم تكن هي مشكلته، أليس كذلك؟

كل أفكارك الخيالية تودي إلى شيء واحد: أنت تريد قتلها بواسطة السكين على المعد. إنك لا تريد دماءها على يديك. إنك تشبه رجلاً لا يحب شرب الحليب في العالم أكثر من شريحة لحم مقددة لكنه لا يستطيع أن يتحمل قضاء ساعة واحدة في المذبح. ولكن، استمع يا بولي، افهم ما أقول: عليك أن تواجه الواقع في هذه المرحلة من حياتك. لا خيال. لا تزيينات. صحيح؟

صحيح.

عاد إلى المطبخ وفتح الجوارير حتى وجد السكاكين. انتقى أطول سكين لتقطيع اللحم ثم عاد إلى غرفته. مسح العلامتين اللتين تركهما غطاءا محوري العجلتين على جانبي إطار الباب، بالرغم من أن علامات مروره عبر الباب أصبحت أكثر وضوحاً من ذي قبل.

hlo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

وضـــع السكين على الطاولة المجانية للسرير، ثم رفع نفسه حتى استلقى عليه، ثم دسها تحت الفراش. عندما ستعود آني، سيطلب منها كأساً من الماء البارد، وعندما ستنحني كي تعطيه الكأس سيغرز السكين في رقبتها.

لا خيال.

أغلـق بـــول عينيه وغط في النوم. وعندما دخلت الشيروكي إلى الطريق الفرعي الموصل إلى المنزل وأطفأت محركها ومصابيحها، لم يشـــعر بـــأي شـيء، إلى أن أحس بوخز إبرة تنغرز في ساعده فاستفاق ليرى وجهها فوق رأسه. لم يحس أبداً برجوعها.

21

فـــي البداية اعتقد بأنه كان يحلم بشيء يتعلق بكتابه، وأن الظلمة كانت ظلمة الكهوف المحفورة في رأس إلهة النحل لشعب البوركا، وأن التسعة كانت تسعة نحلة –

"بول؟"

تمـتم بشـــيء غـــير مفهوم، شيء يعني فقط اغربي من هنا، أو ارحلي عني، صوت آتٍ من الحلم.

"بول".

هذا ليس صوتاً آتياً من الحلم، إنه صوت آني.

أرغـــم عينيه على الانفتاح. نعم، إنها آني. واللحظة تعاظم ذعره، إلا أنـــه مـــا لبث أن تلاشى رويداً رويداً، مثل سائل يصب في مصفاة نصف مسدودة.

اللعنة! ماذا يحق الشيطان –؟

كـــان مشتت الذهن كلياً. وهي كانت تقف هناك في الظلال وكأنها نـــم تبارح المنزل أبداً، مرتدية واحدة من تنانيرها الصوفية وواحدة من

كنزاتها الرثة. رأى الإبرة في يدها فعرف أنه لم يلسع بواسطة نحلة بل أعطي حقنة. وما الفرق... اللعنة! ففي كلتا الحالتين، لقد وقع بيد الإلهة. ولكن، ما الذي –؟

حـــاول ذلك الذعر أن يأتيه ثانية، لكنه مرة أخرى اصطدم بدارة ميتة. وكل ما كان بإمكانه أن يشعر به هو القليل من التفاجو الأكاديمي وبعـــض الفضـــول الفكري، مثل من أي جاءت، ولماذا الآن؟ حاول أن يرفع يديه فارتفعتا قليلاً... قليلاً فقط. أحس بأن هناك أثقالاً غير مرئية معلقـــة بهمـــا. فـــسقطتا على الفراش مصدرتين صوت ارتطام مكتوم خفيف.

ليس مهماً ما حقنتني به. إنه شبيه بما تكتبه على الصفحة الأخيرة من الكتب. إنها النهاية.

لم تحدث هذه الفكرة أي خوف لديه، بل على العكس من ذلك، لقد أحس بنوع من الغبطة الهادئة.

على الأقل، حاولت أن تجعل الأمر رحيماً... أن تجعله...

قالـــت آني: "آه، ها أنت!" ثم أضافت بشيء من الغزل الثقيل: "أنا أراك يا بول... تلك العينان الزرقاوان. هل أخبرتك كم عيناك جميلتان؟ لكنـــني أعتقد بأن نساء أخريات فعلن ذلك؛ نساء أكثر جمالاً مني وأكثر جرأة في التعبير عن إعجابهم أيضاً".

جلـــست، جثـــت متسللة في جنح الظلام وقتلتني، بواسطة حقنة لم يلسعة نحلة، لا فرق. وكذلك بالنسبة للسكين تحت الفراش، لم يعد للأمر أهمية بعد الآن. كل ما أنا عليه الآن هو آخر رقم في قائمة آني الكبيرة لإحصـــاء الجثـــث. في ذلك الوقت، مع سريان مفعول الحقنة في جسده والمتمـــثل في الإحساس بالغبطة والخدر في آن معاً، فكّر بول ممازحاً نفسه: *تبيّن أنك شهرزاد غبي يا بول.*

أحـــس بأنه سيغفو خلال أي لحظة – غفوة أخيرة – لكن النوم لم يأته. شاهدها تضع الإبرة في جيب تنورتها ثم تجلس على السرير، ليس

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

في المكان الذي اعتادت أن تجلس عليه، بل على لوح السرير السفلي. ولبرهة وجيزة رأى ظهرها الصلب وغير القابل للنفاذ عندما انحنت، ربما كي تتفحص شيئاً ما تحت السرير. سمع صوت طقطقة خشبية، ثم قرقعة معدنية، ثم صوت خشخشة سمعه في مكان ما من قبل. وبعد قليل، تذكّره: *إنها علبة الثقاب يا بول.*

علبة الثقاب دايمند بلو تيبس. لم يكن بول يعرف ماذا يمكن أن تكون قد خبأت غيرها عند أسفل السرير، لكن واحدة منها كانت علبة ثقاب من نوع دايمند بلو تيبس.

التفتت آني إليه وابتسمت. على أي حال، بصرف النظر عما حدث، المهم أن اكتئابها المدمر قد زال. رفعت خصلة غير منتظمة من شعرها إلى وراء أذنها بحركة بذيئة، لكنها لم تكن منسجمة مع المظهر الفخر والباهت لخصلة شعرها.

باهتة فخرة تصف لامعة. أوه يا للروعة عليك أن تتذكر ذلك، ذلك ليس سيئاً يا للروعة أنا مخدّر الآن، كل الماضي كان مجرد مقدمة لهذه الفخارة، هي حبيبي هذا هو التخدير عبر الوريد. أوه، اللعنة أنا الثنيت لكنها نهاية فخرة وواضحة أنا سأنتهي على موجة معلم مبلى في كرسي متوتب لعين هذه –

سألته: "ماذا تريد أولاً يا بول؟ الخبر الجيد أم السيئ؟"

"الخبر الجيد أولاً". نجح في رسم ابتسامة غبية كبيرة. "أعتقد بأن الخبر السيئ هو هذه النهاية، هه؟ أعتقد بأن الكتاب لم يعجبك كثيراً، هه؟ يا للأسف... لقد حاولت. حتى أنني كنت أنجح. كنت على وشك أن أبدأ في... كما تعلمين... أبدأ في الانطلاق به".

نظرت إليه نظرة مونبة. "أنا أحب الكتاب، بول. لقد أخبرتك ذلك، وأنا لا أكذب أبداً. أحبه كثيراً إلى درجة أنني لن أقرأ المزيد منه حتى تفرغ منه. آسفة لأنني اضطررت إلى جعلك تملأ أحرف n بنفسك لكنه ليس صعباً... إنه... مثل استراق النظر".

توسعت ابتسامته الغبية الكبيرة أكثر. اعتقد بأنها سوف تلتقي خلف رأسه وتعقد أنشوطة هناك، فيسقط معظم رأسه المسكين على الأرض، ربما سينتهي به الأمر في وعاء التبرز بجانب السرير، انطلقت صفارات الإنذار في ذلك الجزء العميق المعتم من عقله الذي لم تصله جرعة المخدر بعد. لقد أحبت الكتاب، وهذا يعني بأنها لم تكن تريد أن تقتله. ولكن، مالم تكن معرفته بآني ويلكس خاطئة كلياً، فهذا يعني بأنها كانت تخبئ له ما هو أسوأ من القتل.

الآن لم يعد الضوء في الغرفة يبدو باهتاً، بل بدا نقياً على نحو رائع، مليئاً بسحر غريب غير أرضي. في ذلك الضوء تخيل طيور اللقلق تلمع في ضباب رمادي وهي تقف بصمت على رجل واحدة بجانب بحيرات المرتفعات، في ذلك الضوء، تخيل خيوط فلز المیکا في الصخور النارية بين الأعشاب الربيعية في مروج المرتفعات تلمع مع وهج زجاج النافذة المقابل، في ذلك الضوء، تخيل العفاريت وهي تجهز نفسها للعمل تحت أوراق النباتات المبللة بالندى، في ذلك الضوء...

أوه يا الله، أنت مخدر تماماً، قال بول لنفسه ثم قهقه بصوت واهن.

ابتسمت له آني في المقابل، وقالت: "الخبر الجيد، هو أن سيارتك اختفت. كنت قلقة جداً بشأن سيارتك يا بول. كنت أعرف بأن التخلص منها كان يتطلب عاصفة كهذه، وربما حتى ذلك لم يكن لينفع. لقد تخلص ذوبان الثلوج في الربيع من ذلك الطير القذر بومبروي، لكن السيارة أثقل من الإنسان بكثير، أليس كذلك؟ حتى لو كان رجلاً مليئاً بالقذارة مثله. لكن الأمطار وذوبان الثلج معاً قاما بالمطلوب. لقد اختفت سيارتك. وهذا هو الخبر الجيد".

"ماذا..." انطلق المزيد من أجراس الإنذار الخافتة. بومبروي... إنه يعرف هذا الاسم، لكنه لم يستطع تحديد شخصية حامله. إلى أن تذكّر فجأة. بومبروي. الراحل أندرو بومبروي، 23 عاماً، من كولد

www.jn2n.com
hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

سبرينغ هاربور، ليويورك. وُجد في محمية غرايدر وايلدلايف.

قلت بذلك الصوت الجاد الذي يعرفه جيداً: "والآن يا بول، لا حاجة للمراوغة. أعرف بأنك تعرف من هو الذي يوميروي، لأنني أعرف بأنك قرأت كتابي. أعتقد بأنني إلى حدٍّ ما كنت امل بأن تقرأه، وإلا لماذا أتركه ظاهراً؟ لكنني تأكدت، تعرف، أنا أتأكد من كل شيء، متأكدة تماماً، فالخيوط تقطعت".

قال بوهن: "خيوط".

"أجل. قرأت مرة عن طريقة تسمح لك باكتشاف ما إذا كان شخص ما يتطفل ويستطلع محتويات أدراجك. ما عليك إلا أن تلصق خيطاً دقيقاً جداً بين طرفي كل واحد منها، فإذا جئت ورأيت أحدها مقطوعاً، ستعرف بأن أحداً كان يتطفل على أغراضك، أليس كذلك؟ أرأيت كم هي سهلة؟"

"نعم آني". كان يصغي إليها، لكن ما كان يريده هو أن يبحر في ذلك الضوء الرائع.

التفتت ثانية لتتفحص الأشياء التي كانت تضعها عند الطرف السفلي من السرير. ومرة أخرى سمع صوت شيء خشبي يحتك بجسم معدني، ثم عادت إلى وضعيتها السابقة، وصفقت شعرها بيدها بحركة لا شعورية.

"لقد فعلت ذلك مع كتابي. لكنني لم أستخدم خيوطاً بل استخدمت فقط عدة شعرات من رأسي ووضعتها في ثلاثة أمكنة مختلفة. وعندما عدت هذا الصباح - في وقت مبكر جداً، تسللت بهدوء كي لا أوقظك - كانت الشعرات الثلاث كلها مقطوعة، فعرفت بأنك كنت تنظر إلى كتابي". صمتت قليلاً ثم ابتسمت. بالنسبة لآني، كانت ابتسامة نصر، لكنها كانت في نفس الوقت تملك خاصية كريهة لم يستطع بول تمييزها. "لا يعني هذا بأنني كنت مستغربة. فقد كنت أعرف بأنك خرجت من الغرفة. وهذا هو الخبر السيئ. كنت أعرف

منذ وقت طويل، طويل يا بول".

كان يجب أن يشعر بالغضب والفزع، فهي كانت تعرف منذ البداية، فيما يبدو... إلا أنه لم يشعر إلا بتلك الغبطة الحالمة الطاغية، وما كانت تقوله لم يكن مهماً بالنسبة إليه بقدر أهمية ذلك الضوء الساحر والمنعش مع طلوع الصباح.

"ولكن"، قالت كمن يعود للحديث في موضوع جدي، "كنا نتحدث عن سيارتك. لديّ إطارات خاصة للسير على الثلج، بول، وفي منزلي في الجبال أحتفظ بمجموعة من السلاسل الحديدية المخصصة للإطارات قياس 10x. في وقت مبكر من بعد ظهر يوم أمس، شعرت بأنني في أفضل حال؛ قضيت معظم وقتي هناك راكعة على ركبتي، غارقة في الصلاة، فجاءني الجواب، كما يأتي عالياً، وكان بسيطاً تماماً، كما يكون عالباً ما تطلبه من ربك في الصلاة، يا بول، يمنحك إياه مضاعفاً ألف مرة، وهكذا، وضعت السلاسل حول الإطارات وعدت إلى هنا. لم يكن ذلك سهلاً، فقد كنت أعرف بأنه قد تقع حادثة بالرغم من الإطارات والسلاسل. كما كنت أعرف بأنه من النادر أن تحصل ما يمكن أن نسميه "حادثة بسيطة" في تلك الطرقات المتعرجة الشديدة الانحدار. لكنني شعرت بالهناء في عقلي، لأنني كنت أشعر بالأمان بين يدي الله".

قال بول بصوت مبحوح: "ذلك أمر روحي رفيع جداً يا آني".

رمقته بنظرة فزعة ومتشككة لوهلة... لكنها عادت وابتسمت بعد ذلك. قالت بنعومة: "لديّ هدية لك يا بول". وقبل أن يتمكن من السؤال عن ماهية الهدية - لم يكن متأكداً من أنه يريد أي نوع من الهدايا من آني - استأنفت كلامها: كانت الطرقات مغطاة بالجليد. كدت أنحرف عن الطريق مرتين... في المرة الثانية، انزلقت أولد بيسي ودارت دورة كاملة وكانت تسير في طريقها إلى الهاوية!" ضحكت آني بمرح. "ثم علقت في كومة من الثلج - هذا كان في منتصف الليل تقريباً - لكنّ طاقماً لفرش الرمال في قسم الأشغال

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

العامة جاء وساعدني في الخروج".

قال بول: "بارك الله قسم الأشغال العامة". لكن الجملة خرجت بشكل غير واضح.

"الميلان الأخيران قبل الوصول إلى الطريق العام للمقاطعة كانا المسافة الأخيرة الصعبة. الطريق العام للمقاطعة هو الطريق 9، كما تعلم. والطريق الذي كنت تسير عليه عندما حصلت الحادثة معك، كانوا قد فرشوه كله بالرمال. توقفت في المكان الذي انحرفت فيه سيارتك عن الطريق، وبحثت عن السيارة. كنت أعرف ماذا سأفعل إذا وجدتها. لأنه ستكون هناك أسئلة، وسأكون ربما أول شخص يطرحون عليه هذه الأسئلة، لأسباب أعتقد بأنك تعرفها".

أنا سأتقدم عليك كثيراً في هذا الأمر يا آني. فقد بحثت عن السيارة كله قبل ثلاثة أسابيع.

"أحد الأسباب التي جعلتني أجلبك إلى هنا هو أن الأمر بدا أكثر من مجرد مصادفة... بدا وكأن الأمر حصل بتدخل العناية الإلهية".

قال بول بصعوبة: "ما الذي بدا وكأنه حصل بتدخل العناية الإلهية يا آني؟"

"سيارتك تحطمت تقريباً في نفس البقعة التي تخلصت فيها من ذلك البغيض بومبروي. الرجل الذي ادعى بأنه كان فلاناً". قلبت يدها احتقاراً، ثم حركت قدميها، فصدر ذلك الصوت الخشبي عندما مست إحداهما شيئاً مما كانت تضعه هناك على الأرض.

"لقد أقلته معي عندما كنت راجعة من إيستيس بارك. كنت هناك أشاهد معرضاً للقطع الخزفية. أحب المنمنمات الخزفية الصغيرة".

قال بول: "لاحظت ذلك". حاول ذلك الجزء العميق منه – الجزء الذي لم يصله المخدر – أن يحذره ويطلب منه أن يقفل فمه. ولكن، ما الفائدة؟ فهي كانت تعرف. *بالطبع إنها تعرف؛ إنها النحل البوركية تعرف كل شيء.* "أحببت بشكل خاص الطريق على القاعدة الجلدية".

"شكراً بول... إنه لطيف ليس كذلك؟ كان بومبروي يحاول إيقاف سيارة على الطريق. كان يحمل صرة على ظهره. قال بأنه فنان، لكنني اكتشفت بأنه كان مجرد هيبي قذر مدمن على المخدرات كان يغسل الصحون في مطعم في إيستيس بارك خلال الشهرين السابقين. وعندما أخبرته بأنني أملك منزلاً في سايدويندر، قال بأن ذلك كان مصادفة حقيقية، لأنه كان ذاهباً إلى سايدويندر. قال إنه كان في مهمة لصالح مجلة في نيويورك، وأنه سيذهب إلى الفندق القديم ويرسم ما تبقى منه، وأن صوره ستُرفق مع مقالة تقوم المجلة بإعدادها. إنه فندق قديم مشهور يُدعى أوفرلوك احترق منذ عشر سنوات. لقد أحرقه حارس الفندق. كان مجنوناً. الجميع في البلدة قالوا ذلك. ولكن، لا تقلق، فقد مات.

سمحت لبومبروي بأن يقيم معي هنا.

كنا عاشقين".

إذا كان أندرو بومبروي يستطيع أن يمارس الجنس معك يا آني، فلا بد أنه لا يقل جنوناً عن ذلك الحارس الذي أحرق الفندق.

"ثم اكتشفت بأنه لم يكن في مهمة عمل لرسم صور للفندق. بل كان يقوم برسمها لنفسه، على أمل أن يتمكن من بيعها. حتى أنه لم يكن متأكداً من أن المجلة تقوم بإعداد مقالة عن الفندق. لقد اكتشفت ذلك بسرعة كبيرة. وبعد ذلك، تسللت إلى غرفته واسترقت النظر إلى كراسة الرسم الخاصة به. أحسست بأن لديّ كل الحق في أن أفعل ذلك، فقد كان يأكل من طعامي وينام في سريري. كانت هناك ثماني أو تسع صور فقط في الكراسة كلها، وكانت مريعة".

تقلصت وجهها، وبدت مثل تلك المرة التي قلدت فيها صوت الخنزير.

"كان بإمكاني أن أرسم أفضل منها! دخل إلى الغرفة عندما كنت أنظر إلى الرسومات فجن جنونه. قال بأنني كنت أتطفل على

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

خصوصيته. فقلت بأنني لا ادعو النظر إلى أشياء موجودة في منزلي تطفلاً. وقلت له بأنه إذا كان فتاناً فإنني مدام كوري. فبدأ بالضحك، كان يسخر مني، ولهذا... أنا... أنا...'

قال بول: 'قتلته'.

نظرت إلى الجدار وابتسمت بعدم ارتياح. 'حسناً، أعتقد بأنه شيء من هذا القبيل. لا أذكر جيداً. فقط عندما مات. أذكر ذلك. اذكر بأنني أدخلته الحمام ونظفته جيداً'.

نظر إليها وأحس برعب وفرف شديدين. تخيل بوميروي طافياً في حوض الاستحمام في الطابق السفلي مثل قطعة من العجين، رأسه مائل باتجاه البورسلين، وعيناه مفتوحتان تحدقان في السقف...

قالت: 'اضطررت لفعل ذلك'. ثم سكتت شفتيها قليلاً. 'تعلم لا تعرف ماذا تفعل الشرطة بقطعة خيط، أو أوساخ منجمعة تحت الأظافر، أو حتى الغبار في شعر الجثة. أنت لا تعرف، لكنني عملت في المستشفيات طوال حياتي وأنا أعرف! أعرف عن التحقيق الجنائي!'

كانت في طريقها للدخول في واحدة من نوبات غضبها الهستيرية المرخصة باسم آني ويلكس، وكان يعرف بأن عليه أن يحاول وقول شيئاً علّه يخفف من غضبها لفترة مؤقتة على الأقل، لكن فمه بدا خدراً وبلا أية فائدة.

'كلهم يريدون النيل مني، كلهم! هل تعتقد بأنهم كانوا سيصغون إليّ لو أخبرتهم بما حدث؟ هل تعتقد بأنهم كانوا سيصغون؟ هل تعتقد؟ أوه لا! ربما كانوا سيقولون شيئاً مجنوناً مثل إنني حاولت التقرب منه فسخر مني فقتلته! لعلهم سيقولون شيئاً من هذا القبيل!'

أتعرفين يا آني؟ أتعرفين؟ أعتقد بأن هذا قريب جداً من الحقيقة.

'الطيور القذرة حولي هنا سيقولون أي شيء كي يوقعوني في المشاكل أو يلطخوا اسمي'.

صمتت قليلاً، لم تكن تلهث تماماً بل كانت تتنفس بصعوبة. كانت تنظر إليه بحدة، وكأنها كانت تدعوه ليتجرأ فقط ويخبرها بشيء مختلف. تجرأ فقط!

ثم بدت، وكأنها تمكنت من السيطرة على نفسها قليلاً فعادت واستأنفت كلامها بصوت أكثر هدوءاً.

'نظفت... حسناً... ما بقي منه... ونظفت ثيابه أيضاً. كنت أعرف ماذا سأفعل. كان الثلج يتساقط في الخارج، التساقط الحقيقي الأول في السنة، وقالوا بأن سماكة الثلج ستبلغ قدماً بحلول الصباح التالي. وضعت ثيابه في كيس بلاستيكي ولففت الجثة بشراشف ثم أخذت كل شيء إلى ذلك الجدول الجاف على الطريق 9 بعد حلول الظلام. مشيت حوالى ميل إلى الأسفل من المكان الذي انتهت إليه سيارتك. مشيت حتى وصلت إلى الغابة ولففت بكل شيء هناك. قد تظن بأنني أخفيته لكنني لم أفعل. كنت أعرف بأن الثلوج سوف تغطيه، ففكرت بأن ذوبان الثلوج في الربيع سيحمله بعيداً إذا تركته في حوض الجدول. وهذا ما حدث باستثناء أنني لم أكن أعرف بأنه سيبتعد إلى ذلك الحد. لقد وجدوا جثته بعد سنة كاملة... بعد سنة من وفاته، وعلى بعد سبع وعشرين ميلاً تقريباً. في الواقع، كان من الأفضل ألا يبتعد إلى ذلك الحد، لأنك دائماً تجد متنزهين ومراقبي الطيور في محمية غرايدر. لكنّ الغابات هنا أقل اجتذاباً للناس'.

ابتسمت.

'وهناك تقبع سيارتك الآن يا بول. في مكان ما بين الطريق 9 ومحمية غرايدر وايلدلايف، في مكان ما في الغابة. وهي بعيدة بما يكفي بحيث لا يمكنك رؤيتها من الطريق، لديّ ضوء كشاف على جانب أولد بيسي، وهو قوي جداً، لكن مسار الجدول حتى دخوله إلى الغابة كان فارغاً. أعتقد بأنني سأخوضه مشياً على الأقدام وألقي نظرة عندما تنخفض المياه قليلاً، لكنني متأكدة تقريباً بأنها في أمان، سيجدها صياد

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

ما بعد سنتين أو خمس سنوات أو سبع سنوات، صدقني بالكامل وقد بنت المساجب أعشاشها في المقاعد، وبحلول ذلك الوقت ستكون قد أنهيت كتابي وعدت إلى نيويورك أو لوس أنجلوس أو أي مكان تقرر الذهاب إليه، وأنا سأكون هنا أعيش حياتي بهدوء. ربما سنتراسل في بعض الأحيان".

ارتسمت ابتسامة ضبابية على وجهها - ابتسامة امرأة تنظر إلى قلعة جميلة في السماء - ثم اختفت الابتسامة فجأة وعادت إلى مظهرها الجدي.

"لهذا عدت إلى هنا، وخلال الطريق فكرت ملياً. بما أن سيارتك اختفت، فهذا يعني بأنك تستطيع البقاء، تستطيع إنهاء كتابي. لم أكن دائماً متأكدة من أنك ستكون قادراً على إنهائه، بالرغم من أنني لم أقل ذلك أبداً لأنني لم أشأ أن أزعجك. ولم أكن أريد أن أزعجك لأنني كنت أعرف بأن ذلك سوف يؤثر على نوعية كتابتك، لكن هذا يبدو أكثر برودة مما أشعر به فعلاً يا عزيزي. فكما تعرف، في البداية أحببت ذلك الجزء منك فقط، ذلك الجزء الذي يبتكر هذه القصص الرائعة لأنه الجزء الوحيد الذي أعرفه عنك. أما الجزء الباقي منك فلم أكن أعرف عنه الكثير، وأعتقد بأنه قد يكون كريهاً تماماً. لست غبية، أنت تعرف. لقد قرأت عن بعض الأشخاص الذين يُدعون "مؤلفين مشهورين" وأعرف بأنهم أشخاص بغيضون في أغلب الأحيان. قد يفوز ف. سكوت فيتجرالد وإيرنست هيمنجواي وذاك الرجل ذو الرقبة الحمراء من ميسيسيبي - فولكنر أو شيء من هذا القبيل - بجائزة بولتزر الوطنية لأفضل الكتب، لكنهم في حقيقة الأمر ليسوا أكثر من سكّيرين قذرين عديمي الفائدة. والآخرون أيضاً، عندما لا يكتبون قصصاً رائعة تجدهم يسكرون ويعربدون ويحقنون أنفسهم بالمخدرات والله يعلم أي شيء آخر.

ولكن، أنت مختلف، وبعد فترة من الوقت أصبحت أعرف بقية

بول شيلدون، وآمل بأنك لا تمانع ما سأقوله، لكنني بدأت أحب الجزء الباقي منه أيضاً".

شكراً لك يا ألني". قال من قمة موجته الذهبية المتلألئة، ثم قال في داخله: *ولكن لعلك أسأت قراءتي، تعرفين. أعني إن الظروف التي تقود الرجال إلى الرعبات نادرت بقسوة هنا. فمن الصعب على المرء أن يرتاد الحانات عندما تكون ساقاه مكسورتين يا ألني. أما بالنسبة لحقن المخدرات، فقد جعلت إلهة اللحل البوركية تقوم بذلك نيابة عني.*

ولكن، هل تريد أن تبقى؟" تابعت ألني حديثها. "ذلك هو السؤال الذي كان عليّ طرحه على نفسي، وبقدر ما كنت أريد أن أضع الغشاوة على عيني فقد كنت أعرف الجواب على هذا السؤال - عرفت حتى قبل أن أرى العلامات على الباب هناك".

أشارت بيدها إلى موضع العلامات وشرد بول في تفكيره: *أراهن بأنها عرفت منذ البداية. غشاوة؟ ليس أنت يا ألني. ليس أنت. لكنني أنا من كان يضع تلك الغشاوة.*

"هل تذكر المرة الأولى التي ذهبت فيها؟ بعد ذلك الجدال السخيف حول الورق؟"

"أجل".

تلك كانت المرة الأولى التي خرجت فيها من الغرفة، أليس كذلك؟"

"أجل". لم تكن هناك فائدة من الإنكار.

"بالطبع كنت تريد أقراص الدواء. كان يجب عليّ أن أعرف بأنك ستفعل أي شيء لكي تحصل على أقراصك، ولكن، عندما أفقد صوابي، فإنني أصبح... تعرف". فهقهت بنوع من العصبية. لكن بول لم يبادلها القهقهة، بل حتى لم يبتسم. فذكرى تلك الفترة العصبية والمؤلمة المترافقة مع الصوت الخفي لذلك المعلق الرياضي الذي يصف كل حركة كان يقوم بها كانت ما تزال حاضرة بقوة في ذهنه.

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

نعم، أعرف كيف تصيحين، يا آني. تصبحين مفرقة.

في البداية لم أكن متأكدة تماماً. لاحظت أن بعض التماثيل الموضوعة فوق الطاولة الصغيرة في غرفة الاستقبال قد تحركت قليلاً، لكنني اعتقدت بأنني ربما أنا من فعل ذلك؛ هناك أوقات أكون فيها شديدة النسيان. خطر ببالي أن تكون قد خرجت من غرفتك، لكنني قلت لنفسي: *أوه، ذلك مستحيل. إنه مصاب إصابة بالغة، وإضافة إلى ذلك، فقد أقفلت الباب.* حتى أنني تحققت لأرى إن كان المفتاح ما يزال في جيب تنورتي، وكان هناك بالفعل. ثم تذكرت بأنك كنت في كرسيك المتحرك. لذا، ربما...

إحدى الأشياء التي تعلمها من العمل كممرضة محترفة لمدة عشر سنوات هو أن تتحقق دائماً من كل الاحتمالات. وهكذا ألقيت نظرة على الأشياء التي أحتفظ بها في حمام الطابق السفلي؛ إنها عينات مجانية كنت أجلبها دائماً إلى المنزل حينما كنت أعمل، ينبغي أن ترى كل تلك المواد التي تُستعمل في المشافي يا بول! لذا كنت آخذ القليل منها بين الحين والآخر... القليل من الفائض... ولكنني لم أكن الوحيدة. إلا أنني كنت أعرف تماماً بأنني يجب ألا آخذ أي دواء يكون الممرضين إحدى مواده الأساسية. إنهم يقفلون عليها ويحصونها ويحتفظون بسجلات عنها. وإذا شكوا بأن ممرضة تهرّب الدواء – هكذا يدعون الأمر – فإنهم يراقبون تلك الممرضة حتى يتأكدوا. ثم يطردونها، ومعظم اللواتي يُكشف أمرهن لا يرتدين القبعة البيضاء ثانية.

كنت أذكى من ذلك.

عندما نظرت إلى الصناديق الكرتونية أحسست أيضاً بأن ما فيها تبعثر قليلاً. لكنني لم أكن متأكدة تماماً، إذ يمكن أن أكون قد فعلت ذلك بنفسي عندما كنت... حسناً... عندما كنت مشغولة الذهن.

لاحقاً، بعد يومين، بعد أن قررت أن أصرف النظر عن الموضوع، جئت كي أعطيك دواءك في فترة بعد الظهر. كانت فترة

قيلولتك وكنت ما تزال نائماً. حاولت أن أدير مقبض الباب لكنه لم يدر لعدة ثوانٍ؛ كأنه كان مقفولاً. ثم دار بعد ذلك وسمعت صوت شيء ما يخشخش داخل القفل. ثم بدأت أنت تتحرك في سريرك فأعطيتك دواءك كالمعتاد وكأنني لم أشك بشيء. أنا جيدة جداً في هذا الأمر يا بول. ثم ساعدتك كي تجلس على الكرسي من أجل الكتابة. أثناء قيامي بمساعدتك لوضعك في الكرسي، شعرت كأنني القديس بولس وهو في طريقه إلى دمشق. كانت عيناي مفتوحتين. لاحظت أن لونك قد عاد إلى طبيعته، ولاحظت بأنك كنت تحرك ساقيك بالرغم من أنهما كانتا تؤلمانك. ولاحظت كذلك أن ذراعيك أصبحتا أكثر قوة.

لاحظت بأنك لو شئت أن تتعافى من جديد.

عندئذ فقط أدركت بأنك قد تتسبب في مشكلة لي حتى لو لم يشك أي شخص من الخارج في شيء. نظرت إليك وعرفت بأنني ربما لست الشخص الوحيد الذي يعرف كيف يحتفظ بأسراره.

في تلك الليلة بدلت دواءك بشيء أكثر قوة، وعندما أصبحت متأكدة بأنك لن تستيقظ حتى لو قام شخص بتفجير قنبلة تحت سريرك، أحضرت صندوق العدة من القبو ونزعت غطاء القفل عن الباب. وانظر ماذا وجدت!

أخذت شيئاً صغيراً وذكياً من أحد جيبي قميصها الرجالي ووضعته في يده الخدرة. كان قطعة ملتوية من نيوين شعر.

بدأ بول بالضحك رغماً عنه.

"ما المضحك في الأمر يا بول؟"

"في اليوم الذي ذهبت كي تدفعي ضرائبك، كنت بحاجة لأن أفتح الباب مجدداً. ترك الكرسي المتحرك – إنه كبير جداً – علامات سوداء. وكنت أريد أن أزيلها إذا استطعت".

"حتى لا أراها".

"لكنك كنت قد رأيتها مسبقاً، أليس كذلك؟"

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"بعد أن وجدت أحد دبابيسي في القفل؟" أرخت نفسها على الابتسام. "يمكنك أن تراهن على أنني رأيتها".

هزّ بول رأسه موافقاً وضحك بقوة أكبر. كان يضحك بشدة إلى درجة أن الدموع كانت تنهمر من عينيه. كل ما بذله من جهد... كل قلقه... كله كان هباء. كان الأمر يبدو مضحكاً جداً.

كنت قلقاً من أن يفسد عليّ ذلك الدبوس الأمر برمته. حتى أنني لم أسمعه يخشخش أبداً، وكان هناك سبب لذلك، أليس كذلك؟ إنه لم يخشخش لأنك أخرجته من داخل القفل. يا لك من ماكرة يا آني".

قالت: "أجل". ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة. "يا لي من ماكرة".

حركت قدميها، فصدر ذلك الصوت مجدداً صوت خيطة خشبية مكتومة.

22

"كم مرة خرجت من الغرفة؟"

"مرتين. لا، انتظري. خرجت مرة أخرى الدارجة بعد الظهر حوالى الساعة الخامسة من أجل ملء إبريق الماء". هذا صحيح. لقد ملأ الإبريق بالفعل، لكنه حذف السبب الحقيقي لتلك الرحلة. والسبب الحقيقي موجود تحت فراشه. "ثلاث مرات، مع حساب خروجي من أجل الماء".

"قل الحقيقة يا بول".

"ثلاث مرات فقط، أقسم. ولم أكن أقصد الهرب. بحق الله أنا أكتب كتاباً هنا، في حال لم تلاحظي ذلك".

"لا تستخدم اسم المخلّص عبثاً يا بول".

"توقفي عن استخدام اسمي بهذه الطريقة وربما سأفعل ذلك بدوري. في المرة الأولى كنت أتألم إلى درجة أحسست فيها بأن شخصاً ما وضعني في الجحيم من الركبتين إلى الأسفل. وأنت من

فعل ذلك يا آني".

"اسكت بول".

"وفي المرة الثانية، كنت أريد فقط شيئاً ما آكله، وإحضار المزيد من المؤونة في حال غبت لفترة طويلة. وبعد ذلك عطشت. هذا كل ما في الأمر. ليست مؤامرة كبرى".

"من المؤكد أنك لم تجرب الهاتف. من المؤكد أنك لم تتفحص الأقفال... لأنك هذا الفتى الصغير اللطيف".

"بالتأكيد جربت الهاتف. بالتأكيد تفحصت الأقفال... على أي حال، لن أبتعد كثيراً في ذلك المستقع الطيني في الخارج حتى لو كانت كل أبوابك مشرعة". بدأ مفعول المخدر في جسده يصبح أقوى فأقوى، وكم كان يتمنى لو أنها تخرس وتذهب. لقد خدرته بما يكفي لقول الحقيقة. وهو كان يعرف بأنه سيدفع الثمن في الوقت المناسب. ولكن، أولاً، كان يريد أن ينام.

"كم مرة خرجت؟"

"لقد أخبرتك —"

"كم مرة؟" ارتفع صوتها. "قل الحقيقة".

"قلت الحقيقة! ثلاث مرات!"

"كم مرة، اللعنة؟"

بالرغم من جرعة المخدر الكبيرة التي حقنته بها، إلا أن بول بدأ يحس بالرعب.

على الأقل إذا أرادت أن تفعل لي شيء فإنه لن يؤلمني كثيراً... وهي تريدني أن أنهي الكتاب... هذا ما قالته...

"إنك تعاملني كغبية". لاحظ بول أن جلدها أصبح لامعاً، مثل نوع من البلاستيك مُدّ بإحكام فوق حجر. كان وجهها يبدو بلا مسامات على الإطلاق.

"آني، أقسم —"

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"أوه، الكذابون يقسمون دائماً! الكذابون يحبون أن يقسموا! حسناً، استمر في معاملتك لي كغبية، إذا كان ذلك ما تريده. ذلك حسن. عامل امرأة ليست غبية على أنها غبية، وتلك المرأة تخرج دائماً منتصرة. دعني أقول لك شيئاً يا بول، وضعت خيوطاً وشعراً من رأسي في كل مكان من هذا المنزل ووجدت أن الكثير منها قد انتُزعت من مكانها لاحقاً. انتُزعت من مكانها أو اختفت كلياً... اختفت ببساطة... بوف! وليس فقط على كتابي بل في هذا الممر وفي خزانتي ودروجي... في السقيفة... في كل مكان".

السقيفة؟

"آني، كيف يمكنني بحق الله أن أصل إلى الطابق العلوي؟"

صرخت: "أوه، صحيح! أوه، بالتأكيد جئت إلى هنا منذ عدة أيام فوجدت أنك قد تدبرت أمرك وجلست في الكرسي بنفسك! إذا كان باستطاعتك القيام بذلك، فباستطاعتك الوصول إلى الطابق العلوي! بإمكانك أن تزحف!"

"نعم، على ساقي المكسورتين وركبتي المحطمة".

عادت تلك النظرة السوداء إليها من جديد. ذهبت آني وبلكس وحلت محلها إلهة النحل البوركية.

قالت هامسة: "لا تتذاك معي يا بول".

حسناً يا آني، على أحدنا أن يحاول على الأقل، وأنت لست ناجحة في ذلك كثيراً. لو فقط تحاولين أن تري كم مجد...

"كم مرة خرجت؟"

"ثلاث".

"المرة الأولى لتحصل على الدواء".

"نعم، كبسولات النوفريل".

"والمرة الثانية من أجل الطعام".

"هذا صحيح".

"والمرة الثالثة لملء الإبريق".

"أجل آني، أشعر بدوار شديد –"

"ملأته من الحمام آخر الممر".

"نعم".

"مرة من أجل الدواء، ومرة من أجل الطعام، ومرة من أجل الماء".

"أجل، أخبرتك بذلك!" حاول أن يصرخ لكن ما خرج كان زعيقاً واهناً.

مدت يدها إلى جيب تنورتها مجدداً وأخرجت سكين تقطيع اللحم، فلمع نصلها الحاد في ضوء الصباح الساطع. ثم استدارت فجأة إلى اليسار وقذفت السكين، فنفذها برشاقة ودقة مؤدٍ محترف في استعراض جماهيري. علقت السكين في الجدار الجصي تحت صورة قوس النصر، ثم بدأت تهتز.

"لقد تحققت من تحت فراشك قبل أن أعطيك الحقنة التحضيرية بقليل. كنت أتوقع أن أجد كبسولات دواء. كانت السكين مفاجأة حقيقية لي، حتى أنني كدت أن أجرح نفسي. لكنك لم تضعها هناك، أليس كذلك؟"

لم يجب. كان رأسه يدور ثم يهوي بدون توقف. حقنة تحضيرية؟ هل هذا ما قالته؟ *حقنة ما قبل العملية الجراحية؟* أصبح متأكداً حينئذ من أنها سوف تنتزع السكين من الجدار وتستأصل خصيتيه بها.

"لا، لست لسم تضعها هنا. لقد خرجت مرة للدواء، ومرة للطعام ومرة للشرب. وهذه السكين... لا بد أنها طارت في الجو حتى وصلت إلى هنا وانزلقت تحت الفراش بنفسها. نعم، لا بد أن هذا ما حصل". ثم ضحكت بسخرية.

حقنة تحضيرية؟؟؟ يا إلهي، هل هذا ما قالته؟

"اللعنة عليك!" صرخت آني. "اللعنة عليك! كم مرة خرجت؟"

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"حسناً! حسناً! لقد أحضرت السكين عندما ذهبت لملء الإبريق! أنا أعترف! إذا كنت تعتقدين بأن ذلك يعني بأنني خرجت عدداً معيناً من المرات، تفضلي واملأي الفراغ بنفسك! إذا أردت أن تكون خمس مرات، فلتكن خمساً. إذا أردت أن تكون عشرين، أو خمسين، أو مائة، كما تريدين. سأعترف بذلك".

للحظة، من شدة غضبه ومن حالته المخدّرة، نسي الصورة المرعبة والمشوشة لتلك الجملة "حقنة تحضيرية". كان يريد أن يقول لها الكثير من الأشياء، بالرغم من أنه كان يعرف بأن وحشاً مفترساً ومريضاً بهوس الارتياب مثل آني سيرفض ما هو واضح وضوح الشمس. كان الطقس رطباً، واللاصق الاسكوتلندي لا يحب الرطوبة. إذاً، لا بد أن أفخاخها الصغيرة – في كثير من الحالات – خلعت من مكانها ببساطة وطارت في الهواء على غير هدى. وماذا عن الفئران. لقد سمع أصواتها في الجدران. بالتأكيد، فمع وجود الكثير من الماء في القبو وغياب مالكة المنزل، لا بد أنها امتلكت زمام الأمور، وخاصة مع وجود كل تلك المواد الغذائية والبقايا القذرة المتناثرة في كل مكان. لعل الفئران هي التي قطعت معظم الخيوط التي نصبتها آني. لكنها سترفض هذه الأفكار قطعاً.

"آني... آني، ماذا عنيت عندما قلت بأنك أعطيتني حقنة تحضيرية؟"

لكن آني كانت ما تزال منتبهة عند مسألة أخرى، وقالت: "أقول بأنها سبع مرات. سبع على الأقل، هل كانت سبع مرات؟"

"إذا أردتها أن تكون سبعاً، فهي سبع مرات. ماذا كنت تعنين عندما قلت –؟"

قالت آني: "أرى بأنك تتقصد العناد. أعتقد بأنك ومن مثلك ممن اعتادوا على الكذب من أجل كسب العيش لا تستطيعون التوقف عنه في الحياة الواقعية. ولكن، لا بأس يا بول. لكن المبدأ لا يتغير سواء خرجت

سبع مرات، أم سبعين مرة، أم سبعين ضرب سبع مرات. المبدأ لا يتغير، ولا واحدة منها تجيب عن السؤال".

كان بول يطوف، يطوف بعيداً. أغلق عينيه وسمعها تتكلم. كان صوتها يبدو وكأنه آتٍ من مكان بعيد جداً... مثل صوت ماوراني آتٍ من الغيوم. صوت إلهة.

"هل قرأت يوماً حول بدايات مناجم الماس في كيمبرلي يا بول؟"

"لقد ألفت كتاباً حول هذا الموضوع". قال بدون أي مبرر على الإطلاق ثم ضحك.

(حقنة تحضيرية؟ حقنة تحضيرية؟)

"في بعض الأحيان، كان العمال المحليون يسرقون بعض قطع الألماس. كانوا يلفونها في أوراق شجر ويحشرونها في مستقيمهم. إذا استطاعوا الخروج من المنجم دون أن يُكشف أمرهم، كانوا يهربون. ولكن، هل تعرف ماذا كان البريطانيون يفعلون بهم إذا أمسكوا بهم قبل أن يقطعوا نهر أورانج ويصلوا إلى مقاطعة بوير؟"

قال وعيناه ما تزالان مغلقتين: "أعتقد أنهم يقتلونهم".

"أوه، لا! ذلك سيبدو مثل رمي سيارة باهظة الثمن في مكب السيارات التالفة بسبب دابض مكسور. إذا أمسكوا بهم، كانوا يتأكدون أولاً من أنهم يستطيعون الاستمرار في العمل... ولكنهم كانوا يتأكدون أيضاً من أنهم لن يتمكنوا من الهرب بعد ذلك أبداً. كانوا يجعلونهم يعرجون – هكذا كانوا يسمون العملية – يا بول. وهذا ما سأفعله بك. لسلامتي... وسلامتك أيضاً. صدقني، أنت بحاجة لحمايتك من نفسك. ولكن تذكر فقط، قليل من الألم وسينتهي كل شيء. حاول أن تركز على هذه الفكرة".

سرى الرعب مثل هبة ريح محملة بشفرات حلاقة حادة عصفت في جسده المخدر ففتح عينيه على الفور. كانت حينئذ قد وقفت وسحبت أغطية السرير، كاشفة عن ساقيه المكسورتين وقدميه العاريتين.

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"لا، لا... آني... مهما كان يدور في عقلك، فإننا نستطيع مناقشته، أليس كذلك؟... رجاءً..."

انحنت، وعندما استقامت مجدداً كانت تحمل بيد فأساً جلبته من السقيفة، ومشعلاً يعمل بغاز البروبان باليد الأخرى. لمع نصل الفأس. وكُتب على جانب المشعل كلمة *Bernz-O-matic*. انحنت ثانية وأخرجت هذه المرة زجاجة داكنة وعلبة ثقاب. كان هناك بطاقة على الزجاجة كُتب عليها *بيتادين*.

صرخ بول: "آني، لا! آني، سأبقى هنا! لن أبارح السرير! رجاءً! أوه يا الله أرجوك لا تقطعيني!"

قالت آني: "سيكون كل شيء على ما يرام". وعادت إليها تلك النظرة الذابلة الساهية. كان يعرف بأنها عندما تنتهي من ذلك لن يبقى في ذهنها سوى ذكريات باهتة عما فعلته، مثل الذكريات الباهتة التي تحملها عن قتل الأطفال والعجائز والمرضى المحتضرين وأندرو بوميروي.

لقد قتلت بوميروي بنفس هذه الفأس. أعرف ذلك.

استمر بالصراخ والتوسل ولكن بلا جدوى. حاول أن يقلب نفسه، أن يبتعد عنها، فاشتعلت ساقاه بالألم. حاول أن يسحبهما، أن يحركهما، فألمته ركبته بشدة.

"دقيقة واحدة بعد يا بول". قالت وهي تنزع غطاء زجاجة البيتادايين. صبت مادة لزجة لونها أحمر مائل إلى البني على كاحله الأيسر. "دقيقة واحدة فقط وسينتهي كل شيء". أمالت نصل الفأس حتى أصبح بموازاة الأرض، فبرزت أوتار معصمها الأيمن القوي، وشاهد الخاتم البنفسجي الذي كانت ما تزال تضعه في إصبعها الرابع من تلك اليد. صبت البيتادين على النصل. كانت رائحته تشبه رائحة عيادة الطبيب.

"القليل من الألم فقط يا بول. لن يكون شديداً جداً". قلبت الفأس،

ورشت الجانب الآخر من النصل. رأى بول وروداً عشوائية من الصدأ على هذا الجانب قبل أن تغطيها المادة اللزجة.

"آنـي آني. أوه آني أرجوك أرجوك، لا يا آني أقسم بأنني سأكون مطيعاً، أقسم بالله سأكون مطيعاً رجاء امنحيني فرصة لكي أكون مطيعاً، أوه آني رجاء دعيني أكون مطيعاً".

"قليل من الألم فقط وسننتهي من هذا الأمر إلى الأبد يا بول".

رمت زجاجة البيتادين المفتوحة وراء كتفها. كان وجهها خالياً من أي تعبير لكنه مع ذلك كان بالغ الصلابة. زلقت يدها اليمنى على مقبض الفأس حتى كادت أن تصل إلى النصل ثم أمسكت باليد اليسرى الجهة العليا من المقبض ثم باعدت بين ساقيها مثل قطّاعي الأشجار.

"آني أوه أرجوك أرجوك لا تؤذيني!"

بدت عيناها رقيقتين وحالمتين عندما قالت له: "لا تقلق. فأنا ممرضة مدربة".

انقض الفأس على رجل بول شيلدون اليسرى وانغرز في المنطقة التي تعلو الكاحل بقليل، فتفجر الألم في جسده والبثق دم أحمر قانٍ وتناثر على وجهها وعلى الحائط. سمع صوت احتكاك النصل في العظم عندما حررت الفأس. نظر إلى نفسه وهو لا يصدق ما جرى له. اصطبغ الشرشف باللون الأحمر. ورأى أصابعه تتلوى. ثم رآها ترفع الفأس المتقطر بالدم من جديد. انفلت شعرها من مشابكه ونزل على وجهها غير المكترث.

حاول أن يسحب نفسه بالرغم من الألم المتفجر في ساقه وركبته فأدرك بأن ساقه فقط هي التي كانت تتحرك، وكل ما فعله هو أنه فتح الشق الذي خلّفه الفأس مثل فم فاغر. وفي اللحظة التي أدرك فيها أن قدمه باتت معلقة فقط بلحم بطن الساق، هوى النصل من جديد، على الشق مباشرة، فاخترق بقية ساقه وانغرز عميقاً في الفراش.

رفعت آني الفأس ورمته جانباً. نظرت بشرود إلى ما تبقى من

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

ساقه، ثم أخذت علبة الثقاب. أشعلت عوداً. ثم أخذت مشعل البروبان وأدارت الصمام فصدر صوت هسيس منه. قرّبت العود من مقدمة المشعل فظهرت شعلة صفراء طويلة. ثم لعبت بالصمام حتى أصبحت الشعلة زرقاء فاقعة.

قالت: "لا يمكنني أن أخيط الجرح. ليس هناك وقت. الضماد ليس جيداً، ولا يوجد نقطة ضغط مركزية. إلى الكي".

انحنت. صرخ بول عندما أصابت النار ساقه النازفة. تصاعد الدخان. كانت الرائحة طيبة، ذكّرته برائحة اللحم المشوي في جزيرة ماوي عندما قضى وزوجته الأولى شهر عسليهما هناك.

صرخ بول من الألم.

قالت آني: "أوشكت على الانتهاء". ثم أدارت الصمام. انتشرت النار في الشرشف حول الساق المبتورة التي توقفت عن النزيف في ذلك الوقت.

"أوشكت على الانتهاء".

أطفأت المشعل. ثم انحنت وجاءت هذه المرة بصديقه القديم، دلو المسح الأصفر، وأفرغته فوق ألسنة اللهب.

كان يصرخ، يصرخ. الألم! الإلهية! الألم! أفريقيا!

وقفت تنتظر إليه بتركيز غامض، عند منطقة الشرشف المسودّ المغطى بالدماء. كان وجهها يشبه وجه امرأة تستمع إلى خبر ينقله المذياع يتعلق بحدوث زلزال قتل عشرة آلاف شخص في تركيا أو الباكستان.

قالت له: "ستكون بخير يا بول". لكن صوتها بدا مذعوراً هذه المرة. بدأت عيناها تحومان في كل الاتجاهات كما فعلتا عندما أحست بأن النار المشتعلة في كتابه المحترق سوف تخرج عن السيطرة. ثم ركّزتا فجأة على شيء واحد، مع شيء من الارتياح. "سأتخلص من النفايات".

التقطت قدمه المقطوعة. كانت أصابع قدمه ما تزال متشنجة. حملتها ومشت في الغرفة وحالما وصلت إلى الباب توقفت الأصابع عن الحركة. شاهد ندبة على المنطقة الوسطى السفلى من قدمه فتذكر كيف حصل ذلك. لقد داس على قطعة زجاج عندما كان طفلاً. هل حدث ذلك في ريفر بينش؟ أجل، كان يظن ذلك. تذكر بأنه بكى فأخبره والده بأنه ليس إلا جرحاً صغيراً. قال له والده بأن يتوقف عن التصرف كمن قُطعت قدمه كلها. توقفت آني عند الباب والتفتت ونظرت إلى بول، الذي كان يزعق ويتلوى في سريره المتفحم والمنقوع بالدماء.

"الآن أصبحت أعرجاً. ولا تلمني، إنها غلطتك أنت".

ثم خرجت.

وغاب بول عن الوعي.

23

عادت الغيمة من جديد. فغاص بول فيها غير مكترث إذا كانت الغيمة تعني الموت هذه المرة بدلاً من فقدان الوعي. كان يرجو ذلك. المهم ألا يشعر بالألم. لا ذكريات، لا ألم، لا رعب، لا آني ويلكس. رجاءً.

غاص بول باحثاً عن الغيمة، غاص في الغيمة. كان يسمع من بعيد أصوات صراخه ويشتم رائحة لحمه المطهو.

وعندما تلاشت هذه الأفكار، فكّر بول: *إلهية! سأفتقدك! إلهية!*

ثم تلاشى كل شيء.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

III

بول

لا فائدة. أحاول النوم منذ نصف ساعة ولا أستطيع. الكتابة هنا نوع من المخدرات. إنها الشيء الوحيد الذي أتطلع إليه. قرأت بعد الظهر ما كتبته... فبدا نابضاً بالحياة. أعرف بأنه يبدو نابضاً بالحياة لأن مخيلتي تملأ كل الفطع الناقصة التي لن يفهمها أي شخص آخر. أعني، إنها عبثية. لكنها تبدو مثل السحر... وأنا لا أستطيع العيش في هذا العالم، لأنني سأفقد عقلي إن فعلت.

جون فاولز

هاوي الجمع

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

1

الفصل الثاني والثلاثون

"يـا الله". فـاح إيـان وحـاول الـتقـدم بحركة مفاجـئة، فأمسكه صديقه جيفري من ذراعه. كان قرع الطبول المستمر يـفـيض في رأسه مثل شيء يسمع في حالة من الهذيان الشديد. وكان الـنحل يطنّ حولهم دون توقف. من وين الفسحة وكان

2

رفع بول الآلة الكاتبة وهزها. وبعد قليل، سقطت قطعة فولانية صغيرة على اللوح الجاثم فوق ذراعي الكرسي. أمسكها ونظر إليها.

كان حرف التاء.

فكّر بول في داخله: *سأشتكي إلى الإدارة. لن أطلب فقط آلة كاتبة جديدة بل سأطالب بواحدة. إنها تملك المال، أعرف ذلك. لعلها تحتفظ به في علب المرتبات تحت الحظيرة أو في جدران منزلها الخاص بالضحك، لكنها تملك المال. وحرف التاء – يا الله – إنه ثاني أكثر الحروف استخداماً في اللغة.*

بالتأكيد، لن يطلب بول من آني أي شيء، دع عنك المطالبة. في ما مضى كان هناك رجل سيطلب على الأقل، بالرغم من أنه كان يعاني من ألم أكبر مما لا يقاس، وبالرغم من أنه لم يكن يملك شيئاً يدعمه،

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

حتى كتابه اللعين ذاك. ذلك الرجل كان سيطلب، سواء أكان متألماً أم لا، ذلك الرجل كان يملك الشجاعة على الأقل للوقوف في وجه آني ويلكس.

كان بول ذات يوم ذلك الرجل، فأحس بالخجل، لكن ذلك الرجل كان يمتلك ميزتين إضافيتين عنه: ذلك الرجل كان يملك قدمين... وإبهامين.

جلس بول متفكراً للحظات، ثم أعاد قراءة السطر الأخير (مكملاً بذهنه الأحرف الناقصة)، ثم عاد إلى العمل.

هذا أفضل.

الأفضل ألا أسأل.

الأفضل ألا أثيرها.

خارج نافذته، كان النحل يطن.

كان اليوم الأول من فصل الصيف.

3

ثمة مغناطيس بجذبه، هذا ما كان يفكر به جيفري بذهنه المشوش.

صرخ إيان بغضب: "دعني أذهب!" والتفت نحو جيفري محولاً يده اليمنى إلى قبضة. بدا بأنه لا يعرف أبداً من الشخص الذي يحول بينه وبين حبيبته. عندئذ أدرك جيفري بأن ما رأوه عندما أزاح حزقيا ستار الأغصان الواقية دفع إيان إلى حافة الجنون.

"إيان -"

"دعني أذهب، أقول لك!" حاول إيان

التملص بالدفع إلى الوراء بقوة عنيفة، فارتعب حزقيا وقال بلغته المكسرة: "لا يا سيدي. إنك تجعل النحل يجن، فيلسع السيدة -"

بدا إيان وكأنه لم يكن يسمع. فهجم فجأة على جيفري مسدداً الضربات على وجهه مباشرة.

وبالرغم من الضربات، رأى جيفري حزقيا يبدأ بأرجحة الغوشا - وهو كيس مليء بالرمال يفضله البوركيون في إنهاء عملهم - الذي يحتمل بأن يكون ميتاً. لحسن الحظ رآه في الوقت المناسب ليوقفه: "لا! دعني أعالجه بنفسي!"

ترك حزقيا، نكزاً، الغوشا ليهدأ على جبله الجلدي مثل رقاص ساعة آخذ بالتباطؤ.

عندئذ تلقى رأس جيفري ضربة جديدة. لكنها هذه المرة سحقت شفتيه فأحس بسيلان الدم الدافئ وطعمه الحلو - المالح في فمه. ثم سمع صوت تمزق قميص إيان - الذي بهت لونه من التعرض للشمس وتمزق مسبقاً في عدة أماكن - في يده. تذكر جيفري بتعجب أنه نفس القميص الذي كان إيان يلبسه في العشاء الذي أقامه البارون والبارونة منذ ثلاث ليالٍ. نعم إنه نفس القميص، إذ لم تسنح لهم الفرصة لتغيير ملابسهم منذ تلك الليلة. منذ ثلاث ليالٍ فقط... لكن القميص بدا وكأن إيان يلبسه منذ ثلاث سنين على الأقل، بل كان جيفري يشعر وكأن ثلاثة قرون انقضت منذ تلك الحفلة. منذ ثلاث ليالٍ فقط. قال جيفري في نفسه بالدهش أيله، قبل أن يبدأ

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

إيان من جديد بإطاره بالضربات على وجهه.

قال إيان وهو يقابل لكم وجه جيفري: صديقه الذي كان سيفديه بحياته، لو كان في حالته الذهنية الطبيعية: "دعني أذهب، عليك اللعنة!"

قال جيفري بهدوء: "هل تريد أن تُظهر حبك لها عن طريق التسبب بقتلها؟ إذا كنت تريد ذلك، فاقتلني أولاً، وبأية وسيلة ممكنة، يا صديقي العزيز".

ترددت يد إيان، عاد شيء قريب من التعقل إلى عينيه الطائشتين المرعوبتين.

تمتم إيان مثل رجل يتكلم في نومه: "يجب أن أذهب إليها. أنا آسف لأنني ضربتك يا جيفري، آسف فعلاً يا صديقي العزيز، وأنا متأكد بأنك تعرف ذلك، ولكن عليّ أن... فأنت تراها..." ونظر ثانية، وكأنه يريد البرمجة على قطاعة المنظر، وهوة أخرى حاول الاندفاع باتجاه المكان الذي تقف فيه ميزري مفيدة - يداها مرفوعتان فوق رأسها - إلى سارية وسط قسمة في الأدغال. كانت قيود البارون هايدزيغ الفولاذية - من الواضح أن البوركيين أعجبوا بها قبل أن يرسلوه إلى فم الصنم وإلى حتفه المريع - تلمع على معصميها وتثبتها إلى أوطأ غصن من شجرة الأوكاليبتوس، الشجرة الوحيدة في القسمة.

هذه المرة كان حزقيا هو الذي يمسك بإيان،

لكن الأمة تحركت مجدداً فنظر جيفري إلى القسمة وعلق نفسه في حلقه للحظة، كما تعلق قطعة من التسبيح في شوكة. فكّر جيفري في داخله: لسعة واحدة، لسعة واحدة وستكون النهاية بالنسبة لها.

قال حزقيا برباطة جأش، بالرغم من الرعب الذي يعتريه: "لا يا سيدي، عليك ألا تفعل ذلك. كما قال لك سيدي... إذا ذهبت إلى هناك، فسيستيقظ النحل من حلمه. وإذا استيقظ النحل، فلن يكون هناك فرق بالنسبة إليها إن ماتت بلسعة واحدة أم بألف لسعة. إذا استيقظ النحل من حلمه، فكلنا سوف نموت، لكنها ستكون الأولى، وستكون ميتتها الأكثر فظاعة".

بشكل تدريجي هدأ إيان بين الرجلين، أحدهما أسود والثاني أبيض، ثم أدار رأسه نحو القسمة مكرهاً وكأنه لم يكن يرغب بالنظر ولكن لم يكن باستطاعته منع نفسه.

"ماذا سنفعل من أجلها إذن؟ ماذا سنفعل من أجل حبيبتي المسكينة؟"

لا أعلم. كانت شفتا جيفري على وشك أن تنطقا بذلك، لكنه تمكن في آخر لحظة من إمساكهما عن الكلام، بالرغم مما يشعر به من ألم. وهذه ليست المرة الأولى التي يشعر فيها بأن هوس إيان بالمرأة، التي يحبها هو (ولو سراً) بقدر ما يحبها إيان، كان يسمح لإيان بالإفراط

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

في إبداء نوع غريب من الأنانية وإظهار تعلقه الهستيري بها في حين أنه كان يرغم نفسه على كبت كل ذلك. ففي النهاية، إنه - بالنسبة لبقية الناس - ليس سوى صديق ميزري.

نعم، مجرد صديقها، فكر في نفسه بسخرية لمسة هستيرية، ثم توجهت عيناه ثانية إلى الفسحة، إلى صديقته.

لم تكن ميزري تلبس أي قطعة من القماش، ومع ذلك أحس جيفري بأن حتى أكثر النساء الفروريات تحفظاً، ممن يذهبن إلى الكنيسة ثلاث مرات في الأسبوع، لا يمكنها أن تعيب عليها اللياقة الاحتشام. بل إن الحشمة الاقتراحية القديمة قد تهرب صارخة من رؤية ميزري. لم تكن ميزري تلبس أي قطعة من القماش، لكنها مع ذلك كانت بعيدة كل البعد عن العري.

كانت ترتدي ثوباً من الشعر من رؤوس أصابعها حتى قمة شعرها الكستنائي. كانت تبدو وكأنها تلبس ثوب راهبات غريب؛ غريب لأنه كان يتحرك ويتموج حول انثناءات جديها وركبيها بالرغم من عدم وجود أي أثر للنسيم. ويتنفس الطريقة، كان وجهها مغطى بخمار عربي محتشم. فقط عيناها الزرقاوان كانتا تبرزان من قناعها المصنوع من النحل الذي يزحف بتثاقل فوق وجهها مغطياً فمها وأنفها وذقنها وحاجبيها. والمزيد من النحل الأبرص الإفريقي العملاق، أشد أنواع

النحل فتكاً في العالم وأسوأه مزاجاً، كان يزحف ببطء فوق قيود البارون الفولاذية قبل أن ينضم إلى قفازي ميزري الخيين.

وبينما كان جيفري يراقب، كانت هناك أعداد متزايدة من النحل تطير إلى الفسحة من كل الاتجاهات، ولكن كان واضحاً بالنسبة إليه، بالرغم من حالته المشوشة، أن معظمها كان يأتي من جهة الغرب، حيث يقبع وجه الإلهة الحجري الأسود الكبير.

كان قرع الطبول ما يزال مستمراً بإيقاعه الرتيب الناعس، تماماً مثل طنين النحل. لكن جيفري كان يعرف كم هو مضلل هذا الصوت الناعس، لأنه رأى ما حصل للبارونة، وشكر الله لأنه أعفى إيان من رؤية ذلك المشهد... لأنه يعرف كيف تحول هذا الصوت المنوم فجأة إلى هدير مرعش كهرباني غاضب... صوت غطى في البداية على صرخات البارونة المتعذبة، ثم كتمها فعلياً. صحيح أنها كانت امرأة فارغة وسخيفة، وخطرة أيضاً، فهي كادت أن تتسبب بقتلهم عندما حررت ثعبان ستربنطفيلو، ولكن، سخيفة كانت أم لا، خطرة كانت أم لا، لا أحد يستحق أن يموت بهذه الطريقة.

رد جيفري في ذهنه سؤال إيان: ماذا سنفعل؟ ماذا سنفعل من أجل حبيبتنا المسكينة؟

قال حزقيال: "لا يمكننا فعل شيء يا سيدي،

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

ولكنهما ليست في خطر. طالما أنهم يقرعون الطبول، سيبقى النحل نائماً. والسيدة ستقام أيضاً".

في تلك الأثناء، أصبح النحل يغطيها مثل بطانية سميكة ومتحركة. كانت عيناها مفتوحتين لكنهما لا تريان شيئاً.

قال جيفري بصوت منخفض: "وماذا لو توقفت الطبول؟" وفي نفس اللحظة التي انتهى فيها من لفظ هذه الكلمات توقفت الطبول فعلاً.

4

توقف بول عن الكتابة فجأة، ونظر بذهول إلى السطر الأخير. ثم رفع الآلة الكاتبة (ظل مواظباً على رفعها مثل رافع أثقال غريب الأطوار أثناء وجود أني خارج الغرفة، ولا يعلم إلا الله لماذا) وهزها ثانية. خشخشت المفاتيح، ثم سقطت قطعة معدنية أخرى على النوع.

كان باستطاعته سماع صوت هدير آلة جز العشب لزوجاء اللامعة. كانت أني تجز العشب جيداً حتى لا يمتلك آل رويدمان القذرون أي شيء ليتكلموا عنه في البلدة.

أنزل الآلة الكاتبة، ثم هزها باتجاه الأعلى حتى يخرج تلك المفاجأة الجديدة. نظر إليها في ضوء الشمس القوي لفترة بعد الظهر دون أن تفارقه علائم عدم التصديق.

يبدو أن آلة الرويال القديمة كانت تنتقي ما تلفظه من جوفها بعناية بالغة، إذ إن الحرف الساقط الجديد هو حرف الألف، أكثر حروف اللغة استخداماً على الإطلاق.

نظر بول إلى التقويم. كانت الصورة تظهر مرجاً أخضر مزهراً

والتاريخ يشير إلى شهر أيار، لكن بول أصبح يحتفظ بتواريخه على ورقة خاصة به، والتاريخ وفقاً لتقويمه المنزلي الصنع كان 21 حزيران.

فكّر بول في داخله: *أطر أيام الصيف الكسولة المشرئبة المجلوبة هذه.* ثم رمى بمطرقة المفتاح باتجاه سلة المهملات.

حسناً، ماذا سأفعل الآن؟ فكّر بول، لكنه بالتأكيد كان يعرف ماذا سيفعل. الكتابة بيده. هذه هي الخطوة التالية.

ولكن، ليس الآن. فعلى الرغم من أنه كان يعمل بسرعة مثل بيت تلتهمه النيران قبل عدة ثوان فقط، متلهفاً لإيقاع إيان وجيفري وحرقيا المسلي في كمين اليوركيين من أجل نقل الفريق بأكمله إلى الكهوف الواقعة خلف وجه الصنم قبل النهاية المثيرة، إلا أنه أصبح فجأة يشعر بالتعب.

غداً.

سيكتب بيده غداً.

اللعنة على الكتابة باليد. اشتك إلى الإدارة يا بول.

لكنه لن يقدم على مثل هذا الشيء، لأن آني أصبحت غريبة الأطوار جداً مؤخراً.

كان يستمع إلى هدير آلة جز العشب الرتيب، فرأى ظلها، وتذكر - كما يحصل معه غالباً عندما يعتقد بأنها أصبحت غريبة الأطوار - صورة الفأس وهو يرتفع ثم يهوي، وصورة وجهها الميت والمفرغ، والملطخ بدمائه. الصورة كانت واضحة تماماً. كل كلمة قالتها، صوت صرخة أطلقها، صوت احتكاك الفأس بعظمته المبتورة عندما حررته منها. وكما كان يحصل معه غالباً، حاول أن يمنع هذه الذكرى، لكنه وجد نفسه متأخراً جداً.

بما أن الحبكة الحاسمة في رواية **سيارات سريعة** كانت تتعلق بحادث سيارة خطير كاد أن يودي بحياة تومي بوناسارو لدى محاولته الهاسة الأخيرة للفرار من الشرطة (وهذه أدت إلى الفصل الختامي،

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

الذي احتوى تحقيقاً شاقاً أجراه شريك الملازم غراي في غرفة ثوني في المستشفى)، التقى بول بعدد من ضحايا حوادث السير، سمع منهم أمراً واحداً يتكرر دائماً، وإن بصيغ مختلفة: *أتذكر دخولي إلى السيارة، وأتذكر استيقاظي هنا، ولا أذكر ما عدا ذلك أي شيء آخر.*

لماذا لم يحصل هذا الأمر معه؟

لأن الكتّاب يتذكرون كل شيء يا بول، وخاصة الأمور المؤلمة. جرّد كاتباً من ثيابه، وأشر إلى الندوب في جسده، وهو سيخبرك بقصة كل واحد منها حتى الندوب الصغيرة. أما الندوب الكبيرة، فستحصل على رواية، وليس فقدان ذاكرة. الموهبة شيء جيد إذا أردت أن تكون كاتباً، لكن الشرط الحقيقي الوحيد هو تلك القدرة على تذكر قصة كل جرح.

يتألف الفن من دوام الذاكرة.

من قال ذلك؟ توماس تشاز؟ ويليام فولكنر؟ سيندي لوبر؟

ذلك الاسم الأخير جلب معه رابطاً خاصاً به، رابطاً مؤلماً وحزيناً في ظل تلك الظروف: ذكرى سيندي لوبر وهي تغني بطريقتها الخاصة أغنية "الفتيات يردن أن يمرحن فقط". كانت واضحة جداً إلى درجة أنه أحس وكأنه كان يسمعها: *أوه، يا أبي العزيز، أنت ما زلت الأمير الذي/ لكن الفتيات يردن أن يمرحن فقط/ عندما تنتهي واجبات النهار/ الفتيات يردن أن يمرحن فقط.*

فجأة أحس برغبة شديدة في سماع أغنية روك أند رول، أقوى من رغبته بتدخين سيجارة عندما كان يدخن. أي شخص سينفع: جيسوس كرايست، تيد نوجنت؛ أي شخص.

الفأس يرتفع.

الفأس يهوي.

صوت همس الفأس.

لا تفكر في هذا الأمر.

5

بالرغم من أنه لم يمت ولم ينم، إلا أن الألم غاب عنه لفترة بعد أن بترت أنبي قدمه. كان يطوف في أفكار فقط، ويشعر بأنه قد تحرر من جسده، بالون من الفكر الصافي يرتفع بعيداً عن الخيط الذي يمسك به.

اللعنة، لماذا يزعج نفسه؟ لقد فعلت ما فعلته، ومنذ ذلك الحين لم يكن هناك سوى الألم والملل، تتخللهما نوبات مسعورة من العمل على كتابه الميلودرامي الغبي من أجل التخلص منهما. الأمر برمته لم يكن له أي معنى.

هذا غير صحيح، كلمة أخيرة حول هذا يا بول. إنه الخيط الذي يربط كل شيء ببعضه. خيط حقيقي جداً. ألا تراه يا بول؟

ميزري، بالطبع. هذا هو الخيط الذي يربط كل شيء ببعضه. لكنه سخيف، سواء أكان حقيقياً أم لا.

وماذا يعني ذلك؟ كانت ميزري موجودة خلال الأشهر الأربعة (أو ربما كانت خمسة) الماضية من حياته، صحيح، الكثير من ميزري، يوم مع ميزري يأتي ويوم مع ميزري ينتهي، ولكن، هذا شيء بسيط جداً، من المؤكد -

أوه، لا يا بول. لا شيء بسيط في ما يتعلق بميزري. باستثناء أنك مدين بحياتك لها... ربما لأنك كنت مثل شهرزاد كما تبين في نهاية المطاف، أليس كذلك؟

حاول ثانية أن يبعد هذه الأفكار عنه لكنه لم يستطع. فالذاكرة كانت تعمل، والجروح تريد أن تمرح فقط. ثم خطرت بذهنه فكرة غير متوقعة، فكرة جديدة فتحت درباً جديداً من التفكير.

الأمر الذي تغفله دائماً - لأنه واضحاً تماماً - هو أنك كنت، وما تزال، تلعب دور شهرزاد مع نفسك أيضاً.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

مرّ ظل آني ثم اختفى من جديد.

هل كان ما يفكر به صحيحاً؟

شهرزاد مع نفسي؟

إذا كان ذلك صحيحاً، فهو كان يواجه نوعاً من الغباء المطلق، لأن ذلك يعني أنه بدون بحياته إلى حقيقة أنه كان يريد أن ينهي الكتاب للعين الذي أرغمته آني على كتابته. كان ينبغي أن يموت... لكنه لم يستطع. ليس قبل أن يعرف كيف ستنتهي القصة.

يا الله من مجنون لعين؟

هل أنت متأكد؟

لا. لم يعد متأكداً من أي شيء.

باستثناء شيء واحد فقط، وهو أن حياته كلها كانت معلقة بميزري.

ترك ذهنه يُحلّق.

الغيمة، ابدأ بالغيمة.

6

كانت الغيمة هذه المرة قاتمة أكثر، وكثيفة أكثر، وإلى حدٍّ ما داعمة أكثر. كان يحس بالانزلاق، وليس بالتحليق. أحياناً كانت تأتيه الأفكار، وأحياناً أخرى كان يشعر بالألم، وأحياناً كان يسمع صوت آني بشكل غير واضح، صوتاً يشبه صوتها عندما كانت المخطوطة المحترقة في حوض الثواء تهدد بالخروج عن السيطرة، كان يسمعها تقول له: "اشرب يا بول... ينبغي عليك أن تشرب!"

ينزلق؟

لا.

لم يكن هذا هو الفعل الصحيح. الفعل الصحيح هو يغرق. تذكر

بول اتصالاً هاتفياً أتاه في الثالثة فجراً عندما كان في الجامعة. كان مراقب الطابق الرابع من مسكن الطلبة يدق بعنف على بابه، ويخبره بأن يأتي ويجيب على الهاتف للعين. كانت أمه المتصلة. *تعال بأسرع ما تستطيع يا بولي. أصيب أبوك بجلطة دماغية حادة. إنه يغرق.* جاء بول بالفعل بأقصى سرعته، مرغماً سيارته الفورد القديمة على السير بسرعة سبعين ميلاً في الساعة بالرغم من اهتزاز مقدمتها التي صممت من أجل سرعات أقل من ذلك. ولكن، كل هذا كان بلا جدوى، لأنه عندما وصل إلى هناك، لم يعد أبوه يغرق بل غرق وانتهى الأمر.

كم اقترب هو نفسه من الغرق في ليلة الفأس تلك؟ لم تكن لديه أدنى فكرة. لكن حقيقة أنه لم يشعر تقريباً بأي ألم خلال الأسبوع الذي تلا عضة البقر كانت مؤشراً واضحاً إلى مدى قربه من الغرق. أضف إلى ذلك الذعر الذي بدا على صوتها.

كان يرقد في سريره نصف فاقد للوعي، منتفخاً بصعوبة بسبب الآثار الجانبية للدواء على الجهاز التنفسي، وكيس الغلوكوز يقطر داخلاً عبر أوردة ذراعيه من جديد. وما أخرجه من تلك الحالة هو قرع الطبول وطنين النحل.

طبول البوركا.

نحل البوركا.

أحلام البوركا.

حلم عن الإلهة، وجه الإلهة، سواد منذر بالخطر يلوح فوق خضرة الغابة. إلهة سوداء، قارة سوداء، رأس حجري مليء بالنحل. وكانت هناك صورة طغت على كل هذه الصور، وكانت تزداد وضوحاً مع مرور الأيام. كانت صورة فسحة فيها شجرة لوكالبيتوس قديمة ووحيدة. وكانت هناك قيود فولاذية قديمة الطراز مطلية بمادة مانعة للصدأ معلقة من أوطأ أغصانها. وكان النحل يغطي القيود، لكنها كانت فارغة. والقيود فارغة لأن ميزري —

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

– هربت؟ هربت، أليس كذلك؟ أليس هذا ما يُفترض أن تنتهي إليه القصة؟

هذا ما كان يجب أن تنتهي إليه، لكنه الآن لم يعد متأكداً تماماً. هل هذا ما تعنيه تلك القيود الفارغة؟ أو هل تم نقلها إلى مكان آخر؟ هل نُقلت إلى داخل أصنم؟ هل أُخذت إلى ملكة النحل، ملكة شعب البوركا؟

كنت تلعب دور شهرزاد مع نفسك أيضاً.

من أجل من تخبر هذه القصة يا بول؟ لمن تخبرها؟ لأني؟

بالتأكيد لا. لم يكن ينظر خلال تلك الحفرة في الورقة لكي يرى أني، أو يرضي أني... كان ينظر خلالها للهرب من أني.

كان الألم قد بدأ من جديد، والحكاك أيضاً. وبدأت الغيمة تتفرق وتتبدد. ثم بدأ يرى الغرفة بين الحين والآخر، ويرى أني. لكنه كان قد قرر مسبقاً بأنه سيعيش. جزء منه قرر بأنه لن يموت قبل أن يرى كيف ستنتهي القصة. يبدو أن هذا الجزء أدمن على الحلقات المتسلسلة مثل أني عندما كانت طفلة.

هل نجحت في الفرار بمساعدة إيان وجيفري؟

أو هل نُقلت إلى داخل رأس الإلهة؟

سؤالان سخيفان، لكنهما كانا في الواقع بحاجة للإجابة عنهما.

7

في البداية، لم تكن تريده أن يعود إلى العمل. كان باستطاعته إدراك مدى الرعب الذي كانت تعيشه من خلال النظر في عينيها القلقتين والعصبيتين. كان باستطاعته إدراك مدى قربه من الغرق. كانت تعتني به بطريقة مبالغ بها، فتغير الضمادات كل ثماني ساعات (في البداية، كانت تغيرها كل أربع ساعات، أخبرته ذلك بطريقة من يعرف بأنه لن يحصل على مبدالية مقابل ما فعل؛ مع أنها كانت تستحق

واحدة)، وتنظف جسده بواسطة إسفنجة وتمسحه بالكحول، وكأنها كانت تريد أن تكفّر عما فعلت. قالت له حينئذ بأن العمل سوف يؤذيه.

سيؤذيك يا بول. لن أقول لك هذا إن لم يكن صحيحاً، صدّقني. على الأقل إنك تعلم ماذا سيجري؛ أموت لكي أعرف ماذا سيجري تالياً. لقد تبيّن له أنها قرأت كل ما كتبه – قبل عمليته الجراحية، يمكنك القول – في الوقت الذي كان هو فيه قاب قوسين أو أدنى من الموت. لم يكن قد ملأ أحرف النون الناقصة في الأربعين صفحة الأخيرة، ففعلت هي ذلك عنه. لقد أرته إياها بنوع من الفخر المتحدي، وكانت محقة في تباهيها لأن أحرفها كانت مرتبة وأنيقة بعكس أحرفه هو التي كانت معوجة ومشوهة.

كان بول يعتقد بأنها ملأت أحرف النون بنفسها إما لأنها تريد أن تظهر له مدى عدائيتها به – *كيف يمكنك أن تقول بأنني قاسية معك يا بول عندما ترى كل هذه الأحرف التي كتبتها بيدي؟* – أو لأنها تريد أن تكفّر عما فعلت، أو ربما فعلت ذلك كجزء من طقس شبه خرافي: ما يكفي من تغيير الضمادات، وما يكفي من التنظيف بواسطة الإسفنجة، وما يكفي من الفرك بالكحول، وما يكفي من ملء أحرف النون، وسيعيش بول. *امرأة النحل تحضر سحراً قوياً، يا رجل، إنها تملأ أحرف النون اللعينة وكل شيء سيصبح على ما يرام من جديد.*

هكذا بدأت أني، لكن الحاجة سرعان ما توضحت. كان بول يعرف كل العوارض. فعندما قالت بأنها كانت ستموت لكي تعرف ماذا سيجري تالياً، فإنها كانت تعني ما تقوله.

لأنك بقيت على قيد الحياة من أجل اكتشاف ما سيجري تالياً، أليس هذا ما تريد قوله؟

كان بول يعتقد بأن ذلك صحيح.

الحاجة.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

8

كنت تلعب دور شهرزاد مع نفسك أيضاً.

هذه الفكرة بالذات لم يكن قادراً على فهمها ولا حتى على نطقها، لأنه كان يعيش في أتم فظيع. ولكن، في أعماق عقله الباطن، كان يعرف بكل تأكيد.

هدرت آلة جز العشب بصوت أعلى. ظهرت آني له للحظات. نظرت إليه فرأته ينظر إليها بدوره. رفعت يدها، فرفع يده بدوره؛ اليد التي ما يزال الإبهام فيها.

استطاع أخيراً أن يقنعها بأن عودته إلى العمل ستجعله يتقدم وليس العكس. كان مسكوناً بتلك الصور التي أغرته للخروج من الغيبة. وكلمة مسكون هي الكلمة الصحيحة، لأن تلك الصور كانت مجرد ظلال غامضة قبل أن تُكتب على الورق وكانت بحاجة لمن يفك رموزها.

وبالرغم من أنها لم تصدقه، إلا أنها سمحت له بالعودة إلى العمل، وذلك لنفس السبب الذي دعاه هو للعودة: الحاجة. كانت تتحرق لكي تعرف ماذا سيجري تالياً.

في البداية كان باستطاعته العمل لفترات قصيرة؛ خمس عشرة دقيقة، أو نصف ساعة إذا كانت القصة تتطلب منه ذلك. ولكن، حتى تلك الفترات القصيرة كانت مؤلمة جداً. إذ إن أدنى تغيير في الوضعية كان يتسبب بإشعال النار في مكان البتر كما تشعل هبة نسيم جمرة مدخنة. وعلى الرغم من أن الألم كان فظيعاً أثناء الكتابة، إلا أنه لم يكن الأسوأ، فالأسوأ كان يحدث بعد ساعة أو ساعتين، عندما تجتاحه موجات من الحكاك الباعث على الجنون صادرة من مكان البتر المتماثل للشفاء.

لقد كان محقاً، وليس هي. فعلى الرغم من أن يتماثل للشفاء تماماً، إلا أن صحته تحسنت بالفعل كما استعاد بعضاً من قوته. كان مدركاً بأن أفق اهتمامه تقلص، لكنه تقبّل هذا الأمر باعتباره ثمناً لتقلّه

على قيد الحياة. فتجاته كانت أعجوبة حقيقية بالفعل.

جلس بول أمام الآلة الكاتبة التي تزداد أسنانها بشاعة، مفكراً في المرحلة التي تميزت بالعمل أكثر مما شهدته من أحداث. وفجأة هز رأسه. نعم، كان يعتقد بأنه يلعب دور شهرزاد مع نفسه، تماماً كما كان يفعل عندما كان يمسك بقضيبه ويمارس العادة السرية على وقع تخيلاته المثيرة، وكأنه كان هو نفسه امرأة أحلامه الخاصة به. بالطبع، لم يكن يول بحاجة لطبيب نفسي ليقول له بأن الكتابة تمتلك خاصية الإرضاء الجنسي الذاتي، مع فرق وحيد هو أنك تلمس الآلة الكاتبة بدلاً من جسدك، لكن كلا الفعلين يعتمدان إلى حدٍّ كبير على البراعة وسرعة اليدين والإخلاص العميق لفن الإرضاء.

ومهما عن آني؟ هل كان هناك أي نوع من الجنس، حتى لو كان أكثر لكزاته جفافاً؟ عندما بدأ الكتابة من جديد، لم تكن آني تقاطعه أثناء العمل، لكنها كانت تأخذ حصيلة عمل كل يوم حالما ينتهي منه، ظاهرياً كي تملأ الأحرف الناقصة، ولكن واقعياً كي تحصل على حاجتها. وهو كان يعلم ذلك جيداً، مثل رجل حاذق جنسياً، يعرف أياً من رفيقاته اللواتي يواعدهن سوف تمارس الجنس معه في نهاية السهرة وأيهن لن تفعل.

بدأت فترات جلوسه أمام الآلة الكاتبة تتسع بشكل تدريجي مع تراجع الألم واستعادته لبعض من قدرته على التحمل... لكنه في النهاية لم يكن قادراً على الكتابة بالسرعة الكافية لإرضاء مطالبها.

إن الحاجة التي حافظت عليهما معاً على قيد الحياة – بالفعل، لأنه بدونها، من المؤكد أن آني كانت ستقتله أولاً ومن ثم ستقتل نفسها قبل زمن طويل – كانت هي أيضاً السبب في فقدان إيهامه. كان أمراً فظيعاً، لكنه في ذات الوقت كان مضحكاً بعض الشيء.

تحلَّ ببعض السخرية يا بول. إنها مفيدة لصحتك.

وفكّر كم كان الأمر يمكن أن يكون أشد سوءاً.

يمكن أن يكون قضيبه هو الذي بُتر، على سبيل المثال.

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

وأنا لا أملك إلا واحداً فقط. ضحك بول بشكل هستيري في الغرفة الفارغة أمام آلة الرويال الكريهة بتكشيرتها التي تظهر أسنانها الناقصة. ضحك حتى آلمته معدته ومكان البتر معاً. ضحك حتى آلمه عقله. وفي لحظة معينة، تحول الضحك إلى بكاء جاف فظيع ليقظ الوجع حتى في ما تبقى من إبهامه الأيسر، عندئذ توقف عن الضحك. فتساءل في نفسه هل بات قريباً من حافة الجنون.

لا يهم.

9

ذات يوم – ربما قبل أقل من أسبوع من قطع الإبهام – جاءت آني إلى الغرفة حاملة صحنين كبيرين من البوظة بالفانيليا، وعلبة من شراب الشوكولاته، وعلبة مضغوطة من زيدي ويب، وإبريقاً من شراب الكرز الحلو تسبح فيه حبات الكرز الحمراء مثل مخلوقات بيولوجية.

قالت آني: "فكّرت بأن أصنع البوظة بالفانيليا لكلينا يا بول". كانت نبرة صوتها ودودة بشكل مزيف، فلم تعجبه تلك النبرة ولا نظرتها القلقة أيضاً التي كانت وكأنها تفصح عما في داخلها: *أنا فتاة شريرة.* فرفع بول هوائياته. لم يكن عسيراً عليه أن يتخيل أني تبدو بنفس الشكل تماماً عندما وضعت كومة من الملابس على بعض الدرجات وقطة ميتة على بعضها الآخر.

"لماذا، شكراً لك آني". كان يراقبها وهي تصب الشراب وتنفخ غيمتين كبيرتين من القشدة المخفوقة من العلبة المضغوطة. لقد أدت هاتين الحركتين باليد الثقيلة المتدربة لمدة قديمة على الأطعمة الحلوة.

"لا داعي للشكر، أنت تستحقها. فقد كنت تعمل بجد".

أعطته صحن البوظة بالفانيليا الخاص به. وبعد اللقمة الثالثة، أحس بالتخمة من فرط حلاوتها، لكنه استمر بالأكل. من الحكمة أن

يفعل ذلك. *عندما تقدم آني لك الحلوى، من الأفضل لك أن تأكل.* ساد الصمت لفترة قصيرة، إلى أن وضعت آني ملعقتها على الطاولة، ومسحت مزيجاً من شراب الشوكولاته وقطعة من البوظة من على ذقنها بمؤخرة يدها، وقالت: "أخبرني بقية القصة".

وضع بول ملعقته وقال: "عفواً؟"

"أخبرني بقية القصة. لا يمكنني الانتظار. لا أستطيع".

ألم يكن يعلم بأن هذا سيحصل؟ نعم، بالتأكيد. لو قدم شخص ما الحلقات العشرين كلها من الفيلم المتسلسل الجديد لرجل الصاروخ، هل كانت ستنتظر، مقتنعة بفتح طرد واحد كل أسبوع، أو حتى كل يوم؟

لا. آني لم تكن من النوع الذي ينتظر. كانت ستشاهد الحلقات العشرين كلها في ليلة واحدة، حتى لو تسبب ذلك بإجهاد عينيها وبألم شديد في رأسها.

لأن آني تحب الأشياء الحلوة.

قال بول: "لا يمكنني أن أفعل ذلك".

أظلم وجهها فجأة، ولكن ألم يظهر عليها شيء من الارتياح أيضاً؟ أم لا؟

"لأنني قاص سيئ".

ازدردت ما بقي من البوظة في خمس ملاعق مليئة منها، ثم وضعت صحنها ونظرت إليه بغضب، ليس لأنه بول شيلدون العظيم، بل لأنه تجرأ على انتقاد بول شيلدون العظيم.

"إذا كنت هذا القاص السيئ، فكيف حققت كتبك أعلى المبيعات وكيف يحب ملايين الناس الكتب التي تؤلفها؟"

"أنا لم أقل بأنني كاتب قصص سيئ، في الحقيقة إنني أعتقد بأنني جيد جداً في هذا الشأن، بل قلت بأنني قاص سيئ".

"إنك تختلق عذراً سمجاً فقط". ازداد وجهها اسوداداً. ووضعت يديها المقبوضتين بقوة على جانبي تنورتها. عاد الإعصار آني. كل

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

شيء مضى عاد من جديد. باستثناء أن الأشياء لم تعد كما كانت في السابق. فعلى الرغم من أنه كان مرعوباً منها، إلا أن سيطرتها عليه كانت قد تقلصت، إذ لم تعد حياته تعني الكثير له الآن، مع حاجة أو بدون حاجة. كل ما كان يخشاه هو أن تقدم على إيذائه.

قال بول: "إنه ليس عذر. الثيران يشبهان الترتقال والتفاح يا آني. الناس الذين يقصون الحكايات في العادة لا يستطيعون كتابة الحكايات. فإذا كنت تظنين أن الذين يكتبون القصص يمكنهم التكلم بشكل جيد، فما عليك إلا أن ترى مقابلة مع أحد الروائيين المذهلين في برنامج توداي".

قالت آني بوجه عابس: "حسناً، لا أريد أن أنتظر. لقد صنعت لك تلك البوظة الجميلة وأقل ما يمكن أن تفعله هو أن تخبرني ببعض الأشياء. لا أريد القصة بأكملها، ولكن... هل قتل البارون كاشورب؟ هذا أمر أتشوق لمعرفته. وماذا فعل بالجثة في حال أنه هو من قتله؟ هل هي مقطعة وموضوعة في الحقيبة التي لن تدعها زوجته تغيب عن ناظريها؟ هذا ما أظنه".

هز بول رأسه، ليس للدلالة على أنها كانت مخطئة في ظنها بل للدلالة على أنه لن يخبرها.

ازداد وجهها حنقاً وغيظاً، لكن صوتها ظل لطيفاً. "إنك تثير غضبي، تعرف ذلك، أليس كذلك يا بول؟"

"بالطبع أعرف، لكنني لا أستطيع".

"بإمكاني أن أجعلك تستطيع. بإمكاني أن أجعلك تستطيع. يمكنني أن أجعلك تخبرني". لكنها بدت محبطة، وكأنها كانت تعرف بأنها لا تستطيع فعل شيء. يمكنها أن تجعله يقول بعض الأشياء، لكنها لا تستطيع أن ترغمه على إخبارها بالقصة.

"آني، هل تذكرين عندما أخبرتني بما يقوله الطفل الصغير لأمه حين تجده يلعب بسائل التنظيف تحت المغسلة وترغمه على التوقف؟ مامي، أنت لئيمة! أليس هذا ما تقولينه الآن؟ بول، أنت لئيم؟"

"إذا أثرت غضبي أكثر من ذلك، فلا أعدك بأنني سأكون مسؤولة عن تصرفاتي". بالرغم من قولها هذا، فقد أحس بأن الأزمة قد مرت. إنها حساسة بطريقة غريبة لقواعد السلوك والانضباط هذه.

"حسناً، علي أن أخاطر، لأنني مثل تلك الأم. أنا لا أقول ذلك لأنني أريد أن أكون لئيماً، أو لأنني أريد أن أحقرك، أقول لا لأنني أريد فعلاً أن تحبني القصة... وإذا أعطيتك ما تريدين، لن تحبيها، ولن تريديها بعد ذلك". ثم قال في نفسه: *وبعد ذلك، ماذا سيحدث لي يا آني؟*

"على الأقل أخبرني إذا كان الزنجي حرفياً بالفعل يعرف مكان والد ميزري! أخبرني ذلك على الأقل!"

"هل تريدين الرواية أم تريدين أن أجيب على قائمة أسئلة؟"

"لا تتكلم معي بهذه اللهجة الساخرة!"

فصرخ في وجهها: "إذاً، لا تدّعي بأنك لا تفهمين ما أقوله!"

انكمشت آني من الدهشة وتبددت كل ملامح الغضب في وجهها.

"كل ما تريدينه هو شق بطن الأوزة الذهبية! هذا ما تريدينه. ولكن، عندما فعل المزارع ذلك في القصة في نهاية المطاف، لم يحصل إلا على أوزة ميتة ومجموعة من الأحشاء لا قيمة لها!"

"حسناً، حسناً يا بول. هل ستنهي صحن البوظة؟"

"لا. لا يمكنني أن آكل المزيد".

"فهمت. لقد أزعجتك. أنا آسفة. أعتقد بأنك محق. كنت مخطئة في سؤالي". عادت إلى هدوئها من جديد. توقع أن يتلو هذا الهدوء فترة أخرى من الاكتئاب أو الغضب، ولكن لم يحدث أي من هذا.

عاد الاثنان إلى روتينهما القديم. بول يكتب، وآني تقرأ حصيلة كل يوم. ومضى وقت كاف بين المشاجرة وقطع الإبهام جعل بول ينسى الرابط بينهما.

حتى الآن.

كان بول ما يزال ينظر إلى الآلة الكاتبة ويصغي إلى هدير آلة جز

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

العشب. بدا له أن صوتها أصبح خافتاً، دون أن يدرك بأن السبب في ذلك لم يكن لأن آني كانت تبتعد، بل لأنه هو من كان يبتعد. كان نصف نائم. أصبح يفعل ذلك كثيراً مؤخراً، مثل عجوز خرف في دار للعجزة.

لقد تذمرت بخصوص الآلة الكاتبة. ليس كثيراً، لقد تذمرت بشأنها مرة واحدة فقط. ولكن مرة واحدة كافية، أليس كذلك؟ بل أكثر من كافية. حدث ذلك... متى؟ – بعد أسبوع من جلبها صحن البوظة الكريه؟ تقريباً. أسبوع واحد وتذمر واحد فقط. حول مسألة أن تقر ذلك المفتاح الفارغ كان يثير جنوني. حتى أنني لم أقترح أن تجلب آلة كاتبة مستخدمة أخرى من محل نانسي هورمولغر، أو مهما كان اسم تلك المرأة، آلة كاتبة بمفاتيح كاملة. قلت فقط بأن تلك النقرات على المفاتيح الفارغة كانت تثير جنوني، وبعد ذلك، لا أعرف متى بالضبط تغيرت فجأة. وماذا عن قطع ايهامي الأيسر، في لحظة أتذكرها وفي لحظة أخرى أنساها. ما عدا أنها لم تفعل ذلك فقط لأنني تذمرت من الآلة الكاتبة، أليس كذلك؟ لقد فعلت ذلك لأنني قلت لها لا وكانت مضطرة للقبول. كان فعل غضب. والغضب ناتج عن الإدراك. أي إدراك؟ إدراك أنها لم تكن تمسك بكل الأوراق في يدها بالرغم من كل شيء. إدراك أنني كنت أملك سيطرة سلبية معينة عليها؛ قوة الحاجة. لقد تبين أنني شهرزاد جيدة جداً بالرغم من كل شيء.

كان أمراً مجنوناً، ومضحكاً، وحقيقياً أيضاً. الملايين من الناس قد يشعرون بالاشمئزاز، ولكن فقط لأنهم لا يستطيعون أن يدركوا مدى قوة وانتشار سيطرة الفن على الناس. فربّات البيوت يرسمن مخططاتهن حول المسلسلات الدرامية التلفزيونية في فترة بعد الظهر. وإذا كن عاملات فإنهن يجعلن من شراء جهاز لتسجيل الفيديو أولوية عليا حتى يتمكنّ من مشاهدة نفس هذه المسلسلات في الليل.

وهناك حالة صديقه غاري روندمان، الذي كان يعمل في المكتبة العامة في باولدر. عندما مر بول لرؤية غاري ذات يوم، وجد ستانر

منزله مسدلة وبابه مغطى بقماش أسود مزغب. أحس بول بالقلق، فدق على الباب بقوة حتى أجاب غاري عليه. *ارحل، أنا أشعر بالإحباط اليوم. لقد توفي شخص ما، شخص يهمني.* وعندما سأله بول من هو ذلك الشخص، أجابه غاري بصمم: فان در فالك. سمع بول صوت خطوات غاري وهو يبتعد عن الباب، وعلى الرغم من أنه دق ثانية إلا أن غاري لم يفتح. تبيّن لاحقاً لبول بأن فان در فالك هو محقق خيالي ابتدعه – ثم قتله – كاتب يدعى نيكو لامس فريلينغ.

أقنع بول نفسه بأن رد فعل غاري كان أكثر من مزيف، مجرد ادعاء تمثيلي. واستمر على هذا الاقتناع حتى العام 1983، عندما قرأ رواية **العالم وفقاً لغارب**. ارتكب خطأً جسيماً بقراءة المشهد الذي يموت فيه ابن غارب الأصغر، مخوزقاً على ذراع تغيير التروس، قبل النوم مباشرة. لم يبارح المشهد مخيلته أبداً تلك الليلة. ورغم أنه كان يدرك بأن الحزن على موت شخصية خيالية كان أمراً سخيفاً للغاية، إلا أن إدراكه هذا لم يساعده في شيء أثناء تقلبه في الفراش، مما جعله يتساءل ما إذا كان صديقه غاري روندمان جاداً بالفعل في حزنه على موت فان در فالك. كما تذكر أيضاً حادثة حصلت معه عندما كان في الثانية عشرة من عمره. فبعد انتهائه من قراءة قصة ويليام غولدينغ: سيد الذباب، ذهب بول إلى البراد كي يشرب كأساً باردة من الليموناضة، فإذا به يغير الاتجاه فجأة ويسرع خطواته نحو الحمام، حيث انحنى فوق المرحاض وتقيأ.

عندئذ تام بول.

10

في هذه الأيام، أصبح بول يغفو في النهار مثل الرجال المسنين، بشكل مفاجئ وأحياناً في أوقات غير مناسبة. وينام مثل الرجال المسنين

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

أيضاً، أي يدام ولا يفصله عن عالم الصحو سوى غشاء رقيق جداً. لم يتوقف عن سماع صوت آلة جز العشب، لكن صوتها أصبح أعمق، وأخشن، وأشد بتراً: صوت سكين كهربائية.

حسناً، إذا كان يزعجك كثيراً، فسأضطر أن أعطيك شيئاً يبعد عن ذهنك حرف النون. هذا ما قالته له قبل أن تغادر الغرفة. سمعها تفتش بين الأغراض في المطبخ، ترمي بعضها، وتشتم بلغة آني ويلكس الغريبة. وبعد عشر دقائق، عادت مع إبرة، والبيتادين، والسكين الكهربائية. بدأ بول بالصراخ على الفور. لقد أصبح مثل كلاب بافلوف. عندما كان بافلوف يرن الجرس، كانت الكلاب تفرز اللعاب. وعندما دخلت آني إلى غرفة نوم الضيوف مع حقنة وزجاجة بيتادين وأداة قطع حادة، بدأ بول بالصراخ. وصلت السكين الكهربائية بمأخذ كهربائي بجانب كرسيه المتحرك فبدأ بالصراخ مجدداً وإعطاؤه الوعود بأنه سيكون مطيعاً إلى الأبد. وعندما حاول الابتعاد عن الحقنة، قالت له بأن لا يتحرك ويكون مطيعاً لأن ما سيحصل يمكن أن يحصل بدون أي نوع من التحذير. وعندما استمر بمحاولة التملص من الإبرة والنشيج والتوسل، قالت له بأنها قد تضطر لاستخدام السكين على رقبته.

عندئذ، توقف بول عن الحراك وسمح لها بإعطائه الحقنة. هذه المرة انصب البيتادين على إبهام يده اليسرى وعلى نصل السكين. عندما شغّلت السكين وبدأ النصل بالتحرك بسرعة إلى الأمام والخلف تطاير البيتادين في رذاذ أحمر في الهواء بدت بأنها لم تلاحظه. وفي النهاية، بالطبع، تطاير رذاذ أشد حمرة في الهواء أيضاً. لأنه عندما تقرر آني شيئاً فهي تقوم به. لم تكن آني من النوع الذي يتأثر بالتوسل. ولم تكن من النوع الذي يتأثر بالصراخ. كانت آني تملك شجاعة قناعاتها.

عندما بدأ النصل المرتجف ينغرز في اللحم الطري بين الإبهام الذي سيموت عما قريب وإصبعه الأول، أكدت له ثانية بصوتها

الأمومي الهش بأنها كانت تحبه.

بعد ذلك، في تلك الليلة...

إياك لا تحلم يا بول. إياك تفكر في أشياء لا تجرؤ على التفكير بها عندما تكون صاحياً. أفق يا بول. أفق بحق الله يا بول!

لكنه لم يستطع.

قطعت إيهامه في الصباح وفي ذلك المساء دخلت بفرح إلى الغرفة حيث كان يجلس دائخاً من المخدر والألم، ويده اليسرى ملفوفة بالضماد ومشدودة إلى صدره. دخلت تحمل كعكة بيدها وهي تصيح "عيد ميلاد سعيد"، بالرغم من أنه ليس يوم مولده. كانت هناك شموع عديدة فوق الكعكة وفي منتصفها بالضبط برز شيء متجمد يشبه شمعة إضافية كبيرة؛ إنه إبهامه الميت. كان ظفره محزّز قليلاً لأنه كان ينضمه بأسنانه عندما كان يبحث عن كلمة معينة في ذهنه ولا يجدها. قالت له: "إذا وعدتني أن تكون مطيعاً يا بول، يمكنك أن تأكل قطعة من كعكة عيد ميلادك دون أن تضطر إلى أكل أي من الشموع الخاصة". فوعدها بول بأنه سيكون مطيعاً لأنه لم يكن يريد أن يُرغم على أكل أي من الشموع الخاصة. أرجوك أني لا تدعيني أكل إبهامي... آني الأم، آني الإلهة... عندما تكون آني موجودة من الأفضل لك أن تكون صادقاً؛ لأنها تعرف عندما تكون نائماً، لأنها تعرف عندما تكون صاحياً وتعرف عندما تكون شقياً وعندما تكون مطيعاً، فلتكن مطيعاً بحق الإلهة، من الأفضل لك ألا تبكي من الأفضل لك ألا تعبس ولكن، أهم شيء هو ألا تصرخ لا تصرخ لا تصرخ لا تصرخ.

لم يصرخ.

والآن، عندما استيقظ، صرخ مع رجفة تسببت بالألم في كل أنحاء جسده، رغم أن شفتيه كانتا مضمومتين بقوة – دون إدراك منه – كي يبقي صرخته داخله، ورغم أن عملية قطع الإبهام حدثت منذ ما يزيد عن شهر.

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

كان مشغولاً جداً بعدم الصراخ إلى درجة أنه لم ير لوهلة الشيء الذي كان يقترب من الطريق الفرعي، وعندما شاهده، اعتقد في البداية بأنه سراب.

كانت سيارة شرطة تابعة لولاية كولورادو.

11

بعد قطع إبهامه، مرت على بول فترة مشوشة كان العمل الوحيد الذي استطاع إنجازه خلالها، إضافة إلى عمله على الرواية، هو الاستمرار في تدوين الأيام. لقد أصبح مهووساً بها إلى درجة أنه في بعض الأحيان كان يتفق دقائق في إعادة إحصائها للتأكد من أنه لم يغفل عن أي يوم.

لقد قام بعمل جيد جداً في الكتاب بعد فقدان قدمه؛ خلال الفترة التي دعتها آني "فترة تعافيه". لا، جيد جداً هو تواضع زائف، إذا كان هناك من تواضع زائف. لقد عمل بشكل رائع بالنسبة لرجل كان يجد في السابق استحالة في الكتابة إذا نفثت منه السجائر أو إذا كان ظهره يؤلمه أو رأسه. في الحقيقة، كان من الممكن القول بأنه أنجز عملاً بطولياً، لكنه كان يعتقد بأن الهرب هو السبب في واقع الأمر، فالألم كان فظيعاً بحق. وعندما بدأت عملية التماثل للشفاء بالفعل، جاء الحكاك الذي جعله يعتقد بأنه كان أشد فظاعة من الألم بما لا يقاس.

لكنه استمر بالعمل بالرغم من كل ذلك.

ولم تتكاثر كرات الأوراق المرمية في سلة المهملات مجدداً إلا بعد عملية قطع الإبهام وكعكة عيد الميلاد الغريبة تلك. غريب، يفقد قدماً، ويشرف على الموت، ويستمر في العمل. يفقد إبهاماً، فيعاني من مشكلة؟ ألم يكن من المفترض أن يكون الأمر معاكساً؟

حسناً، في الحقيقة، لقد أصابته حمى جعلته يلازم الفراش لمدة

أسبوع كامل. لكنها لم تكن حمى من النوع الخطير، إذ إن أعلى درجة بلغها كانت 100.7 فهرنهايت. من الأرجح أنها حدثت بسبب حالة بول النفسية المحيطة وليس بسبب التهاب ما، وفي كل الأحوال، مثل هذه الحمى لم تكن لتشكل أي مشكلة بالنسبة لآني، فهي كانت تملك – من بين تذكاراتها العديدة الأخرى – الكيفلاكس والأمبيسيلين. أعطته آني الدواء فتحسن. ولكن، مع ذلك، كان يحس بأنه ليس على ما يرام. كان يشعر وكأنه فقد مكوناً حيوياً ما. حاول إلقاء اللوم على الحرف n الناقص، لكنه كان قد تدرع به من قبل، وفي الحقيقة، ماذا يعني فقدان حرف بالمقارنة مع فقدان قدم، والآن، فقدان إبهام؟

في الواقع، ما حدث بعد قطع الإبهام والحمى التي تلته كان واضحاً تماماً. بدأت لعبة الكتاب تصبح أكثر تعقيداً وإسهاباً – لم تصبح محاكاة ذاتية، ليس تماماً، لكنها كانت سائرة بثبات في هذا الاتجاه وكان عاجزاً عن إيقاف ذلك – ثم بدأت الأخطاء تتكاثر، حيث أصبح البارون هو الفايكونت في رواية غاية ميزري طوال ثلاثين صفحة، مما اضطره إلى العودة ثانية وتمزيق كل شيء.

كان يقول لنفسه مراراً قبل أن تلفظ الرويال حرف التاء ثم حرف الألف: *بضعة أيام أخرى يا بول، فقد أوشك هذا الشيء الملعون على الانتهاء*. ورغم أن العمل على الكتاب كان أشبه برحلة من العذاب المتواصل، إلا أن إنهاءه كان يعني نهاية حياته. لكن حياته فيما يبدو كانت قد بدأت تفقد جاذبيتها بالنسبة إليه، وهذا ربما يفسر انحدار حالته الجسدية والعقلية والروحية. وعلى الرغم من كل شيء، استمر الكتاب. صحيح أن الانقطاعات في هذه الاستمرارية كانت مزعجة، إلا أن تأثيرها كان ثانوياً. فقد كان يعاني أكثر من مشاكل في الخيال، بحيث أصبحت لعبة "هل يمكنك؟" واجباً شاقاً بدلاً من أن تكون لعبة بسيطة وممتعة. مع ذلك، وبالرغم من كل ما فعلته به آني، فالكتاب كان ما يزال قصة جميلة بحق، بل أفضل روايات ميزري على الإطلاق.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

نظر بول إلى الآلة الكاتبة وتخيل ذلك الكاوبوي ذا الصوت الخشن الذي يحمل مسدساً. قال بول: كان من المفترض أن تكون قوياً وتتطلع لأن تلقن الشريف العجوز الدرس درساً لن ينساه، أليس كذلك؟ لكنك رميت أحد مفاتيحك، وأرى بأن بعض المفاتيح الأخرى – التاء والألف والجيم على سبيل المثال – أصبحت مثيرة للشفقة منذ الآن... أحياناً تميل إلى هذه الجهة، وأحياناً إلى الجهة الأخرى، أحياناً تأتي فوق السطر، وأحياناً تحته بقليل. أعتقد بأن الشريف العجوز التعب سوف يربح هذه الجولة يا صديقي. أعتقد بأنه سوف يضربك حتى الموت... ولعل تلك الساقطة تعرف ذلك. ولهذا السبب ربما اقتلعت إبهامي الأيسر. كما يقول المثل القديم: قد تكون مجنونة ولكنها بالتأكيد ليست غبية.

نظر إلى الآلة الكاتبة بحدة رغم الإرهاق.

استمري. استمري وانهاري. سأنتهي في كل الأحوال. وإذا كانت تريد أن تجلب لي بديلاً عنك، سأشكرها بلطف، ولكن إذا لم تكن تريد، فسأنهي الكتاب بالكتابة على الأوراق بلفسي.

الشيء الوحيد الذي لن أفعله هو الصراخ.

لن أصرخ.

لن.

لن أصرخ.

12

لن أصرخ!

كان ما يزال جالساً بجانب النافذة، وقد أصبح صاحياً تماماً الآن، ومدركاً تماماً بأن سيارة الشرطة التي يراها على الطريق الفرعي حقيقية مثل قدمه اليسرى التي كانت موجودة ذات يوم.

اصرخ! اللعنة! اصرخ!

أراد أن يصرخ، ولكن ما كان يطلبه من نفسه كان صعباً جداً؛ صعباً جداً. لم يستطع حتى أن يفتح فمه. حاول لكنه شاهد على الفور قطرات البيتادين البنية تتطاير من نصل السكين الكهربائية. حاول فسمع صوت احتكاك الفأس في عظمة رجله اليسرى، وصوت انبثاق اللهب من مشعل البروبان لدى اقتراب عود الثقاب من مقدمته.

حاول أن يفتح فمه فلم يستطع.

حاول أن يرفع يديه، فلم يستطع.

خرج من بين شفتيه المطبقتين صوت أنين خافت ومريع، هذا كل ما استطاع فعله. كل ما عاناه من قبل – باستثناء ربما تلك اللحظة التي أدرك فيها بأن قدمه اليسرى كانت ثابتة بالرغم من أن ساقه اليسرى كانت تتحرك – بدا بسيطاً بالقياس مع هذا الشلل الذي أصابه.

كان الخلاص أمامه مباشرة، ضمن مجال نظره، وكل ما عليه فعله هو كسر زجاج النافذة وكسر لجام الكلاب الذي ربطت به الساقطة لسانه والصراخ: ساعدوني! ساعدوني! أنقذوني من أني! أنقذوني من الإلهة!

ولكن، في نفس الوقت، كان هناك صوت آخر يصرخ: سأكون مطيعاً يا أني! لن أصرخ! سأكون مطيعاً بحق الإلهة! أعدك بأنني لن أصرخ، فقط لا تقطعي أجزاء أخرى مني! هل كان يعرف قبل هذه اللحظة، هل كان يعرف إلى أي حدٍّ أخضعته أني، إلى أي حدٍّ جردته من روحه وشجاعته؟

كان يعرف أمراً واحداً بشيء من اليقين، وهو أن العطب الذي يعاني منه كان أكبر بكثير من مجرد شلل في اللسان، تماماً مثل المشكلة التي يعاني منها في الكتابة فهي كانت أكبر من مجرد مفتاح ناقص أو حمى أو انقطاعات في الاستمرارية أو حتى فقدان الشجاعة. كانت الحقيقة بسيطة رغم فظاعتها.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

لا تصرخ! زعق الصوت المذعور داخله في اللحظة التي فتح فيها الشرطي باب سيارته وخرج منها، وهو يعدل قبعته. كان شاباً، في الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين، يرتدي نظارات سوداء لامعة. توقف قليلاً ليعدل ثنيات بنطاله الكاكي اللون. وعلى بعد ثلاثين باردة منه كان هناك رجل ذو عينين زرقاوين تجحظان من وجهه الأبيض المسن وقد نبت الشعر على ذقنه وشاربه، يجلس محنقاً إليه من وراء نافذة، وبين من خلال شفتيه المطبقتين، وينقر بيديه عبثاً على لوح يقبع على ذراعي كرسي متحرك.

لا تصرخ.

(نعم اصرخ).

اصرخ وسينتهي كل شيء.

(لن ينتهي أي شيء، ليس قبل أن نموت. ذلك الفتى ليس غبياً للإلهة).

بول، يا الله، هل مت فعلاً؟ اصرخ، أيها الجبان الساقط! اصرخ بكل ما أوتيت من قوة!

فتح شفتيه وسحب نفساً داخل رئتيه وأغمض عينيه. لم تكن لديه أي فكرة عما سيخرج من داخله أو ما إذا كان قد خرج فعلاً إلى أن خرج.

إفريقيا! في تلك اللحظة طارت يداه وأطبقتا على جانبي رأسه، وكأنهما كانتا تريدان أن تمسكا بدماغه المنفجر. *"إفريقيا! ساعدوني! ساعدوني! إفريقيا!"*

13

فتح عينيه. كان الرجل ينظر باتجاه المنزل. لم يستطع بول أن يرى عيني الشرطي، لكن ميلان رأسه أوحى بوجود نوع من الحيرة.

تقدم خطوة إلى الأمام ثم توقف.

تلفت بول حوله، فرأى منفضة سجائر مصنوعة من السيراميك إلى اليسار من الكرسي المتحرك، فيما مضى كانت ستكون مليئة بأعقاب السجائر المسحوقة؛ لكنها الآن لا تحتوي إلا على بعض قصاصات من الورق. أمسك بها ورماها نحو النافذة، فانكسر الزجاج وتبعثر نحو الخارج. كان أجمل صوت سمعه في حياته. ثم صرخ بأشد ما يستطيع من قوة: *"هنا! هنا! ساعدني! انتبه من المرأة! إنها مجنونة!"*

حدق الشرطي إليه وفغر فمه. مد يده إلى جيب قميصه وأخرج شيئاً لا يمكن أن يكون إلا صورة. عاينها قليلاً ثم تقدم إلى طرف الطريق الفرعي، وهناك نطق الكلمات الأربع الوحيدة التي سمعها بول منه، الكلمات الأربع الأخيرة التي سمعها منه إنسان.

كانت هذه الكلمات: "أوه، اللعنة. إنه أنت!"

كان انتباه بول مركزاً على الشرطي بشدة إلى درجة أنه لم ير أني إلا بعد فوات الأوان. عندما رآها أصابه رعب خرافي. كانت أني قد تحولت إلى إلهة، مخلوق غريب نصفه أنثى ونصفه حصان. كان وجهها عاصياً ويداها تحمل صليباً خشبياً. إنه الصليب الذي غرسته فوق قبر البقرة التي توقفت أخيراً عن الخوار.

بعد موت البقرة، راقب بول من نافذته أني وهي تحفر القبر في البداية (استغرقها فعل ذلك معظم النهار) ثم تجر البقرة (التي كانت قد أصبحت نحيلة بشكل واضح) من وراء الحظيرة. استخدمت لجرها سلسلة عقدتها حول وسط البقرة ثم ربطتها بمؤخرة الشيروكي. راهن بول في ذهنه بأن البقرة سوف تنشطر إلى نصفين قبل أن تصل إلى قبرها، لكنه خسر الرهان. وبعد ذلك، أنزلت أني البقرة في الحفرة ثم بدأت تردمها ببرود. ولم تنته من عملها هذا إلا بعد وقت طويل من هبوط الظلام.

ثم راقبها بول وهي تغرس الصليب في التراب وتقرأ صفحات من

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

الإنجيل فوق القبر تحت ضوء القمر.

والآن، هـا هي تمسك بالصليب مثل رمح، موجهة نهاية ساريته العامودية الملوثة بالتراب مباشرة نحو ظهر الشرطي.

صرخ بول، رغم علمه بأن الأوان قد فات: *"خلفك! انتبه!"*

أطلـق الشرطي صرخة مكتومة ثم مشى ببطء على المرج، كان ظهـره المطعون مقوّساً وأحشاؤه بارزة. وكان وجهه يشبه وجه رجل يحـاول إخراج حصاة من كليته. بدأ الصليب يميل نحو الأرض عندما اقترب الشرطي من النافذة التي يجلس بول بجانبها، فأحاط إطار النافذة المسنن بقطع من الزجاج المكسور بوجهه الشاحب. حاول الشرطي أن يمد يديه من خلف كتفيه، فبدا لبول مثل رجل يحاول أن يحك منطقة لن يستطيع الوصول إليها أبداً.

اقتربت آني من الشرطي بسرعة وانتزعت الصليب من ظهره.

التفـت الشرطي نحوها، وهو يحاول الوصول إلى مسدسه، لكنها سبقته وغرزت رأس الصليب في بطنه.

صـرخ الشرطي مجدداً وسقط على ركبتيه ممسكاً بمعدته. عندما انحـنى، اسـتطاع بـول رؤيـة الشق الذي أحدثته الضربة الأولى في القميص.

انتزعـت آني الصليب مجدداً – كان رأسه الحاد قد انكسر، مخلّفاً نهايـة متشـققة مسننة – ثم غرزته ثانية في ظهره بين لوحي الكتفين. بـدت مثل امرأة تحاول قتل مصاص دماء. كان الضربتين الأولتين لم تكونا عميقتين بما يكفي فأتبعتهما بضربة ثالثة قاضية.

صـرخت آني وهي تنتزع الصليب من ظهره مجدداً: *"انظر! هل يعجبك هذا!"*

فزعق بول: *"آني! توقفي!"*

رفعـت رأسها ونظرت إليه، ولمعت عيناها الداكنتان للحظة مثل قطعتـي نقود معدنيتين، واستطّت زاويتا فمها في تكشيرة مرحة لمعتوه

تخلص منذ لحظة من كل قيوده. ثم نظرت ثانية إلى الشرطي.

"انظـر!" غرزت الصليب في ظهره من جديد. ثم في مؤخرته. وقـي أعلى أحد فخذيه، ورقبته، وحوضه. طعنته حوالى ست طعنات، وهي تصرخ به في كل مرة: "انظر!" ثم انشق الصليب بشكل عامودي.

"انظـر". قالتها، ثم مشت مبتعدة عنه في الاتجاه الذي جاءت منه راكضـة. وقـبل أن تختفي من مجال رؤية بول رمت الصليب المدمى جانباً وكأنه لم يعد يهمها.

14

وضـع بـول يديه على عجلتي الكرسي، غير متأكد إلى أين سيذهب، أو ماذا سيفعل إذا ما ذهب إلى أي مكان؟ ربما إلى المطبخ من أجل أن يأتي بسكين؟ ليس ليحاول قتلها بها، أوه لا، لأنها عندما سترها ستسـرع من فورها إلى الشقيقة وتحضر بندقيتها. ليس لقتلها بل ليدافع عن نفسه من غضبها عن طريق شق أوردة معصميه، لم يكن يعرف إذا كان هذا ما ينوي فعله أم لا، لكنها بدت فكرة رائعة بالفعل، لأنه إذا كان مـا يزال هناك وقت للخروج من المسرح، فهذا هو وقته. لقد سئم من فقدان أجزاء منه كلما غضبت.

في تلك اللحظة، رأى شيئاً جعله يتسمر في مكانه.

الشرطي.

الشرطي كان ما يزال حياً.

رفـع رأسه. كانت نظاراته قد سقطت. الآن تمكن بول من رؤية عينيه. الآن تمكن بول من رؤية كم هو شاب هذا الشرطي، كم هو شاب ومتألم وخائف. كان الدم ينزف من وجهه في جداول. نجح في الاستناد على يديه وركبتيه، لكنه سقط من جديد. ثم عاد ورفع نفسه وديباً ببطء على يديه وقدميه باتجاه السيارة.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

نجح في الوصول إلى منتصف المسافة بين المنزل والطريق الفرعي، ثم انقلب على ظهره. استلقى هناك لفترة قصيرة ممد الساقين. بدا عاجزاً مثل سلحفاة مقلوبة على ظهرها. ثم مال على جنبه وبدأ المسيرة المضنية للاستناد على ركبتيه من جديد. كان قميصه وبنطاله مبللين ببقع من الدماء، وكانت البقع الصغيرة تتوسع ببطء وتلتقي مع البقع الأخرى، وهي مستمرة بالتوسع.

وصل الشرطي إلى الطريق الفرعي.

فجأة ارتفع صوت آلة جز العشب.

فصرخ بول: *"انتبه! انتبه! إنها قادمة!"*

أدار الشرطي رأسه، وارتسمت نظرة خوف ضعيفة على وجهه، وحاول الوصول إلى مسدسه مجدداً. أخرج الشرطي المسدس، ثم عادت آلي إلى الظهور. كانت تجلس منتصبة فوق مقعد آلة جز العشب وتقودها في أقصى سرعة تستطيع بلوغها.

صرخ بول: *"أطلق النار عليها!"*

ولكن، بدلاً من إطلاق النار على آلي ويلكس، ارتبك المسدس في يده ثم سقط على الأرض.

مدّ يده للإمساك به، فأصابت آلي آلة جزّ العشب فجأة واصطدمت على يده ومقدمة ذراعه. انبثق الدم، من المكان الذي يفترض أن يخرج منه العشب المقصوص، على شكل نافورة كبيرة. صرخ الشرطي الشاب. ثم سُمع صوت رنين حاد عندما اصطدم نصل الآلة الدوار بالمسدس. صعدت آلي المرج الجانبي لكي تدور ثم حولت نظرتها إلى بول لثانية واحدة، فعلم بول علم اليقين ماذا كانت تعني هذه النظرة. الشرطي أولاً، ثم أنت.

عندما سمع الشرطي صوت الآلة وهي تقترب منه، دار على ظهره وضرب بكعبيه بشكل مسعور أرض الطريق الفرعي الترابية، محاولاً دفع نفسه تحت السيارة حيث لا يمكنها الوصول إليه.

لم يستطع حتى من الاقتراب منها. ارتفع صوت الآلة في هدير صارخ ثم داست فوق رأس الشرطي.

رأى بول آخر نظرة في عيني الشرطي البنيتين المرعوبتين، قبل أن تغطيهما مزق قميصه الكاكي التي تدلت من ذراع مدها في محاولة ضعيفة أخيرة لحماية نفسه، وعندما غابت العينان، أشاح بول ببصره عن المنظر.

انخفض صوت محرك آلة جز العشب فجأة، ثم سُمعت سلسلة أصوات سريعة غريبة شبيهة بسائل ينخفق.

تقيأ بول بجانب الكرسي وهو مغمض العينين.

15

لم يفتحها إلا عندما سمع خشخشة مفاتيحها في باب المطبخ. أما باب غرفته هو فقد كان مفتوحاً. راقبها وهي تقترب من الممر بجزمتها البنية العتيقة وبنطالها الجينز الأزرق مع حمالة مفاتيحها المتدلية من إحدى حلقات نطاقه وقميصها الرجالي المصبوغ بالدماء. انكمش على نفسه مبتعداً عنها. كان يريد أن يقول: *إذا قطعت أي شيء آخر مني يا آلي، فسأموت. لن يتحمل جسدي صدمة بتر أخرى. سأموت عمداً.* ولكن، لم تخرج منه أية كلمة.

لم تعطه أية فرصة للتكلم على أية حال.

بل اكتفت بالقول: "سأتعامل معك لاحقاً". ثم أغلقت الباب وراءها، وسمع خشخشة أحد مفاتيحها في القفل، فقال بول في نفسه: *قفل جديد من نوع كريغ سيهزم حتى توم توبفورد نفسه. مشت آلي بخطى حثيثة في الممر، ثم استمع إلى وقع كعبي جزمتها وهي تنخفض بشكل تدريجي.*

أدار رأسه ونظر بكآبة من خلال النافذة. استطاع رؤية جزء من

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

جسد الشرطي فقط. كان رأسه ما يزال تحت الآلة، التي كانت مائلة في زاوية قاسية ومستندة إلى سيارة الشرطي؛ فالة جز العشب صُممت للمشي فوق العشب وتقليم ما طال منه فقط، ولم تصمم كي تحافظ على توازنها فوق صخور ناتئة، أو أخشاب متساقطة، أو رؤوس رجال شرطة الولاية. لو لم تكن سيارة الشرطي واقفة في مكانها بالضبط، ولو لم يقترب الشرطي منها إلى هذا الحد قبل أن تصيبه آني، فعلى الأغلب كانت الآلة ستنقلب وتقذفها خارجاً. هناك احتمال بأن لا تُصاب بأي مكروه، بالطبع، ولكن هناك احتمال بأن تُصاب إصابة بالغة.

قال بول في نفسه بكآبة: *لديها حظ الشيطان نفسه*. ثم راقبها وهي تـوازن الآلـة ثم تدفعها دفعة قوية لتبعدها عن السيارة. فضربت الآلة جانب سيارة الشرطي وقفزت منها بعض الشرارات.

الآن وقد مـات الشـرطي، أصبح بإمكان بول النظر إليه. بدا الشـرطي مـثل دمية كبيرة عوملت بقسوة من قبل عصبة من الأولاد الأشـقياء. شـعر بول بأسى كبير على الشرطي الشاب الذي لا يعرف اسمه، لكنه أحس في نفس الوقت بعاطفة أخرى تجاهه. وعندما دقق في هـذه العاطفة لم يستغرب كثيراً عندما عرف بأنها كانت الحسد. نعم إنه الحسد. صحيح أن هذا الشرطي الشاب لن يرجع أبداً إلى بيته وأطفاله، إذا كـان لديـه أطفـال، إلا أنـه، من الجهة الأخرى، تخلص من آني ويلكس.

أمسـكت يد الشرطي المدماة وجرته عبر الطريق الفرعي إلى أن أدخلـته إلـى الحظيرة، التي كان بابها نصف مفتوح. وعندما خرجت، دفعت جانبي الباب إلى آخر مدىً يمكنهما بلوغه. ثم عادت أدراجها إلى سـيارة الشرطي. كانت تمشي بهدوء وصفاء غير متناسبين مع الحدث الفظـيع الـذي وقع منذ دقائق فقط. أدارت السيارة ثم قادتها إلى داخل الحظـيرة، وعند خروجها ثانية، عادت وأقفلت الباب تاركة فتحة تكفي فقط لدخولها وخروجها منه.

كـان القسـم السفلي من آلة جز العشب ملطخاً بالدماء، وخاصة حول المكان الذي يخرج منه العشب – كان ما يزال يقطر دماً. وكانت مزق صغيرة من بذلة الشرطي الكاكية ملقاة على الطريق الفرعي وعلى عشب المرج الجانبي المقصوص حديثاً. أما بقع الدماء فقد انتشرت في كـل مكـان. كـان مسدس الشرطي ملقى على الأرض، وقد بان على سبطانته شق طويل من المعدن اللامع. وكانت هناك قطعة ورق بيضاء سـميكة عالقـة على شوك صبّارة زرعتها آني في شهر أيار. وهناك أيضاً صليب قبر البقرة المكسور الممد على الطريق الفرعي مثل شاهد على كل ما جرى.

خرجت من نطاق رؤيته متوجهة نحو المطبخ ثانية. عندما دخلت إلى المنزل، سـمعها بول تغني: *"ستمتطي ستة جياد بيضاء عندما سـتأتي... ستمتطي ستة جياد بيضاء عندما ستأتي؛ ستمتطي ستة جياد بيضاء، ستمتطي ستة جياد بيضاء..."*

وعـندما رآها مجدداً، كانت تمسك بكيس أخضر كبير للقمامة في يديهـا وتضـع ثلاثـة أو أربعـة أخرى منه في جيبي بنطالها الجينز الخلفيين. كانت هناك بقع كبيرة من العرق تبلل قميصها حول الإبطين والرقبة. وعندما استدارت رأى بقعة كبيرة أخرى على ظهرها.

التقطت مزق البذلة أولاً ثم الصليب. كسرت الصليب إلى نصفين وأدخلـته فـي الكـيس البلاستيكي. ثم ركعت بعد فعلها ذلك. التقطت المسـدس، وأدارت الأسـطوانة وأفرغت الطلقات ووضعتها في جيب جانبـي، ثـم أعـادت الأسطوانة إلى مكانها بلفضة واحدة مدربة من معصـمها، وحشرت المسدس في نطاق بنطالها. انتزعت قطعة الورق من الصبار ونظرت إليها بتمعن. ثم حشرتها في جيب جانبي آخر. وبعد ذلـك توجهت نحو الحظيرة ورمت أكياس القمامة وراء الباب ثم عادت أدراجها باتجاه المنزل.

توجهـت نحـو جدار القبو الذي يقع تحت نافذة بول تماماً، فأثار

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

انتباهها شيء آخر. كانت منفضة السجائر. التقطتها ومدت يدها بتهذيب من خلال النافذة لتسلمها إياها.

"خذ يا بول".

أخذها بحذر.

ثم قالت وكأنها تعرف بأنه سيطلب منها ذلك: "سآخذ قصاصات الورق لاحقاً". لوهلة، فكّر بضربها بمنفضة السجائر الثقيلة على رأسها عندما انحنت، وبشق رأسها بها ويخرج المرض المعشش في دماغها.

ثم فكّر بما يمكن أن يحدث له فيما لو آذاها فقط، فوضع المنفضة في مكانها بيده الفاقدة للإبهام.

نظرت إليه وقالت: "أنا لم أقتله، وأنت تعرف ذلك".

"آبي –"

"أنت من قتله. لو أبقيت فمك مغلقاً، لكنت قد تركته في حال سبيله. كان يجب أن يكون حراً الآن. ولما توجب عليّ تنظيف كل هذه الفوضى المقرفة".

"نعم. كنت تركته في حال سبيله. وماذا عني يا آبي؟"

كانت في ذلك الوقت تسحب خرطوماً من تحت النافذة وتلفه حول ذراعها. "لا أعرف عما تتحدث يا بول".

"نعم تعرفين. كان يحمل صورتي معه، وهي الآن في جيبك، أليس كذلك؟"

"لا تطرح عليّ أي سؤال وسأجيبك من دون أكاذيب". ثم بدأت بتثبيت الخرطوم حول حنفية كانت موجودة على جانب المنزل إلى اليسار من نافذة بول.

"سيارة تابعة لشرطة الولاية تعني بأن شخصاً ما وجد سيارتي. كلانا يعرف بأن شخصاً سيجدها. لكنني مستغرب فقط من أن اكتشافها استغرق كل هذه المدة. في الروايات يمكن أن تطير السيارة من الفصة وتنسحر في الهواء. أعتقد أن بإمكاني أن أجعل الناس يصدقون ذلك إذا

اضطررت. ولكن في الحياة الواقعية، هذا مستحيل. لكننا استمرينا في خداع نفسينا، أليس كذلك يا آبي؟ أنت بسبب الكتاب، وأنا بسبب حياتي البائسة التي أصبحت أعيشها الآن".

"لا أعرف عما تتكلم". ثم أدارت الحنفية. "كل ما أعرفه هو أنك قتلت ذلك الشرطي الشاب عندما رميت المنفضة على النافذة وحطمت الزجاج. ولهذا، ستحصل على ما كان يمكن أن يحدث لك إضافة إلى ما حدث له منذ قليل". رسمت تكشيرة أفزعته فعلاً. لقد رأى شيطاناً يثب داخل عينيها.

"أيتها السافلة".

"السافلة المجنونة، صحيح؟" كانت ما تزال تبتسم.

"أو نعم، أنت مجنونة".

"حسناً، سيتوجب علينا أن نتحدث حول هذا الأمر، أليس كذلك؟ عندما يكون لديّ وقت؟ سيتوجب علينا أن نتحدث حول ذلك كثيراً. لكنني مشغولة جداً الآن، كما ترى".

مدت الخرطوم ثم فتحت الماء بواسطة صمام موجود في مقدمته. أمضت قرابة نصف ساعة تنظف الدماء عن آلة جز العشب والطريق الفرعي والمرج الجانبي.

ثم أغلقت الماء، ومشت رجوعاً على طول الخرطوم وهي تلفه حول ذراعها. كان الضوء ما يزال قوياً لكن ظلها كان طويلاً وراءها. كانت الساعة السادسة.

انتزعت الخرطوم من الحنفية، ثم فتحت باب القبو وألقته في الداخل. أغلقت الباب واستدارت ثم وقفت تتفحص الطريق الفرعي الموحل والعشب.

عادت آبي إلى آلة جز العشب، وركبت عليها، ثم أدارتها وسارت بها. ابتسم بول قليلاً. صحيح أنها كانت تملك حظ الشيطان، وعندما تكون مضغوطة، فإن ذكاءها يصبح *تفريبا* مثل ذكاء الشيطان، ولكن،

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

تقريباً فقط. فقد أخطأت في باولدر، لكنها أفلتت بفعلتها بفعل الحظ غالباً. وها هي تخطئ الآن مجدداً! لقد نظفت الدماء عن آلة جز العشب لكنها نسيت تنظيف النصل في الأسفل وكل الجزء المحيط به من الداخل. لعلها ستتذكر لاحقاً؟ لكن بول لم يكن يعتقد ذلك. فالأشياء كانت تسقط من عقل آني ما إن تمر اللحظة الآنية. خطر بباله أن العقل وآلة جز العشب كانتا متشابهين كثيراً. فما يمكن أن تراه من الخارج كان يبدو جيداً. ولكن، إذا قلبت الشيء ونظرت إلى مكوناته من الداخل، فسترى آلة ثقيلة ذات نصل حاد ملطخ بالدماء.

عادت إلى باب المطبخ ودخلت إلى المنزل. صعدت إلى الطابق العلوي وسمعها تفتش بين الأغراض لفترة من الوقت. ثم نزلت من جديد، ببطء أكبر، تجرجر وراءها شيئاً ثقيلاً وصلباً في أن معاً. دفع بول كرسيه نحو الباب وألصق أذنه بالخشب.

السقيفة! لقد ذهبت إلى السقيفة كي تأتي بالفأس! إنه الفأس ثانية!

لكنها لم تذهب إلى السقيفة. كانت ذاهبة إلى القبو. كانت تجر وراءها شيئاً ما وذاهبة إلى القبو.

سمعها تأتي من القبو ثانية فدفع الكرسي إلى النافذة. عندما اقتربت أصوات وقع أقدامها، وعندما وضعت المفتاح في القفل، فكر بول: *لقد أتت كي تقتلني.* لكن الشعور الوحيد الذي ولّدته هذه الفكرة كان الارتياح بعد طول انتظار.

16

انفتح الباب ووقفت آني هناك تنظر إليه بتمعن. كانت قد غيرت ثيابها ولبست قميص تي شيرت أبيض جديداً وبنطالاً من القماش، وتتدلى من كتفها حقيبة صغيرة كاكية اللون، أكبر من حقيبة يد وأصغر من حقيبة تُحمل على الظهر.

عندما دخلت، تفاجأ بول من امتلاكه الشجاعة ليقول بكبرياء: "هيا، اقتليني يا آني، إذا كان هذا ما تريدين فعله، ولكن، أرجو أن تتحلي باللياقة وتجعلي الأمر سريعاً. لا تقطعي المزيد من جسدي".

"لن أقتلك يا بول". صمتت قليلاً، ثم تابعت: "على الأقل، ليس إذا كنت أسنتك القليل من الحظ فقط. يجب أن أقتلك، أعرف ذلك، لكنني محزونة، صحيح؟ والمجانين لا يكترثون كثيراً لمصالحهم، أليس كذلك؟"

دارت خلفه ودفعت الكرسي خارج الغرفة. كان يسمع صوت ارتطام حقيبتها بجسدها. لم يرها تحمل مثل هذه الحقيبة من قبل. فعندما كانت تلبس ثوباً وتذهب إلى البلدة، كانت تحمل حقيبة يد كبيرة غير أنيقة (من النوع الذي تحمله السيدات العوانس لشراء الأغراض التي تتباع في المكانس من أجل الأعمال الخيرية). وعندما كانت تذهب مرتدية بنطال الجينز، كانت تحمل محفظة تضعها في جيبها الخلفي، مثل الرجال.

كان ضوء الشمس الداخل إلى المطبخ ذهبياً باهراً. وكانت ظلال أرجل طاولة المطبخ معكوسة على الأرضية على شكل خطوط متوازية مثل ظلال قضبان سجن. كانت الساعة المعلقة فوق الفرن تشير إلى السادسة والربع، ولكن، بالرغم من أنه لم يكن هناك سبب لتصديق أن آني كانت أقل إهمالاً بشأن ساعاتها من إهمالها بشأن التقاويم (التقويم الموجود في المطبخ كان يشير إلى شهر أيار)، إلا أن تلك الساعة كانت تبدو صحيحة. سمع صرصار الحقل يصدر صوتاً في الخارج فقال في نفسه: *لقد سمعت هذا الصوت عندما كنت طفلاً صغيراً صحيح الجسم.* فكاد أن يبكي.

دفعت الكرسي نحو غرفة المؤونة، حيث كان الباب المؤدي إلى القبو مفتوحاً. كان هناك ضوء أصفر مرتجف يأتي من فوق سلم القبو ويتعكس على أرضية غرفة المؤونة. وكانت رائحة أمطار آخر الشتاء التي ملأت القبو ما تزال تفوح منه.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"أوه – أوه... استثنيني مما تخططين له".

نظرت إليه بشيء من الامتعاض. يبدو أن رشدها قد عاد إليها منذ مقتل الشرطي. كان وجهها يشبه وجه امرأة تستعد لحفلة عشاء كبيرة.

"لست ستنزل إلى هناك، والسؤال الوحيد هو هل ستنزل محمولاً على الظهر أم على مؤخرتك. سأعطيك خمس ثوان لتقرر".

فقال على الفور: "على الظهر".

"حكيم جداً". استدارت كي يتمكن من وضع ذراعيه حول رقبتها.

"لا تقسم بأي شيء غبي يا بول. لقد تدربت على الكاراتيه في هاريسبورغ. وكنت جيدة فيها. سأقلبك. والأرض صلبة جداً. ستكسر ظهرك".

رفعته بسهولة. فتلت ساقاه المتعرجتان والنحيلتان، بالرغم من تزع الجبيرة عنهما. كانت الساق اليسرى أقصر من اليمنى بحوالى عشر سنتمترات. حاول من قبل الوقوف على الساق اليمنى لكن محاولته تلك تسببت له بألم فظيع دام لساعات. ولم تتمكن جرعة المخدر من بلوغ ذلك الألم وتهدئته.

حملته ونزلت به إلى القبو، ففاحت رائحة كانت تزداد قوة كلما ازداد نزولهما – حجارة وأخشاب قديمة ومياه فاسدة وخضروات متعفنة. كانت هناك ثلاثة مصابيح عارية. رأى بيوت عنكبوت قديمة معلقة بين العوارض الخشبية غير المطلية. وكانت الجدران مبنية من الحجارة، وتم تملأ الفراغات فيما بينها بعناية. كان المكان بارداً لكن برودته لم تكن من النوع المنعش.

لم يسبق له أن اقترب منها إلى هذه الدرجة، وهي تجربة لم تكن سارة أبداً بالنسبة إليه. فقد اشتم رائحة عرقها المفرقة؛ بالرغم من أنه كان يحترم رائحة العرق، لأنه كان يربطها بالعمل، والجهد الجاد. وإضافة إلى رائحة العرق، كانت هناك رائحة قذارة قديمة جداً، مما جعله يعتقد بأنها كانت تنسى أوقات الاستحمام بقدر ما كانت تنسى تغيير

أوراق الشهور في تقاويمها. كان بإمكانه أن يرى كمية من الصملاخ البني الغامق يسد إحدى أذنيها، فتعجب بقرف كيف كان بإمكانها أن تسمع.

هناك بجانب أحد الجدران، وجد مصدر ذلك الصوت المتجرجر: كانت حصيرة، وبجانبها يوجد طاولة تلفزيون مهترئة عليها بعض العلب والعبوات البلاستيكية. اقتربت من الحصيرة واستدارت ثم قرفصت.

"انزل يا بول".

أفلت يديه بحذر ثم ترك نفسه يسقط على الحصيرة. نظر إليها بتوجس عندما مدت يدها داخل الحقيبة الكاكية.

ثم صاح على الفور عندما رأى إبرة حقن تلمع في ضوء القبو الأصفر الباهت: "لا. لا. لا".

17

يا إلهي. لا بد أنك تظن بأن مزاج أني عكر اليوم. أمل بأن تهدأ يا بول". وضعت الحقنة على طاولة التلفزيون. "هذه سكوبولامين. إنه دواء مكون من المورفين بشكل أساسي. وأنت محظوظ لأنني أملك المورفين أساساً. أخبرتك كم يراقبونه في صيدليات المستشفى، وأنا أتركه لأن المكان رطب هنا وساقك ستؤلمك بشدة قبل أن أعود".

"دقيقة واحدة فقط". ثم غمزته بطرف عينها بشكل يثير القلق؛ غمزة أحد متآمرين للآخر. "أنت ترمي منفضة سجائر وأنا مشغولة مثل معلق إعلانات بذراع واحدة. سأعود على الفور".

ذهبت ثم عادت بعد فترة قصيرة حاملة وسائد من أريكة غرفة الاستقبال وبطانيات من سريره، وضعت الوسائد خلف ظهره حتى يستطيع الجلوس بدون عناء، لكنه، مع ذلك، شعر ببرودة الجدار

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

الحجري من خلال الوساد.

كانت هناك ثلاث عبوات من البيبسي فوق طاولة التلفزيون المهترئة. فتحت اثنتين منها، باستخدام فتّاحة معلقة في حمالة مفاتيحها، وأعطته واحدة. رفعت الأخرى وشربت منها بدون توقف، ثم كتمت تجشؤاً بيدها، مثل سيدة محترمة.

"يجب ان نتكلم. أو بالأحرى، يجب أن أتكلم أنا وعليك أن تصغي أنت".

"آني، عندما قلت بأنك مجنونة –"

"هش! ولا كلمة حول هذا الأمر. قد نتكلم حول ذلك فيما بعد، ليس لأغير رأيك بأي شيء تفكر فيه؛ رجل ذكي مثلك يكسب عيشه من التفكير. كل ما فعلته هو إخراجك من سيارتك المهشمة قبل أن تتجمد حتى الموت، وتجبير ساقيك المكسورتين المسكينتين، وإعطاؤك الدواء كي أخفف ألمك، والاعتناء بك، وإقناعك بالتخلي عن كتاب سيئ كتبته لتكتب أفضل كتاب كتبته على الإطلاق. فإذا كان ذلك جنوناً فخذني إلى مستشفى المجانين".

هنا، لم يستطع منع نفسه عن الكلام: "وأنت أيضاً قطعت قدمي اليسرى!"

صفعته بيدها على جانب رأسه بحركة سريعة.

"لا تستخدم هذه الكلمة البذيئة معي. إذا لم تتلق تربية حسنة فأنا ربيت بشكل جيد. أنت محظوظ لأنني لم أقطع عدة رجولتك. فكرت بذلك، وأنت تعرف هذا".

نظر إليها وقال بنعومة: "أعرف أنك فكرت بهذا يا آني". اتسعت عيناها، وبدت وكأنها أحست بالذنب.

"اصغ إليّ. أصغ جيداً يا بول. ستكون على ما يرام إذا حل المساء ولم يأت أحد إلى هنا كي يقتل ذلك الشرطي. سيحل الظلام بعد ساعة ونصف. فإذا جاء شخص ما قبل ذلك –"

مدت يدها داخل الحقيبة الكاكية وأخرجت مسدس الشرطي. فلمع تحت أضواء مصابيح القبو الخشن المتعرج الذي أحدثه نصل آلة جز العشب في سيطانته.

"إذا جاء أحد قبل حلول الظلام، أياً يكن هذا الشخص فهذا الشيء سيتكفل به، ثم بك، ثم بي".

18

قالت له بأنها عندما يحل الظلام سوف تقود سيارة الشرطي إلى مكان الضحك. هذك غرفة ملاصقة للمنزل يمكنها أن تركن السيارة داخلها بأمان بعيداً عن الأنظار. كانت تعتقد بأن الخطر الوحيد بأن يراها أحد يكمن في الطريق العام 9، لكنه احتمال ضئيل مع ذلك، لأنها بحاجة لأن تقطع أربعة أميال منه فقط. وبعد الطريق 9، نادراً ما يوجد أحد يسير على الطرقات الترابية المؤدية إلى الجبال. وحتى رعي المواشي يكون نادراً هناك بسبب ارتفاع المنطقة. وقالت أيضاً بأن قلة من تلك الطرقات ما تزال مقطوعة بواسطة بوابات، لكنها لن تكون بحاجة لأن تطلب المفاتيح من أحد، لأنها حصلت عليها من أصحاب الأراضي عندما اشترت هي ورالف المنزل.

"كان يجب أن آخذك معي فقط كي أراقبك، وخاصة بعد أن أظهرت أنه لا يمكن الوثوق بك، لكن هذا لن ينجح. يمكنني أن آخذك إلى هناك في الصندوق الخلفي لسيارة الشرطي، لكن ذلك مستحيل. لأن علي أن أقود دراجة رالف الآلية في طريق العودة. قد أسقط عنها وأكسر رقبتي المسكينة!"

ضحكت بمرح لكي تُظهر كم سيكون ذلك مضحكاً بالنسبة لها، لكن بول لم يبادلها الضحك.

"إذا حصل ذلك بالفعل يا آني، فماذا سيحل بي؟"

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

قالت بهدوء: "ستكون بخير يا بول. يا الله، إنك تقلق من كل شيء!" مشت نحو إحدى نوافذ القبو ووقفت هناك للحظات، تخمن متى سيحل الظلام. كان بول يراقبها بانزعاج. كان يعتقد بأنها إذا سقطت من على دراجتها، فإنه لن يكون بخير. كان يعتقد بأنه سيموت ميتة الكلاب في القبو، وسيصبح وجبة للفئران التي لا بد أنها تراقبهما في تلك اللحظة. كان هناك قفل من نوع كريغ على باب غرفة المؤونة، وقفل بسقاطة على باب القبو، وقد يكون بسماكة معصمه. وكانت نوافذ القبو يطول خمسين سنتمتراً وعرض ثلاثين، الأمر الذي يجعل من إمكانية النفاذ منها أمراً مستحيلاً بالنسبة إليه وخاصة في حالته تلك. قد يستطيع كسر واحدة منها ويصرخ طالباً النجدة في حال جاء شخص ما، ولكن حتى هذا لم يرحه كثيراً.

رجعت أنسي وأخذت عبوة البيبسي. "سأجلب اثنين منها قبل أن أذهب. أما الآن فأنا بحاجة للسكريات. أنت لا تمانع، أليس كذلك؟"

"قطعاً لا. ما لي هو لك".

نزعت غطاء العبوة وشربت منها.

"سأضعه في سيارته وأقودها إلى مكان الحادث. سأخذ كل أشيائه. سأضع السيارة في الكوخ هناك وأدفن أشياءه... وأدفن أشياءه... في الغابة هناك".

لم يقل أي كلمة. كان يفكر في البقرة التي ظلت تخور وتخور وتخور حتى لم يعد باستطاعتها الخوار، وذلك لأنها ماتت. كما يقول المثل: "البقرة الميتة لا تخور".

"لدي سلسلة خاصة بالطريق الفرعي. سأستخدمها. إذا جاءت الشرطة، قد يرتابون، لكنني أفضل أن يرتابوا على أن يقودوا سيارتهم حتى المنزل ويسمعوك تصدر جلبة غريبة. فكرت في كمّ فمك، لكن الكمامات خطرة، وخاصة إذا كنت تأخذ أدوية تؤثر على جهاز التنفس. وربما قد تتقيأ. وربما قد تنغلق جيوبك الأنفية بسبب الرطوبة العالية

هنا. وإذا انغلقت جيوبك الأنفية ولم تستطع التنفس من فمك..."

"سأضع ملاحظة على السياج..." قالت ببطء، وهي تعيد تجميع أفكارها. "هناك بلدة تبعد حوالي خمسة وثلاثين ميلاً عن هنا. تدعى ستيمبوت هيفين، أليس اسماً ظريفاً لبلدة؟ إنهم يقيمون في هذا الأسبوع ما يدعونه أكبر سوق للبضائع الرخيصة في العالم. إنهم يفتحونه في كل صيف. هناك الكثير من الناس الذين يبيعون الخزفيات. سأكتب في ملاحظتي بأنني هناك، في ستيمبوت هيفين، أتفرج على الخزفيات. سأقول بأنني سأبقى طوال الليل. وإذا سألني أحد فيما بعد أين نمت، بما أنهم يستطيعون تفقد سجل المشترين، سأقول بأنني لم أجد قطعاً خزفية جيدة فرجعت أدراجي. سأقول بأنني تعبت، فركنت السيارة على جانب الطريق كي أنال قسطاً من الراحة، حتى لا أنام خلف المقود. وسأقول بأنني كنت أريد أن آخذ قيلولة قصيرة فقط ولكنني كنت تعبة جداً من كثرة تجوالي في المكان إلى درجة أنني نمت طوال الليل".

ارتعب بول من عمق مكرها. ثم أدرك فجأة بأن آني كانت تقوم بما لم يكن باستطاعته هو القيام به: كانت تلعب "هل يمكنك؟" في الحياة الواقعية. ربما لهذا لا يمكنها كتابة القصص. إنها ليس بحاجة لها.

"سأعود بأسرع ما يمكن، لأن الشرطة ستأتي إلى هنا". لم يبدُ عليها بأنها قلقة على الإطلاق من هذا الاحتمال، بالرغم من أن بول لم يكن يصدق بأنها لم تكن تدرك – في جزء ما من عقلها – كم أصبحا قريبين من نهاية اللعبة. "لا أظن بأنهم سيأتون هذه الليلة، لكنهم سيأتون حتماً، حالما يتأكدون من أنه مفقود فعلاً. سيفتشون كل الطريق الذي سلكه، محاولين اكتشاف الأماكن التي توقف فيها، ألا تعتقد ذلك يا بول؟"

"أجل".

ينبغي أن أعود قبل وصولهم. إذا خرجت على دراجتي مع طلوع الفجر قد أصل إلى هنا قبل الظهر. لا بد أنني سأسبقهم، لأنه إذا بدأ من سايدوينتر، فمن المؤكد أنه توقف في أمكنة عديدة قبل أن يصل إلى

hlo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

هنا.

وعند وصولهم إلى هنا، ينبغي أن تكون أنت في غرفتك. لن أقبلك، أو أكلمك، أو أي شيء من هذا القبيل يا بول. بإمكانك حتى أن تسترق النظر عندما أخرج للتكلم معهما. معهما، لأنه سيكون هناك اثنان على الأقل في المرة القادمة. ألا تعتقد ذلك؟"

كان بول يعتقد ذلك بالفعل.

هزت برأسها راضية. "لكنني أستطيع التكفل بأمر اثنين إذا اضطررت لذلك". ربتت على الحقيبة الكاكية. "أريدك أن تتذكر مسدس الفتى عندما تسترق النظر يا بول. أريدك أن تتذكر بأنه سيكون هنا في الداخل عندما سأتحدث مع أولئك الشرطيين غداً أو بعد غد. الحقيبة لن تكون مغلقة. لا بأس بأن تراهما. ولكن إذا رأوك يا بول – بالصدفة أو إذا حاولت أن تفعل ما فعلته اليوم – إذا حصل ذلك، فسأخرج المسدس من الحقيبة وأبدأ بإطلاق النار. أنت مسؤول منذ الآن عن موت ذلك الفتى".

فرك عليها بول بالرغم من أنه كان يعلم بأنها ستؤذيه: "هراء".

لكنها لم تفعل شيئاً، بل اكتفت بالابتسام بهدوء.

"أوه، أنت تعلم بأنني متأكدة بأنك لا تكترث، لذا لا أخدع نفسي بشأن ذلك أبداً. ولكنا متأكدة بأنك لن تكترث حتى لو قُتل اثنان آخران إذا كان ذلك سيساعدك... لكنه لن يساعدك يا بول. لأنني إذا اضطررت لقتل اثنين، فسأقتل أربعة، هما... ثم نحن. وهل تعلم؟ أعتقد بأنك ما زلت تهتم بجلدك".

"ليس كثيراً. سأقول لك الصدق يا آني، مع كل يوم يمر، تزداد رغبتي بالخروج من جلدي هذا".

ضحكت.

"على أية حال، أردتك فقط أن تعرف كيف ستسير الأمور. إذا كنت حقاً لا تكترث، فاصرخ بأعلى صوتك عندما يأتون. الأمر كله

راجع إليك".

ظل بول صامتاً.

"عندما سيأتون، سأقف هناك على الطريق الفرعي وأقول نعم، لقد جاء شرطي من شرطة الولاية إلى هنا. سأقول بأنه جاء في الوقت الذي كنت أستعد فيه للذهاب إلى ستيمبوت هيفين من أجل إلقاء نظرة على القطع الخزفية. سأقول بأنه أراني صورتك، وسأقول بأنني لم أرك. عندئذ سيسألني أحدهم: 'حدث ذلك في الشتاء الماضي، آنسة ويلكس، فكيف يمكنك أن تكوني متأكدة إلى هذا الحد؟' وسأجيبه: 'إذا كان الفيس بريسلي ما يزال حياً ورأيته في الشتاء الماضي، فهل ستتذكر بأنك رأيته؟' وسيقول نعم، ربما، ولكن، ما علاقة هذا بسعر القهوة في بورتريو؟ وسأرد عليه بأن بول شيلدون هو كاتبي المفضل وقد رأيت صورته مرات عديدة. يجب أن أقول ذلك يا بول، أتعرف لماذا؟"

كان يعرف، لكن مكرها ظل يدهشه، بالرغم من أنه كان يعتقد بأنه من المفترض أن لا يدهشه بعد كل ما راه منها، إلا أنه في الواقع لم يتوقف عن إدهاشه. تذكر الكلام الذي كُتب تحت صورة آني وهي في فستان الزفاف، الصورة التي التُقطت في الفترة الفاصلة بين انتهاء المحاكمة وعودة هيئة المحلفين. *وهي في تلك الحالة المزرية؟* آني تقرأ بهدوء وهي تنتظر النطق بالحكم.

"وهكذا، عندئذ سأقول بأن الشرطي دوّن كل ذلك في دفتره وشكرني. سأقول بأنني دعوته لشرب كوب من القهوة بالرغم من أنني كنت على عجلة من أمري وسيسألونني لماذا. سأقول بأنه ربما كان يعرف عن مشكلتي السابقة، ولذا أردت أن أطمئنه بأن كل شيء على ما يرام هنا. لكنه رفض وقال بأن عليه أن يتابع عمله. لذا سألته ما إذا كان يود أن يأخذ معه عبوة باردة من البيبسي لأن الطقس كان حاراً جداً في ذلك اليوم، فقال نعم، شكراً، ذلك لطف كبير منك".

أنهت البيبسي الثانية حتى آخر قطرة منها وأمسكت العبوة

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

البلاستيكية ومنتها بينها وبينه. رأى من خلال البلاستيك عينها كبيرة ومرتجفة، عين حيوان بحري مفصلي. كما رأى جانب رأسها منتفخاً ومتموجاً.

"سأتوقف وأضع هذه العبوة البلاستيكية في الساقية بعد حوالى ميلين من هنا، ولكن سأضع أولاً بصماته عليها بالطبع".

ابتسمت له.

"بصمات الأصابع. سيعرفون عندئذ بأنه مر بي. أو سيعتقدون بأنهم يعرفون، وهذا جيد، أليس كذلك يا بول؟"

ازداد فزعه.

"وهكذا سيكملون الطريق ولن يجدوه. سيكون قد اختفى، مثل أولئك السحرة الهنود الذين ينفخون في مزاميرهم حتى تخرج الحبال من السلال فيتسلقون الحبال ويختفون. بووف!"

قال بول: "بووف".

"لن يمضي وقت طويل حتى يعودوا ثانية. أعرف ذلك. ففي النهاية، عندما لن يجدوا أي أثر له باستثناء تلك العبوة البلاستيكية، سيقررون بأنه من الأفضل لهم بأن يعيدوا التفكير بشأني. في النهاية، أنا مجنونة، أليس كذلك؟ كل الأوراق تقول ذلك.

لكنهم سيصدقونني في البداية. لا أعتقد بأنهم سيدخلون إلى المنزل ويفتشونه؛ ليس في البداية على الأقل. سيبحثون في أمكنة أخرى ويحاولون التفكير في أمور أخرى قبل أن يعودوا إلى هنا. سيكون لدينا بعض الوقت. ربما أسبوع".

نظرت إليه بشكل ثابت.

"سيتوجب عليك أن تكتب بسرعة أكبر يا بول".

19

حل الظلام ولم يأت أحد من الشرطة. غير أن آني لم تقض ذلك الوقت مع بول، فقد كانت تريد أن تعيد تركيب الزجاج على نافذة غرفة بول، وتنظف القصاصات الورقية والزجاج المكسور المتناثر على المرج. قالت له: "عندما سيأتي رجال الشرطة غداً للبحث عن صديقهم المفقود، لا نريدهم أن يلاحظوا أي شيء غير طبيعي، أليس كذلك يا بول؟"

دعيهم فقط يبحثون تحت آلة جز العشب. دعيهم فقط ينظرون تحتها وسيجدون الكثير من الأشياء غير الطبيعية.

قالت له قبل أن تذهب كي ترى ماذا يمكنها فعله بخصوص النافذة: "هل تتساءل لماذا أخبرتك بكل هذا يا بول؟ لماذا اطلعتك على خططي بكل هذه التفاصيل؟"

قال بول بكآبة: "لا".

"جزئياً لأنني أردتك أن تعرف بالضبط ما هي المخاطر، وماذا يتوجب عليك فعله كي تحافظ على حياتك. كما أردتك أن تعرف بأنني أستطيع لو أردت أن أنهي المسألة الآن فوراً. لولا الكتاب فقط. فما زلت مهتمة بالكتاب". رسمت ابتسامة فرحة ومتفكرة في نفس الوقت. "إنه بالفعل أفضل كتب منزري على الإطلاق وأريد بكل جوارحي أن أعرف كيف ستنتهي الأحداث".

"وكذلك أنا يا آني".

نظرت إليه مدهوشة. "لماذا... أنت تعرف، أليس كذلك؟"

"عندما أبدأ كتاباً أعتقد دائماً بأنني أعرف كيف ستؤول الأحداث في النهاية، لكنني في الواقع لم أنه أي كتاب بهذه الطريقة تماماً. إن كتابة رواية تشبه تقريباً إطلاق صاروخ عابر للقارات. حيث إن إنهاء روايتي بالطريقة التي كنت تعتقدين بأنها ستنتهي بها عندما شرعت في

hilo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

كتابتها يشبه إطلاق صاروخ ضخم لمسافة تقارب نصف الكرة الأرضية وجعل شحنته المتفجرة تسقط في حلقة كرة السلة. تبدو المسألة جيدة على الورق، ومستجدين أشخاصاً ممن يصنعون هذه الأشياء يؤكدون لك بأن الأمر سهل مثل إعداد شطيرة، لكن الاحتمالات قليلة مع ذلك".

قالت آني: "نعم. فهمت".

"في الوقت الحالي، أرى نهايتين محتملتين للكتاب. واحدة محزنة جداً، والأخرى – مع أنها ليست على نمط النهايات السعيدة الهوليودية – تحمل على الأقل بعض الأمل في المستقبل".

نظرت آني بقلق، ثم قالت فجأة: "إنك لا تفكر في قتلها ثانية، أليس كذلك يا بول؟"

ابتسم بول قليلاً. "ماذا ستفعلين إذا فعلت ذلك يا آني؟ ستقاتلينني؟ هذا لا يخيفني البتة. قد لا أعرف ماذا سيحصل لميزري، لكنني أعرف ماذا سيحصل لي... وذلك. أنا سأكتب النهاية، وأنت ستقرأين، ثم أنت ستكتبين النهاية، صحيح؟ نهاية كليا. هذا الشيء لا حاجة بي للتخمين بشأنه. الحقيقة ليست أغرب من الخيال بالفعل، مهما قالوا عن هذا الموضوع. ففي معظم الأحيان أنت تعرفين بالضبط كيف ستنتهي الأمور".

"ولكن –"

"أعتقد بأنني أعرف أيّ من النهايتين هي التي ستكون. أنا متأكد بنسبة ثمانين بالمائة. إذا انتهيت على ذلك النحو، فستحبينها. ولكن، حتى لو انتهيت بالشكل الذي أعتقده، فلن يعرف أي منا التفاصيل الفعلية حتى أكتبها على الورق، صحيح؟"

"لا... لا أعتقد".

"هل تذكرين ما كانت تقوله إعلانات Greyhound Bus؟ 'بلوغ الهدف فيه نصف المتعة'".

"في كلتا الحالتين، لقد أوشك الكتاب على النهاية، أليس كذلك؟"

"نعم. لقد أوشك على النهاية".

20

قبل أن تغادر، جلبت له عبوة بيبسي أخرى، وعلبة من البسكويت، وسردين، وجبن... ووعاء البول.

"ما رأيك أن تجلبي لي مخطوطتي وواحدة من كراساتي، لأنني سأكتب بخط يدي. هذا سيساعدني على تمضية الوقت".

فكّرت قليلاً، ثم هزت رأسها بشيء من الأسف. "أتمنى لو كنت أستطيع، يا بول، لكن هذا يعني ترك مصباح واحد على الأقل مضاء، ولا يمكنني المخاطرة بفعل ذلك".

فكّر بتلك وحيداً في القبو فاعترته موجة من الرعب. "لا تتركيني في الظلمة يا آني، أرجوك لا تفعلي ذلك".

"أنا مضطرة. إذا لاحظ أحد وجود ضوء في القبو، فقد يتوقفون لإلقاء نظرة، سواء أكانت السلسلة تقطع الطريق الفرعي أم لا، مع ملاحظة أنها لن تكون ملاحظة. وإذا أعطيتك مصباحاً كاشفاً، فقد تحاول إعطاء إشارة به. وإذا أعطيتك شمعة، فقد تحاول إحراق المنزل بها. أترى كم أعرفك؟"

"لو أردت أن أحرق المنزل يا آني، لكنت فعلتها منذ وقت طويل".

"كانت الأمور مختلفة في حينها. أنا آسفة لأنك لا تحب البقاء وحيداً في الظلام. أنا آسفة لأنك مضطر لفعل ذلك. لكنها غلطتك، فتوقف عن التصرف مثل فأر. عليّ أن أذهب. إذا أحسست بأنك بحاجة إلى تلك الإبرة، فالحقنها في ساقك".

نظرت إليه.

"أو احقنها في مؤخرتك".

ثم بدأت تصعد السلم.

www.jn2n.com
hlo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

صـــرخ بـــول: "فلتخطُ النوافذ إذن! استخدمي بعض الشرائف... أو... اطليها باللون الأسود... أو... يا الله، آني، القران! القران!"

كانـــت قد وصلت إلى الدرجة الثالثة. توقفت ثم نظرت إليه بعينين باردتين: "ليس لديَّ وقت لفعل هذه الأشياء. والقران لن تزعجك، على أي حال. حتى أنها قد تعرّفك على واحدة منها يا بول. أو قد تتبنّاك".

ضـــحكت آنـــي، ثم صعدت السلم وهي تضحك بقوة أكبر فأكبر. سمع صوت طقة فاختفت الأضواء، واستمرت آني بالضحك، فأمر نفسه بـــأن لا يصـــرخ ولا يتوســـل. لكن الظلال الموحشة الرطبة وضجيج ضـــحكاتها كانا أكثر من قدرته على التحمل فصرخ بول بها طالباً منها ألا تفعل ذلك به، لكنها استمرت بالضحك. ثم سمع صوت الباب يغلق، فخفـــت صـــوت ضحكها قليلاً لكنه كان ما يزال مسموعاً، هناك على الجانب الآخر من الباب، حيث يوجد ضوء. ثم سمع صوت الباب يُقفل، ثـــم أُغلـــق بـــاب آخر فخفت صوت ضحكها أكثر (لكنه كان ما يزال مســـموعاً)، ثـــم ســـمع صوت قفل آخر ثم مِقاطة تُسحب بقوة. أصبح صـــوت ضـــحكاتها الآن يأتي من خارج المنزل. وحتى بعد أن شغلت سيارة الشرطي وأرجعتها، ثم مدت السلسلة قاطعة الطريق الفرعي، ثم قـــادت الســـيارة مبـــتعدة، اعتقد بول بأنه كان ما يزال يسمعها تضحك وتضحك وتضحك.

21

كـــان القـــرن الموجود في منتصف القبو يبدو مثل أخطبوط أسود كبـــير. ظنّ بول أن باستطاعته سماع دقات الساعة الموجودة في صالة الاســـتقبال إذا كـــان الليل هادئاً، لكن عاصفة صيفية قوية هبت في تلك اللـــيلة، كما يحدث عادتاً في مثل ذلك الوقت من الصيف، فأصبح الزمن يـــبدو يـــأن لا نهايـــة له. كان باستطاعته سماع صراصير الحقل تغني

خارج المنزل عندما هدأت العاصفة... وبعد ذلك، سمع الأصوات الخفية التي كان يخشاها: أصوات حركة القران السريعة الخافتة.

ولكن، لم تكن القران هي الوحيدة التي كانت ترعبه. لا. بل كان هناك الشرطي أيضاً. صحيح أن مخيلته اللعينة النابضة بالحياة نادراً ما كانـــت تمده بصور مرعبة، ولكنها إذا فعلت، كان الله في عونه. ورغم أن كـــل مـــا كان يفكر به لم يكن منطقياً على الإطلاق، إلا أن ذلك لم يشـــكل أي فرق في الظلمة. في الظلمة تصبح العقلانية حمقاء والمنطق حلماً. في الظلمة كان يفكر من خلال جسده وليس بعقله. ظل بول يرى الشـــرطي يعود إلى الحياة مجدداً في الحظيرة، فينهض جالساً، ويشاقط القـــش الذي غطته به آني على جانبيه وفي حضنه. كان وجهه المدمى الفـــاقد للحس مشقوقاً بواسطة نصل آلة جز العشـــب. رآه يزحف خارج الحظيرة وعلى الطريق الفرعي متوجهاً إلى باب القبو الخارجي. كانت الشـــرائط المئونة الممزقة في بذلته الرسمية ترفرف وراءه، رآه يتعثر بشـــكل ســـحري عبر الجدار ثم يعيد تشكيل جثته هناك في القبو. رآه يـــزحف على الأرض الترابية المرصوصة، رآه يقترب منه وفي ذهنه الميـــت الـــوحيد فكـــرة واحدة فقط: *أنت الذي قتلتني. أنت من فتح فمه وقتلـــني. أنت من رمى منفضة السجائر وقتلني. يا ابن الساقطة اللعين، أنت الذي قتلتني.*

عندما أحس بول بأصابع الشرطي الميتة تدب على رقبته، صرخ مذعـــوراً، ونفض ساقيه فأشعل النيران فيهما. مدّ يده على وجهه وأبعد بحركة خاطفة، ليس أصابع الشرطي، بل عنكبوتاً كبيراً.

لقـــد أنهـــت تلك الحركة الهدنة القلقة مع الألم في ساقيه وأيقظت حاجـــته للمخدر، لكنها أيضاً بددت رعبه قليلاً. في تلك الأثناء أصبحت رؤيته الليلية أقوى، فصار يرى بشكل أفضل، وهذا ساعده قليلاً. ولكن، لـــم يكن هناك الكثير ليراه على أي حال؛ القرن، بقايا كومة من الفحم، طاولـــة عليها مجموعة من العلب والقناني... وعلى يمينه، إلى الأعلى

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

مـن مكان جلوسه... ما هو ذلك الشكل؟ ذلك الشيء الذي يقف بجانب الرفوف. كان يعرف ذلك الشكل. شيء فيه جعله يبدو مثل شيء سيئ. كـان يقف هناك على أرجله. بدا مثل واحدة من آلات ويليس القاتلة في فـيلم حـرب العوالم، ولكن بشكل مصغّر. تحزّر بول حول ماهية ذلك الشـيء، ثم غفا قليلاً، ثم استيقظ، ونظر ثانية إليه وفكّر: *بالتأكيد، كان يجـب أن أعرف منذ البداية. إنها آلة قاتلة. وإذا كان هناك شخص في العـالم مـن كوكـب المريخ، فإنها آني ويلكس اللعينة. إنه حوض آني للشـواء. إنـه حوض الشواء. إنها المحرقة التي أجبرتني على إحراق روايتي* **سيارات سريعة** *فيها.*

تحـرك قليلاً لأن مؤخرته أصيبت بالخدر. فأنّ من الألم الصادر من ساقيه – وخاصة ركبته اليسرى المهشمة – ومن حوضه أيضاً. كان ذلك يعني بأنه سيمضي ليلة سيئة فعلاً.

سـمع صوت خربشة فالتفت بسرعة إلى الزاوية، متوقعاً أن يرى الشـرطي يزحف باتجاهه. *لولاك لكنت أشاهد التلفاز الآن واضعاً يدي على ساق زوجتي.*

لم يكن الشرطي، بل كان شكلاً معتماً، قد يكون مجرد تخيل لكنه كـان علـى الأرجح فأراً. أرغم نفسه على الاسترخاء. يا لها من ليلة طويلة سيمضيها بول اليوم.

22

غفا قليلاً، ثم استيقظ، فوجد نفسه ممدداً برخاوة على جانبه الأيسر ورأسـه متدلـياً، مـثل سكير متشرد نائم في أحد الأزقة. أجلس نفسه فصـعقه الألـم بشدة في ساقيه. استخدم الوعاء للتبول فتألم جراء تبوله وأدرك بشـيء مـن الخوف أن التهاباً في المجاري البولية كان يتطور داخله. اللعنة، لقد أصبح هشاً ومعرضاً للإصابة بأي شيء. وضع وعاء

التبول جانباً وأخذ الإبرة.

جرعة خفيفة من السكوبولامين، هذا ما قالته له. حسناً، قد تكون كذلـك بالفعل. أو لعلها وضعت فيها حقنة قوية من مادة ما. من النوع الذي استخدمته على أشخاص مثل إيرلي غوتبار وكويني بيوليفانت.

عـندئذ ابتسم قليلاً. هل سيكون ذلك شيئاً سيئاً جداً؟ فكان الجواب مذهـلاً *للغـاية، لا!* سيكون أمراً رائعاً. ستختفي الأوتاد إلى الأبد، ولن ينحسر المد بعد ذلك. أبداً.

مع هذه الفكرة في ذهنه غرز الإبر في فخذه الأيسر، وبالرغم من أنه لم يسبق له أن حقن نفسه أبداً من قبل، إلا أنه فعل ذلك بشكل ممتاز، وبحماس أيضاً.

hllo_A@hotmail.com

23

لم يمت ولم ينم. لكن الألم غاب، فحلّق في سماء تخيلاته، شاعراً وكأنه انفصل عن جسده، بالون من الأفكار يحلّق بعيداً في نهاية الخيط المسكك به.

www.jn2n.com

نظـر إلى حوض الشواء وفكّر في أشعة مميتة من المريخ تحرق لندن بالنار.

خطـرت بـباله أغنـية، ملحنة على أنغام الديسكو، لفرقة تُدعى ترامبس: *أحرقني، يا حبيبتي، أحرقني، أحرقني الأم بالنار...*

فخطرت له فكرة.

أحرق الأم بالنار...

ثم غفا بول شيلدون.

24

عندما استيقظ كان القبو مليئاً بضوء الفجر الرمادي. كان هناك جرذ كبير جداً يجلس على الطاولة التي تركتها أنى له، يقضم الجبنة وذيله ملفوف بشكل أنيق على جسده.

صرخ بول، وارتجف، فصرخ ثانية من الألم الذي صعق ساقيه. فهرب الجرذ.

كانت قد تركت له بعض كبسولات النوفريل، ومع أنه كان يعرف بأن النوفريل لن يتكفل بألمه، إلا أنه كان أفضل من لا شيء.

تناول اثنتين منها مع البيبسي ثم اتكأ على ظهره، شاعراً بألم دابض في كليتيه. ثمة التهاب يتفاقم هناك. رائع! عظيما! المريخيون، الآلات الموت المريخية.

نظر إلى حوض الشواء متوقعاً بأن يراه يبدو مثل حوض شواء في ضوء الصباح، حوض شواء لا غير. فالدهش لأنه وجده ما يزال يبدو مثل واحدة من آلات التدمير المتنقلة في رواية ويلس.

لقد خطرت ببالك فكرة، فماذا كانت؟

عادت تلك الأغنية:

أحرقي، يا حبيبتي، أحرقي، أحرقي الأم بالنار!

صحيح؟ أي أم هذه؟ حتى أنها لم تترك لك شمعة. لن تستطيع إشعال ضرطة.

فقال صوت آخر في عقله: *لن تكون بحاجة لإحراق أي شيء الآن. أو هنا.*

ما الذي تتكلم عنه يا شباب؟ ألا يمكنكم أن تتركوني وشأني؟

فجأة خطرت بباله فكرة رائعة، بالطريقة التي تأتي فيها الأفكار الرائعة بحق، مكتملة وسهلة ومقنعة.

أحرق الأم بالنار...

نظر إلى حوض الشواء وتوقع بأن يحس بالألم مجدداً مما فعله أو مما أرغمته أنى على فعله - عندما أحرق مخطوطة سيارات سريعة. أحس بالألم فعلاً، ولكن بشكل خفيف، على غير ما كان يتوقع؛ كان الألم في كليتيه أمراً يكثر. ماذا قالت له البارحة؟ *كل ما فعلته... إلهاءك بالتخلي عن كتاب سيئ كتبته لتكتب أفضل كتاب كتبته على الإطلاق...*

قد يكون هناك شيء من الحقيقة في هذا الكلام. لعله بالغ في تقدير جودة روايته *سيارات سريعة*.

فهمس إليه جزء ما من عقله: *إنه مجرد عقلك يحاول شفاء نفسه. إذا تمكنت يوماً من الخروج مما أنت فيه الآن، فستحاول بنفس الطريقة أن تقنع نفسك بأنك لم تكن تحتاج إلى قدمك اليسرى في كل الأحوال؛ إلى الجحيم، حصة أظافر أقل لتقصها. إنهم يصنعون الأعاجيب في الأجزاء الاصطناعية هذه الأيام. لا يا بول، الشيء الأول كان مجرد كتاب جيد والشيء الآخر كان مجرد قدم جيدة. دعنا لا نخدع أنفسنا.*

لكنّ جزءاً آخر أعمق منه شك في أن يكون التفكير بهذه الطريقة *مؤشراً* على الصحة.

لا تخدع نفسك يا بول. قل الحقيقة للعيلة. إنك تكذب على نفسك. الشخص الذي يختلق القصص، شخص مثل هذا يكذب على الجميع، لكنه لا يستطيع أبداً الكذب على نفسه. إنه أمر غريب، لكنها الحقيقة. عندما تبدأ بالتفكير بهذه الطريقة، ستجد نفسك ربما تعطي الآلة الكاتبة وتبدأ بالدراسة من أجل نيل شهادة في التسويق أو شيء من هذا القبيل.

ما هي الحقيقة إذاً؟ الحقيقة - إذا كانت مصراً - هي أن الرفض المتزايد لنتاجه في الصحافة النقدية باعتباره نتاج "كاتب مشهور" (أي - كما كان يفهمه - أعلى بدرجة، درجة واحدة فقط، من "كاتب ماجور") آلمه بشدة. هذا الرفض لم يكن منسجماً مع صورته الذاتية عن نفسه ككاتب جدي كان يفرط في إنتاج تلك القصص الرومانسية السخيفة فقط

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

من أجل تمويل عمله الحقيقي! هل كان يكره ميزري؟ هل كان يكرهها حقاً؟ إذا كان ذلك صحيحاً، فلماذا عاد وانسل إلى عالمها بكل تلك السهولة؟ بل، ليس بسهولة فقط، بل بسعادة غامرة، مثل الانزلاق في حوض ساخن مع كتاب جيد في يد وكأس من الشراب البارد في اليد الأخرى. ونتيجة لذلك، ألم يبالغ مع مرور الأيام بتقدير روايته الحقيقية" هذه؟ وكأنه كان يقول صارخاً: هيه، يا ناس! انظروا إليّ! انظروا كم جميلة هذه! هذه الرواية تمتلك منظوراً شاملاً! إنها عملي الحقيقي أيها الحمقى! إياكم أن تحولوا اهتمامكم عني! إياكم أيها الفئران اللعينة! إياكم أن تحولوا اهتمامكم عن عملي الحقيقي! إياكم، وإلا —

ماذا؟ ماذا ستفعل؟ تقطع أقدامهم؟ تنشر بالمنشار إبهامهم؟

انتابت بول نوبة ارتجاف مفاجئة. كان بحاجة للتبول من جديد. لمست الوعاء، وشد على نفسه، ثم تمكن أخيراً من التبول. كان الألم أسوأ من ذي قبل، إذ توجع أثناء التبول، وظل يتوجع لفترة طويلة بعد انتهائه منه.

أخيراً بدأ النوفريل يأخذ مفعوله، فغفا.

نظر إلى حوض الشواء بعينين ثقيلتين.

همس ذلك الصوت الداخلي إليه: كيف ستشعر لو أرغمتك أني على إحراق عودة ميزري؟ جعلته هذه الفكرة ينتفض في مكانه. أدرك بول بأن ذلك سيؤلمه، نعم، سيؤلمه بشدة، ذلك سيجعل الألم الذي أحس به حين شبت النار في سيارات سريعة مثل ألم التهاب الكلية الذي يعاني منه الآن بالمقارنة مع ما أحس به حينما هوت بذلك الفأس على قدمه، مطبقة سلطتها التحريرية على جسده.

كما أدرك بأن ذلك لم يكن هو السؤال الحقيقي.

السؤال الحقيقي هو كيف ستشعر أني حين تحترق عودة ميزري؟

كانت هناك طاولة بالقرب من حوض الشواء، وعليها عدة علب وعبوات.

ومن بين هذه العلب كانت هناك علبة تحتوي على سائل لإشعال الفحم.

ماذا لو كانت أني هي التي تصرخ من الألم؟ هل تشعر بالفضول لمعرفة كيف سيبدو ذلك؟ هل تشعر بالفضول؟ يقول المثل بأن الانتقام طبق يُقضَّل أكله بارداً، لكن سائل "رونسون فاست لايت" لم يكن قد اختُرع بعد عندما ابتكر هذا المثل.

أحرق الأم بالنار. ثم غفا بول. كانت هناك ابتسامة صغيرة على وجهه الشاحب النحيل.

25

عندما عادت أني حوالي الساعة الثالثة والربع من بعد ظهر ذلك اليوم، كان شعرها المجعد منبسطاً حول رأسها في شكل الخوذة التي كانت ترتديها. كانت صامتة، لكن صمتها كان يوحي بأنه ناتج عن التعب والتفكير، وليس عن الاكتئاب. وعندما سألها بول ما إذا كان كل شيء قد سار على ما يرام.

"نعم، أعتقد ذلك. واجهت مشكلة في تشغيل الدراجة، ولولا هذه المشكلة لكنت قد عدت قبل ساعة من الآن. كانت قادحات الشرر قذرة. كيف حال ساقيك يا بول؟ هل تريد حقنة أخرى قبل أن آخذك إلى غرفتك؟"

بعد مضي عشرين ساعة تقريباً في الرطوبة، كان يشعر وكأن شخصاً ما غرز مسامير قذرة في ساقيه. كان يريد الحقنة بشدة، ولكن ليس هناك، لأنها لن تفيده أبداً.

"أعتقد بأنني بخير".

استدارت ثم قرفصت. "حسناً، اصعد إذن. ولكن فكّر ما قلته لك حول محاولة الخنق وأشياء كهذه. أنا متعبة جداً ولا أطيق أن أرى أحداً

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

سيكون جيداً على المزاح".

"لا أعتقد بأن مزاجي جيد للمزاح أبداً".

"جيد".

رفعته بصعوبة هذه المرة، إذ أصدرت صوتاً حين فعلت ذلك. كتم بول صرخة وجع كانت ستفلت من فمه. مشت باتجاه السلم، فمال رأسها قليلاً، فأدرك بأنها كانت - أو يمكن أن تكون - تنظر إلى الطاولة وما عليها من علب مبعثرة. كانت نظرتها قصيرة، وعادية، لكنها بالنسبة لبول بدت وكأنها استمرت لوقت طويل جداً، وكان متأكداً من أنها سوف تعرف بأن العبوة التي تحتوي على سائل الإشعال لم تعد موجودة، لأنها كانت محشورة تحت سرواله الداخلي من الخلف. وهكذا، بعد شهور طويلة من سرقاته السابقة، تمكن أخيراً من استجماع شجاعته وسرقة شيء آخر. ولكن، إذا انزلقت يداها إلى الأعلى قليلاً على فخذيه وهي تصعد السلم، فإنها ستلمس شيئاً غير قطعة بحجم كف اليد من مؤخرته النحيلة.

أشاحت ببصرها عن الطاولة بدون أي تغيير في تعبير وجهها. فكان ارتياحه عظيماً إلى درجة أنه تحمل بدون كثير من الألم الصعود المتأرجح والمتقلقل على الدرج. صحيح أنها كانت ماهرة في إخفاء ما تبطنه من مشاعر إذا أرادت ذلك، مثل لاعب بوكر محترف، لكنه كان يعتقد - أو يأمل - بأنه خدعها هذه المرة.

بالفعل، فقد خدعها هذه المرة.

26

بعد أن أصبح في غرفته من جديد، قال بول: "أعتقد أنني أود أن أخذ تلك الحقنة يا أمي".

تمعنت في وجهه الأبيض المتعرق لبرهة، ثم هزت رأسها

وغادرت الغرفة.

حالما خرجت من الغرفة، أخرج العلبة من سرواله الداخلي وأخفاها تحت الفراش. لم يضع أي شيء تحته منذ السكتة، ولم يكن ينوي ترك العلبة هناك لوقت طويل، فقط حتى الليل، إذا كان لديه مكان آخر، أكثر أماناً، لإخفائها فيه.

عادت وأعطته الحقنة. ثم وضعت كراسة أوراق وعدة أقلام رصاص مبرية حديثاً على رف النافذة وجرّت الكرسي المتحرك حتى أصبح بجانب السرير.

"سأذهب لأنام قليلاً. إن أتت سيارة فسأسمعها. وإذا لم يزعجنا أحد، أعتقد بأنني سأنام حتى صباح يوم غد. إذا أردت أن تنهض وتكتب بحماس فيها في كرسيك. ومحطوطتك هناك، على الأرض. مع أنني بصراحة لا أنصحك بأن تكتب حتى يعود الدفء إلى ساقيك يا بول".

"لا أستطيع الكتابة الآن، لكنني أعتقد بأنني سأفعل هذه الليلة. لقد فهمت ما عنيته بخصوص قصر الوقت الآن".

"أنا سعيدة لسماع ذلك يا بول. كم من الوقت ستحتاج برأيك؟"

"في الظروف العادية، ربما شهر. وبالشكل الذي كنت أعمل فيه مؤخراً، ربما أسبوعان. وإذا عملت بقصى طاقتي، خمسة أيام، أو ربما أسبوع. صحيح أن نوعية ما سأكتبه لن تكون ثابتة، لكنني سأنتهي على الأقل".

تنهدت ونظرت إلى يديها ثم قالت: "أعرف بأنه لن يكون أمامنا إلا أقل من أسبوعين".

"أرجو أن تعديني بأمر".

نظرت إليه بدون غضب أو ارتياب، بل بفضول خفيف. "ماذا؟"

"أن لا تقرأي أي شيء حتى أنتهي تماماً... أو حتى أضطر أن... تعرفين..."

تتوقف؟"

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"نعم. حتى اضطر للتوقف. بهذه الطريقة ستحصلين على النتيجة كاملة. سيكون تأثيرها أكبر بكثير".

"ستكون نهاية جيدة، أليس كذلك؟"

ابتسم بول. "نعم. ستكون ساخنة جداً".

27

في تلك الليلة، حوالي الساعة الثامنة، رفع نفسه بحذر وجلس في الكرسي. أصغى للسمع جيداً فلم يسمع أي شيء آتٍ من الطابق العلوي. في الحقيقة، لم يسمع أي شيء منذ سماعه صرير نوابض سريرها عندما استلقت عليه في الرابعة من بعد الظهر. لا بد أنها كانت مرهقة فعلاً.

أخذ بول علبة سائل الإشعال ودفع كرسيه إلى المكان الذي وُضعت فيه عدة شغله بقرب النافذة: الآلة الكاتبة بأسنانها الناقصة وتكشيرتها الكريهة، سلة المهملات، الأقلام والكراسات وورق الطباعة وأكوام من الأوراق المصححة، بعضها سيستخدمه وبعضها الآخر سيذهب إلى سلة المهملات.

حرك الكرسي بين أكوام الورق والكراسات المكدسة بشكل اعتباطي بسهولة عالية اكتسبها من المران الطويل، وأصغى السمع مجدداً، ثم انحنى وسحب قطعة من ألواح الأساس يبلغ عرضها عشرين سنتمتراً. لقد اكتشف بأنها مخلخلة منذ شهر تقريباً. وعرف من الغشاء الرقيق من الغبار الذي يغطي اللوح المخلخل بأن أني لم تعرف بوجوده. *في المرة القادمة، ستلصق بنفسك عدة شعرات من رأسك فقط كي تتأكد.* وخلف اللوح كان هناك مكان ضيق فارغ إلا من الغبار وفضلات الفئران.

وضع علبة قاست لايت في الفراغ ودفع اللوح إلى مكانه. أحس بلحظة من القلق عندما خشي من أن لا ينطبق مع الألواح الأخرى المحاذية له (وعيناها اللعينتان حادتان جداً!) لكنه عاد إلى مكانه تماماً.

نظر بول إلى المكان قليلاً، ثم فتح كراسته، والتقط قلم رصاص، ووجد الحفرة في الورقة.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

كتب بشكل متواصل لمدة أربع ساعات، إلى أن تسطحت رؤوس أقلام الرصاص الثلاثة كلها، ثم عاد إلى السرير، واستلقى عليه، وغفا بسهولة.

28

الفصل السابع والثلاثون

بدأ جيفري يشعر بذراعيه وكأنهما قضيبان من الحديد المسخن. مضت خمس دقائق وهو واقف في الظلال الشديدة خارج المكوك الذي يعود إلى ماكيني "الرجل الجميل". كان يبدو مثل نسخة شديدة التحول عن مرجل سيرك قوي وهو يحمل حقيبة الباروكة فوق رأسه.

وفي اللحظة التي بدأ يعتقد فيها بأن أي شيء سيقوله جيفري لن يقنع ماكيني بمغادرة كوخه، تناهى إلى سمعه أصوات حركة. التفت جيفري، فارتعشت عضلات ذراعيه بشدة. الرجيم ماكيني "الرجل الجميل" هو "حامل النار" وفي كوخه يوجد أكثر من مائة مشعل، يُبرَّد رأس كل واحد منها بواسطة صمغ كيف وارج. يحصل البوركيون على هذا الصمغ من الأشجار الواطئة في المنطقة، ويسمونه "زيت النار". لكن لغة البوركيين يمكن أن تكون في بعض الأحيان مراوغة بشكل غريب، شأنها في ذلك شأن معظم اللغات الخاصة بمنطقة واحدة بشكل رئيس. على أي حال، بغض النظر عن تسمية تلك المادة، فقد كان هناك ما يكفي من المشاعل لإحراق القرية بأكملها. فكر جيفري: "ستشتعل مثل متفجرات غاي فاوكس... نعم، يمكن إبعاد ماكيني عن الطريق".

لقد أوصاه حزقيا، قائلاً: لا تخف بأن تضرب سيد جيفري. ماكيني يخرج أولاً، لأنه مرجل النار. وحزقيا يخرج ثانياً. لذا، لا تنظر حتى ترى بوق الذهبي يلمع! اكسر رأس ذلك الفاسد بسرعة!

لكنه عندما سمعهما يخرجان بالفعل، انتاب جيفري شعور بالشك للحظة، بالرغم من الألم الشديد في ذراعيه، افترض أن هذا –

29

توقف قلم الرصاص في منتصف الجملة عند سماعه صوت سيارة قادمة. تفاجأ من رد فعله الهادئ بالرغم من مقاطعته في اللحظة التي بدأ فيها يطير مثل الفراشة ويلسع مثل النحلة. سمع وقع أقدام آتي تخبط بسرعة في الممر.

كان وجهها مشدوداً ومتجهماً. وكانت الحقيبة الكاكية معلقة على كتفها، ومفتوحة. "ابتعد عن مجال الرؤية. ابتعد عن مج –"

صمتت قليلاً عندما رأت بأنه كان قد ابتعد بالكرسي من تلقاء نفسه. نظرت لتتأكد من أن أياً من أغراضه لم تُترك على رف النافذة. ثم هزت برأسها دلالة عن الرضا.

بدت مشدودة الأعصاب، ولكن رابطة الجأش. كانت الحقيبة متدلية على كتفها بشكل يسمح ليدها اليمنى بالوصول إليها بسهولة. "إنها شرطة الولاية. هل ستتصرف بشكل حسن يا بول؟"

"أجل".

تفحصت وجهه بتمعن.

"سأثق بك"، ثم خرجت من الغرفة وأغلقت الباب وراءها لكنها لم تقفله.

انعطفت السيارة ودخلت إلى الطريق الفرعي. عرف بول من صوت المحرك الناعم والهادئ بأنه من نوع بلايموث 442. سمع صوت باب الشبك الخاص بالمطبخ يُغلق فدفع الكرسي وقبع في مكان مظلل قريب من النافذة يسمح له بالرؤية من دون أن يُرى. توقفت سيارة الشرطة حيث كانت تقف آتي والطف المحرك. ثم خرج السائق

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

من السيارة ووقف تقريباً في نفس المكان الذي كان يقف فيه الشرطي الشاب عندما نطق كلماته الأربع الأخيرة... لكن الشبه انتهى عند هذا الحد. فذلك الشرطي كان شاباً نحيلاً بالكاد تجاوز العشرين من عمره. شرطي مبتدأ خرج يبحث عن آثار كائب تعس تحطمت سيارته في حادث مروع.

أما هذا الشرطي الذي يقف الآن بجانب السيارة، فقد كان في الأربعين من عمره تقريباً، وذا كتفين عريضتين، ووجه مربع صلب مع بعض الخطوط الدقيقة بجانب عينيه وزاويتي فمه. لقد بدت أني – رغم ضخامتها – صغيرة الحجم أمام هذا الرجل الضخم.

وكان هناك اختلاف آخر أيضاً. فالشرطي الذي قابله أني كان وحيداً. أما هذه المرة فهناك اثنان. والرجل الثاني الذي خرج من المقعد المجاور لمقعد السائق كان صغير الحجم، مائل الكتفين، ذا شعر أشقر مسابل، ويرتدي ثياباً مدنية. فقال بول في نفسه: دوفيد وغولياث. مات وجيف. يا الله.

لم يكن الرجل الذي يرتدي ثياباً مدنية يمشي حول السيارة بقدر ما كان يتزلق بخفة حولها. بدا وجهه مسناً ومرهقاً، وجه رجل نصف نائم... باستثناء عينيه الزرقاوين. فقد كانت عيناه صاحيتين ومفتوحتين على وسعهما، وتحومان في كل الاتجاهات.

كانا يطوقان أني من الجانبين، وهي كانت تقول لهما شيئاً ما، فترفع رأسها عندما تتحدث مع غولياث، ثم تخفضه عندما تجيب على ديفيد. تساءل بول ماذا سيحدث إذا كسر النافذة ثانية وصرخ طالباً النجدة. كان يعتقد بأن فرص نجاحهما في الإمساك بها تبلغ ثمانية من عشرة، صحيح أنها كانت سريعة، لكن الشرطي الضخم بدا أسرع منها، وقوياً بما يكفي لاقتلاع شجرة نصف مكتملة النمو من جذورها بيديه العاريتين. أما الرجل الآخر فقد تكون مشيته الرقيقة مخادعة مثل نظرته الذابلة. كان يعتقد بأنهما يستطيعان التكفل بأمرها... باستثناء أن ما

سيفاجئهما ان يفاجئها، وهذا سيمنحها فرصة إضافية.

كان معطف الرجل المرتدي ثياباً مدنية مزرراً بأكمله بالرغم من الحر الشديد. لو تمكنت من قتل غولياث أولاً، فقد تستطيع وضع رصاصة في وجه ديفيد قبل أن يتمكن من فك أزرار معطفه وإخراج مسدسه اللعين. والأهم من ذلك هو أن هذا المعطف المزرر يوحي بأن ما قالته أني كان صحيحاً: إنها عملية تحقق روتينية فقط.

حتى الآن.

أنا لم أقتله. وأنت تعرف ذلك. أنت من قتله. لو ابقيت على فمك مقفلاً، لكنت قد تركته يمضي في حال سبيله. كان يجب أن يكون حياً الآن...

هل كان يصدق ذلك؟ لا، بالتأكيد لا. ولكن، كان ما يزال هناك شعور مؤلم وقوي بالذنب يعذبه. هل سيبقى فمه مغلقاً بسبب وجود احتمال نسبته اثنين من عشرة بأن تتمكن من قتلهما أيضاً إذا ما فتحه؟

لا. من الجميل أن يقنع نفسه بأنه يفكر بهذه الطريقة الناكرة للذات، لكنها لم تكن الحقيقة. كان يريد أن يتكفل بأمر أني بنفسه. *قد يكون أحمق، لكن الأحمق وحسب أيتها الساقطة، أما أنا فأعرف جيداً كيف أؤدي ذلك.*

30

بالطبع، هناك دائماً احتمال بأن يشتما رائحة فأر. فعملها، في النهاية، هو اصطياد الفئران، أليس كذلك؟ وإضافة إلى ذلك، فقد يكونا على علم بتاريخ أني. إذا انتهت الأمور على هذا النحو، فليكن... لكنه كان يعتقد بأن أني سوف تتملص من القانون للمرة الأخيرة.

كان بول في ذلك الوقت يعرف الكثير مما كان يريد أن يعرفه. وقد عرف ذلك من المذياع، إذ إن أني كانت تستمع إليه باستمرار منذ

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

لن أفاقت من تلك الساعات الطويلة التي قضتها نائمة. كان الاهتمام باختفاء ذلك الشرطي الشاب، الذي كان يُدعى دوين كوشنر، كبيراً جداً. ومع أنهم أذاعوا في تقاريرهم أنه كان يبحث عن ذلك الكاتب الناجح المدعو بول شيلدون، إلا أنهم لم يربطوا اختفاء كوشنر، ولو من باب التخمين، باختفاء بول، حتى ذلك الحين على الأقل.

عرف بول من المذياع بأن المياه التي نتجت عن ذوبان الثلوج في الربيع جرفت سيارة الكامارو مسافة خمسة أميال على طول مجرى الجدول. وكان يمكن أن تبقى في تلك الغابة دون أن يكتشفها أحد لمدة شهر آخر أو سنة أخرى لولا الصدفة المحضة. حيث رأى قائدا مروحية تابعة للحرس الوطني، أُرسلا في مهمة تمشيط تتعلق بمكافحة المخدرات (بحثاً عن مزارعي المخدرات في المناطق الريفية النائية، بكلمات أخرى)، انعكاس ضوء الشمس على ما تبقى من لوح الزجاج الأمامي للكامارو، فحطا في منطقة مكشوفة بالقرب منها لإلقاء نظرة عن كثب. لم يكن بالإمكان معرفة مدى فداحة الحادث نفسه بعد الضربات العنيفة التي تلقتها السيارة خلال رحلتها الطويلة قبل أن تستقر في مكانها النهائي. لم يذع الراديو أي شيء عن إيجاد بقايا دم صالح للفحص الجنائي في السيارة. كان بول يعرف بأنه حتى لو أجري فحص دقيق، فلن يكون بالإمكان العثور إلا على كمية ضئيلة جداً من الدم، فالسيارة أمضت معظم فترة الربيع والمياه الذائبة تجتاحها بسرعة الطوفان.

وفي كولورادو، كان معظم الاهتمام والقلق ينصب على الشرطي دوين كوشنر؛ هذا ما يثبته وجود هذين الزائرين، حتى ذلك الوقت، كانت كل التخمينات تتركز على ثلاث مواد ممنوعة: موون شاين (نوع قوي جداً وممنوع من الكحول)، وماريجوانا، وكوكايين. بدا محتملاً أن يكون كوشنر قد اكتشف بالصدفة عملية زراعة أو تقطير أو تخزين لواحدة من هذه المواد خلال بحثه عن آثار الكاتب المشهور. ومع

تضاؤل الأمل بالعثور على كوشنر حياً، بدأت الأسئلة ترتفع حول سبب إرساله وحيداً إلى ذلك المكان الخطر في المقام الأول. فمن الواضح أن شرطة ولاية كولورادو لم تعد تريد المخاطرة الآن، فبدأت تمشط المكان بحثاً عن كوشنر بدوريات مكونة من شخصين.

أشار غوليات بيده نحو المنزل، فهزت آني كتفيها ثم هزت رأسها. ثم قال ديفيد شيئاً ما. وبعد لحظة أومأت برأسها دلالة الموافقة وقادتهما باتجاه باب المطبخ. سمع بول صرير مفصلات باب الشبك، وبعد ذلك دخلوا إلى المنزل.

سألها غوليات *(لا بد أنه غوليات)*: "ماذا كانت الساعة حين مر بك؟" كان صوته جهورياً وخشناً نتيجة للتدخين وكانت لهجته تنبئ بأنه من سكان الغرب الأوسط.

"حوالي الساعة الرابعة. أكثر بقليل أو أقل بقليل. كنت قد انتهيت لتوي من جز العشب ولم أكن أحمل ساعة. كان الطقس حاراً بشكل لا يطاق. كانت تتذكر ذلك جيداً".

سألها دوفريد: "كم من الوقت بقي سيدة ويلكس؟"

"ثلاثة ويلكس، إذا كنت لا تمانع".

"عذراً".

"لا أستطيع أن أتذكر بالضبط كم بقي هنا، لكنه لم يبقَ لفترة طويلة، ربما خمس دقائق".

"هل أراك صورة؟"

"نعم، ولهذا السبب هو جاء". اندهش بول من هدوء أعصابها.

"وهل رأيت الرجل في الصورة؟"

"بالتأكيد، إنه بول شيلدون. لقد عرفته على الفور. أنا أحب جميع كتبه، أحبها كثيراً. لقد خاب أمل الشرطي كوشنر. قال بأنه إذا كان الوضع على هذا النحو فهو يعتقد بأنني أعرف عما أتكلم. بدا خائب الأمل تماماً. كما بدا منزعجاً جداً من الحرارة".

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

قال غوليات: "أجل، كان يوماً حاراً بالفعل". تفاجأ بول من مدى قرب صوته. في صالة الاستقبال؟ نعم، من المؤكد أنه من صالة الاستقبال، وعندما أجابته آني بدا صوتها أيضاً أقرب. يبدو أن الشرطيين دخلا إلى صالة الاستقبال، ثم تبعتهما آني. لم تطلب منهما الدخول، لكنهما دخلا من تلقاء نفسيهما، لتفحص المكان.

بالرغم من أن كاتبها المدلل كان يبعد عنهم أقل من خمسة وثلاثين قدماً في ذلك الحين، إلا أن صوت آني بقي هادئاً: "سألته إذا كان يود الدخول لشرب كوب من القهوة المثلجة، لكنه قال بأنه لا يستطيع. لذا سألته إذا كان يحب أن يأخذ عبوة باردة من –"

قاطعت آني نفسها فجأة: "أرجوك لا تكسر هذه. أنا أحب أغراضي، وبعضها هش جداً".

"آسف سيدتي". لا بد أن ذلك كان صوت ديفيد لأنه كان منخفضاً وهامساً، ومتواضعاً ومتفاجئاً في آن معاً. ذلك الصوت الصادر عن شرطي كان سيبدو مضحكاً في ظروف أخرى، لكن هذه الظروف لم تكن تلك الظروف الأخرى وبول لم يشعر بأي رغبة بالضحك. سمع بول صوت شيء يوضع بحذر على الطاولة (لعلها الطاولة ذو القاعدة الثلجية). كانت يداه تتشبثان بقوة بذراعي الكرسي المتحرك.

سألها ديفيد: "ماذا كنت تقولين؟"

قالت إنني سألته إذا كان يود أن يأخذ معه زجاجة بيبسي باردة من الثلاجة لأنه كان يوماً حاراً. لذا احتفظ بها بالقرب من مقصورة التجميد، وهذا يحفظها باردة دون أن تتجمد، قال بأن هذا لطف كبير مني. كان فتى لطيفاً للغاية. لماذا سمحوا لمثل هذا الشاب بالخروج لوحده، هل تعرفان؟"

قاطعها ديفيد متجاهلاً سؤالها: "هل شرب المياه الغازية هنا؟" أصبح صوته أقرب أكثر من قبل. لقد اجتاز صالة الاستقبال. لم يكن بول بحاجة لإغلاق عينيه كي يتخيله واقفاً هناك، ينظر إلى الممر

الصغير الذي يمر بحمام الطابق السفلي الصغير وينتهي بباب غرفة النوم الإضافية المغلق.

قالت آني بصوت ما زال هادئاً: "لا، بل آخذها معه. قال بأنه مضطر لمتابعة عمله".

قال غوليات: "ماذا يوجد هناك؟" سمع بول صوت خيطتي كعبي حذائه، عندما تخطى سجادة صالة الاستقبال وداس على الألواح العارية للممر.

"حمام وغرفة نوم إضافية. أنام أحياناً هناك عندما يكون الطقس شديد الحرارة. ألق نظرة إذا كنت تحب، لكنني أعدك بأنك لن تجد شرطيك مقيداً إلى السرير".

فقال ديفيد: "لا يا سيدتي، أنا متأكد من ذلك". عندئذ بدأ وقع أقدامهم وأصواتهم يبتعد بشكل تدريجي حتى وصلوا إلى المطبخ.

"هل بدا متأثراً بشيء ما عندما كان هنا؟"

"على الإطلاق. كان يشعر بالحر وخائب الأمل فقط".

"مشغول الذهن بشيء ما؟"

"لا".

"هل ذكر إلى أين سيتجه بعد ذلك؟"

أحس بول بتردد آني في تلك اللحظة، بالرغم من أن الشرطيين لم ينتبها لذلك؛ أغلب الظن. لكن آني قالت أخيراً: "لقد اتجه غرباً، ولهذا أعتقد بأنه ذهب باتجاه طريق سبرينغير والمزارع القليلة هناك".

قال ديفيد: "شكراً لتعاونك سيدتي. قد نضطر للتشاور معك ثانية".

"لا بأس. كونا على راحتكما. أنا لا أرى الكثير من الرفقة في هذه الأيام، على أي حال".

ثم سألها غوليات فجأة: "هل تمانعين إذا ألقينا نظرة على حظيرتك؟"

"على الإطلاق. ولكن تأكدا من قول مرحباً عندما تدخلان".

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

فسألها ديفيد: "مرحباً لمن يا سيدتي؟"

"لميزري. خنزيرتي".

31

وقفت في الممر تنظر إليه بإمعان؛ بإمعان إلى درجة أحس فيها بالحر واعتقد بأن وجهه اصطبغ باللون الأحمر. كان الشرطيان قد غادرا منذ خمس عشرة دقيقة.

سألها أخيراً: "هل لاحظت شيئاً جديداً؟"

لقد رفع الشرطيان قبعتيهما لها عندما دخلا سيارتهما، لكن أياً منهما لم يبتسم. وكانت هناك نظرة في عيونهما تمكن بول من رؤيتها حتى من تلك الزاوية الضيقة التي أتاحها له موقعه بجانب النافذة. كانا يعرفان من هي آني ويلكس؛ كانا يعرفانها تماماً. لماذا لم تصرخ؟ كنت أتوقع بأنك ستصرخ في كل لحظة. كانا سيسقطان عليّ مثل انهيار ثلجي".

"ربما نعم، وربما لا".

"ولكن لماذا لم تصرخ؟"

"آني، إذا قضيت عمرك كله وأنت تعتقدين بأن أسوأ شيء تتخيلينه سيقع، فلا بد أن تكوني مخطئة في بعض الأحيان".

"لا تتذاكَ معي!" أدرك بول حينئذ بأنها، تحت تلك البرودة المصطنعة، كانت مضطربة بشدة.

"من الذي يتذاكى؟ أخبرتك بأنني سأبقى فمي مغلقاً وهذا ما فعلته. أريد أن أنهي كتابي بهدوء، وأريد أن أنهيه من أجلك".

نظرت إليه بشيء من عدم اليقين، تريد أن تصدقه، وتخشى أن تصدقه... لكنها صدقته في نهاية المطاف. وقد كانت محقة في تصديقه، لأنه كان يقول الصدق.

فلتعمل إذاً. اعمل على الفور. رأيت كيف نظرا إليّ".

32

خلال اليومين التاليين عادت الحياة كما كانت قبل دوين كوشنر؛ حتى أنه كان من الممكن تصديق أن كوشنر لم يدخل حياتيهما على الإطلاق. كان بول يكتب بشكل متواصل تقريباً، وقد تخلى عن الآلة الكاتبة في الوقت الحاضر. فوضعها آني على رف الموقد تحت صورة فوس النصر بدون أي تعليق. ملأ بول ثلاث كراسات من الورق في ذينك اليومين، ولم تبق إلا كراسة واحدة. وعندما ملأها، انتقل إلى أوراق الملاحظات. كانت آني قد شحذت (برت) ستة أقلام رصاص له فبليت كلها؛ فأعادت شحذها من جديد. كانت الأقلام تتقلص بشكل مضطرد أثناء جلوسه في الشمس بجانب النافذة، منكباً على الكتابة. وكان في بعض الأحيان يحك بإبهام قدمه اليمنى الهواء في المكان الذي كانت فيه ذات يوم قدمه اليسرى، شارداً في الثغرة التي انفتحت من جديد في الورقة. كان الكتاب يسير بقوة باتجاه ذروته وكأنه كان محملاً على صاروخ. كان يرى كل شيء بوضوح شديد؛ ثلاث مجموعات تسعى للوصول إلى ميزري في الممرات المفرغة وراء جبهة الصنم، اثنتان منها تريد قتلها، والثالثة - تتألف من إيان وجيفري وحزقيا - تحاول إنقاذها... وفي الوقت نفسه كانت قرية البوركيين تحترق في الأسفل، أما الناجون منهم فقد كانوا متجمعين في نقطة الخروج الوحيدة - الأذن اليسرى للصنم - لقتل أي شخص يخرج حياً.

اهتزت حالة الاستغراق الشبيهة بالتنويم المغناطيسي هذه - لكنها لم تُقطع - بعد ثلاثة أيام من زيارة ديفيد و غولياث عندما دخلت سيارة فورد مغلقة طحينية اللون، كُتب على جانبها *KTKA/Grand Junction*، إلى الطريق الفرعي المؤدي إلى منزل آني. كان القسم الخلفي من

hlo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

السيارة ممتلئاً بمعدات التصوير التلفزيوني.

قال بول، مشدوهاً: "أوه يا الله، ما هذا؟"

قبل أن تتوقف السيارة بقليل انفتح أحد أبوابها الخلفية ووثب منه رجل يرتدي سروالاً يليق بمن يعانون من اضطرابات نفسية بعد خوضهم معارك حربية وقميص "تي شيرت" رخيص. كان يمسك بيده شيئاً كبيراً أسود اللون كما تُمسك البندقية، فاعتقد بول لوهلة بأنها بندقية لإطلاق قنابل الغاز المسيل للدموع. رفع الرجل ذلك الشيء ووضعه على كتفه ثم وجّهه نحو المنزل، فعرف بول بأنها كاميرا تصوير صغيرة الحجم. بعد ذلك، نزلت شابة جميلة من المقعد الأمامي، وهي تصفف شعرها الأنيق بحركات سريعة من يديها، ثم توقفت قليلاً لتلقي نظرة أخيرة على ماكياجها في المرآة الخارجية الخاصة بالرؤية الخلفية قبل أن تنضم إلى "الكاميرا مان".

دفع بول كرسيه إلى الخلف بسرعة آملاً بأن يكون فعل ذلك في الوقت المناسب.

فكّر بول في داخله: حسناً، إذا لم تكن متأكداً تماماً، ما عليك إلا أن تستمع إلى نشرة أخبار الساعة السادسة. ثم وضع يديه على فمه لكبت قهقهاته.

انفتح باب الشبك ثم أُغلق بقوة.

صرخت آني: "اخرجوا من هنا! اخرجوا من أرضي!"

"آنسة ويلكس، لو أذنا فقط نستطيع أن نأخذ –"

"يمكنك أن تأخذي رصاصتين في مؤخرتك اللعينة إذا لم تخرجي من هنا!"

"آنسة ويلكس، أنا إلينا روبرتس من KTKA –"

"لا أكترث ولو كنت جون كيوء أو من كوكب المريخ! اخرجوا من أرضي وإلا فستموتون!"

"ولكن –"

يووووم!

أوه آني يا الله لقد قتلت المذيعة الحسناء.

رجع بول إلى النافذة ونظر من خلالها – كان مضطراً، لم يكن لديه أي خيار – فأحس بشعور غامر بالارتياح. لقد أطلقت آني النار في الهواء. في تلك الأثناء، كانت إلينا روبرتس تقذف بنفسها – رأسها أولاً – داخل السيارة، لكن المصور كان ما يزال يوجه الكاميرا إلى آني، التي وجهت بدورها بندقيتها إليه. فانسحب المصور على الفور وقفز داخل الباب الخلفي من السيارة التي انطلقت راجعة إلى الوراء حتى قبل أن يتمكن من إغلاق الباب.

وقفت آني تراقبهما وهما يغادران، حاملة بندقيتها بيد واحدة، ثم قفلت راجعة بخطى إلى المنزل. سمع بول صوت ارتطام البندقية بالطاولة عندما وضعتها آني عليها، ثم جاءت إلى غرفة بول. كان وجهها شاحباً ومرهقاً، وكانت عيناها لا تتوقفان عن الحركة.

قالت: "لقد عادوا".

"هوّني عليك".

"كنت أعرف بأن كل أولئك الفئران سيعودون. وها قد عادوا".

"لقد رحلوا يا آني، لقد أرغمتهم على الرحيل".

"إنهم لا يرحلون *أبداً*، لقد أخبرهم شخص ما بأن ذلك الشرطي مر بآني ويلكس، فعادوا إلى هنا".

"آني –"

"هل تعرف ماذا يريدون؟"

"بالتأكيد. لقد تعاملت مع الصحافة من قبل، إنهم يريدون دائماً شيئين اثنين لا غير: أن يثيروا غيظك أثناء دوران الكاميرا، وأن يدفعوا شخصاً آخر في مكان ما إلى شراء زجاجة مارتيني أثناء عرض الشريط. ولكن، آني، عليك أن تهدأ –"

"هذا ما يريدونه". رفعت يداً معقوفة إلى جبهتها ثم جذبتها بحدة،

hilo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

وبشكل مفاجئ، إلى الأسفل، فاتحة أربعة شقوق متماة في جبهتها، تسيل الدم على حاجبيها، ثم تفرق على جانبي أنفها، نازلاً على خديها.

"آني! توقفي!"

"وهذا!" صفعت نفسها بيدها اليسرى على خدها الأيسر، بقوة كافية لتخلف علامة هناك. "وهذا!" ثم الخد الأيمن، بقوة أكبر جعلت الدم يتطاير من بين أظافرها.

صرخ بول: "توقفي!"

فصرخت آني في المقابل: "هل هذا ما يريدونه!" رفعت يديها ووضعتهما على جبهتها وضغطتهما على الجروح فلوثتا بدمائها. ثم مدتهما في وجهه لبرهة، ثم خرجت من الغرفة.

بعد فترة طويلة، طويلة جداً، عاد بول إلى الكتابة مجدداً. بدا بشكل بطيء في البداية – لم يفارقه منظر آني وهي تجرح نفسها بنفسها – لكن القصة جذبته في النهاية فسقط في الحفرة ثانية.

كان في تلك الأيام يعمل بشعور جميل بالراحة.

33

جاء المزيد من رجال الشرطة في اليوم التالي، لكنهم كانوا من الشرطة المحلية. كان بينهم رجل نحيل يحمل حقيبة صغيرة يكاد تتسع لدفتر ملاحظات. وقفت آني معهم على الطريق الفرعي وتبادلوا الكلام لبعض الوقت، ثم قادتهم إلى المنزل.

جلس بول بهدوء وعلى حضنه كراسة من الأوراق الخاصة بكتابة الملاحظات (كان قد أنهى آخر كراسات الورق في الليلة السابقة) واستمع إلى صوت آني وهي تملي بإفاداتها التي كانت مشابهة تماماً لكل ما قالته لديفيد وغولياك. فكّر في نفسه: هذا إزعاج صريح. واندهش لأنه وجد نفسه يشعر بقليل من الأسى على آني ويلكس.

بدأ الشرطي المحلي، الذي طرح معظم الأسئلة، كلامه بإخبار آني بأن باستطاعتها التكلم بحضور محامٍ إذا أرادت ذلك. لكنها رفضت وأعادت سرد قصتها بدون أي تغيير.

بقوا في المطبخ نصف ساعة تقريباً. وقبيل الانتهاء سألها أحدهم كيف أصيبت بهذه الخدوش القبيحة في جبهتها.

"لقد فعلت ذلك بنفسي في الليل. لقد حلمت حلماً بشعاً."

"وما كان ذلك الحلم؟"

"حلمت بأن الناس تذكروني بعد كل هذا الزمن وبدأوا بالعودة إلى هنا من جديد."

بعد مغادرتهم، جاءت آني إلى غرفته. كان وجهها شاحباً وشارداً.

"لقد هذا المنزل يتحول إلى محطة غراند سينترال. كم من الوقت بقي؟"

تردد قليلاً. نظر إلى كومة الأوراق المطبوعة التي تعلوها كدسة غير منتظمة من الصفحات المكتوبة بخط يده، ثم نظر ثانية إلى آني وقال: "يومان، ربما ثلاثة."

"في المرة القادمة التي سيأتون فيها سيكون معهم مذكرة تفتيش."

ثم غادرت قبل أن يتفوه بكلمة.

34

عادت في الثانية عشرة والربع من ذلك المساء وقالت: "كان يجب أن تكون في السرير منذ ساعة يا بول."

نظر بول إليها كمن استيقظ لتوه من حلم عميق. والحلم هو قصته بالطبع، التي يلعب فيها جيفري هذه المرة دور بطولة شبه مطلقة. لقد وصل جيفري إلى اللحظة التي يقف فيها وجهاً لوجه مع ملكة النحل المخيفة. وكان عليه أن يقاتلها حتى الموت من أجل إنقاذ حياة ميزري.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"لا يهم. سأخلد إلى النوم بعد قليل. في بعض الأحيان يتوجب عليك أن تدوّني الفكرة على الفور وإلا فإنها ستضيع". نفض يده المدمّاة، بسبب بثرة كبيرة - نصفها جلد سميك - برزت على باطن سبابته حيث يمسك بالقلم. كان بإمكانه ابتلاع المسكنات، التي يمكنها أن تقضي على الألم، لكنه لم يفعل لأنها كانت ستشوش أفكاره أيضاً.

"هل تعتقد بأنه جيد؟ جيد حقاً؟ لم تعد تقوم به من أجلي فقط، أليس كذلك؟"

"أوه لا". كان على وشك أن يقول شيئاً آخر، مثل: إنه *لم يكن من أجلك أبداً يا آني. ولا من أجل كل أولئك الأشخاص الذين يوقّعون رسائلهم بـ "معجبك رقم واحد"*. حالما تبدئين الكتابة يصبح *كل أولئك الأشخاص في الطرف الآخر من المجرة*. إنه *لم يكن أبداً من أجل زوجتي السابقتين، ولا من أجل أمي، ولا من أجل أبي. والسبب الوحيد تقريباً الذي يجعل الكتاب يضعون إهداءاتهم في كتبهم يا آني هو لأن أنانيتهم ترعبهم في النهاية.*

ولكن، لم يكن من الحكمة أن يقول لها مثل هذا الشيء.

ظل يكتب حتى مطلع الفجر ثم ذهب إلى الفراش ونام لمدة أربع ساعات. كانت أحلامه مضطربة وبشعة. رأى في واحد منها والد آني يصعد سلماً مرتفعاً وهو يحمل بين ذراعيه سلة فيها قصاصات من أوراق الصحف. حاول بول أن يصرخ، محذراً إياه، لكنه كلما كان يفتح فمه، لم يكن يخرج منه إلا مقطعاً قصصياً مخيفاً. ورغم أن هذا المقطع كان مختلفاً في كل مرة كان يصرخ فيها محاولاً تحذيره، إلا أنه كان يبدأ دائماً بنفس الطريقة: "ذات يوم، بعد نحو أسبوع..." وبعد ذلك تأتي آني وبلكن صارخة، وهي تقول بسرعة على السلم لتدفع أباها وتقتله... كانت صرخاتها تتحول إلى أزيز غريب، وجسدها ينمو ويتقوص ويتغير تحت فستورتها وكنزتها الصوفية، لأن آني كانت تتحول إلى نحلة.

35

لم يأت أي موظف رسمي في اليوم التالي، لكن العديد من الناس العاديين أتوا. إحدى السيارات كانت مليئة بالمراهقين. عندما دخلت الطريق الفرعي لتغير اتجاهها، خرجت آني مسرعة وصرخت بهم طالبة منهم الخروج من أرضها قبل أن تطلق النار عليهم.

صرخ أحدهم: "اغربي عن وجهنا أيتها السيدة النتن!"

فيما صاح آخر أثناء رجوع السيارة التي أثارت زوبعة من الغبار: "أين دفنته؟"

ورمى ثالث زجاجة بيرة. وأثناء مغادرة السيارة، استطاع بول أن يرى لاصقة على نافذتها الخلفية كتب عليها: "ساندوا شباطين سايدوبندر الزرق".

بعد ساعة شاهد آني تمشي بوجه متجهم مرتدية قفازات مخصصة للعمل ومتوجهة نحو الحظيرة. خرجت بعد فترة من الوقت جارة وراءها السلسلة الفولاذية التي أصبحت الآن مجدولة مع سلك شائك. وبعد قطع الطريق الفرعي بها، مدت يدها إلى جيب قميصها وأخرجت عدة قطع من القماش الأحمر. ربطت قطع القماش في عدة حلقات من السلسلة كي تثير الانتباه.

عندما دخلت الغرفة ثانية، قالت لبول: "لن تبعد الشرطة، لكنها ستبعد بقية الفئران".

"أجل".

"يدك... تبدو متورمة".

"أجل".

"أكره أن أكون لجوجة يا بول، ولكن..."

"غداً".

أشرق وجهها في الحال. "غداً؟ حقاً؟"

www.jn2n.com
hlo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"أجل. أظن ذلك. ربما حوالى الساعة السادسة".

"بول، هذا رائع! هل يمكنني أن أبدأ بالقراءة الآن، أو..."

"أفضل أن تنتظري".

"سأنتظر إذاً". ارتسمت تلك النظرة الرقيقة على وجهها مجدداً. تلك النظرة التي يكرهها بول أكثر من أي شيء آخر. "أنا أحبك يا بول، تعرف ذلك، أليس كذلك؟"

"أجل، أعرف". ثم انكب على أوراقه ثانية.

36

في تلك الليلة جلبت له فرص كيفلوكس – لأن النهار الصحاري البولية كان يتقاتم، وإن ببطء شديد – وذلوا من الثلج. ووضعت منشفة مطوية بشكل أنيق بجانب الذلو ثم غادرت دون أن تنطق بكلمة.

وضع بول قلم الرصاص جانباً، وأنزل يده اليمنى في الثلج. اضطر لاستخدام أصابع يده اليسرى من أجل تقويم أصابع يده اليمنى وجعلها مستقيمة. تركها هناك حتى أصبحت حمراء تقريباً. وعندما أخرجها، رأى أن الورم خف قليلاً. لف المنشفة حولها وجلس، ينظر إلى الظلام في الخارج، إلى أن بدأت توخزه. وضع المنشفة جانباً ثم مرّن يده لبعض الوقت (في المرات الأولى جعلته هذه الحركة يئن من الوجع، لكنها بعد ذلك بدأت تسخن وتسترخي)، وعاد إلى الكتابة من جديد.

عند الفجر جر كرسيه على مهل ورفع نفسه إلى السرير ونام على الفور. حلم بأنه كان ضائعاً في عاصفة ثلجية، لكنها لم تكن ثلجية تماماً، بل كانت عاصفة من الصفحات المتطايرة تملأ العالم في كل الاتجاهات، وكل الصفحات كانت مغطاة بالكتابة الطباعية، وكل أحرف النون والتاء والألف كانت ناقصة. فأدرك بأنه إذا كان سيبقى حياً بعد انتهاء

العاصفة، فسيتوجب عليه أن يملأها كلها بنفسه، يدوياً، ويحل شيفرة الكلمات التي كانت بالكاد كلمات.

37

استيقظ حوالى الساعة الحادية عشرة، وحالما سمعته آني يتحرك في مكانه، دخلت الغرفة وبيدها كأس من عصير البرتقال، ودواء، وطاسة من حساء الدجاج الساخن. كان وجهها مشرقاً من الابتهاج. "إنه يوم خاص جداً يا بول، أليس كذلك؟"

"أجل". حاول أن يرفع الملعقة بيده اليمنى فلم يستطع. كانت متورمة وحمراء.

صاحت آني: "أوه، يا ليتك المسكينة! سأحضر لك قرصاً آخر! سأحضره في الحال!"

"لا. هذه هي المرحلة الختامية. أريد أن يكون رأسي صافياً".

"لكنك لا تستطيع الكتابة وبك على هذه الحال".

أجابها بول، قائلاً: "لا، أصبحت يدي عاجزة. سأنهي هذا الكتاب بالطريقة التي بدأته بها، بتلك الزوبال. ثماني أو عشر صفحات قد تعلن نهايته. أعتقد بأنني أستطيع أن أملأ أحرف النون والتاء والألف العديدة بنفسي".

كانت تبدو حزينة بصدق، حتى أن الدموع لمعت في عينيها. "كان يجب أن أجلب لك آلة أخرى. لقد أخطأت. يصعب عليّ أن أعترف بذلك، لكنها الحقيقة. لقد أخطأت لأنني لم أشأ أن أعترف بأن تلك المرأة دارتمونغر هزمتني. أنا آسفة. يدك المسكينة".

أمسكتها بيدها وقبّلتها برقة عاشقة.

قال بول: "لا بأس. سنتدبر أمرنا. ذاكي دادل وأنا. أكرهه، لكنني أشعر بأنه يكرهني أيضاً، ولهذا فنحن متعادلان".

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

"من الذي تتكلم عنه؟"

"الروبال. لقد سميتها باسم شخصية كارتونية".

"أوه..." بـدت وكأنهـا كانت تتوقع شيئاً آخر، فلم تقل أي شيء، وخف الاهتمام الذي كان بادياً على وجهها شيئاً فشيئاً حتى انتهى تماماً. ثـم شردت في ملكوتها. انتظرها بول بفارغ الصبر كي تعود من جديد بينما كان يأكل حساءه، ممسكاً الملعقة بشكل أخرق بين إصبعيه الأول والثاني من يده اليسرى.

أخـيراً عادت ثانية ونظرت إليه، مع ابتسامة مشرقة على وجهها وكأنها استيقظت لتوها من النوم وهي متيقنة من أنه سيكون يوماً جميلاً. "كاد الحساء أن ينتهي؟ لديّ شيء آخر خاص جداً. إذا كان فعلاً كذلك".

أراهـا الطاسـة الفارغة إلا من بعض قطع المكرونة العالقة في القعر ثم قال، بدون حتى أثر من ابتسامة: "هل ترين أي نهم أنا يا أنى؟"

"أنـت أفضـل نهم في العالم يا بول. في الواقع... انتظر! انتظر لترى هذا!"

خرجت من الغرفة. نظر بول إلى التقويم أولاً ثم إلى قوس النصر ثـم رفـع رأسه ونظر إلى أحرف W على السقف. وبعد ذلك نظر إلى الآلة الكاتبة والكومة الكبيرة وغير المرتبة من الأوراق المكتوبة. وقال فـي نفسه: *الوداع لكل هذه الأشياء*. عندئذ دخلت آني إلى الغرفة بشكل صاخب حاملة صينية أخرى.

كانـت هـناك أربعـة أطباق على الصينية: طبق فيه شرائح من الليمون الحـامض، وآخر يحتوي على بيضة مقرومة، وثالث يحتوي على قطع من الخبز المحمص. وفي الوسط، طبق أكبر حجماً فيه كومة كبيرة وطرية من الكافيار.

قالـت بخجـل: "لا أعرف إن كنت تحب هذه الأشياء أم لا. حتى أنني لا أعرف إن كنت أحبها أنا أيضاً. فأنا لم آكلها أبداً من قبل".

بدأ بول بالضحك. ومع أن ضحكه تسبب بألم في المنطقة الوسطى

مـن جسده وساقيه، وحتى يده – وبعد قليل قد يتألم أكثر من ذلك، لأن آني ستعتقد ربما بأنه يضحك عليها – إلا أنه لم يستطع التوقف. ضحك حـتى أنه بدأ بالسعال واحمر خداه وانهمرت الدموع من زاويتي عينيه. المـرأة التي قطعت قدمه بواسطة فأس، وحزّت إبهامه بسكين كهربائية تأتيه بطبق كبير من الكافيار كفء لقتل خنزير بري. ومما أثار تعجبه، أن نظرة الشك السوداء تلك لم تظهر على وجهها. بل إنها بدأت تضحك معه.

38

مـن المفترض أن يكون الكافيار من الأشياء التي إما يحبها المرء أو يكرهها، لكن بول لم يكن يشعر لا بهذا ولا بذاك. فعندما كان يسافر فـي الطائـرة في مقصورة الدرجة الأولى وتأتيه المضيفة بصحن من الكافـيار وتضعه أمامه، كان يأكله ثم ينسى بأنه أكل شيئاً مثل الكافيار إلـى أن يسـافر مرة ثانية وتأتيه مضيفة أخرى بصحن آخر منه. لكنه الآن أصـبح يأكلـه بنهم شديد، إضافة إلى كل الأطباق المرافقة، وكأنه اكتشف للمرة الأولى في حياته الأهمية العظمى للطعام.

قضـمت آنـي قطعة من الخبز المحمص كانت قد دهنتها بملعقة صـغيرة من الكافيار، فالتوى وجهها من الفرف ثم وضعتها جانباً. في حين تابع بول الأكل بحماس لم يفتر. خلال خمس عشرة دقيقة أكل بول نصـف جـبل الكافـيار، ثم تجشأ، فوضع يده على فمه ونظر إلى آني بشيء من الإحساس بالذنب، فراحت تضحك من جديد.

فكّر بول وهو يبتسم لآني: *أعتقد بأنني سأفتك بك يا آني. أعتقد ذلك حقاً. قد أموت معك – أو بالأحرى، سأموت معك – لكنني سأموت مع معدة مليئة بالكافيار على الأقل. الأمور قد تكون أسوأ من ذلك.*

قال بول: "كان رائعاً، لكنني لا أستطيع أن آكل المزيد".

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

ابتسمت له في المقابل وقالت: "قد تندمين إن فعلت، لأن هذه المادة غنية جداً. هناك مفاجأة أخرى. لديّ زجاجة من الشراب من نوع دون بيريغنون. إنها تكلف خمسة وسبعين دولاراً! زجاجة واحدة! لكن تشوكي بودر الذي يعمل في مخزن المشروبات قال بأنها الأفضل".

قال بول وهو يفكر في نفسه بأن دوم بيريغنون كانت السبب في إقحامه في هذا الجحيم أساساً: "تشوكي بودر على حق". صمت لبرهة ثم تابع كلامه: "ثمة شيء آخر أود أن أفعله أيضاً، عندما أنتهي من الكتاب".

"أوه، ما هو؟"

"قلت ذات مرة بأنك تحتفظين بكل أغراضي".

"بالفعل".

"حسناً... هناك علبة من الدخان في حقيبتي. أود أن أدخن سيجارة عندما أنتهي".

تلاشت ابتسامتها بشكل تدريجي. "تعرف بأن هذه الأشياء تضر بصحتك يا بول. إنها تسبب السرطان".

"أنسي، هل تقولين بأن السرطان هو الشيء الذي يدعى علي أن أقلق بشأنه الآن؟"

لم تجب.

"أريد فقط سيجارة واحدة. اعتدت دائماً أن أرجع إلى الوراء وأتكئ على ظهري وأدخن عندما أنتهي. وتلك السيجارة تكون دائماً أفضل السجائر نكهة، صدقيني؛ حتى أفضل من تلك التي تعقب وجبة دسمة. على الأقل هذا ما اعتدت القيام به. أعتقد بأنها هذه المرة ستجعلني أحس بالدوار والرغبة بالتقيؤ، لكنني أود أن أشعر بذلك الرابط الصغير الذي يربطني مع الماضي. فماذا تقولين يا آني؟ تحلّي بروح رياضية. فقد تحليت بها *أنا*".

"حسناً... ولكن قبل الشراب. لن أشرب زجاجة ثمنها خمسة

وسبعين دولاراً في غرفة واحدة تنفث فيها هذا السم".

"هذا جيد. إذا جلبتها لي حوالي منتصف الظهيرة، سأضعها على رف النافذة كي أنظر إليها بين الحين والآخر. وعندما أنتهي، سأملأ الأحرف الناقصة، وبعدها سأدخنها إلى أن أشعر بالدوار، وبعد ذلك سأطفئها. ثم سأذاديك".

"حسناً. لكنني ما زلت غير سعيدة بخصوص ذلك، حتى لو لم تُصب بسرطان الرئة بسبب هذه السيجارة. لست سعيدة. وهل تعرف لماذا يا بول؟"

"لا".

"لأن الحمقى فقط يدخنون". وبدأت بجمع الأطباق.

hllo_A@hotmail.com

39

"سيدي إيان، هل هي -"

أسكته جيفري على الفور: "مشش!" فالتزم حارس الصمت. كان جيفري يحس بالدم يخفق بسرعة كبيرة في حنجرته. ومن الخارج، كان يُسمع صرير الحبال والبكرات الخافت والنائية، ورفرفة الأشرعة الناعمة، وهبوب طلائع نسائم الرياح الاستوائية المنعشة، وصياح طير بين حين وآخر. كما كان باستطاعة جيفري أن يسمع، من الجهة الخلفية من ظهر السفينة، زمرة من الرجال يغنون أغنية خاصة بالبحارة بأصوات نادرة وغير متناغمة. ولكن هنا، كان الصمت يخيم على المكان، حيث كان الرجال الثلاثة - اثنان أبيضان وواحد أسود - ينتظرون ليعرفوا ما إذا كانت

www.jn2n.com

ميزري ستموت... أو -

تأوه إيان بصوت مبحوح، فأمسكه حزقيا من ذراعه. أما جيفري فقد كان ما يزال ممسكاً أعصابه بقوة. هل يمكن أن يكون الله حقاً قاسياً إلى درجة أن يسمح بموتها بعد كل ما حدث؟ في السابق، كان سوفف هذا الاحتمال بثقة، وبشيء من المرح بدلاً من الاستياء. في تلك الأيام كانت فكرة قسوة الله ستبدو سخيفة جداً بالنسبة إليه.

لكن تصوراته عن الله - مثل تصوراته عن الكثير من الأمور الأخرى - قد تغيرت الآن. لقد تغيرت في إفريقيا، التي اكتشف فيها أن العالم لا يحكمه إله واحد فقط بل العديد من الآلهة. وبعض هذه الآلهة كانوا أكثر من قساة؛ كانوا مجانين، وهذا غير كل شيء. فالقسوة في نهاية المطاف كانت مفهومة، أما الجنون، فلم يكن مبرراً على الإطلاق.

إذا تبين أن ميزري ميتة فعلاً، كما كان يخشى، فإنه كان ينوي الصعود إلى مقدمة السفينة ورمي نفسه في الماء. فقد عرف طوال عمره أن الإله يمكن أن يكون قاسياً وقتيل ذلك، لكنه لن يعيش في عالم تكون فيه الآلهة مجنونة.

قطعت هذه الأفكار العبثية المشؤومة بواسطة شهقة عالية وشبه حرافية من حزقيا.

"سيدي إيان! سيدي جيفري! انظرا! عيناها! انظرا إلى عينيها!"

عينا ميزري، ذلك اللون الأزرق الرائع القريب من زرقة وردة الذرة، رفرفتا قليلاً ثم

انفتحتا. تنقلتا من إيان إلى جيفري ثم عادتا إلى إيان ثانية. لوهلة، رأى جيفري مجرد حيرة في تلك العينين... لكن التمييز أشرق فيهما بعد ذلك، فأحمر بسعادة تغمر روحه.

"أين أنا؟" قالت ميزري وهي تتثاءب وتمط جسدها. "إيان، جيفري، هل نحن في البحر؟ لماذا أنا جائعة جداً؟"

انحنى جيفري، وهو يضحك ويبكي، وضمها بين ذراعيه، مرددا اسمها مرة بعد مرة بعد مرة.

وبعد من الحيرة، والسرور، عانقته ميزري بسرعة، أما جيفري، فقد تأكد الآن من أنها بخير. فقد وجد نفسه بأنه قادر على تحمل حبهما، الآن وإلى الأبد. وأدرك بأنه من الآن فصاعداً سيعيش وحيداً مع نفسه، في سلام تام.

لعل الآلهة لم تكن مجنونة في النهاية... ليس كلها، على الأقل.

ربت بيده على كتف حزقيا وقال له: "أعتقد بأننا يجب أن نتركهما لوحدهما يا صديقي، أليس كذلك؟"

"أعتقد ذلك سيدي جيفري". ابتسم حزقيا في تكشيرة كبيرة فلمعت أسنانه الذهبية السبعة كلها.

استرق جيفري نظرة أخيرة إليهما، فالتفتت إليه عيناها الزرقاوان الباهرتان للحظة واحدة فقط، لكن تلك اللحظة كانت كافية لتبث الدفء فيه، وتملأ روحه، وتكمله.

hlo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

قال جيفري في نفسه: أحبك يا عزيزتي، هل تسمعينني؟

لعل الجواب الذي أتاه لم يكن سوى صوتاً آتياً من عقله فقط، لكنه لم يكن يظن ذلك، لأنه كان واضحاً جداً، ويشبه صوتها إلى حدٍّ بعيد، بل إنه صوتها هي.

أنا أسمعك... وأنا أحبك أيضاً.

أغلق جيفري الباب وصعد إلى مؤخرة السفينة. وبدلاً من إلقاء نفسه من فوق السور، كما كان سيفعل، أشعل غليونه ودخن كرة من الدخان على مهل، وهو يراقب غياب الشمس خلف غيمة بعيدة آخذة بالتلاشي. تلك الغيمة كانت ساحل إفريقيا.

بعد ذلك، ولأنه لم يكن يستطيع أن ينهض ويقوم بأي شيء آخر، أخرج بول شيلدون الصفحة الأخيرة من الآلة الكاتبة وخط بقلمه العبارة المحبوبة والمكروهة في آن واحد بالنسبة لأي كاتب:

النهاية

40

لم تكن يده المتورمة ترغب بملء الأحرف الناقصة، لكنه أرغمها على العمل خلال الأيام القليلة الأخيرة بالرغم من ذلك. وإذا لم يكن باستطاعته إيجاد حل لبعض التيبّس - على الأقل - فيها، فلن يكون باستطاعته تنفيذ ما هو مقدم عليه تالياً.

عندما انتهى من ملء الأحرف الناقصة، وضع قلمه جانباً ونظر إلى عمله لبرهة. أحس كما كان يحس دائماً عند الانتهاء من كتاب؛ بأنه فارغ على نحو غريب، محبط، ومدرك بأن كل نجاح حققه دفع مقابله ضريبة عنيفة.

ولكن، مع ذلك، يبقى إنجاز العمل، أي عمل، أمراً جيداً. من الجيد إنتاج شيء ما، ابتداع شيء ما. عندئذ، وبطريقة خدرة، أدرك بول وفتر للشجاعة في هذا العمل، شجاعة ابتداع شخصيات حية صغيرة لم تكن موجودة، وإيجاد وهم بالحركة والدفء غير واقعيين. وفهم بول - الآن، أخيراً - بأنه لم يكن ماهراً إلى الحد الكافي في القيام بهذه الحيلة، لكنها كانت الحيلة الوحيدة التي يعرفها، ومع أنه كان يقوم بها دائماً بشكل غير متقن، إلا أنه على الأقل كان يقوم بها بحب. في تلك اللحظة، لمس بول كومة مخطوطته وابتسم قليلاً.

تركت يده الكومة الكبيرة من الأوراق وانسلت إلى سيجارة المارلبورو التي وضعتها آني من أجله على رف النافذة. وبجانبها، كانت هنا منفضة سجائر خزفية طُبع على قعرها قارب نزهات آتي محاط بالكلمات التالية: *تذكار من هانيبال، ميزوري - موطن كتابة القصص في أميركا!*

وفي داخل المنفضة كانت هناك علبة ثقاب، من النوع الذي يفتح كالكتاب، ولكن لم يكن فيها سوى عود واحد فقط. هذا ما سمحت له به

hllo A@hotmail.com
www.jn2n.com

آني. بيد أن عوداً واحداً ينبغي أن يكون كافياً.

كان باستطاعته سماع حركة آني في الطابق العلوي. وهذا كان مريحاً، لأنه يتيح له الوقت الكافي للقيام بتحضيراته الصغيرة.

ها هي الحيلة الحقيقية يا آني. دعنا نرى إذا كان بإمكاني القيام بها. دعنا نرى، هل يمكنني؟

انحنى إلى الأمام، متجاهلاً الألم في ساقيه، وبدأ محاولة نزع ذلك القسم المخلوع من ألواح الأسنان.

41

ناداها بعد خمس دقائق، وأصغى لوقع خطواتها الثقيلة على السلم. كان يتوقع أن يشعر بالرعب عند بلوغه هذه المرحلة، فأحس بالارتياح لاكتشافه أنه كان يشعر بهدوء تام. كانت الغرفة مليئة برائحة سائل الإشعال، الذي كان يقطر من أحد جوانب اللوح القابع فوق ذراعي الكرسي المتحرك.

صاحت آني وهي ما تزال في الممر: "بول، هل انتهيت حقاً؟"

نظر بول إلى كومة الورق الموضوعة فوق اللوح بجانب الرويال الكهربية. كانت كلها متشربة بسائل الإشعال. ثم قال: "حسناً. فعلت ما بوسعي يا آني".

"واو! أوه، عظيم! يا الله، بالكاد يمكنني أن أصدق! بعد كل هذا الوقت! دقيقة واحدة فقط! سآتي بالشراب!"

"جيد!"

سمعها تمشي فوق أرضية المطبخ، متوقعاً كل صرير سيصدر قبل لحظة من صدوره. فكر بول: *أنا أسمع هذه الأصوات للمرة الأخيرة.* فأحس بالارتياح. كان هناك خوف في داخله ... ولكن كان هناك شيء آخر أيضاً. اعتقد بول بأنه ساحل إفريقيا المبتعد.

انفتح باب الثلاجة، ثم انغلق بقوة. ها هي تأتي من المطبخ ثانية، ها هي تأتي!

إنه لم يدخن السيجارة، بالطبع، فلقد كانت ما تزال ممتلئة على رف المنفضة. لكن عود الثقاب هو الشيء الذي كان يريده. ذلك العود الوحيد.

ماذا لو لم يشتعل عندما تفحصه؟

لكن الأوان كان قد فات لأخذ مثل هذه الأسئلة بالحسبان.

مد يده إلى منفضة السجائر وأخذ علبة الثقاب. ونزع عود الثقاب الوحيد. أصبحت في الممر الآن. قدح بول العود، لكنه لم يشتعل.

على مهلك! على مهلك!

قدحه ثانية، فلم يشتعل أيضاً.

ثم قدحه للمرة الثالثة على ظهر الكتاب (علبة الثقاب) الخشن، فبرقت شعلة صفراء باهتة في نهاية العود الخشبي.

42

"أمل فقط أن –"

توقفت آني، وانسحبت الكلمة التالية إلى داخلها عندما أخذت شهيقاً. كان بول يجلس في كرسيه المتحرك خلف حاجز من الورق المكوم وآلة الرويال القديمة. وكان قد قلب عمداً الصفحة الأخيرة كي تتمكن من قراءة هذه:

عودة ميزري

بول شيلدون

كانت يد بول اليمنى تلوح فوق كومة الورق الرطبة تلك، ممسكة

hlo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

يعود النقاب المشتعل بين الإبهام والسبابة.

وقفت آني في الباب وهي تحمل زجاجة الشراب الملفوفة بقطعة منشفة. كان فمها فاغراً، لكنها زمّته بسرعة.

ثم قالت بحذر: "بول، ماذا تفعل؟"

"لقد انتهى يا آني. إنه جيد. لقد كنت محقة. أفضل كتب ميزري، وربما أفضل شيء كتبته على الإطلاق، حتى لو كان هجيناً. والآن سأقوم بحيلة صغيرة معه، حيلة تعلمتها منك".

فصرخت آني بفزع لإدراكها ماذا يريد أن يفعل: "بول، لا!" فتحت يديها في تلك الأثناء فسقطت زجاجة الشراب على الأرض وانفجرت مثل توربيد. فتطايرت سحب من الزغوة في كل مكان. "لا! لا! أرجوك لا –"

قال بول مبتسماً: "من المؤسف جداً أنك لن تقرئيه أبداً". كانت أول ابتسامة حقيقية له منذ شهور، ابتسامة صادقة ومشرقة. لندع التواضع الزائف جانباً، أجد نفسي مضطراً للقول بأنه أفضل من جيد. إنه عظيم يا آني".

بدأت حرارة العود تصيب أطراف أصابعه، فأسقطه من يده. وللحظة مرعبة اعتقد بول بأنه انطفأ، لكن شعلة زرقاء من اللهب مشت بسرعة في صفحة العنوان مصدرة صوتاً مسموعاً. *فووووومب!* مشت الشعلة على الجوانب، متذوقة السائل الذي تجمع على طول الحافة الخارجية من كومة الورق، ثم ارتفع لسان اللهب متحولاً إلى اللون الأصفر.

زعقت آني: "أوه يا الله لا! ليس ميزري! ليس ميزري! لا! لا!"

أصبح وجهها الآن يرتعش من وراء ألسنة اللهب. فصاح بول بها: "هل تريدين أن تتمني شيئاً يا آني؟ هل تريدين أن تقولي أمنية، أيتها الشيطانة اللعينة!"

"أوه يا الله أوه بول ماذا تفعل؟" حاولت أن تتقدم، لكن النار

أصبحت شديدة جداً الآن لدرجة أن الجانب الرمادي من الرويال بدأ يتحول إلى اللون الأسود. كما بدأت ألسنة اللهب تتصاعد من بين مفاتيحها جراء تجمع سائل الاشتعال تحتها. أحس بول بأن وجهها كان يشوي وجلدها ينكمش.

صاحت آني منتحبة: "ليس ميزري. لا يمكنك أن تحرق ميزري، أيها الفأر اللعين، لا يمكنك أن تحرق ميزري!"

عندئذ فعلت آني ما كان بول يعرف بأنها ستفعله. أمسكت كومة الورق المحترقة واستدارت بسرعة حول نفسها، تريد ربما أن تركض إلى الحمام وتضعها في الحوض ثم تغمرها بالماء.

عندما استدارت، أمسك بول بالرويال، غير آبه بسخونة جانبها الأيمن وبالحروق التي بدأت تحدثها في يده اليمنى المتورمة سلفاً. سقطت قطرات من الدار من قاعدتها، فلم يعرها اهتماماً أكبر من اهتمامه بالألم الذي نشب في مكان ما من ظهره. قذف الآلة الكاتبة، فطارت في الهواء وأصابت مباشرة مركز ظهرها الصلب العريض.

لم تكن صرخة تلك التي أطلقتها آني، بل نخيراً مروعاً وهادراً. سقطت إلى على الأرض فوق كتلة الأوراق المحترقة.

ضرب بول بيده اللوح الخشبي الذي بدأ يحترق وأسقطه على الأرض، ثم دفع نفسه ووقف بترنح على قدمه اليمنى.

كانت آني تتلوى وتئن عندما انبثق لسان من اللهب في الفراغ الواقع بين ذراعها اليسرى وجانبها، فصرخت. عندئذ، فاحت رائحة جلد مقلي ودهن محترق.

حاولت آني الاستناد على ركبتيها، في ذلك الوقت، أصبحت معظم الأوراق على الأرض – بعضها ما زال يحترق والبعض الآخر كان يصدر هسيساً وهو ينتفخ شيئاً فشيئاً في برك الشراب – لكنها كانت ما تزال ممسكة ببعضها، رغم أنها كانت ما تزال مشتعلة. وكنزتها الصوفية كانت تحترق أيضاً. رأى بول قطعاً محفوفة من الزجاج على

hlo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

ذراعيها، وشظية أكبر حجماً تبرز من خدها الأيمن مثل نصل فأس من النوع الذي كان الهنود الحمر يستخدمونه في الحروب.

"سأقتلك أيها الكائب اللعين". مشت ثلاث خطوات على ركبتيها ثم سقطت فوق الآلة الكاتبة. فرمى بول بنفسه فوقها. أحس بالزوايا الحادة للآلة الكاتبة بالرغم من وجود جسدها بينهما. كانت تصرخ مثل قطة، وتتلوى مثل قطة، وتحاول أن تنشب أظافرها فيه من تحته مثل قطة.

حاولت أن تدفعه عنها فتشبث أكثر. عدّل وضعيته فوقها إلى أن أصبح مستلقياً مباشرة عليها مثل رجل يحاول ارتكاب جريمة اغتصاب، ووجهه تقريباً فوق وجهها. مدّ يده يتلمس الأرض بجانبه، باحثاً عن شيء في ذهنه.

"ابتعد عني!"

وجد ورقة ساخنة مسودّة.

"ابتعد عني!" نظر إلى الحفرة الرطبة المحمرّة جوانبها في الإلهة.

"ابتعد عني أيها الفأر اللعين -"

حشر على الفور الورقة المتفحمة في ذلك الفم الصارخ المفتوح، فتوسعت حدقتاها فجأة من الدهشة، والرعب، والألم.

أطبقت يده على ورقة أخرى، لكنها هذه المرة كانت مبللة وتفوح منها رائحة الخمر المراق. ثم قال لها وهو يلهث: "ما هو كتابي يا آني".

كانت ما تزال تتلوى تحته وتحاول دفعه عنها. ارتفعت قبة الملح التي حلت محل ركبته اليسرى بالأرض فانتفض من الألم، لكنه ظل فوقها. *ساغتصبك، ما رأيك يا آني؟ ساغتصبك، لأن كل ما يمكنني فعله هو أسوأ مما يمكنني فعله. مصّي كتابي إذاً. مصّي كتابي. مصّيه حتى تختنقي.* ضغط بقبضة يده على الورقة الرطبة وحشرها في فمها دافعاً الكرة الأولى نصف المتفحمة إلى الداخل أكثر.

"ها هو يا آني، هل أعجبك؟ إنها طبعة أولى أصلية، إنها طبعة آني وبول، هل أعجبتك؟ كليه يا آني، مصّيه. كلي كتابنا كله".

ثم أدخل حشوة ثالثة، ورابعة. أما الخامسة فقد كانت ما تزال تحترق، لكنها انطفأت براحة كفه أثناء حشرها في فمها.

كان هناك ضجيج غريب مكتوم يصدر من داخلها. هذه المرة تمكنت بعد سلسلة من الانتفاضات العنيفة من دفعه عنها. ثم رفعت نفسها بصعوبة حتى استندت على ركبتيها وهي تمسك بيديها حنجرتها المسودة والمنتفخة. لم يكن قد بقي من كفنها إلا حلقة العنق المتفحمة. كان لحم بطنها وحوضها الحالي مغطيين بدمامل حمراء. وكان الشراب يتقطر من حشوة الورق المتبقية في فمها.

وقفت آني على قدميها وهي تترنح، وتتعق، وتتخر. كانت ما تزال تضغط بيديها على حنجرتها. دفع بول نفسه مبتعداً عنها دون أن يبعد عينيه عنها.

مشت خطوة باتجاهه، ثم تبعتها بخطوة أخرى. ثم تعثرت بالآلة الكاتبة. أثناء سقوطها، التوى عنقها في زاوية مائلة فشاهد عينيها تنظران إليه نظرة متسائلة رهيبة، وكأنها كانت تقول له: *ماذا حدث يا بول؟ كنت أجلب لك الشراب، أليس كذلك؟*

ارتطم جانب رأسها بحافة إطار الموقد وهوت على الأرض مثل كيس مفتوح من الحجارة في سقطة هائلة هزت المنزل برمته.

43

جاءت سقطة آني فوق كتلة من الورق المحترق، فأطفأتها بجسدها. كانت تبدو مثل كومة سوداء مدخنة في منتصف الأرضية. وكانت برك الشراب قد أخمدت معظم الأوراق المنفردة، لكنّ اثنتين أو ثلاثاً منها طارت باتجاه الحائط وهي تحترق، فاشتعل ورق الجدران في عدة أماكن... لكن النار لم تكن قوية جداً.

زحف بول إلى سريره، دافعاً نفسه بمرفقيه، ثم أمسك بمفرش

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com

السرير. ثم عاد وزحف باتجاه الحائط مبعداً شظايا الزجاج المكسور بجانبي يديه. صحيح أنه آذى ظهره، وأحرق يده اليمنى بشدة، لكنه أصبح حراً. لقد مات الإلهة وعاد حراً.

وضع ركبته اليمنى تحته ثم بدأ يضرب بالمفرش ألسنة اللهب. وبعد الانتهاء من إخماد النار، رمى المفرش على الأرض ونظر إلى الحائط. كانت هناك بقعة كبيرة مدخنة في المنتصف. وكانت الصفحة السفلى من التقويم مجعدة. ولكن، هذا كل شيء.

بدأ بول بالزحف باتجاه الكرسي. كان في منتصف الطريق عندما فتحت آني عينيها.

44

حملق بول، وهو لا يكاد يصدق ما تراه عيناه، بينما كانت آني تسعى جاهدة للنهوض والاستناد على ركبتيها. كان بول مستنداً على يديه، مجرجراً ساقيه وراءه.

لا... لا، أنت ميتة.

أنت مخطئ يا بول. لا يمكنك أن تقتل الإلهة. فالإلهة خالدة. الآن عليّ أن أنظف.

كانت عيناها تحملقان بشكل مرعب. وعلى الجانب الأيسر من رأسها كان هناك جرح ضخم باد من خلال شعرها، وكان الدم يسيل منه بغزارة وينزل على وجهها.

صرخت آني من خلال حنجرتها الملتهبة بالورق. ثم بدأت تزحف نحوه. "أووه، أيها القذر!"

دار بول حول نفسه نصف استدارة ثم بدأ بالزحف باتجاه الباب. كان يسمع صوتها وهي تلحق به. وحالما دخل بول منطقة الزجاج المكسور، أحس بيدها تطبق على أسفل ساقه اليسرى وتعصر بقوة على

المنطقة التي بُترت عندها قدمه، فصرخ من الألم.

صاحت آني صيحة انتصار: "أيها القذر!"

نظر من وراء كتفه، فشاهد وجهها يتحول ببطء إلى اللون الأرجواني، وبدا وكأنه كان ينتفخ. عندئذ أدرك بول بأنها كانت تتحول إلى صنم شعب البوركا.

جذب ساقه المفتقدة للقدم بكل قوته فانزلقت من قبضتها، التي نجحت فقط بالإمساك بالحلقة الجلدية التي غطت بها منطقة البتر.

تابع زحفه وهو يبكي، والعرق ينضح من خديه. جذب نفسه بواسطة مرفقيه مثل جندي يتقدم تحت نيران رشاش ثقيل. سمع خبطة ركبة واحدة وراءه، ثم الركبة الثانية، ثم الأولى. كانت ما تزال خلفه. لقد حرقها، وكسر ظهرها، وحشا حلقها بالورق وما تزال خلفه.

"أنذر! أنذر... قذر!"

وبينما كان يزحف، انغرزت شظية معقوفة من الزجاج في ذراعه، لكنه استمر بالزحف بالرغم من ذلك.

كانت ما تزال وراءه، تزمجر بشكل مرعب. التفت إلى الوراء فرأى أن لسانها وجهها أصبح أسود، إجاصة متعفنة سوداء نتأت منها بجحوظ بشع عيناها النازفتان. وكانت حنجرتها النابضة متورمة مثل الإطار الداخلي للسيارات، وكان فمها يتحرك ويلتوي، فاعتقد بأنها تحاول أن ترسم نكشيرة.

أصبح الباب بمتناول يديه فمدّ واحدة منهما وتشبث به بقوة.

"أوو...ووو...أووو!"

أصبحت يدها اليمنى على فخذه الأيمن.

اقتربت أكثر. ظلها... كان ظلها يهوي فوقه.

فصرخ بول باكياً: "لا!" أحس بها تجره، تسحبه، فتشبث أكثر بإطار الباب وأغمض عينيه.

كانت يداها تمشيان، مثل عنكبوتين، بخطوات قصيرة وسريعة

hilo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

فوق ظهره، إلى أن استقرتا فوق رقبته.

"أوو... ووو... طير... قذر!"

بدأ نفسه ينقطع لكنه ظل ممسكاً بإطار الباب. كان يشعر بيديها تتغرزان في عنقه فصرخ بقوة: *موتي ألا تموتين أبداً ألا تموتين* –

"أوو...ا –"

ارتخت قبضتها فجأة. فسحب نفساً عميقاً. ثم تهاوت أني فوقه، مثل جبل من اللحم الرخو، فانقطع نفسه تماماً هذه المرة.

45

جاهد بول بقوة كي يخرج من تحتها مثل رجل يشق طريقه من تحت انهيار ثلجي. وقد فعل ذلك مع آخر نفس له.

زحف خارجاً من الباب، متوقعاً أن تمسك يدها بكاحله في أية لحظة، لكن ذلك لم يحدث. كانت أني ممدة بلا حراك هناك على الأرض ووجهها إلى الأسفل، بين الدماء وبرك الشراب المراق وشظايا الزجاج الأخضر. هل كانت ميتة؟ لا بد أنها ميتة. بيد أن بول لم يكن يصدق أنها ميتة.

أغلق الباب وراءه. كانت السقاطة التي وضعتها أني تبدو عالية وبعيدة مثل شيء يقع في منتصف جرف شاهق الارتفاع، لكنه تمدد حتى وصل إليها وأغلقها، ثم سقط على الأرض بجانب الباب.

ظل فاقداً للوعي لمدة غير معروفة من الزمن. ولم يخرج من تلك الحالة إلا عندما سمع صوت خربشة واطئة. *إنها الفئران... الفئر* –

إلى أن تسللت أصابع أني الثقيلة المغطاة بالدماء من تحت الباب وأمسكت بقميصه.

زعق ونفض نفسه حتى فلتت منها، فاشتعل الألم من جديد في

ساقيه. ثم ضرب بقبضة يده على أصابعها. ارتعشت الأصابع قليلاً ثم توقفت عن الحراك.

فلتكن هذه نهايتها. أرجوك يا الله فلتكن هذه نهايتها.

زحف بول ببطء باتجاه الحمام، ولكن مع ألم شديد هذه المرة. توقف في منتصف المسافة ونظر إلى الخلف. فرأى أصابعها ما تزال بارزة من تحت الباب. لم يستطع تحمل النظر إلى ذلك المنظر، أو حتى التفكير فيه، ولهذا السبب، عاد وزحف في الاتجاه المعاكس وأجبر نفسه على دفع أصابعها من تحت الباب. كان متأكداً من أنها ستقبض عليه في اللحظة التي سيلمسها فيها.

أخيراً وصل إلى الحمام. كل جزء فيه كان يؤلمه. دفع نفسه حتى أصبح في الداخل وأغلق الباب عليه.

يا الله، ماذا لو أنها تقلت المخدر من هنا.

لكن الصناديق المبعثرة كانت ما تزال هناك، وبعضها كانت تحتوي على علب النوفريل المجانية. ابتلع ثلاثة أقراص منها على الفور، ثم زحف إلى الباب واستند عليه، يريد سنده بوزن جسده.

ثم غط في النوم.

46

عندما أفاق من نومه كان الظلام قد حل، وفي البداية لم يعرف أين كان؛ كيف أصبحت غرفة نومه صغيرة إلى هذا الحد؟ ثم تذكر كل شيء، لكن صوتاً داخلياً قطع ذكرياته وهمس إليه بنبرة متيقظة: *إنها لم تمت، حتى الآن لم تمت. إنها تقف خارج هذا الباب حاملة بيدها الفأس، وعندما سأخرج ستقطع رأسي به. سيتدحرج في الممر مثل كرة بولينغ وهي ستنظر إليه وتضحك.*

لكنه قال لنفسه: "هذا جنون". عندئذ سمع – أو تخيل أنه سمع –

hilo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

صوت خفيف خفيف، ربما صوت احتكاك ثورة امرأة بالحائط.

ليك اختلفت الأمر وحسب يا رجل. إنها مخيلتك... إنها واسعة جداً.

لا، لقد سمعت ذلك.

لكنه لم يسمع شيئاً، وهو يعرف ذلك. مد يده إلى مقبض الباب ثم تراجع وقد اعتراه الشك ثانية. صحيح، إنه يعرف بأنه لم يسمع شيئاً... ولكن، ماذا لو أنه سمع بالفعل؟

لعلها خرجت من النافذة.

بول، إنها ميتة!

الإلهة لا تموت أبداً.

أدرك حينئذ بأنه كان يعض على شفتيه بعصبية فمنع نفسه. هل هذه هي بداية الجنون؟ نعم، لقد كان قريباً جداً من الجنون بالفعل. لكنه إذا استسلم للأمر، إذا عاد رجال الشرطة أخيراً غداً أو بعد غد ليجدوا آني ميتة في غرفة الضيوف وكتلة من الخلايا الحية الباكية في حمام الطابق السفلي، كرة من الخلايا الحية التي كانت ذات يوم كاتباً يُدعى بول شيلدون، أن يكون هذا انتصاراً لآني؟

بالتأكيد. والآن يا بولي، هل ستكون رجلاً صلباً وتمضي في ما كنت تخطط له؟

حسناً.

مد يده إلى مقبض الباب مجدداً... ثم تراجع من جديد. لم يستطع المضي في خطته الأساسية. كانت خطته الأساسية تقتضي إشعال الأوراق بالنار، الأمر الذي سيدفعها إلى التقاطها ومحاولة إطفائها، وهذا ما حدث بالفعل. (لو أنه فقط سحق رأسها بالآلة الكاتبة بدلاً من إصابة ظهرها بها). وبعد ذلك، كان ينوي الوصول إلى غرفة الاستقبال وإشعال النار بالمنزل. كانت الخطة تتطلب منه أيضاً الخروج من نافذة غرفة الاستقبال، بالرغم من أن ذلك كان يعني السقوط على الأرض

بقوة. على أي حال، فالسقوط أفضل من الاحتراق.

في الرواية تسير الأمور كلها حسب الخطة... لكن الحياة الواقعية اللعينة فوضوية جداً ولا يمكن السيطرة على مجريات أحداثها تماماً.

صحيح أن زجاجة الشراب لم تكن من ضمن الخطة، لكنه أمر ثانوي بالمقارنة مع قوة المرأة الهائلة ووضعه الحالي المزري، ومع الشك الذي يعتريه.

بيد أنه لم يكن يستطيع إحراق المنزل بالنار – مع أن ذلك كان سيحوله إلى ما يشبه إشارة إنذار مستجلب المساعدة على عجل – ليس الأمر لأن آني قد تكون ما تزال حية، فهو قادر على شيّها وهي على قيد الحياة، وبدون أي إحساس بالشفقة.

نعم، لم تكن آني هي التي تمنعه من فعل ذلك، بل المخطوطة. المخطوطة الحقيقية. فما أحرقه في الواقع لم يكن سوى وهماً – مجرد صفحات بيضاء تتخللها صفحات مكتوبة لا قيمة لها وعلى رأسها صفحة العنوان لا غير. أما مخطوطة عودة ميزري الحقيقية، فقد كانت محفوظة بأمان تحت السرير، وما تزال هناك.

إلا إذا كانت ما تزال حية. لأنها إذا كانت ما تزال حية، فلعلها تقرأها الآن.

ماذا ستفعل إذاً؟

نصحه جزء متعقل منه: *انتظر هنا، انتظر هنا بأمان.*

لكنّ جزءاً آخر أكثر شجاعة من ذاك حثه على المضي فيما كان يخطط له، أو على الأقل إلى الحد الذي يستطيع تنفيذه منها. الوصول إلى غرفة الاستقبال، وكسر النافذة، والخروج من هذا المنزل الكريه. ثم يلوح حافة الطريق والتلويح لسيارة عابرة. في الظروف السابقة، قد يعني هذا الأمر الانتظار لأيام، ولكن ليس الآن، فمنزل آني أصبح محجاً للفضوليين.

استجمع كل شجاعته ومد يده إلى مقبض الباب وأداره. انفتح الباب

hilo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

يبطء و... نعم، كانت آني هناك، كانت الإلهة واقفة هناك في الظل، شكل أبيض يزي ممرضة –

أطبق عينيه بقوة ثم فتحهما مجدداً. مجرد ظلال. آني؟ لا. لم يسبق له أن رآها بزي الممرضات إلا في صور الصحف. مجرد ظلال. ظلال و

مخيلة

(نابضة بالحياة).

زحف ببطء في الممر ونظر إلى الخلف باتجاه غرفة الضيوف فوجدها مغلقة. ثم تابع زحفه نحو غرفة الاستقبال.

كانت الأريكة هناك، وآني يمكن أن تكون خلفها. وهناك باب المطبخ المفتوح، وآني يمكن أن تكون خلفه أيضاً. كانت ألواح الأرضية تصر من ورائه... بالتأكيد! إنها آني آتية خلفه!

التفت إلى الوراء بسرعة. كان بإمكانه سماع ضربات قلبه تدق بقوة. كانت آني تقف فوقه رافعة الفأس بيدها، ولكن للحظة واحدة فقط، لأنها تبددت بعد ذلك وتحولت إلى ظلال. دخل إلى غرفة الاستقبال، وفي تلك اللحظة سمع صوت هدير محرك يقترب. ورأى ضوء المصابيح الأمامية يضرب النافذة فيضيئها. سمع صوت مكابح السيارة فعرف بأنهم رأوا السلسلة الشائكة التي قطعت بها الطريق الفرعي.

انفتح باب ثم انغلق.

"اللعنة! انظر إلى هذا!"

زحف بسرعة أكبر، ونظر إلى الخارج، فرأى ظلاً يقترب من المنزل. كان ظل القبعة واضحاً تماماً. إنه شرطي من الولاية.

تحسس بول بيده طاولة التحف فانقلب بعضها على الطاولة، وسقط بعضها الآخر على الأرض، وانكسر. اقتربت يده من واحدة منها وأمسكها. هنا بدا الأمر مثل رواية، لأن المصادفات المحسوبة التي تقدمها الروايات نادراً ما تحدث في الحياة الواقعية.

إنه البطريق الخزفي على قاعدته الثلجية.

تقول الأسطورة على قاعدته الثلجية: الآن أخبرت حكايتي. فقال بول في نفسه: نعم! الحمد لله!

استند على يده اليسرى، فيما كانت يده اليمنى ما تزال ممسكة بالبطريق. انفتحت القروح وخرج القيح منها. أرجع ذراعه اليمنى إلى الوراء وقذف بالبطريق الخزفي نحو نافذة صالة الاستقبال، كما رمى المنفضة نحو نافذة غرفة النوم قبل وقت ليس بطويل.

صرخ بول شيلدون بكل ما أوتي من قوة: "هنا! هنا، رجاء، أنا هنا!"

47

وفي هذه الخاتمة أيضاً كانت هناك مصادفة روائية أخرى: كان الشرطيان هما نفس الشرطيين اللذين جاءا لاستجواب آني بخصوص كوشنر في ذلك اليوم، ديفيد وغولياث. لكن سترة ديفيد الرياضية الآن لم تكن غير مزررة فقط، بل كان مسدسه ظاهراً أيضاً. تبيّن أن ديفيد هو ويكس، وغولياث هو ماكنايت، وكانا يحملان مذكرة تفتيش معهما. عندما اقتحما المنزل أخيراً استجابة للصرخات المذعورة الآتية من صالة الاستقبال، وجدا رجلاً بدا مثل كابوس تحول فجأة إلى حقيقة.

قال ويكس لزوجته في وقت باكر من صباح اليوم التالي: "هناك كتاب قرأته عندما كنت في الثانوية. أعتقد أنه كونت مونت كريستو أو ربما سجين زيندا. على أي حال، هناك رجل في ذلك الكتاب قضى أربعين عاماً في حبس انفرادي. لم ير أي شخص لمدة أربعين عاماً. وهذا ما كان يبدو عليه ذلك الشخص". صمت ويكس قليلاً. كان يريد أن يعبّر بشكل أفضل عما راه، عن المشاعر المتضاربة التي أحس بها – رعب وإشفاق وحزن وقرف – والأهم من ذلك كله هو الاستغراب من

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

كيفية بقاء شخص يبدو على هذه الصورة على قيد الحياة. لكنه لم يستطع أن يجد الكلمات المناسبة. "عندما رآنا أجهش بالبكاء". توقف مرة أخرى، ثم أضاف: "لم يتوقف عن مناداتي ديفيد، ولا أعرف لماذا".

"لعلك تشبه شخصاً يعرفه".

"ربما".

48

كانت بشرة بول شاحبة وجسده نحيلاً. وكان منكمشاً على نفسه بجانب الطاولة يحدق إليهما بعينين لا تتوقفان عن الحركة وجسد لا يتوقف عن الارتعاش.

قال ماكنايت: "من -"

فقاطعه بول: "إلهة". ثم لعق شفتيه وتابع قائلاً: "عليكما أن تحذرا منها. غرفة النوم. لقد احتجزتني هناك. كانت مذلة مثل الكلاب المذللة. غرفة النوم. إنها هناك".

قال ويكس: "أني ويلكس؟ في غرفة النوم؟" أومأ برأسه إلى رفيقه باتجاه غرفة الممر.

"نعم. نعم. مقفول عليها في الداخل. ولكن بالطبع، هناك نافذة".

قال ماكنايت مرة ثانية: "من -"

فقاطعه ويكس هذه المرة: "يا إلهي، ألا ترى؟ إنه الشخص الذي كان يبحث عنه كوشنر، الكاتب. لا أتذكر اسمه، لكنه هو".

قال بول: "الحمد لله".

انحنى ويكس مقطباً جبينه: "لماذا؟"

"الحمد لله أنك لا تستطيع تذكر اسمي".

"إنني لا أتابع أعمالك يا صديقي".

"لا بأس. لا عليك. فقط... عليكما أن تكونا حذرين. أعتقد بأنها

ميتة. ولكن كونا حذرين. إذا كانت ما تزال حية... خطيرة... مثل الأفعى ذات الأجراس". ثم حرك ساقه اليسرى الملتوية بجهد جهيد باتجاه شعاع الضوء الكاشف الذي كان يحمله ماكنايت. "قطعت قدمي. فأس".

"يا أرحم الراحمين".

عندئذ قال ويكس وهو يسحب مسدسه: "هيا". ثم توجه الاثنان ببطء نحو باب غرفة نوم بول المقفل.

صرخ بول بصوت مبحوح: "انتبها منها! كونا حذرين!"

فتحا الباب ودخلا. سحب بول نفسه إلى الوراء وأسند رأسه إلى الحائط وأغمض عينيه. كان يشعر بالبرد، فلم يستطع إيقاف نفسه عن الارتعاش. من الممكن أن يصرخا ومن الممكن أن تصرخ هي. قد يحدث عراك. وقد يحدث إطلاق نار. حاول بول تحضير ذهنه لكل هذه الاحتمالات. ومر الوقت، بدا وقتاً طويلاً جداً بالفعل.

وأخيراً، سمع صوت وقع خطوات في الممر. كان ويكس.

فقال بول: "كانت ميتة. كنت أعرف ذلك. الجزء الحقيقي مني كان يعرف ذلك. لكنني ما زلت لا أستطيع أن أصدق -"

قاطعه ويكس: "هناك دم وزجاج مكسور وأوراق متفحمة في الداخل... ولكن لا يوجد أحد على الإطلاق في الغرفة".

نظر بول شيلدون إلى ويكس ثم بدأ بالصراخ، ولم يتوقف عن الصراخ حتى غاب عن الوعي.

hilo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

IV

إلهـة

قالـت المرأة العجرية لميزري: "سيزورك شخص غريب طويل وأسمر". أجفلت ميزري وأدركت على الفور أمرين اثنين، أولهما أن هـذه المـرأة لم تكن عجرية، والثاني هو أنهما لم يكونا لوحدهما في الخيمة. استطاعت أن تشم رائحة عطر غوينادولين تشاستين قبل لحظة واحدة فقط من إطباق يدي المرأة المجنونة على رقبتها.

قالت العجرية، التي لم تكن عجرية: "في الواقع، أعتقد بأن هذا الشخص هنا الآن".

حاولت ميزري أن تصرخ، لكنها لم تستطع حتى أن تتنفس.

– طفل ميزري

قال حزقيا: "إنها تبدو دائماً على هذا النحو، سيدي إيان. من أي مكان كنت تنظر إليها، إنها تبدو وكأنها تنظر إليك. لا أعرف إن كان ذلك صحيحاً، لكنّ البوركيين يقولون بأنك حتى عندما تكون خلفها، فإن الإلهة تبدو وكأنها تنظر إليك".

قال إيان معترضاً: "لكنها في النهاية مجرد قطعة من الحجر".

قال حزقيا: "نعم يا سيدي، هذا ما يعطيها قوتها".

– عودة ميزري

hlo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

1

رقمم و ااا حد

أنت المعجبة رقمم و ااا حد

أصوات: تأتي حتى في حالة من التشوش.

2

على أن أنظف الأرض. هذا ما قالته، وهذه هي الطريقة التي تنظف بها:

3

بعد تسعة أشهر من إخراجه من منزل آني على نقالة مؤقتة لرتجلها ويكس وماكنايت على عجل، كان بول شيلدون يقسم وقته بين مستشفى الأطباء في كوينز وشقة جديدة له في الجانب الشرقي من مانهاتن. لقد أُعيد كسر ساقيه. وكانت ساقه اليسرى ما تزال موضوعة في قالب جبسي من الركبة إلى الأسفل. قال الأطباء له بأنه سيعرج طوال حياته، لكنه سيمشي، وفي نهاية المطاف سيمشي بدون ألم. كما أخبروه بأن عرجه كان سيكون أسوأ ولكثر وضوحاً لو أنه كان يمشي على قدمه بدلاً من قدم اصطناعية مصنوعة خصيصاً لأجله. يبدو أن آني قد أسدت له معروفاً.

كان يشرب الكحول كثيراً ولا يكتب أبداً. وكانت أحلامه بشعة جداً.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

عندما خرج من المصعد في الطابق التاسع، ذات يوم من شهر أيار، لم يكن يفكر في آني - على سبيل التغيير - بل في الرزمة الكبيرة التي يضعها تحت إبطه. كانت تحتوي على تجربتين طباعيتين خاصتين برواية عودة ميزري. كان ناشروه يريدون طبع الكتاب بسرعة، وكان ذلك مستغرباً، نظراً للأخبار التي تناقلتها الصحف في كل أنحاء العالم عن الظروف الغريبة التي كُتبت فيها الرواية. حتى أن دار هاستينغ للنشر طلبت بشكل غير مسبوق مليون نسخة من الطبعة الأولى للكتاب. "وهذه ليست إلا البداية. سيباع هذا الكتاب أكثر من أي شيء آخر في العالم. ينبغي علينا أن نركع على ركبنا ونحمد الله لأن القصة في هذا الكتاب كانت لا تقل جودة عن القصة التي تكمن وراءها". هذا ما قاله له محرره، تشارلي ميريل، على وجبة الغداء في ذلك اليوم؛ الغداء الذي كان بول آتياً منه حاملاً التجربتين الطباعيتين.

لم يكن بول يعرف إذا كان ذلك صحيحاً أم لا، ولم يكن يكترث للأمر في الواقع. كان يريد فقط أن يرميه خلفه ويجد الكتاب التالي... ولكن، مع تحول الأيام الجافة إلى أسابيع جافة وأشهر جافة، بدأ بول يتساءل ما إذا كان سيؤلف أي كتاب بعد ذلك أساساً.

كان تشارلي يتوسل إليه بأن يكتب سرداً واقعياً غير روائي عن محنته القاسية، مؤكداً له بأن مثل هذه القصة ستتفوق في مبيعاتها حتى على رواية عودة ميزري تفسيراً. وعندما سأله بول، بدافع الفضول فقط، عن عوائد حقوق الطبع التي سيحققها مثل هذا الكتاب، أزاح تشارلي شعره الطويل عن جبهته، وأشعل سيجارة كامل، ثم قال: "يمكنني أن أقول بأننا نستطيع أن نحقق عشرة ملايين دولار كحدٍّ أدنى". لم ترف عينا تشارلي عندما قال ذلك، لكن بول لم يكن متأكداً ما إذا كان جاداً في كلامه أم لا.

ولكن، لم يكن بالإمكان كتابة مثل هذه القصة الواقعية، ليس بعد على الأقل، وربما لم يكن ممكناً أبداً. فعمله هو كتابة الروايات. صحيح

أنه يستطيع كتابة القصة التي يريدها تشارلي، لكن ذلك كان يعني التسليم بأنه لن يكتب أي رواية بعد ذلك أبداً.

وفي وجبة الغداء تلك، قال بول لتشارلي ميريل: "النكتة هي أنها ستكون رواية في نهاية المطاف، لكنه أحجم عن إكمال فكرته. لكن النكتة الحقيقية هي أن تشارلي ميريل لم يكترث للأمر.

كانت شقته تحمل رقم "9"، وتقع في الجانب البعيد من المصعد، وفي ذلك اليوم، بدا الممر، وكان طوله يبلغ ثلاثة أمتار، بدأ يشق بثقل طريقه عبره مستنداً على عكازين على شكل حرف T. كلاك... كلاك... كلاك... كلاك... يا الله، كم كان يكره هذا الصوت.

كانت ساقاه تؤلمانه بشكل فظيع ويحن إلى النوفريل، حتى أنه كان في بعض الأحيان يعتقد بأن الأمر يستحق التواجد مع آني فقط من أجل المخدر. والشراب كان الحل البديل لمشكلته، وعندما سيدخل إلى الشقة، سيتناول كأسين من الشراب. وبعد ذلك سينظر لبعض الوقت إلى شاشة الكمبيوتر.

كلاك... كلاك... كلاك... كلاك.

والآن، عليه أن يخرج المفتاح من جيبه بدون أن يسقط المغلف الذي يحتوي على التجربتين الطباعيتين أو العكازين. وبينما كان يحاول إسناد العكازين على الحائط، أفلتت التجربتان من تحت ذراعه وسقطتا على البساط. وتمزق المغلف.

"اللعنة!"

وزيادة في الطين بلة، سقط العكازان بدورهما على الأرض مصدرين صوت قعقعة عالية.

أغمض بول عينيه وهو يترنح فوق ساقيه الملتويتين المتألمتين. كان على وشك أن يفقد عقله أو يجهش بالبكاء. وكان يرجو بأن يفقد عقله، لأنه لم يكن يريد أن يبكي هناك في الممر. لكنه بكى في نهاية المطاف. كانت ساقاه تؤلمانه طوال الوقت وهو كان يريد دواءه المخدر،

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

وليم الأسير بن القوي الذي أعطوه إياه في صيدلية المستشفى. كان يريد جرعته الفعالة. جرعة آني. وفوق ذلك، كان سلماً طوال الوقت، فما كان بحاجة إليه ليدعمه ليس ذينك العكازين اللعينين، بل قصصه وحيله الخيالية. كانت تلك هي جرعته الفعالة، جرعته التي لا تفشل أبداً. لكن قدراته كلها هربت منه. يبدو أن وقت المرح انتهى إلى غير رجعة.

شرد بول في أفكاره وهو يدخل إلى الشقة: *هكذا تبدو الأمور في النهاية. ولهذا لا أستطيع أن أكتب. لأن الحياة أصبحت كئيبة جداً. كان يجب أن تموت بعد أن ملأت رأسها بالأوراق المتفحمة، وكان يجب أن أموت أنا أيضاً بعد ذلك مباشرة. في تلك اللحظة، كنا سنكون مثل شخصيات أفلام آني المتسلسلة. لا يوجد لون رمادي، إما أبيض أو أسود، طيب وشرير. لذا كنت جيفري وهي كانت أبهة النحل البوركية. هذا... حسناً، لقد سمعت بالخاتمة، ولكن هذا سخيف.*

توقف عن التفكير فجأة. تمنى له الوقت الكافي ليدرك بأن الشقة كانت مظلمة، وأن هناك رائحة تنبعث منها. رائحة مزيج من القذارة وممسحوق للوجه.

برزت آني من وراء الأريكة مثل شبح أبيض، لابسة زي وقعة الممرضات. كانت تصرخ والفأس في يدها: *حان الوقت للتنظيف يا بول! حان الوقت للتنظيف!*

زعق بول وحاول الفرار على ساقيه المعطوبتين، فوثبت من وراء الأريكة مثل ضفدع أبرص. كان صوت احتكاك زيها الخشن، يُسمع بوضوح. أول ضربة من الفأس لم تصب إلا الهواء؛ هذا ما كان يعتقده بالفعل قبل أن يسقط على السجاد ويشتم رائحة دمه. نظر إلى جسده فوجد أنه شُطر إلى نصفين.

زعقت آني: *"نظف!"* وقطعت يده اليمنى.

زعقت ثانية: *"نظف!"* وقطعت اليسرى.

زحف باتجاه الباب المفتوح على ما تبقى من ذراعيه، فوجد أن

التجربتين الطباعيتين ما تزالان هناك، التجربتان اللتان أعطاه إياهما تشارلي ميريل أثناء تناولهما الغداء في مطعم مستر لي.

حاول أن يصرخ *"آني يمكنك أن تقرأيها الآن!"* لكن لم يتمكن من قول إلا "آني" قبل أن ينفصل رأسه من جسده ويتدحرج نحو الحائط. آخر شيء رآه من العالم كان جسده المتداعي وحذاء آني الأبيض يحيط به من الجانبين.

إلهة. ثم مات.

4

السيناريو: خلاصة خلاصة الحبكة.

– نيو كوليجيت في ويمستر

الكاتب: أي شخص يكتب، وخاصة إذا كانت مهنته.

– نيو كوليجيت في ويمستر

الظروف الخيالية: متخيلة أو خيالية.

– نيو كوليجيت في ويمستر

5

بولي، هل يمكنك؟

6

نعم، بالتأكيد يستطيع، تتمثل خلاصة الكاتب في أن آني كانت ما تزال حية، بالرغم من أنه كان يدرك بأن ذلك لم يكن سوى خيال.

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

7

لقد ذهب بالفعل ليتناول طعام الغداء مع تشارلي ميربل. وكل الحديث الذي دار بينهما كان هو نفسه. لكن المرأة التي شاهدها عندما دخل إلى الشقة لم تكن سوى عاملة التنظيف التي كانت قد فتحت الستائر لتوها. وهو سقط على الأرض بتفعل كائناً صرخة رعب كادت أن تخرج منه عندما اعتقد بأن اني برزت من خلف الأريكة مثل قابيل، لكنها لم تكن سوى قطة، القطة السيامية الحولاء، دامبستر، التي حصل عليها قبل شهر من مجمع الحيوانات الضالة.

لم يكن هناك أي وجود لأني لأن اني لم تكن قادرة على الإطلاق، بل مجرد امرأة مجنونة آذت بول لأسباب خاصة بها. لقد تمكنت أني من إخراج كل الأوراق التي حشرها بول في حلقها وخرجت من نافذة غرفة بول عندما كان نائماً بفعل المخدرات التي تناولها في الحمام. ثم وصلت إلى الحظيرة وانهارت هناك. كانت ميتة عندما وجدها ويكس وماكدانيلت، ولكن ليس بسبب الاختناق، بل بسبب كسور في الجمجمة تسبب بها ارتطامها بإطار الموقد. ولهذا، إلى حدٍّ ما، يمكن اعتبار أن الآلة الكاتبة التي كرهها بول بشدة هي التي قتلت آني.

لكنها كانت تنوي القيام بشيء ما. وهذه المرة لم يكن الفأس كافياً. فقد وجداها خارج حظيرة الخنزيرة ميزري، ويدها تمسك بمقبض منشارها الكهربائي.

ومع أن ذلك أصبح كله من الماضي، وآني الآن مستقرة في قبرها، إلا أنها، مثل ميزري تشاستين، كانت ما تزال موجودة داخله، في أحلامه وتخيلات يقظته. فأنت لا تستطيع أن تقتل الإلهة. يمكنك ربما أن تخدرها بكأس من الشراب، ولكن لا أكثر.

نظر إلى زجاجة الشراب، ثم التفت ونظر إلى حيث توجد

الألتجريتان الطباعيتان والعكازان. فألقى نظرة وداع إلى الزجاجة وعاد ليتناول دواءه.

8

أنظف.

9

بعد نصف ساعة كان يجلس أمام الشاشة السوداء، معتقداً بأنه كان ولا بد من النوع الذي يحب إتعاس نفسه. لقد أخذ الأسبرين بدلاً من الشراب، لكن ذلك لن يغير ما سيحصل معه الآن؛ إنه سيجلس لمدة خمس عشرة دقيقة أو نصف ساعة، ينظر فقط إلى مؤشر يومض في الظلمة، ثم سيطفئ الجهاز، وفي نهاية المطاف سيحتسي ذلك الشراب نفسه.

ولا.

لولا أنه شاهد شيئاً غريباً في طريق عودته إلى المنزل من الغداء مع تشارلي، وهذا الشيء أوحى له بفكرة. ليست فكرة مهمة بل مجرد فكرة صغيرة؛ فالحدث كان بسيطاً في الواقع. لقد رأى طفلاً صغيراً يدفع عربة تسوق في شارع 48th. هذا كل شيء. ولكن، كان في العربة قفص، وفيه حيوان فروي كبير إلى حدٍّ ما، اعتقد بول في البداية بأنه قطة. لكن نظرة أقرب إليه أظهرت خطاً عريضاً أبيض فوق ظهره.

قال بول للصبي: "هل هذا ظربان يا بني؟"

أجابه الصبي: "أجل". ثم دفع عربته بسرعة أكبر بقليل. لا يمكنك التوقف وتبادل حديث طويل مع الناس في المدن، وخاصة إذا كان شكلك

hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

غريباً وتحمل كيسين بحجم حقيبتي سامسونايت وتسير على عكازين معدنيين. دار الصبي حول المنعطف وغاب عن النظر.

تابع بول طريقه. كان يريد إيقاف سيارة أجرة، ولكن كان يفترض به أن يمشي ميلاً واحداً كل يوم. ولكي يشغل ذهنه عن الميل الذي يتوجب عليه قطعه بدأ يتساءل بينه وبين نفسه: من أين أتى الصبي، من أين أتت عربة التسوق، ومن أين أتى الظربان؟

سمع جلبة خلفه فالتفت إلى الوراء من مكانه خلف الشاشة السوداء ليرى آني آتية من المطبخ مرتدية سروال جينز وقميص تي شيرت من النوع الذي يرتديه قاطعو الأخشاب، وتحمل المنشار الكهربائي في يدها.

أغمض عينيه، ثم فتحهما، فلم ير شيئاً كالعادة، فأحس بالغضب فجأة. استدار ثانية نحو الشاشة وكتب بسرعة، ويعنف تقريباً:

-1-

سمع الصبي صوتاً آتياً من خلف المبنى، وبالرغم من أن الغثيان خطرت بذهنه، إلا أنه سلك المنعطف على أية حال، فلقد كان الوقت ما يزال مبكراً للعودة إلى البيت لأن المدرسة التي هرب منها قبل وقت الغداء لن تنتهي إلا بعد ساعة ونصف.

ما شاهده مقرفصاً بجانب الجدار تحت ضوء الشمس المغبر لم يكن فأراً، بل قطة كبيرة جداً ذات ذيل لم ير في حياته بمثل كثافته.

10

توقف بول عن الكتابة، وفجأة، بدأ قلبه ينبض بقوة.

بولي، هل يمكنك؟

لم يجرؤ على الإجابة عن هذا السؤال. انحنى فوق لوحة المفاتيح ثانية، وبعد لحظة بدأ بالنقر على المفاتيح... ولكن بنعومة أكثر هذه المرة.

11

لم تكن قطة. صحيح أن إدي دزموند عاش في مدينة نيويورك سيتي طوال حياته، لكنه ذهب ذات يوم إلى حديقة الحيوان في برونكس. وفوق ذلك، هناك كتب مصورة، أليس كذلك؟ كان يعرف ما اسم ذلك الحيوان، ولكن لم تكن لديه أدنى فكرة عن كيفية وصول مثل هذا المخلوق إلى هذا المبنى الكائن في شارع 105th المهجور. إن الخط الأبيض الموجود على ظهره يمثل علامة فارقة: إنه ظربان.

12

نعم، إنه يستطيع. إنه يستطيع.

وهكذا، تمكن بول من استعادة قدرته من جديد. انفتحت الثغرة في الورقة ونظر إلى ما فيها، غير مدرك بأن أصابعه كانت تزداد سرعة، غير مدرك بأن ساقيه المتألمتين كانتا موجودتين معه في نفس المدينة

www.jn2n.com
hllo_A@hotmail.com
www.jn2n.com

لكنه لم يكن يحس بهما وكأنهما كانتا على بعد خمسين شارعاً منه، غير مدرك بأنه كان يبكي وهو يكتب.

لوفـيـل، مايـن: 23 أيلول 1984/باتغور، ماين: 7 تشرين الأول 1986: الآن أخبرت حكايتي.

hllo_A@hotmail.com

www.jn2n.com